



الآثار المتبادلة للهجرة اليمنية

الجزء الخامس
التأثير الثقافي المتبادل للهجرة اليمنية



الآثار المتبادلة للهجرة اليمينية

الجزء الخامس

(9 - 5)

التأثير الثقافي المتبادل للهجرة اليمينية

الأثار المتبادلة للهجرة اليمنية (تسعة أجزاء)

الطبعة الأولى 2022م

رقم الإيداع بدار الكتب 2022/72

الناشر: مؤسسة الخير للتنمية الاجتماعية

مؤسسة الخير للتنمية الاجتماعية

ص.ب (18226) صنعاء – اليمن

هاتف: 01-442432

بريد الكتروني info@muhajirun-ye.org

رابط الموقع www.muhajirun-ye.org

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير إلا بإذن
خطي من المؤسسة.



مؤسسة الخير للتنمية الاجتماعية
Al Khair Foundation For Social Development

راعي المشروع – رئيس مؤسسة الخير للتنمية الاجتماعية

الأستاذ / علوان سعيد محمد الشيباني

أسماء فريق دراسة الأثار المتبادلة للهجرة اليمنية (ترتيب أبجدي):

- 1- أ. أحمد صالح الجبلي
- 2- د. أحمد قائد الصائدي
- 3- أ. أحمد عبده سيف
- 4- د. أحمد محمد عبد اللاه السقاف
- 5- أ. العزي محمد حمود الصلوي
- 6- د. أمين محمد سعيد نويصر
- 7- د. جمال حزام محمد النظاري
- 8- أ. جمال عبد الرحمن الحضرمي
- 9- أ. حسن عبد الوارث محمد البناء
- 10- د. حمود صالح العودي
- 11- د. شائف شرف عثمان الحكيمي
- 12- د. صادق عمر مكنون
- 13- د. صالح أبوبكر بن الشيخ أبوبكر
- 14- أ. عبد الباري محمد طاهر
- 15- عبد الله محمد عبد الله بن ثعلب
- 16- د. عمرو معد يكرب الهمداني
- 17- أ. قادري أحمد حيدر الأديمي
- 18- أ. محمد عبد الوهاب الشيباني

باحثون مشاركون بأوراق بحثية

1. أ. أكرم محمد علي المصنعي
2. أ. فؤاد علي الشرجبي
3. أ. محمد سلطان اليوسفي
4. د. محمد عبدالرحمن سجوه
5. د. يحيى محمد أحمد غالب

المساعدون التنفيذيون

1. رحاب عبده علي الصغير
2. عزام أحمد غيلان الشيباني
3. ليلى عبدالقادر العبسي – سكرتارية مركز الدراسات

تصحيح لغوي

1. د. عبدالله علي الكوري
2. د. محمد حسين خاقو
3. د. عبده محمد صالح الحكيمي

تصميم الغلاف

إخلاص عبدالله طه علي

محتوى الجزء الخامس

1. التأثير المتبادل للمهاجرين والمغتربين على التعليم
أ. أحمد عبده سيف العريقي..... 7
2. إسماعيلية اليمن في المهجر: الأسباب والآثار
د. عمرو بن معد يكرب حسين الهمداني..... 223
3. الصحافة اليمنية في المهجر: التأثير والتأثر
أ. عبدالباري طاهر..... 327

التأثير المتبادل للمهاجرين والمغتربين على التعليم

أ. أحمد عبده سيف العريقي (*)

(*) باحث في القضايا التربوية والتعليمية.

مقدمة:

لولا اشتداد المعاناة والبؤس لما تولدت الرغبة بالاغتراب والهجرة لدى ملايين اليمنيين، ولولا الهجرة والاغتراب لما تحولت مخاطر وأشكال المعاناة إلى فرص، ولولا الفرص التي أتاحت بسبب الغربة لما تحسنت ظروف المهاجرين والمغتربين، وتميَّز بينهم الكثير من النابهين الذين أدركوا تلك الفرص وسعوا، بكل ضميرهم الوطني النقي، إلى استغلالها تعزيزاً لثقافة المقاومة.

ولولا أولئك الرواد لما تمكنت المعارضة اليمنية في الداخل من البقاء والصمود، ومن توحيد الصف، وإنتاج أدوات نضالهم ممثلة "بحزب الأحرار"، "الجمعية اليمنية"، "الاتحاد اليمني"، وصولاً إلى لحظة استعادة الإرادة وتفجير الثورة في صنعاء، ثم في عدن. ولولا نجاح الثورة لما أمكن تغيير النظام، ولولا تغيير النظام لما تطور التعليم (على تشوّهه الحالي)، ولولا تطور التعليم- وإن لم يكن محكوماً بالفلسفة الوطنية المنشودة- لما أمكن إعادة تشكيل ثقافة المجتمع كما نرى، وإن ثلمت، بل إن تعثرها اليوم يعد دليلاً على ما نالها من تغيير، وإن تعثرت قدرة الجماعات والأفراد ولم تتجح في التغيير الإيجابي بالقدر الذي يمكّن الثقافة من الاستقرار والتمكين، عبر خلق وتوسيع حاضنتها المجتمعية. بهذه الصورة وهذا المستوى يجب أن يفهم تأثير المهاجرين والمغتربين على مواطن الهجرة والاغتراب وعلى الداخل الوطني، وكيف لا يكون ذلك، وهم من اصطلى بمحنة عدم التأهيل الكافي، وانعدام الرعاية، وأدركوا أنه لا سبيل إلى الخلاص إلا بالتعليم. ولذلك كان التعليم وسيبقى يمثل المدخل الأمثل للتغيير، خاصة أن للتعليم علاقة وثقى بثقافة المجتمع؛ إذ إنه يجعلها مجالاً حيويّاً لعملياته وأنشطته المختلفة، وبالتالي فإن أي حديث عن

التعليم، لا يمكن تجاوز الحديث فيه عن أثره في الثقافة. وبالمقابل، فإن الحديث عن تفاعل الأفراد أو الجماعات مع المجتمع المحيط، والسعي للتأثير فيه لا بد أن يكون انعكاساً لأثر التعليم في الجماعات والأفراد.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على حجم تأثير المغتربين والمهاجرين على التعليم، وانعكاس ذلك على مختلف مجالات حياة المجتمع، عبر استطلاع لأحوال الوطن بداية القرن العشرين وواقع التعليم في شماله وجنوبه، وجدواه وعلاقته باحتياجات المجتمع، مع بيان ملامح العلاقة بين التعليم وثقافة المجتمع. وفي المحور الثاني، من خلال استعراض بعض أسباب الهجرة، تستهدف الدراسة الإجابة عن سؤال: هل مثلت شكلاً من أشكال المقاومة، مع الاقتراب من بعض اهتمامات المغتربين والمهاجرين، ومعاناتهم، ونزوعهم للتوحد، وإعطاء إشارات إلى تفاعلهم الإيجابي مع بيئات الهجرة والاعتراب، وتأثيرهم عليها وعلى وطنهم الأساس، وخاصة عبر إسهاماتهم التعليمية. وأما المحور الثالث فيستهدف الوقوف على مستوى انعكاس إسهاماتهم وتأثيرها على ثقافة المجتمع، مع استجلاء بعض الأسباب التي قللت من مستويات تأثيرهم المتبادل على مواطن الهجرة والاعتراب وعلى الداخل الوطني. مختتمين الدراسة ببعض المقترحات الهادفة لزيادة تأثيرهم في الحاضر والمستقبل.

كما إنه من المهم الإشارة هنا إلى أنه واجهتني صعوبات عديدة، تتعلق بتوفر المراجع اللازمة، ومصادر المعلومات والبيانات، وأحياناً كثيرة، قصور فيما توفر منها على نحو لم يبق أمامي من سبيل سوى إيرادها كما وجدتها، أملاً أن تتواصل جهود البحث، وأن تتمكن من تحقيق ما لم أتمكن من تحقيقه، وراجياً أن تحظى هذه الظاهرة بما تستحقه من اهتمام، بما يمكن من تفعيل الأداء وحسن استثمار النتائج. ويبقى عليّ لفت الانتباه إلى أنه إزاء الصعوبات التي

عرضتُ بعضاً منها فيما تقدم، فقد سلكت منهج البحث التاريخي دون تقيد صارم بأدواته لبناء هيكل الدراسة، مع الاستعانة ببيانات إحصائية قدر ما تيسر، مع استخدام ما أمكن من إمكانات التحليل غير المُخل بما وقع بين يديّ على طريق إنجاز الدراسة، أملاً تقدير ذلك.

ويبقى من المهم التأكيد على أن هذه الدراسة تكتسب أهميتها من وجوه عدة، لعل من أهمها، أنها تسعى لإنصاف المهاجر والمغترب اليمني نتيجة ما قدم من توضيحات جسام، حتى غدا القول صحيحاً بأنه لولا تلك التوضيحات التي هيأتها الأقدار لما عرف الوطن كل هذه التحولات العظيمة المؤسسة ليمن المستقبل. والإنصاف هنا نعه متأخراً وبجهد أهلي كان الواجب يقتضي من الدولة والنظام السياسي أن يبادرا إليه تقديراً و عرفاناً لجهود وتوضيحات جنود مجهولين تفوقوا على إمكانات تأهيل متواضع حصلوا عليه، وتجاوزوا كل العوائق التي كانت تحول دون تواصلهم مع بعضهم البعض، ومع طلائع المعارضة في اليمن، ليصنعوا فجرنا السبتبري في العام 62م، وليؤسسوا مداميك التحولات التي شهدتها الساحة الوطنية. وقد آن أوان خروجهم من ظل التاريخ ليغدوا معالم على طريق جهاد الإنسان اليمني ونبراساً تقتدي به الأجيال المتعاقبة، ولينالوا حقهم من التبرُّم والترحم على الأقل، وليحتلوا المكانة المناسبة في الذاكرة الجمعية للمجتمع. كما أنها تكتسب أهمية عظمى كونها مع غيرها من الدراسات المنتجة في هذا المشروع، الذي كرس له الأخ علوان الشيباني جهده المبارك وتمويله الكريم لإظهاره إلى النور، تشكل دراسات مؤسسة تيسر للباحثين في الحاضر والمستقبل فرصاً لإنتاج بحوث متخصصة، تُمكن المجتمع من تقدير هذه الظاهرة، وتوجّه اهتمام النظام السياسي للعناية بها، استثماراً لها وسعيّاً لإعادة بناء الذاكرة المجتمعية كحق مكتسب للأجيال القادمة. ثم إنها تؤسس

للكشف عن دور المهاجر والمغترب اللذين وهبا من أعمارهما وجهدهما ما استطاعاه، كجهد إيجابي أسهما به في نهضة شعوب وأمم عربية، وإسلامية وأوروبية عديدة، وتؤكد بأن الإنسان اليمني لم يكن عالمة وغير ذي قيمة، كما أنها تكشف عن ضخامة البذل لتحقيق نهضة تعليمية ما كان لنا أن نحققها بهذا القدر لولا إسهاماتهم الباكرة والمتواصلة في مختلف المراحل والعهود التي مرت في حياة اليمنيين، وعكست آثارها بوضوح على ثقافة المجتمع. كما أنها تكتسب أهمية خاصة من حيث توجيه اهتمام المختصين إلى الاقتراب الموضوعي من التجارب التعليمية التي أسسها المهاجرون والمغتربون اليمنيون لبيان ملامح التجارب وجدوى كلٍّ منها، قياساً على مستوى اهتمامهم ووعيهم بأهميتها لتأهيل أبنائهم، وللنظر في جدوى استمرار القائم منها والحاجة لتجويد ما تقدمه من فرص التأهيل.

مدخل تمهيدي: لمحات عن أحوال الوطن السياسية في النصف الأول من

القرن العشرين

في بدايات القرن العشرين كان الوطن والمجتمع تتنازعهما قوى محلية، وقوى أجنبية ممثلة بالاحتلال العثماني، والاحتلال البريطاني. أما المحلية فقد تمثلت بحكم دويلات متنازعة متنافرة تمثلت بالأدارسة، ومشيخات وسلطنات في جنوب وشرق الوطن، أما في بعض مناطق الهضبة الشمالية- في الأهنوم وقفلة عذر وغيرها- فقد كانت المقاومة لحكم الأتراك بقيادة الإمام المنصور محمد بن يحيى تشتد، وخاصة بعد تولي الإمام يحيى بن محمد الإمامة بعد أبيه الذي توفي عام 1904م، والذي نجح في استمالة أبناء الأسر المنافسة وبعض شيوخ القبائل والمدنيين إلى صفه، وبذله لهم الوعود بالمشاركة في الحكم والإصلاح، وترسيخ الحكم المحلي بعد التخلص من الأتراك، وركز على مواصلة الحرب لإخراج الأتراك من اليمن، وشدت قواته حصارها على صنعاء حتى أجبر تركيا على عقد اتفاقية "دعان" عام 1911م. وقد ساعده على ذلك الأوضاع الدولية السائدة، وما كان يحيط بالدولة العثمانية من أخطار نتيجة القلاقل وحركات الاستقلال في بعض البلدان الخاضعة لحكمها.

وكانت الأطماع السياسية للتوسع بين الدول الأوروبية قد بلغت الذروة، وشرعت تقيم التكتلات والأحلاف استعداداً لخوض الصراع الذي تفجر بقيام الحرب العالمية الأولى. ولم تكن تركيا بعيدة عن ذلك، فتحالفت مع ألمانيا ضد أعدائها (بريطانيا - فرنسا - إيطاليا)، خاصة أنه قد ظهرت أطماع كلٍ منها باقتسام تركيا "الرجل المريض".

وفي المقابل، كانت بريطانيا تفرض سيطرتها على مناطق واسعة في جنوب اليمن باحتلال عدن، وربط السلطنات والمشيخات باتفاقات الحماية التي

بموجبها تمنح بريطانيا للمشايخ والسلاطين مرتبات شهرية مقابل "الولاء والمشورة"، وذلك بحسب تقدير بريطانيا التي كان جُلُّ همها تعزيز سيطرتها على مستعمرة عدن كميناء للتزود بالوقود والغذاء والماء، ولأهميته الاستراتيجية نتيجة وقوعه على خط الملاحة الدولية وعلى الطريق الرابط بين مستعمراتها في الشرق ومصر، ولذلك سعت لاسترضاء الإمام يحيى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بأن أبدت رغبتها للإمام بالتخلي عن المحميات، لكنه رفض ذلك لأنه كان يطمح إلى أن تسلمه بريطانيا ميناء عدن (لما سيديره عليه من أموال). أما نظرتة إلى المحميات فقد كانت محكومة بفلسفته القائمة على التخلي وعدم الاهتمام بأي منطقة، أو محمية، أو لواء لا يتوقع منها تحقيق عوائد مالية مناسبة، فالقاعدة عنده محكومة بحد المنفعة، والمنفعة المالية منها على وجه التحديد، فإن غابت أو لم تكن بالمستوى المطلوب، تصبح المنطقة بمن فيها غير مرغوب بها⁽¹⁾.

ومُنذ 1918م، طالب الإمام يحيى بريطانيا بتسليم المحميات، مشعراً إياهم أنه غير معترف باتفاقية الحدود التي عقدها مع الأتراك. وقد كانت الحكومة البريطانية، وكثير من خبراءها السياسيين يؤيدون ذلك لولا تعنت المسؤولين البريطانيين في عدن. ولما لم تجد مطالبة الإمام يحيى بالمحميات تجاوباً، أخذ يرسل قواته ابتداءً من 1920م لاحتلال الضالع والعوائل، وأجزاء من لحج ويافع وبيحان وغيرها، فما كان من الإنجليز إلا تسليم الحديدية إلى الإدريسي في 31 يناير 1921م نكاية بالإمام يحيى. ويقول الكولونيل جيكب: "إن الحديدية لم

(1) ورد في كتاب "لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين" ما يشير إلى مثل ذلك حيث يورد القول: "وبالنسبة لمارب فقد روى لي أحد الأصدقاء عن الأستاذ زيد عنان قوله: إنه سمع الإمام يحيى شخصياً يقول ما معناه: ما معنا فائدة من مارب هذه تخسرنا كل سنة 5000 ريال معاشات ونحن ما فيش معنا منها مدخول، ما عاد نشتيهاش"، ينظر: عبده، علي محمد، لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، ج1، ص29.

تكن ملكاً خالصاً لنا حتى نمنحها للغير، كما إن الإدريسي لم يغنمها من الأتراك أثناء الحرب، وكان أول واجب علينا بعد عقد الهدنة مع الأتراك أن نبعد الإدريسي عن منطقة أصبحت بالاكْتساب للإمام وحده؛ إذ إن الحديدية هي الميناء الطبيعي لصنعاء". وقد استمر يحكم هذه المناطق سبع سنوات، ونتيجة ظلمه وخرافاته التجأ كثير من كبارها إلى محميات أخرى، وأخذوا يستتجدون بالإنجليز، فقامت طائراتهم في 1928م بقصف قواته في الضالع والعوادل، وقصفت بعض مدن الشمال، مثل تعز، وقعطبة، وذمار، والنادرة، فانسحبت القوات الإمامية من المناطق التي كانت قد استعادتها⁽²⁾.

وبالنظر إلى ذلك، نجد أيضاً أن الإمام يحيى لم يكن جاداً في مطالبته لبريطانيا بتسليم المحميات إلا إذا كانت عدن ضمنها، ولما يئس من رفض بريطانيا تسليمه عدن هاجم بعض المحميات كما ورد سابقاً، واستمر يحكم ما استعاده منها سبع سنوات، لكنه لم يكن قادراً على تقديم بديل جاذب للمواطنين، بل اشتد بممارسة الظلم. ونلاحظ صمت بريطانيا على ما أقدم عليه، ولم تحم مناطق نفوذها، وفي ذلك دليل على رغبتها في التنازل عن المحميات مقابل قبوله (ببريطانية لحج وعدن)، ولما اشتدت مظالمه وأراد مناكفة الإنجليز، ونتيجة لاستنجد المواطنين في المناطق التي خضعت لحكم الإمام، انسحبت قواته، ولم تصمد بعد الغارات الأولى للطائرات البريطانية في 1928م، بل إنه قبل بتوقيع معاهدة معهم في فبراير 1934م- بعد أن بقيت العلاقة في حالة سكون- تنازل فيها عن مطالباته، وأقر بنفوذ بريطانيا على عدن والمحميات جميعها.

(2) المرجع نفسه، ص 105، 106.

كما أن الاحتجاج بمعارضة المسؤولين البريطانيين في عدن عن تسليم بريطانيا المحميات للإمام، في رأيي لم يكن إلا من قبل ممارسة التكتيكات السياسية مع الإمام يحيى، كما كانت استعادته لبعض المناطق أيضاً، وخروجه منها بعد سبع سنوات أقرب ما يكون للتكتيك وليس تحريراً للأرض، كما أنه لم يقاوم. ثم لماذا رفض استلام المناطق التي كان سعيد باشا والأتراك قد حرروها ووصلوا إلى الشيخ عثمان عندما طلب منه سعيد باشا ذلك، وفضل عدم المشاركة في الحرب واختار الحياد؟

كما أنني أميل إلى وجود سبب آخر يتمثل بخشيته من عدم قدرته على بسط نفوذه وتأكيد سيطرته على مساحة أرض واسعة، لا يدين أهلها له مذهبياً، وتزداد نفقاته عليها أيضاً (في ظل علاقاته الصراعية في ذلك الوقت مع الإنجليز والإيرانيين، وما يستتبعه ذلك من تشتيت لقواته)، وهو الذي سعى للتتكّر لكل الوعود التي قدمها أثناء المواجهة مع الأتراك، وسعى للتخلص من أمراء الحرب الذين ساعدوه على بسط النفوذ على المناطق التي كانت تخضع لحكم الأتراك، وراح يمارس سياسة "فرق تسد". "وهكذا نجحت الإمامة في تصنيف الشعب إلى فريقين مختلفين، كلٌّ منهما مطية إلى هدف من أهدافها. وإذا كان القسم اليمني الأسفل يقاسي الكثير من السلب والنهب والقهر، فالقسم الأعلى يتجرع السموم الروحية التي ترغم أبناءه على الطاعة العمياء للإمام دون مناقشة ولا حساب، ودون أن ينتظر جزاء"⁽³⁾.

وسعى الإمام يحيى إلى تعزيز وتدعيم مركزه الروحي بين القبائل باعتباره من (آل البيت)، ويملك حقاً إلهياً بالحكم والزعامة الروحية والسياسية، وأن على المجتمع- وقد توزع بين شوافع وزبود- الخضوع والتسليم بإرادته. ويقول

(3) الزبيري، محمد، الإمامة وخطرها على وحدة اليمن، ص8.

الزبيري: "والمهمة الأخرى لأي إمام هي تدعيم مركزه الروحي بين القبائل تحت ستار التشيع لآل البيت، حتى يرسخ في عقلية الشعب بالقسم الأعلى أن الإمام ظلُّ الله ونائبه حقاً، وأن منزلته كمنزلة رسول الله، وتفترن هذه التعاليم الروحية في القسم الأعلى بالحملة الطائفية ضد من يسمونهم كفار تأويل، الذين لا يدينون بالمذهب الإمامي، وهم أكثرية، القائمة على البطش والسلب التي لا بد لكل إمام من تجريدها ضد المزارعين الأمنيين من أبناء الشعب في اليمن الأسفل وتهامة"⁽⁴⁾.

لم تعرف اليمن الاستقرار، خلال العقود الأولى من القرن العشرين، فعلى الرغم من أن الإمام يحيى وقف على الحياد فيما يتعلق بالصراع بين تركيا وبريطانيا، فإن حربه مع الإدريسي لم تتوقف، ونتيجة لمطالبته لبريطانيا بتسليمه عدن، ورفض بريطانيا لذلك وإبدائها الاستعداد لتسليمه المحميات مقابل اعترافه ببريطانية لحج وعدن، ورفضه لذلك، أرسل قواته لاحتلال الضالع، والعوانل، وبيحان، وأجزاء من لحج ويافع، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى تسليم الحديدة للإدريسي الذي كان مدعوماً من قبلها، لقبوله دخول الحرب مع بريطانيا ضد تركيا.

وفي المقابل كانت قوات الإمام تحرز انتصارات متتالية على قوات الإدريسي بعد أن تخلت عنه بريطانيا، واستعاد الإمام السيطرة على الحديدة، وزحفت قواته حتى حاصرت جيزان وصبيا في العام 1925م، لولا توقيع الإدريسي اتفاقية حماية مع عبد العزيز بن سعود عام 1926م. ونتيجة لاشتداد الضغوط على الإمام من الشمال ومن الجنوب اضطر إلى توقيع معاهدة في فبراير 1934م، اعترف فيها بسلطة بريطانيا على عدن والمحميات الأخرى،

(4) الزبيري، المرجع نفسه، ص9.

كما اضطر إلى توقيع معاهدة الطائف المعروفة مع ابن سعود في مايو عام 1934م. (هذا عدا قمعه للانتفاضات الوطنية، ومنها حركة الخزفار في المقاطرة مثلاً، والزرائق في تهامة)، وقد عكست هذه العلاقات الصراعية نفسها على حياة المجتمع اليمني بزيادة الحرمان والقهر والبؤس، والاشتداد في جمع الضرائب، والإذلال.

كما فرض الإمام يحيى العزلة الداخلية على المجتمع، ولم يهتم ببناء البنية التحتية اللازمة، وصنف المجتمع إلى آل البيت، الأشياع من الزيود ولو بالإكراه، وشوافع المجتمع المتهمين بكونهم كفار تأويل، كما فرض العزلة في الداخل ومع الخارج، ولم يستجب لبناء بعض مؤسسات الدولة إلا بصعوبة وللضرورات القصوى، كالدفاع، والخارجية بحدود، والتربية شكلاً، كما ألغى التجربة التي تأسست أيام الحكم التركي في النظام الإداري والمجالس المحلية، ومجالس الإدارة، والمجلس العمومي للولاية، وكان بمثابة برلمان مصغر. ودجّن التعليم بما يخدم مذهبيته وتكريسه كحاكم مطلق يدعي حقاً إلهياً ونسباً إلى آل البيت، واصطفاءً لا يُنازع فيه، وقاوم تحديثه ومنع انتشاره، وأغلق المدارس الأهلية التي حاولت التحديث، حتى مع ادعائه "إلزامية التعليم".

كما اشتد في إذلال المجتمع بإذكاء التباين المذهبي، وفرض الضرائب المتعددة من الخُطاط إلى التنافيد، والتخمين، والكشف، واحتكر وظائف السلطة التنفيذية وجعلها في أسرته وتحت يده وبإشرافه المباشر، وقضى على المعارضين له بشدة، مستخدماً كل سلاح متاح، بما في ذلك الدجل والكذب، حتى أنه اتهم المعارضة السرية في صنعاء باختصار القرآن، كما اتهم أبناء المقاطرة بـ"الإباحية"، والتهتُّك، والهجرة إلى عدن، وارتداء العائدين منهم

ملابس المقيمين فيها، وإجادتهم الحديث باللغة الإنجليزية، وهذه الأشياء كلها منافية للدين وتوجب محاربتهم⁵.

وكل ما سبق جعل الحياة لا تطاق، وأضحى الخروج والهجرة ملاذاً لاستعادة الأدمية، وسبباً وفرصة للخلاص.

أما جنوب اليمن فلم يختلف الوضع فيه عن الشمال، فقد أهملت بريطانيا احتياجات المجتمع في عدن والمحميات، وفرضت العزلة بين المناطق، وساعدها على ذلك اعتراف الإمام يحيى بسلطتها في فبراير 1934م على جنوب الوطن، كما تجمعت عوامل عديدة ساعدتها على فرض العزلة بين أبناء جنوب الوطن (نشئت سكاني، مع قلة عدد السكان أصلاً، قياساً على اتساع مساحة الأرض، وصعوبة المواصلات، وتشجيع قيام المشيخات والسلطنات، وتفشي الجهل، وطبيعة الأنشطة السكانية وتخلفها، وقبل تلك العوامل ومعها تأثر المجتمع بالممارسات السيئة للسلطات القائمة، وبحالة الصراع التي عرفتھا اليمن، سواء بين الإمامة والأتراك، أو بين زعماء القبائل والمشيخات على اقتسام الجغرافيا والنفوذ، وموقف الإمام يحيى السليبي المبني على تقديره للمصلحة والعوائد المتوقعة من ريع الأرض والإنسان، وتأثير معاهدات الحماية مع بريطانيا).

كما سعت إلى ربط مستعمرة عدن بمستعمرتها في الهند، واستقدمت هندوياً لإدارة ما يهيم من مؤسسات المستعمرة في عدن، وعملت على ربط السلطنات والمشيخات باتفاقيات الحماية بمنح السلاطين والمشايخ المرتبات مقابل اعترافهم بسيادتها عليهم وعدم التصرف إلا وفق مشورتها، كما عززت

(5) عبده، علي، المرجع السابق، ص69.

سيطرتها بالمفوضين الإنجليز (المستشارين لدى حكام المحميات) كنواب للمندوب السامي في عدن.

وحاولت إحداث تغيير ديمغرافي في عدن باستجلاب الجاليات الأجنبية - إنجليز - هنود - صومال - وغير ذلك، وشجعت وكرست التفرقة بين أبناء عدن وأبناء السلطنات والمشیخات بمظاهر شتى، ومنها شهادة الميلاد "المخلقة" وغيرها.

كما شجعت ودعمت التبشير، وصرفت بسخاء على المدارس الأجنبية والتبشيرية، حتى أن أغلبية الموازنة المخصصة للتعليم في المستعمرة (أكثر من 85%) كانت تخصص لتلك المدارس. كما حاصرت انتشار التعليم الحكومي وقتئذ، وقاومت محاولات التحديث، ورفضت تطوير التعليم ولم تسمح إلا بما يحقق مصالحها بتخريج موظفين، ولم تهتم بنشر التعليم الحديث في مختلف المناطق الخاضعة لها. وأبقت التبعية الإدارية للمستعمرة لمستعمرتها في الهند، مما تسبب بجمود الحياة وتخلفها، حتى ثلاثينيات القرن العشرين حين بدأت باتخاذ إجراءات ربطها بوزارة المستعمرات لضمان تكريس سيادتها على المستعمرة وملحقاتها. كما حاولت تعزيز سيطرتها عبر تأهيل أبناء السلاطين وأسرهم والمشايخ في مدرسة خاصة تمكنها من أن تبني أجيالاً جديدة من الحكام أشرفت على تنشئتهم سياسياً كما تريد، وليكونوا أكثر تقبلاً لسياساتها، ويصبحوا مخالباً تستخدمهم كيفما تشاء، وضد من تشاء، ومتى تشاء.

ثم إنها عمدت إلى تغيير هوية المجتمع باصطناع هوية "الجنوب العربي" وتنمية ثقافة مجتمعية تقوم على قاعدة فك الارتباط عن الهوية اليمنية، مع تبني نظام ديمقراطي زائف لا يليب طموحات المواطنين.

ولم تستجب لدعوات التأهيل العلمي العالي - إن في اليمن، أو في بريطانيا، أو دول أخرى - ولم توفر المنح اللازمة للراغبين بالدراسة الجامعية والعليا، متعلقة بممارسات ومبررات كثيرة للتحايل على هذا الحق كونه حقاً من حقوق المواطنة، ولم تهتم ببناء البنى التحتية اللازمة ضمن مكونات ما أسمته "اتحاد الجنوب العربي".

وشهد الجنوب نشوب صراعات بينية بين السلطنات والمشيوخ، وتنازع على الحدود، ومن أهم تلك الصراعات والتنازع ما كان ناشباً بين السلطنة الكثيرة والسلطنة القعيطية الذي استمر لعقود، وما ترتب على ذلك من ثارات وشروخ في الثقافة المجتمعية بما انعكس سلباً على حياة المواطنين، وصراع آخر بين دولة آل عبادات في (العرفة) وبين السلطنتين، ومعهما بريطانيا وأسر ومشايخ (العلويين).

المبحث الأول

ملامح الواقع التعليمي في اليمن في القرن العشرين

أولاً: الأوضاع التعليمية في الشمال

بات من المعلوم تاريخياً أن التعليم في اليمن تأثر بموقف الدويلات التي حكمت، فأثناء الحكم الأيوبي (1174-1228م) أدخل الأيوبيون نظام المدارس في اليمن، وكانوا هم من أدخل هذا النظام- كأبنية مخصصة للتعليم- حيث تم إنشاء (13) مدرسة، وقد تسمت بأسماء من بنوا تلك المدارس، كما تركز وجود تلك المدارس في كلٍّ من تعز، وزبيد، وإب، وواحدة في أبين، وهي المناطق التي تركز فيها نفوذ الأيوبيين بوضوح ولاقوا فيها قبولاً يرجع لكون الدولة الأيوبية دولة سنية شجعت انتشار المذهبين الشافعي والحنفي، وخصت لكل مذهب مدارس تهتم بتدريس المذهب⁽⁶⁾.

وفي عهد الدولة الرسولية (1228-1452م) حوالي 225 سنة، برز اهتمام الرسوليين بالتعليم، حيث حظي باهتمام كبير نتج عنه انتشار المدارس في مناطق تعز، والجند، وجبله، وزبيد، وعدن، وحتى مكة، ويؤثر عنهم أن عدد ما بني من مدارس في عهدهم تجاوز المائة مدرسة، حتى عمّد عهد الدولة الرسولية بالعصر الذهبي للمعرفة (بحسب مفهوم عصرها). وقد تنافس سلاطينها وأمرائها، وحتى الأميرات في بناء المدارس ورعايتها، والإنفاق عليها، وتزويدها بما يدخرونه من كتب ومخطوطات. كما حفظت لنا الأقدار بعضاً من تلك المدارس التي مازالت قائمة حتى الآن محتفظة بعناصرها المعمارية الأصلية⁽⁷⁾.

(6) البكري عبدالحميد، التعليم في اليمن 1918-1962م، ص 3، 4.

(7) المرجع نفسه، ص 5، 6.

أما عن التعليم في عهد الدولة الطاهرية التي جاءت على أنقاض الدولة الرسولية وامتداداً لها، فقد تعهد ملوكها التعليم بالرعاية وبالبناء وفق طراز معماري مميز، وتعد المدرسة العامرية برداع أروع تجلٍ لذلك الطراز المعماري، حيث بنيت على ثلاثة أدوار، خصص الدور الأرضي لسكن الطلاب، وقد تكون من عشرين غرفة، وشمل الدور الثاني مصلى وإيوانات، وأما الثالث فاحتوى على مسجد تعلوه قبة كبيرة، ومن حولها ست قباب متناسقة خصصت للدراسة(8).

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن عهود الدولة الأيوبية، والرسولية، والطاهرية قد تميزت بانتشار التعليم، وإن كان مصبوغاً بطبيعة العصور تلك من حيث اهتمامه بتروسيخ المذهب الشافعي والحنفي، بجانب اهتمامه بما كان يعد تعليمياً عالياً متخصصاً كعلوم الفقه، والنحو.

وقد كان ذلك طبيعياً بحكم طبائع تلك العصور؛ كون المناطق التي خضعت لهم كانت مناطق يتمذهب أهلها بالمذهب الشافعي والحنفي، وذلك في مواجهة سيطرة الأئمة الزيدية على المناطق الشمالية واهتمامهم بنشر الزيدية. وقد تجلت جهودهم التعليمية في بناء بعض المدارس، وكان من أهمها المدرسة الشمسية في ذمار، ومدرسة في صنعاء، وأخرى في كوكبان وغيرها، وإن لم تكن قد أخذت طابع المدارس التي عرفت على عهود الرسوليين والطاهريين؛ كونها كانت عبارة عن جوامع تنتشر حولها المنازل والأربطة لسكن الطلاب ومشايخ العلم.

(8) المرجع نفسه، ص 8، 10.

1- الأوضاع التعليمية أثناء الوجود العثماني

استمر العثمانيون في حكم اليمن بعد عودتهم الأخيرة إليها في العام 1849م، مدة سبعين عاماً، وكان المأمول منهم أن يكونوا قد قيموا تجاربهم السابقة واستفادوا من الأخطاء، وسعوا إلى انتهاج سياسات يستهدفون منها استمالة المجتمع وتحقيق القبول والرضا؛ كونهم ممثلين لدولة الخلافة الإسلامية (كما يدعون)، وقد بذلوا بعض الجهود على هذا الصعيد بتبني نموذج للحكم يأخذ من الديمقراطية قشورها، واستهدفوا ربط الولاية بخط سكة حديد الحجاز (بدأ ولم يكتمل)، وعلى صعيد التعليم كرسوا تجربة سنعرض لأبرز معالمها بشكل مركز.

وعلى الرغم من امتداد الوجود العثماني في تلك الفترة، حوالي (75 سنة)، فإن جُلَّ ما عُرف عن جهودهم التعليمية تمثلت ببناء ست مدارس، اثنتان منها بزبيد (ولم يعرف تاريخ إنشائهما، وما إذا كان قد تم إنشاؤهما كأبنية جديدة، أم بالاعتماد على ما تركه الرسوليون والطاهريون من مبانٍ تمت إعادة تسميتها بأسماء ولاية عثمانيين)، كما تذكر المصادر أنهم بنوا أربع مدارس في صنعاء⁽⁹⁾.

ولئن كانت المدرسة العادلية إحداها قد خصصت لتعليم المذهب الحنفي، فإن المدارس الثلاث الأخرى لم يعرف ما كرس فيها من سياسة تعليمية- ذات طابع سني أم زيدي- خاصة أن سكان صنعاء كانوا من أتباع الزيدية. فهل سمح الأتراك بالتعاليم الزيدية فيها؟ وهل كانوا يؤمنون بحرية التعلّم أصلاً؟ كما لم يعرف ما آلت إليه أوضاع المدارس التي خلفها سلاطين وملوك الرسوليين والطاهريين.

(9) البكري، المرجع السابق، ص 11، 12.

وأما عن التعليم، فعلى الرغم من "ما أسسه العثمانيون من مؤسسات تعليمية في هذه المرحلة فإنها لم تحظ بما حظيت به الأقطار العربية الأخرى، الخاضعة للسيطرة العثمانية، مثل العراق، ومصر"⁽¹⁰⁾؛ ويرجع ذلك لأسباب كثيرة منها؛ "بعد اليمن عن مركز الدولة، ومنها الصراع بين العثمانيين وبين الأئمة الزيدية وكرهية اليمنيين لهم، وخاصة في المناطق الشمالية".

والمبررات التي أوردها الباحث أعلاه لم تكن مقنعة لي خاصة، مع العلم- (وبحسب د. سيد مصطفى سالم)- أن الولاة العثمانيين كانوا حريصين على الاشتداد بجمع الضرائب لتقديمها رشاوى للباب العالي لنقلهم ولاة على مصر والشام، وبالتالي لم يكونوا مهتمين بالتعليم؛ لأنه سيتسبب أيضاً بزيادة الإنفاق، كما إن المساحة الجغرافية التي سيطر الأتراك عليها في اليمن كانت أكبر من صنعاء وزبيد، فلماذا لم ينتشر التعليم في تلك المناطق أيضاً؟ كما أن هناك دليلاً مضافاً يتمثل في أن الأتراك لم يكن يعنيه التعليم، ولم يكونوا معنيين لا بمجانيته ولا بإلزاميته أيضاً، بدليل أن البكري ذاته قد حرص على تقسيم التعليم في هذه الفترة إلى ثلاثة أنواع، فيما أسماه التعليم العام، والمهني، والعسكري.

ومن الملاحظ أن الولاة بدؤوا توجيه بعض الاهتمام بالتعليم مُنذُ عهد حسين حلمي باشا، (بل يكاد يكون هو الوحيد من بينهم من اهتم بالتعليم)، أي بعد مرور 46 عاماً على وجودهم الثاني في اليمن، بتأسيس إدارة للمعارف في العام 1895م، وجعل مهمتها الإشراف على المدارس والمكاتب، وإعداد المناهج وتوزيع المعلمين، وجعل التعليم إجبارياً، (مع تحفظي على إلزامية التعليم).

(10) البكري، المرجع السابق، ص 12.

وعن التعليم العام يقول عبد الحميد البكري، مستنداً إلى رسالة ماجستير- غير منشورة، لعدنان عبده ناشر:- إنهم أنشأوا مدرسة ابتدائية في كلِّ من صنعاء، وتعز، وإب، والحديدة، وذمار، يعني خمس مدارس فقط.

إضافة إلى تأسيس مدرسة ابتدائية واحدة للبنات سميت بالمدرسة الصلاحية للبنات، وكان مقرها في الدور الأسفل لمبنى وزارة التربية القديم في التحرير⁽¹¹⁾. ولم أجد ما يؤكد ذلك في مصادر أخرى، بعكس مدرسة الأيتام التي وجدت ذكراً لها لدى باعباد والبردوني وآخرين.

ومن اللافت أن جميع المدارس المذكورة سابقاً، ومضافاً إليها مدرسة إعدادية واحدة في صنعاء كانت تسمى "شكرية"، ومقرها في مبنى وزارة التربية القديم بالتحرير، وكان عدد طلابها في العام 1896م (97) طالباً، وممن تعلموا فيها العزي صالح السنيدار الذي- بحسبه- منعه أهله من مواصلة التعليم فيها، وألحقه بالجامع الكبير لإكمال تعليمه، ومنهم محمد المحلوي الذي عاقبه أهله لأنه يتعلم في هذه المدرسة وأخرجوه منها⁽¹²⁾.

وأود هنا أن أسجل ملاحظاتي على ما سبق، ومنها:

- المدرسة الإعدادية كيف كانت في ذات المدرسة الابتدائية للبنات؟ (بديوان وزارة التربية القديم).

- جميع المدارس السابقة، مع مدرسة الصنائع بصنعاء، والحديدة، ودار المعلمين والمدرسة الإدارية في بيت الضمين بصنعاء قام ببنائها وافتتاحها الوالي حسين حلمي باشا.

(11) البكري، المرجع السابق، ص6.

(12) البكري، المرجع نفسه، ص16، 17.

- ذكر العديد ممن كتبوا عن هذه الفترة اسم المدرسة "الرشدية"، ومنهم عبدالله البردوني، وأن هذه المدرسة وجدت لتعليم أبناء العثمانيين وأبناء الذوات.. كما أنه لم يشر إلى وجود مدارس أخرى، أو أعلى منها. وهو شاهد قريب على هذه الفترة.

- جزم عبد الحميد وغيره، ومنهم أمين الريحاني، وعلي باعباد، وحتى البردوني، بأن التعليم كان مجانياً وإلزامياً، وأكد بعضهم على معاقبة أهالي من حيل بينهم وبين الدراسة، ولست أرى مما سبق حرص السلطات حينها على تطبيق مبدئي مجانية وإلزامية التعليم.

أما عن التعليم العسكري، فإن عبد الحميد البكري يذكر⁽¹³⁾ أن العثمانيين حرصوا على تدريب وتخريج ضباط يمينيين لتدريب الجيش اليمني ولدحض الدعاية القائلة بإهمالهم لذلك، فأنشأوا المكتب الحربي في صنعاء في حارة خضير، وكان بمستوى الإعدادية، ويعد طلابه للالتحاق بالكلية الحربية بالأستانة، ومدة الدراسة أربع سنوات، ويحتوي على أربعة صفوف، ويدرس فيه قواعد الدين واللغات العربية، والتركية، والفارسية، والرسم والخط والإملاء، والجغرافيا، فضلاً عن العلوم العسكرية الأخرى. وعند دخول الإمام يحيى صنعاء أغلقت المدرسة، ثم فتحت بعد سنتين بنفس الكادر العثماني، ونفس العلوم، وعزّب الإمام بعض العلوم العسكرية التي كان يتلقاها الطلاب باللغة التركية.

وقد ذكر عبد الله البردوني في حديثه عن دار العلوم "إن تعليم الجوامع كان خاضعاً لما تتعرض له السياسات من استقرار وقلقل، فكانت تنجم فترات خوف تقطع السبل بين الطلاب ومواقع العلم، بل كانت تتعرض مدائن التعليم

(13) البكري، المرجع السابق، ص20.

للاجتياح القبلي أحياناً، وبالأخص صنعاء، فيضطرب التعليم، ويتراوح بين الاتصال والانقطاع، سواء جوامع الشمال في صعدة، وشهارة، وحوث، وكوكبان، أو جوامع تهامة، أو جامع جبلة وإب، وفي ظل الحملتين التركيتين كانت هذه الجوامع- بانقطاع التعليم واتصاله- أحسن الملاجئ لتعليم العلوم العربية عامة والمؤلفات اليمنية خاصة، فتعددت عواصم التعليم في شمال الشمال لبعدها عن القبضة التركية⁽¹⁴⁾.

وهذا يعني أن التجربة التعليمية التركية لم تبلغ كل المساحات الواسعة من أرض (الولاية)، ولم يكن للعثمانيين أي تأثير على التعليم في هذه المناطق، كما كان التعليم مصطبغاً بالصبغة الدينية إن لم أقل المذهبية.

ولما وجد الأتراك هذا التعليم اليمني يعزز الوطنية، أراد ولاة الحملة الثانية بناء مدارس بصنعاء يغلب عليها النظام التركي، فافتتح حسن تحسين حلبي المدرسة "الرشدية" لتخرج الموظفين، ولإعداد الراغبين في الترقى إلى دار المعلمين، وكانت المدرسة "الرشدية" مخصصة لأبناء الذوات من الأتراك واليمنيين، أما دار المعلمين فقد أراد الوالي أن يتخذها بديلاً عن حلقات الجوامع، فكانت تدرس فيها مقادير من الفقه السني، إلى جانب النظام التركي. وعندما دخل الإمام يحيى صنعاء عام 1919م كان من أول أعماله هدم "دار المعلمين" التركية كإيذان بمحو ذلك العهد وتشديد عهد الاستقلال⁽¹⁵⁾.

ونستخلص مما سبق أن سيطرة الأتراك ونفوذهم الذي بسطوه لم يتجاوز حدود بعض المدن، ومنها صنعاء، وأبها، والحديدة، وتعز.

(14) البردوني، عبدالله، دار العلوم، مجلة الإكليل، العددان الثاني والثالث، 1983، ص296.

(15) البردوني، المرجع نفسه، ص296.

فقد كان في صنعاء ومدينة أبها، عاصمة عسير آنذاك، خمس مدارس للصناعة ولتعليم الأيتام والبنات، ومدرسة عسكرية للتعليم العسكري الإعدادي الذي يوصل الطالب إلى الكلية الحربية بجامعة الأستانة، في إسطنبول، كما أقام العثمانيون مدرسة للصناعات في الحديد⁽¹⁶⁾.

وتتضارب الآراء حول بداية التعليم النظامي في تعز بين قائل بأنه نشأ في عام 1925م، وهو العام الذي بدأ فيه الإمام يحيى بحركة تعليمية وثقافية محدودة، في حين يذكر آخرون أنه نشأ عام 1931م، بينما تؤكد مجموعة ثالثة أن عام 1935م هو بداية التعليم النظامي مُنذُ اتخذها أحمد حميد الدين مقراً له، وهو الرأي الراجح⁽¹⁷⁾.

ومما سبق، نرى أن المدارس التي وجدت في عهد الأتراك، على تنوعها، ومضافاً إلى ذلك "دار المعلمين"، لم يتجاوز عددها سبع مدارس في صنعاء، وأبها، والحديدة، وأن تعز لم يصلها اهتمام الولاة الأتراك، بدليل أن د. علي هود باعباد في كتابه "التعليم في الجمهورية اليمنية" لم يذكر مثل ذلك، وقد كان حريصاً على إبراز الدور التركي في اليمن، حتى أنه قال ما يلي⁽¹⁸⁾: "شهد اليمن في ظل هذه الفترة انتشار المستشفيات الصحية في البلاد، ووجود عدد من الأطباء والصيدليات، كما أن المدارس انتشرت على اختلاف أنواعها في جميع أنحاء اليمن، وكان التعليم مجاناً على نفقة الدولة". ويقول في فقرة ثانية من الصفحة ذاتها: "وكان التعليم إلزامياً"، ويقول: "وفي عهد ولاية حسين حلمي باشا 1895م أسست إدارة المعارف والمكاتب (مدارس ابتدائية)، ودار المعلمين التي قام التعليم في عهد الإمام يحيى علي خريجها، ومكتب الصنائع (مدرسة

(16) باعباد، علي، نظام التعليم في الجمهورية اليمنية، ص49.

(17) الشرعبي، سيف، التعليم بمحافظة تعز ماضيه وحاضره، ص17.

(18) باعباد، المرجع السابق، ص48.

صناعية)، والإعدادية، وكان هذا الوالي يقرب أهل العلم والفضل، وأجبر الناس على التعليم، حيث ألزم الأهالي بإدخال أولادهم بالمدارس التي افتتح عدداً كبيراً منها⁽¹⁹⁾.

ويضيف أما عن تنظيم هذه المدارس ومناهجها، فقد وصفها أمين الريحاني بأنها "مدارس منظمة تدرس فيها الجغرافيا والحساب بجانب العلوم الإسلامية، وكانت الكتب وغيرها من لوازم الدراسة توزع مجاناً على الطلاب"⁽²⁰⁾.

وأعود إلى الحديث عن "دار العلوم"، فقد أرادها العثمانيون بديلاً عن خريجي الجوامع في شمال الشمال، المتأثرين بغير الفقه السني، وأرادوا لهم أن يكونوا معلمين، وهذه مسألة ليست بعيدة عن صراع المذاهب، بدليل أن الإمام يحيى بعد دخوله صنعاء، كان من أول أعماله هدم دار المعلمين، وكان بإمكانه إعادة استغلالها كمدرسة حتى في إطار نظرتة للتعليم، بحسب البردوني أيضاً.

وبالعودة إلى كل ما سبق، والمقارنة بين عدد المؤسسات التعليمية التي أوجدها الأتراك، وبين القول إن التعليم كان مجانياً وإلزامياً، فإننا لا نجد ما يؤكد صدقية الادعاء بمجانية وإلزامية التعليم، وذلك من عدة أوجه منها:

1- من الناحية النظرية، لم نجد مصادر تؤكد من خلال البيانات والمعلومات الموثوقة ما يشير إلى اهتمامهم بنشر التعليم وبناء مؤسساته في كل المناطق، كما ذهب إلى ذلك علي هود باعباد.

2- أن التواجد الإداري التركي كان محصوراً في عدد من المدن، ولم نجد جهوداً تربوية كافية قد بذلت حتى على مستوى المدن التي تواجدوا فيها، فإن كانت صنعاء، وأبها، والحديدة قد حظيت ببعضها فتعز لم تنلها تلك الجهود.

(19) الواسعي، عبد الواسع، تاريخ اليمن، ص292، 293.

(20) باعباد، المرجع السابق، ص49 - 50.

3- أن فهمي وفهم عامة الناس لـ"المجانية" أنها خدمات تقدم بدون مقابل، ولكافة المواطنين دون تمييز، كما أفترض فيها أنها جيدة المستوى وصالحة، وإذا أضفنا إلى ذلك "الإزاميتها" فإنها تصبح خدمة ديمقراطية ذات أثر قانوني ترتب على الجميع ضرورة الالتزام ببذل الاستعداد لتنسيب الأبناء والبنات لمؤسسات التعليم بمجرد بلوغهم سن التنسيب- ست سنوات، أو سبع - كما ترتب على من يتخلف عن ذلك، أو يتحايل عليه عقوبات يقررها القانون، ويتساوى في ذلك كل المواطنين بمختلف مذاهبهم، ومستوياتهم الاجتماعية، وتبايناتهم العلمية والثقافية، ومواطن استقرارهم، وبالتالي فإن السلطة التي لا توفر تلك الخدمة تُساءل وتحاسب أيضاً، ولا يحق لها أن تحاسب الأفراد على تقصيرهم.

وسلطة "كالسلطة العثمانية" بهشاشة وجودها وانحصار نفوذها، وبما اتبعته من سياسات، لم تسع لنشر العلم وتعميم التعليم، وبناء مؤسساته، وتوفير متطلباته، وبالتالي لم يعد ممكناً لها أو لمن يدافع عنها القول إنها كانت مهتمة بالتعليم، حتى (إنها أجبرت الأهالي على تنسيب أبنائهم لمؤسسات التعليم والتأهيل المختلفة). ثم كيف يمكن تصديق إلزامية ومجانية التعليم، في الوقت الذي وجدنا فيه المدرسة "الرشدية" مخصصة لأبناء الذوات من الأتراك واليمنيين⁽²¹⁾.

ومن البديهي القول إن أي تعليم مجاني وإلزامي يفترض به أن يكون مستجيباً لاحتياجات المجتمع، ومراعياً على الأقل لثقافته وساعياً للتفاعل معها، حريصاً على ترقيتها وتنقيتها وعلى انتقالها عبر الأجيال المتعاقبة، وأن يكون منفتحاً على العلوم الحديثة وساعياً لمواكبة ثوراته، يدمج منها في مناهجه ما

(21) اليردوني، المرجع السابق، ص296.

يتناسب مع احتياجات المجتمع وتطلعاته، وبالتالي فلم نجد ما يشير إلى ذلك كله. وإن أقصى ما وصلنا عنه قول أمين الريحاني "بأنها كانت مدارس منظمة تدرس فيها الجغرافيا والحساب بجانب العلوم الإسلامية، وكانت الكتب وغيرها من لوازم الدراسة توزع مجاناً على الطلاب"⁽²²⁾.

ومن المهم أن يُعلم بأننا لا نحاكم التجربة بمقاييس اليوم، بل بمقاييس عصرها، ومن خلال ما ذكره الريحاني حيث نستكنه بأنها في أحسن الحالات كانت مدارس ابتدائية (أولية)، وعددها محدود، ولم يذكر الريحاني مختلف العلوم الأخرى التي يجب أن تدرس، ومنها على سبيل المثال (التاريخ، والعلوم الطبيعية، واللغات، والتربية الوطنية)، وجميعها كان شائعاً تعليمها حتى في بعض الولايات العثمانية حينها.

ثم إن العثمانيين، وقد اعتمدوا "إدارة المعارف" في العام 1895م، فإن ذلك يؤكد على عدم اهتمامهم بالتعليم قبل هذا التاريخ، وبالتالي فالتجربة التركية كانت محدودة وغير ملبية لاحتياجات المجتمع، ولم تخدم ثقافته، وكانت أقل مستوى من أي ادعاء بأنها خدمت المجتمع بما قدمته من شمول ومجانية وإلزامية.

2- التعليم في عهد المملكة المتوكلية اليمنية

عرفت اليمن في عهد المملكة المتوكلية تعليمياً دينياً مكرساً، تمتد جذوره عبر قرون من الزمن، ولم يخلُ من تباين مذهبي حكمته السيطرة السياسية لأطراف الصراع، بمقدار قدرة كل طرف على بسط نفوذه على مختلف المناطق التي عُرف أهلها بالتباين المذهبي، وبالتالي فقد غلبت على التعليم الديني في هذه الفترة نكهة التشيع لآل البيت، وطبعته بطابع الولاء للأئمة الحكام، ومحاولة

(22) المرجع نفسه، ص 296.

تقديمهم بقداسة الانتماء لرسول الله (ص)، وبأنهم خلفاء الله في الأرض، ولا تجوز مخالفتهم أو التمرد عليهم.

وكان التعليم في العهد الإمامي يخدم فكرة واحدة، هي فكرة الإمامة، وتثبيتها وتعميق جذورها في أذهان الناس، واعتبار الإمامة أصلاً من أصول الدين الإسلامي ودعامة من دعائمه، بحيث يصبح الإمام هو الدولة، والدولة هي الإمام. وكان العهد الأمامي ينظر إلى التعليم نظرة مريبة؛ لأنه كان يؤمن بأن الشعب الجاهل أسهل قياداً من الشعب المتعلم، ولذلك فرض سياسة التجهيل⁽²³⁾.

كما عرفت اليمن أنظمة تعليمية أخرى، منها ما يمكن نسبته للتعليم الأولي (المعلامة – الكُتاب) الذي لا يتعدى حدود تعليم قراءة وحفظ القرآن الكريم، وشروط الوضوء وأحكام الصلاة، وبعض قواعد الخط، ومبادئ الحساب، ولم يكن ليتجاوز في مجمله ما يعرف الآن بالمستوى العام الأولي لبرامج محو الأمية، وكان هذا هو الطابع الأعم. ومنها أيضاً ما يمكن نسبته جوازاً للتعليم الحديث من حيث مسميات مؤسساته التي كان طابعها العام مدارس ابتدائية غير مكتملة؛ لكونها في مستواها العام لا تتعدى الصف الرابع الابتدائي، مع وجود استثناءات، منها المدرسة الأحمدية بتعز (ولها حديث خاص)، وبعض المدارس المتوسطة الأخرى.

(23) ظاهر، علوي، واقع التعليم في اليمن قبل الثورة، ص6.

جدول (1) يوضح تاريخ "المدارس العلمية" وأماكنها وتاريخ إنشائها 1918 – 1962م. (24)

م	مكاتها	تاريخ إنشائها	أول مدير لها	ملاحظات
1	صنعاء	1344هـ/1925م	لطف بن غالب العمري	سنوات الدراسة 13 سنة
2	تعز	1349هـ/1931م	أحمد بن علي المجاهد	سنوات الدراسة 7 سنوات
3	ثلاثا	1349هـ/1931م	حسن بن أحمد الجنداري	سنوات الدراسة 7 سنوات
4	حجة	1352هـ/1933م	حسن بن أحمد الجنداري	أسسها ولي العهد أحمد
5	صعدة	1353هـ/1934م	أحمد عبدالواسع الواسعي	أسسها ولي العهد أحمد
6	حوث	1354هـ/1935م	أحمد عبدالواسع الواسعي	أسسها ولي العهد أحمد
7	زبيد	1356هـ/1937م	أحمد عبدالواسع الواسعي	أسسها ولي العهد أحمد
8	حراز	1357هـ/1938م	مطهر شرف الدين حنش	أسسها ولي العهد أحمد
9	بيت الفقيه	1357هـ/1938م	مطهر شرف الدين حنش	أسسها ولي العهد أحمد
10	الزيدية	1357هـ/1938م	مطهر شرف الدين حنش	أسسها ولي العهد أحمد
11	حبور	1359هـ/1940م	أحمد العرجلي	أسسها ولي العهد أحمد
12	المحابشة	1361هـ/1942م	محمد بن يحيى يايه	أسسها ولي العهد أحمد
13	ذمار	1366هـ/1947م	محمد بن يحيى يايه	أسسها ولي العهد أحمد
14	خمر	1366هـ/1947م	مطهر شرف الدين حنش	أسسها ولي العهد أحمد
15	السودة	1366هـ/1947م	السيد حسين بن عبدالله	أسسها ولي العهد أحمد
16	صعفان	1367هـ/1948م	السيد حسين بن عبدالله	أسسها ولي العهد أحمد
17	يريم	1368هـ/1949م	السيد حسين بن عبدالله	أسسها ولي العهد أحمد
18	شهاره	1370هـ/1951م	علي بن حسن الشرفي	أسسها ولي العهد أحمد
19	علمان	1376هـ/1957م	علي بن حسن الشرفي	أسسها ولي العهد أحمد
20	وادعة	1376هـ/1957م	علي بن حسن الشرفي	أسسها ولي العهد أحمد
21	الطويلة	1376هـ/1957م	علي بن حسن الشرفي	أسسها ولي العهد أحمد
22	ريمة	1376هـ/1957م	علي بن حسن الشرفي	أسسها ولي العهد أحمد
23	جبلة	1376هـ/1957م	علي بن حسن الشرفي	أسسها ولي العهد أحمد
24	إب	1376هـ/1957م	علي بن حسن الشرفي	أسسها ولي العهد أحمد

ومن الجدول السابق دعونا نرصد ونثبت ما يلي:

1. لم أجد مصدراً آخر يؤكد ما ورد في الجدول السابق.
2. لاحظت من خلال تتبعي لما دونه الباحث في بحثه ميلاً للتأكيد على علمية المؤسسات التعليمية التي تحدث عنها، سواء على مستوى (المكاتب – الهجر – الروابط – الجوامع – المدارس العلمية)، وأنها كانت التأسيس للتعليم الحديث.

بالإضافة إلى ما سبق، عرفت اليمن ما يمكن اعتباره بواكير للتعليم الفني، المتمثل بمدرسة الصناعة في صنعاء، ومدرسة صحية، ومدرسة زراعية،

(24) البكري، المرجع السابق، ص 64، 65.

إضافة إلى المدرسة الحربية، ومدرسة الشرطة، وكذلك مدرسة لتأهيل المعلمين افتتحت في العام 1937م بعد عودة بعثة العراق التي كان فيها الشهيد زيد الموشكي، كما عرفت نشوء "المدرسة العلمية" أو دار العلوم في صنعاء التي افتتحت في العام 1925م، على أنقاض "مدرسة المعلمين" التي بناها الأتراك وهدمها الإمام يحيى في الأيام الأولى لدخوله صنعاء 1919م، وكان لهذه المدرسة نظام تعليمي خاص (بصبغة دينية)، ونظام الدراسة فيها كان يمتد إلى 12 سنة، مقسمة إلى فصول وشُعب، مع وجود سنة تمهيدية يتم فيها قبول الطلاب القادمين من المدارس الابتدائية، ويتم فيها قياس تأهيلهم السابق، واستعداداتهم وخبراتهم، ومن ثم يتم تنسيبهم للمستويات المتوافقة مع تأهيلهم وخبراتهم السابقة، وكان أولوية القبول فيها للقادمين من جوامع الشمال (صعدة، وحوث، والمدرسة الشمسية وغيرها)، وكانت متميزة بشمول منتسبيها للرعاية من قبل السلطة بما تمنحه لهم من (سكن، وتغذية، وكساء)، كما كانت متميزة بضمان حصول خريجها للوظائف وخاصة في مجال القضاء. كما تم استحداث مدارس علمية مشابهة عديدة.

وكان يتم فيها تغليب تدريس كتب لأنها من تأليف بعض آل البيت، ومنها كتاب "الغاية" تأليف الحسين بن القاسم، وقد حل محل كتاب "المنهاج"، ولم يكن كتاب الغاية في مستوى المنهاج لكنه التعصب، وكذلك في علم الكلام أصول الدين، فكانت تبدأ بباب معرفة الله، ثم النظرات الكونية، وما هو فيها إلهي وما هو كوني، وكانت تتكون من عشر مسائل، أولها معرفة الله، وآخرها مسألة الإمامة، وهي المسألة العاشرة في كل كتاب من كتب أصول الدين المقررة في دار العلوم⁽²⁵⁾.

(25) البردوني، المرجع السابق، ص296

كما وجدت بواكير التعليم الأهلي الحديث بنماذج متعددة، لعل أشهرها "مدرسة ذبحان" و"مركز الفلاح" بحيفان، حيث كان لهما الفضل في إدخال وتدريس بعض العلوم الحديثة، وممارسة الأنشطة الرياضية والموسيقية والأناشيد، وقد نهضتا بدعم وتمويل الأهالي من القاطنين في عدن والمغتربين أيضاً.

وكان من أشهر معلمي مركز الفلاح الشهيد عبدالله عبد الإله الأغبري، وأخوه المرحوم عبد القادر عبد الإله. وقد تميز مركز الفلاح بتعميم إلزامية التعليم لأبناء المنطقة (بقرار أهلي) بارتداء الزي الخاص، كما زود الحاج ثابت صبيح العريقي (المغترب في سيلان، تاجر الشاي المعروف) المدرسة بالمقاعد والماسات الخشبية، وبعض وسائل التعليم. كما كان من أشهر معلمي "مدرسة ذبحان" الفقيدان أحمد محمد نعمان، و محمد أحمد حيدرة الحكيمي اللذان يعود لهما فضل تطوير التعليم فيها، ولما أثاراه من حماس في نفوس المستهدفين وأولياء الأمور، واستقطاب تعاطف القاضي الحلالي (قاضي الحجرية) الذي دافع عن المدرسة ورد كيد علي الوزير، أمير تعز، الذي كان يعارض ما تقدمه المدرسة للطلاب ويَعُدّه خروجاً عن الملة وتمرداً على آل البيت، عدة مرات(26). ويبقى من المهم القول إن بعض الطلاب المتميزين في هاتين المدرستين قد رُشِحوا للدراسة في الخارج، كما حدث مع مرشحي "مركز الفلاح" بحيفان، وعلى حساب الأهالي والمغتربين، وإن لم يتم لهم ذلك لأسباب خاصة، وكما حدث لمرشحي مدرسة ذبحان -محمد عبد الولي، وسلام عبد الله الرازحي- اللذين سافرا ضمن أفراد البعثة التي أرسلها الإمام يحيى إلى العراق(27). ولما

(26) عبده، علي، المرجع السابق، ص120.

(27) المرجع نفسه، ص 20.

كان اعتراض على الوزير وغيره على ما يدرس مستمراً، فقد تعرضنا للإغلاق ثم الفتح بعد حين.

ونختم الحديث عن التعليم الأهلي بالقول: إن التعليم الأهلي كان موجوداً قبل الثورة في كثير من المساجد والجوامع والكتاتيب، وكان لا يختلف من حيث المستوى عن التعليم الرسمي، ولم تكن في اليمن أقليات عرقية، بل وجدت أقلية دينية من اليهود، وكان لهم مطلق الحرية في التملك، والتجارة، والعبادة، وتعليم أبنائهم الديانة اليهودية واللغة العبرية في مدارسهم الخاصة، التي بلغت في صنعاء وحدها خمس عشرة مدرسة⁽²⁸⁾، "مع أن عددهم كان يقدر بخمسين ألفاً حتى 1950م، ثم هاجروا جميعاً إلى فلسطين المحتلة"⁽²⁹⁾. وفي مدينة صنعاء وحدها، بلغ عددهم 20 ألفاً تقريباً، وكانت جميع مدارسهم بمستوى المعالمة أو شبيهة لها، وإن اقتصت بتعليم أطفال اليهود اللغة العبرية ولا تعلمهم العربية، كما يتعلمون بها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، وبعض التعاليم الدينية اليهودية، والتعليم فيها يستمر من الصباح حتى الظهر، وكان يطلق على معلمها "الأحبار". وبعض من تلك المدراس كانت تختص بتعليم أبناء اليهود دروساً تعدهم للحياة العملية (إعداداً مهنيًا)، ويعد ذلك أمراً طبيعياً؛ كون اليهود كانوا شبه محتكرين لمعظم المهن اليدوية، كالنجارة، والحدادة، والخياطة، وصياغة الذهب والفضة، كما أن مناهجهم لم تكن خاضعة للرقابة الحكومية⁽³⁰⁾.

(28) العظم، نزيه، رحلة في العربية السعيدة، ص142.

(29) العزازي، محمد، كروزه، هانز، الجمهورية العربية اليمنية، دراسة تمهيدية، ص39.

(30) البكري، المرجع السابق، ص37.

جدول (2) يبين عدد المدارس والطلاب المسجلين خلال حكم الإمام أحمد 1948 –

1962م⁽³¹⁾

م	العام الدراسي	عدد المدارس	الطلاب المسجلون	ملاحظات
1	1948م	16	1761	
2	1956م	54	904	أغلب الظن أن هذا الرقم خطأ وقد يكون الصحيح 2904 وذلك لأن الرقم الموضح في الجدول لا يتناسب مع المدارس.
3	1962م	18	1683	

مراحل التعليم العام:

- 1- التعليم الأولي: مدته من ثلاث إلى أربع سنوات- يقوم على كاهل معلم واحد- لا يمنح من أنهى دراسته فيه وثيقة تخرج أو نجاح، ويتساوى في هذا النمط من تعلم في معلامة- كُتَّاب- أهلية أو مدرسة حكومية.
- 2- التعليم الابتدائي: نوعان، مدته في مدارس أكثر الأرياف- (على قلتها)- أربع سنوات، وفي مدارس المدن ست سنوات، مثل مدينتي صنعاء، وتعز، ولم تكن تتبع فيه سياسة تعليمية واحدة، ولا توجد برامج معينة، ولا نظم معرفية⁽³²⁾، يعتمد فيه على طريقة الإملاء على التلاميذ، ولا كتب معتمدة، والتعليم يعتمد على التجارب الشخصية للمعلمين بدرجة أساسية، ولا يراعي أصول التدريس الفنية، والإلقاء هي الطريقة السائدة المكرسة. وكانت تنتهي الدراسة فيه بدون إشعار أو تصديق بإنهائها، ومن قدر له مواصلة دراسته في المرحلة المتوسطة لا يقبل فيها إلا بعد اختبارات محددة.
- 3- التعليم الإعدادي المتوسط: تراوحت مدته بين أربع سنوات وثلاث سنوات، ويمكن أن يقبل فيه من لم ينه الابتدائية، بل حتى من أنهى تعليمه الأولي، ويتم القبول بعد نجاحه في امتحان خاص، كما كان يعتمد على "أمر شريف"

(31) البكري، المرجع السابق، ص70.

(32) ظاهر، علوي، المرجع السابق، ص7.

بالقبول من الإمام أو نائبه، والمنهاج غير موحد، وقد يكتفي ببعض التعليمات والإرشادات للمدرسين باختيار بعض الكتب التي لا تتصادم مع تكريس الإمامة كأصل من أصول الدين.. إلخ. ثم إنه لا يمنح من أنهى مدته فيه وثيقة تخرج، بل يعتمد أحياناً على ما رصد في الكشوفات من نتائج الاختبارات التي خاضها الطالب.

4- التعليم الثانوي: "مدته خمس سنوات تقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى سنة واحدة تحضيرية يدخلها من ينتهي من التعليم المتوسط، وهي مطلوبة بطبيعة الدراسة التي لا تتقيد بمنهاج، والثانية تستمر أربع سنوات، يصل فيها الطالب إلى مستوى يعادل الثانوية العامة في بعض الأقطار العربية في اللغة العربية ودون ذلك بكثير في المواد الأخرى". وهناك نماذج أخرى منها "المدرسة الأحمدية" سنعرض لها لاحقاً.⁽³³⁾

البعثات التعليمية:

كان الإمام أحمد يتخوف كثيراً من إرسال البعثات التعليمية إلى الخارج لخشيته من تأثرهم بمظاهر التطور وبالأفكار، وما يكرس منها في السياسات التي كان يرى فيها مخالفة للمألوف من التقاليد والعادات، وتنافياً مع قيم الدين، كما كان يفهمه، وخاصة بما يكرسه هو من إكراه المجتمع على الاقتناع باصطفائه ومن يليه. لذلك لم يتم إرسال بعثات تعليمية عامة إلا عام 1947م، حيث تشكلت أول بعثة من أربعين طالباً، أرسلت إلى لبنان للدراسة في كلية المقاصد الإسلامية في صيدا، والقسم الآخر التحق بكلية التربية والتعليم بمدينة طرابلس، وهاتان الكليتان عبارة عن مدارس ابتدائية وإعدادية، ولم تستمر هذه البعثة في لبنان، وتم نقلها إلى مصر بعد أن ساءت علاقة الإمام أحمد ورئيس

(33) ظاهر، علوي، المرجع السابق، ص7.

الوزراء اللبناني رياض الصلح، وفي مصر تم توزيعهم على المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية. وفي شهر يونيو 1947م أرسلت بعثة تعليمية ثانية إلى مصر تكونت من خمسة طلاب، وثالثة في يناير عام 1954 أرسلت بعثة من 31 طالباً إلى مصر، التحقوا بالمدارس الابتدائية والإعدادية، وفي أكتوبر من العام نفسه لحقتها بعثة أخرى إلى مصر، وعددهم 15 طالباً من أبناء السادة والأسر المقربة السلطة الإمامية، وهناك بعثة أخرى أرسلت إلى سوريا عام 1957م، من عشرين طالباً⁽³⁴⁾.

كما قام محمد بن يحيى حميد الدين بإقناع أبيه بإرسال بعثة لدراسة الطيران في إيطاليا، وقد أرسل بضعة عشر طالباً لدراسة الطيران والميكانيك، ولكنهم لم يكملوا دراستهم لتدهور العلاقة مع روما⁽³⁵⁾.

كما تم توقيع العديد من اتفاقيات الصداقة بعدئذ مع بريطانيا، وروسيا، وإيطاليا، والصين، وكانت تقدم منحاً لكن الإمام حرم أبناء المواطنين منها.

كما أرسل الإمام يحيى بعض الشباب إلى مصر لدراسة الطيران⁽³⁶⁾. وفي أواخر 1936 أرسلت بعثة عسكرية مكونة من عشرة طلاب إلى العراق للدراسة العسكرية هناك، وقد شكلت في ما بعد نواة الجيش اليمني.

وأرسلت إلى العراق بعثة علمية للدراسة بدار المعلمين ببغداد، وكانت العراق تقوم بتمويل تكاليف المبتعثين، وكان منهم الشهيد زيد الموشكي، كما استقدمت بعثة عسكرية في عام 1940م لتنظيم وتدريب الجيش اليمني برئاسة العقيد الركن إسماعيل صفوت.

(34) البكري، المرجع السابق، ص204-206.

(35) باعباد، المرجع السابق، ص61.

(36) باعباد، المرجع نفسه، ص62.

وقد بلغ عدد المبعوثين للدراسة خارج اليمن حوالي خمسمائة طالب، يدرسون في المراحل المتوسطة، والثانوية، والجامعية في مصر، وغيرها من الدول العربية والأجنبية، وأغلبية هؤلاء الطلاب لم يكونوا مبعوثين على حساب الدولة بل كانوا يدرسون على حسابهم الخاص، أو على حساب الدولة التي يدرسون بها⁽³⁷⁾.

جدول (3) يوضح عدد الطلاب المبتعثين والدول المانحة، عام 1960 – 1961م.

م	الدولة المانحة	عدد الطلبة
1	الجمهورية العربية المتحدة	318
2	العراق	10
3	الكويت	20
4	الاتحاد السوفيتي	90
5	الصين الشعبية	76
6	ألمانيا الشرقية	50
7	تشيكوسلوفاكيا	45
8	هنغاريا	6
9	رومانيا	10
10	البانيا	4
11	يوغسلافيا	20
12	إيطاليا	25
13	أمريكا	15
14	فرنسا	6
15	الإجمالي	695

ومن المهم هنا، وقد افترضنا صدق الرقم السابق "خمسمائة طالب" مبتعثين للدراسة في الخارج، أن ندرك أن النظام الإمامي لم يكن يبتعث للدراسة في الخارج إلا أبناء الأسرة، وبعض أبناء المقربين، كما لم يكن يبتعث منهم للدراسة في المراحل المتوسطة والثانوية، بدليل أن الإمام أحمد الحق ابنه البدر بالمدرسة الأحمدية في تعز، وكان أبناء العامة لا يُمكنون من إنهاء الدراسة الثانوية. وبالتالي فإن الغالبية المقصودة من الطلاب هم من ذهبوا للدراسة على

(37) العززي، عبدالله، اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، ص 102.

حساب آبائهم وأغلبهم مغتربون، أو ممن ساعدت الجمعيات في عدن على ابتعاثهم للدراسة في الخارج، ولذلك حديث قادم.
المدرسة الأحمدية بتعز: تعد هذه المدرسة مثلاً لما ساد من تعليم في حقبة المملكة المتوكلية اليمنية.

وواقع الحال يؤكد أن الحكم التركي لم تشمل خدماته التعليمية تعز؛ لأن التعليم النظامي لم تعرفه تعز إلا بعد 1935م، مُنذ نزل إليها ولي العهد أحمد حميد الدين واتخذها مقراً له، ثم عاصمة له بعدئذ، واشترى "دار الذهب" وحوله إلى مدرسة ابتدائية أولية، ثم "شرع بإنشاء المدرسة الأحمدية، الدور الأول في بادئ الأمر كمدرسة ابتدائية، وأدخل ابنه محمد البدر للدراسة فيها، وجمع لها قضاة من صنعاء ومن جبلة للتعليم بطريقة العلماء"⁽³⁸⁾.

ويشير الشرعي إلى أن "الإقبال كان ضعيفاً على الرغم من إلزامية التعليم آنذاك، خاصة بعد إنشاء وزارة المعارف عام 1938م، لكن الجهل والفقر اللذين كانا سائدين جعلتا الناس يفضلون أن يبقى أبنائهم يرعون الأغنام، لفقيرهم وعدم قدرتهم على تحمل أعباء تعليم أبنائهم، فكان الواحد منهم يذهب للمراجعة وطلب الإعفاء للولد من دخول المدرسة عندما كان يستدعى للدراسة بما يشبه طلب الإعفاء من التجنيد الإجباري، فما كان من ولي العهد إلا أن أوجد حوافز مالية وعينية لمن يلتحقون بالمدرسة، فجمع لذلك عائدات الأوقاف بعد سحب الوقفيات من الذين كانوا يشرفون عليها، وجعلها بنظر دائرة الأوقاف لتتنفق عائداتها على المساجد والمدرسة الأحمدية"⁽³⁹⁾.

(38) الشرعي، سيف، المرجع نفسه، ص17.

(39) المرجع نفسه، ص17.

وأعود للتأكيد مجدداً على أن مفهومي المجانية والإلزامية يؤكدان على وجود مسؤولية متبادلة بين السلطة والمواطن، وأن أعباءها الأساسية وتكاليفها تتحملها السلطة، بما فيها التغذية والمواصلات أيضاً، وحتى المساعدة الاقتصادية للأسر المعوزة- إذا تبسطنا بالفهم- وبعدها تتحمل الأسرة التبعات القانونية عند تخلفها عن الالتزام، لكن أن يذهب المواطن للمراجعة لإعفاء ابنه من الدراسة فيعفى، وأن تستثنى البنات أيضاً، ويحرم من التحق منهم من إنهاء دراسته الثانوية، فهذا ليس من الإلزامية في شيء.

وقد شمل سحب الوقفيات بعد ذلك ووقفيات زبيد، وما نتج عن ذلك من إهمال وتردٍ، وإغلاق للعديد من المدارس والمعاهد الدينية في إطار توجه مقصود لتعميم تجربة تعليمية دينية بذاتها.

ويقول الشرعبي: "وبسبب تلك الحوافز زاد الإقبال على المدرسة الأحمدية، فأقبل الناس من صبر وشرعب، ومن لواء إب من النادرة وبعدان وإريان، مما دفع الإمام وولي عهده إلى إلغاء مدارس زبيد، واستغل أوقافها وأعادها إلى تعز تشجيعاً للمدرسة الأحمدية"⁽⁴⁰⁾.

وبحسبه أيضاً بنى الإمام أحمد الدور الثاني للمدرسة وجعله مرحلة متوسطة وأول ثانوي في بادئ الأمر، واستدعى لذلك أربعة أزهريين لتنظيم التعليم فيها، وبدأ دخول المنهج المصري إلى المدرسة، وجهاز مرفقاً لمزاولة الألعاب الرياضية والأنشطة، وهي المساحة التي بنيت فيها مدرسة الثورة الثانوية بعدئذٍ ثم تحولت إلى معهد ديني ومكتب تربية وتعليم.

كما اشتملت المدرسة على قسم داخلي لطلبة ليليين بلغ عددهم في العام 1955م حوالي 400 طالب، وبلغ عدد الطلبة النهاريين أربعة أضعاف القسم

(40) الشرعبي، سيف، المرجع السابق، ص18.

الداخلي، أي إلى ما يقرب من ألفي طالب في مختلف المراحل. (وهذه أرقام نتحفظ عليها)؛ لأنني ممن حظي بالدراسة فيها بعد الثورة، وحجم مبنائها لا يسمح باستيعاب هذا العدد ولو قسم على فترتين. ثم إنه بحسب وثيقة جامعة الدول العربية، وفيها جدول يوضح أعداد المدارس ومستواها وطلابها عام 57م في اليمن، وفيه ورد بأن عدد المدارس الرسمية 57 مدرسة، وعدد الطلاب في المراحل الثلاث 13843 طالباً⁽⁴¹⁾. وإذا أوجدنا متوسط استيعاب المدرسة الواحدة سيكون 242 طالباً، فكيف لنا أن نقتنع بأن عدد طلابها يصل إلى 2000 طالب، أي حوالي سبع العدد الكلي للطلاب.

وعن نظام القبول في القسم الداخلي فكان يتم بموجب حكم بالفقر مقدم إلى دائرة الأوقاف، وتصديق الإمام على أمر القبول، وأضيف في آخر دولة الأئمة شرط آخر يتمثل بوجود مكان شاغر، وكان القبول في المدرسة الأحمدية لا يتم إلا بموجب التعليمات الشريفة، ومصادقة الإمام شخصياً على طلب الالتحاق من جملة الطلبة الليبيين أو النهاريين، وبحسبه فقد عمد الإمام إلى إلغاء تدريس مادة الإنجليزي بعد انسحاب اليمن من الاتحاد الثلاثي 1958م (وهو اتحاد كان يجمع بين مصر وسوريا واليمن)، كما كان النظام لا يسمح بدراسة أبناء العامة إلى المتوسطة الإعدادية، وفي أقصى الأحوال حتى الصف الأول الثانوي، ثم يقوم بتوزيعهم في المصالح الحكومية، ومنها المستشفى والمطبعة، كما كانت مدة الدراسة المسموح بها تنقسم إلى قسمين، أولهما خاصة بأبناء الأسرة الحاكمة وأبناء المقربين، وهي مفتوحة حتى إنهاء المرحلة الثانوية، ومن ثم الابتعاث

(41) انظر: وثيقة جامعة الدول العربية، حلقة إعداد المعلم العربي في بيروت، أغسطس 1957م.

إلى الخارج للدراسة الجامعية، والقسم الثاني لبقية الطلاب الذين لا يسمح لهم بإكمال الدراسة في المرحلة الثانوية⁽⁴²⁾.

وفي عام 1960 ميلادية، بلغ عدد المدارس والكتاتيب 110 مدرسة وكتّاب، منها خمس مدارس في تعز وضواحيها بجانب المدرسة الأحمدية، وفي صبر ثلاثة مكاتب وأربع معلمات، وفي شرعب كتّابان، وفي الحجرية مدرسة في التربة ومركز الفلاح بحيفان، وفي الأعبوس والأكاحلة مكتب ومدرسة ومعلمات، وفي جبل حبشي ثلاث معلمات ومدرسة، وفي السواحل في المخاء وعرافي، وظريفة، ووازعية أربع معلمات⁽⁴³⁾.
وقد عمدت إلى إعادة تبيان ذلك في جدول (4):

الجدول (4) المباني الحكومية الخاصة بالتعليم

مناطق	مكاتب	مدارس	المنطقة
-	-	6	المدينة وضواحيها
4	3	-	صبر
-	2	-	شرعب
-	1	1	الحجرية وحيفان
1	1	1	الأعبوس والأكاحلة
3	-	1	جبل حبشي
4	-	-	مخاء/عرافي/ظريفة/وازعية
12	7	9	المجموع
28			الكلية في تعز

ومن الجدول السابق نجد عدم انتشار للمدارس الابتدائية والحكومية في مناطق كثيرة من المحافظة، وأن الصفة الغالبة للمباني الحكومية الخاصة بالتعليم كانت معلمات ومكاتب، حيث بلغ عددها 19 مبنى، كما نجد أنه في حالة واقعية الرقم المذكور آنفاً أن عدد المدارس في المحافظة بلغ في العام

(42) وثيقة جامعة الدول العربية، حلقة إعداد المعلم، المرجع السابق، ص19.

(43) المرجع نفسه، ص24.

1960م (110) فإن ذلك يعني أن بقية مؤسسات التعليم التي كانت قائمة وعددها 82 مبنى كانت معلمات أولية أهلية؛ لأنه طالما لم يكن للتعليم أهداف محددة يستهدفها، ولا مناهج موحدة يعممها على المدارس الرسمية، ولا يهتم بتنمية قدرات المعلمين، ولا كتب توزع في أغلب المؤسسات، وليست موحدة أساليب التقويم، ولا تربطه علاقة بالمدارس والمعلمات الأهلية إلا بما يتعلق بتمجيد الإمامة وعدم استهدافها بأي صورة من الصور، ولو كانت بتعليم بعض العلوم، كالتاريخ، والتربية الوطنية، وما عدا ذلك فحراً على جمع الضرائب من القائمين عليها فقط. فأئى له أو لمريديه الادعاء بمجانية والزامية التعليم. ثم إن الإلزامية والمجانية تعني التزام السلطة بتقديم خدماتها التعليمية للمستهدفين في مختلف أنحاء البلاد، وليس المحافظة. وقد رأينا من الجدول السابق وما سبقه أن تلك الخدمة لم تشمل أغلب المستهدفين، بدليل أن غالبيتهم كانوا منتسبين في معلمات خاصة (82 منشأة) على مستوى مدينة تعز.

وإذا كان التعليم السائد، كما رأينا بعض صورته، لا يهتم بترقية وتنقية ثقافة المجتمع، ولا يسعى للاستجابة لاحتياجاته، وغير معني بتبني فتح المدارس الرسمية الحديثة، فكيف له أن يقنع المتابع والمهتم بأنه كان حريصاً على تطوير التعليم؟ فما بالنا بمجانية التعليم وإلزاميته.

وذكر علوي عبد الله طاهر أن السلطة كانت تغلق بعض المدارس، ومنها

مثلاً:

1- مدرسة تعز الثانوية 1948 وذلك خشية الوعي الذي انتشر بين صفوف

الطلبة.

2- أغلقت مدرسة إب بسبب ثورة طلابها على الأوضاع الفاسدة.

3- أغلقت المدرسة المتوسطة بحجة بسبب إعلان طلابها تأييدهم لثورة 23 يوليو في مصر.

4- أغلقت المدرسة الحربية لاشتراك طلابها في ثوره 1948م.

جدول (5) بأنواع المدارس وأعدادها وأعداد الطلاب والمدرسين

ملاحظات	نسبة المعلمين إلى الطلاب	المدرسون	عدد الطلاب	سنوات الدراسة	عدها	أنواع المدارس
	44:1	301	13301	ست سنوات	50	ابتدائية رسمية بالمدن
	55:1	663	36350	أربع سنوات	663	أولية رسمية للقرى
	37:1	1438	53117	كتاتيب	1438	أولية أهلية
	7:1	43	321	أربع سنوات	4	متوسطة حكومية
	5:1	43	221	ثلاث سنوات	3	ثانوية حكومية
	5:1	16	75	أربع سنوات	1	تحضيرية
	3:1	16	50	سنتان	1	إعداد معلمين
	8:1	108	814	بين 6:13 سنة	15	علمية دينية
	—	—	38	—	1	زراعية
	10:1	20	100	—	1	صحية
	—	—	200	—	1	صناعية

ويصف علوي عبد الله طاهر التعليم في الكتاتيب أو المعلومات بقوله "كان التعليم في الكتاتيب يقتصر على تهجي أي الذكر الحكيم، وتعليم الخط على نماذج رديئة يكتبها صاحب الكتّاب، وكان لا يتعاطى تعليم الأطفال في الكتّاب إلا من سُدت في وجهه أبواب الرزق، ويئس من وجود سبب لكسب القوت. والكتّاب غرفة ضيقة قدرة لا تقام أبنيتها عادة في الأماكن المناسبة، بل تقام في وسط المدينة أو القرية بين شغب الناس وصياح الحيوانات وضجيج الحركة وغيرها"⁽⁴⁴⁾.

(44) طاهر، علوي، المرجع السابق، ص12.

كما أن من المهم، قبل أن ننهي الحديث حول هذا الموضوع، أن نستعرض وثيقة جامعة الدول العربية، وهي عبارة عن جدول يوضح أعداد المدارس ومستواها وطلابها عام 1957م في اليمن⁽⁴⁵⁾.

ولنا ملاحظات كثيرة على الجدول ومحتوياته لعل أهمها:

1- لا توجد علاقة منطقية بين المدارس الابتدائية الرسمية والمتوسطة الحكومية، لا من حيث عدد المدارس ولا من حيث عدد الطلاب (4:50، 13، 301:321).

وبالتالي فإما أن يكون عدد المتسربين كبيراً جداً من المرحلة الابتدائية، وهذا يعطي إشارة سلبية على مجانية وإلزامية التعليم، وإما أن الأرقام المقدمة غير دقيقة وتبريرية.

2- إن أعداد الكاتيب الأهلية تفوق كثيراً أعداد جميع المدارس الرسمية، بما في ذلك الأولية الرسمية التي لا شيء يميزها عن الكاتيب الأهلية إلا ما يحصل عليه معلمها من رعاية رسمية، وذلك يدحض الادعاء بمجانية التعليم وإلزاميته أيضاً.

3- التحضيرية- الجدول لم يبين أي علاقة منطقية بين عددها واحدة، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، ولم نلاحظ من خلال ما وصلنا أو استعرضناه حول التحضيرية إلا أن مدتها سنة واحدة في كل التجارب والأنظمة التعليمية التي سادت.

4- إعداد المعلمين، عددها مدرسة واحدة، وفيما وصلنا ما يفيد بوجود مدرستين في (صنعاء وتعز)، وقيل ثلاثة في الحديدة، فأيهما أصح؟ كما أن المعلوم

(45) وثيقة جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، حلقة إعداد المعلم العربي في بيروت، أغسطس 1957م، ص 125.

لدينا أن طلابها لم يكونوا يتلقون دروساً في أصول التربية وطرق التدريس، وعلم النفس وفي غيرها، ولم يوضح الجدول مستواهم قبل الالتحاق ومستوى التأهيل.

5- الثانوية الحكومية عددها ثلاث مدارس، والرغم من أن الجدول محدد تاريخه بعام 1957م، أي قبل الثورة بخمس سنوات، فإنه مع ذلك يوحى بتنامي عدد الطلاب وإن لم يمكننا من إنهاء دراستهم الثانوية، كما يتسق ذلك مع منع أبناء العامة من إنهاؤها، بدليل أن أول دفعة تخرجت من الثانوية العامة بعد الثورة وسافرت للدراسة كانت في العام 1965/1966م.

وقد ذكر الكاتب الصحفي أ. محمد المساح (أحد خريجي الدفعة الأولى بعد قيام الثورة)⁽⁴⁶⁾: "كنا أول دفعة ثانوية في شمال اليمن، وقد امتحنا شهادة الثانوية في مدرسة عبد الناصر في صنعاء، كما كانت أول بعثة إلى مصر بعد الثورة. وصلنا القاهرة في عام 1966م".

6- ما ورد من بيانات تختص بالمدارس الزراعية والصناعية لا تحتاج إلى تعليق؛ إذ كيف يكون لدينا مدارس وطلاب ولا يوجد مدرسون يؤهلونهم؟
7- لمزيد من إيضاح الصورة حول ما ورد في الجدول السابق نستدل بما ورد في كتاب التعليم في اليمن، وفيه جدول (6) يوضح مؤهلات المعلمين قبل عام 1962م⁽⁴⁷⁾.

(46) المساح، محمد، مقابلة صحفية، ملحق الثورة الثقافي، العدد 20234، 2020/4/13م، ص10، 11.

(47) باعباد، المرجع السابق، ص73.

جدول (6) مؤهلات المعلمين قبل عام 1962م

النسبة	المؤهل	رقم
8%	ابتدائي	1
0.5%	إعدادي	2
4.7%	ثانوي	3
12.5%	دور المعلمين	4
6.1%	علمية – دينية	5
2. - %	معاهد مختلفة	6
	جامعيون	7
65.3%	بدون مؤهل	8

والجدول مأخوذ نقلاً عن بعض دفاتر وزارة التربية والتعليم الخاصة بالوظائف قبل ثورة 26 سبتمبر 1962م، وهو لا يحتاج إلى تعليق سوى الإشارة إلى أن من بين المدرسين الرسميين كان منهم 65% بدون مؤهلات، و8% لديهم شهادة ابتدائية. وهذا يعني أن عدد المدرسين غير الرسميين العاملين في المعلومات الأهلية أكثر من عدد المدرسين الرسميين.

1- عند المقارنة بما ورد في الجدول (5) بين إجمالي عدد المدارس الإبتدائية والإعدادية والثانوية (57 مدرسة) وبين أعداد الطلاب في المراحل الثلاث (13843) نجد أن متوسط استيعاب المدرسة يصل إلى (242) طالباً، فكيف لنا أن نفتتح بأن عدد طلاب المدرسة الأحمدية وحدها وصل في ذات الفترة تقريباً إلى 2000 طالب(48).

يقول علي محمد عبده: "إن الاهتمام بالتعليم والانصراف له لم يكن يومها يعد رمزاً ومقياساً لليقظة الوطنية والحس الوطني؛ لأن المناهج التي كانت تدرس لا ترتبط من قريب أو بعيد بشؤون الحياة وتطوراتها، خاصة بعد إلغاء المناهج الحديثة من جغرافيا وعلوم، وكان الأتراك قد أدخلوها على مناهج

(48) صالح، سيف، المرجع السابق، ص 18.

التعليم، وغدا التعليم بمثابة جسر للوظائف الحكومية، ومنهج الدراسة مقتصرأً على تعليم الخط والحساب وحب آل البيت لأجل الوصول إلى الوظيفة، وهي وظائف تسلطية هدفها إذلال المواطنين، وجباية الضرائب منهم⁽⁴⁹⁾.

ويقول د. علي هود باعباد: "لقد تأثرت نواحي الحياة الداخلية المختلفة بعوامل تكوين شخصية الإمام المنعزلة الخائفة من كل جديد وحديث، فقد ظل التعليم متخلفاً، واقتصر في أغلبه على العلوم الإسلامية واللغوية في المساجد والمدارس الصغيرة وغيرها من المدارس العلمية"⁽⁵⁰⁾.

وكل ما تقدم يدل بما لا يدع مجالاً للشك أن التعليم لم يكن له علاقة إيجابية بثقافة المجتمع، وخاصة بما كرسه من انحياز للتشيع، كما لم يكن له علاقة إيجابية باحتياجات المجتمع، وكان مأزوماً غير متقبل للانفتاح على العلوم الحديثة، حتى أن مادة اللغة الإنجليزية ألغيت بقرار من الإمام بعد خروج اليمن من الاتحاد الثلاثي 1958م، وذلك بعد اعتمادها بفترة بسيطة.

قال بومدين في ختام زيارته لليمن في مطلع 1963 ميلادية بعد زيارته لصنعاء والحديدة وتعز: "إذا كان الاستقلال يصنع هكذا في الشعوب فعلياً نحن الذين حاربوا الاستعمار أن نصنع له تمثالاً".

3- التعليم بعد ثورة 26 سبتمبر 1962 – 1989م

ورثت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر تركة ثقيلة خلفها النظام الإمامي، لا سيما في مجال التعليم، فلا نظم تعليمية، ولا مناهج دراسية، ولا قوى بشرية مؤهلة ومتعلمة، ولا بنى تحتية ملائمة، لذلك جعلت قيادتها الاهتمام بالتعليم من أهم اهدافها كحق لكل مواطن، فأقدمت فور قيامها مباشرة على إنشاء الوزارات

(49) عبده، علي محمد، المرجع السابق، ص110.

(50) باعباد، المرجع السابق، ص76.

والمؤسسات المختلفة، ومنها وزارة التربية والتعليم، ووضع اللوائح والقرارات والقوانين والتشريعات المنظمة للعمل التربوي والتعليمي، والتوجه نحو التوسع في التعليم وبناء المدارس لمراحل التعليم المختلفة⁽⁵¹⁾.

فقد شهد التعليم تطوراً كمياً ملحوظاً في عدد المدارس والطلاب والمعلمين، حيث بلغ عدد المدارس الابتدائية في العام الدراسي 1962 – 1966م (969) مدرسة معظمها كتاتيب، لتصل في العام 1990/89م، إلى (7191) مدرسة، قابلها زيادة في عدد الطلاب والمعلمين من (69139) طالباً، و(1238) معلماً إلى (1251272) طالباً، و(24880) معلماً خلال الفترة نفسها.

أما المرحلة الإعدادية، فقد ارتفع عدد المدارس من 3 مدارس عام 1963م إلى 1547 مدرسة عام 1990م، بينما زاد عدد الطلاب من 730 طالباً إلى 218511 طالباً، أما المعلمون فزاد عددهم من 45 معلماً عام 63م، ليصل إلى 8172 معلماً في عام 1990/89م.

كما أن الثورة بدأت اهتمامها بالتعليم الثانوي، حيث افتتحت عام 1964/1963م ثلاث مدارس ثانوية في صنعاء، وتعز، والحديدة، وبلغ عدد المسجلين فيها 84 طالباً من الطلبة الناجحين في الإعدادية، كما تم بناء ثلاث مدارس ثانوية حديثة بنتها الجمهورية العربية المتحدة في كلٍّ من صنعاء، وتعز، والحديدة، وتم افتتاحها في العام 1965/1964م، وعقدت لأول مرة امتحانات للشهادة الثانوية العامة باختيار موحد مع أقرانهم في مصر، ثم صححت هناك ومنحوا شهادات التخرج⁽⁵²⁾. وبنى الاتحاد السوفيتي ثلاث مدارس نمطية في كلٍّ من صنعاء، وتعز، والحديدة، افتتحت جميعها في العام

(51) للتفاصيل ينظر: الأغبري، بدر سعيد علي، نظام التعليم وتاريخه في الجمهورية اليمنية، ص 59 وما يليها.

(52) الحاج، أحمد علي، التعليم اليمني جذور تشكله واتجاهات تطوره، ص 71.

1965م⁽⁵³⁾، وقد غادرت أول بعثة من خريجي الثانوية العامة إلى مصر، وكان منهم الشهيد عيسى محمد سيف، وعلي بن علي محمد، والصحفي محمد المساح، وعبدالعزیز محمد أحمد العبسي⁽⁵⁴⁾.

ومع نهاية العام الدراسي 1990/1989م وصل عدد المدارس الثانوية 568 مدرسة، وارتفع عدد الطلاب إلى 82481 طالباً، وزاد عدد المعلمين من خمسة عام 1963م، إلى 3349 معلماً عام 1990م.

كما أولت الثورة اهتمامها بالتعليم الفني والمهني، فقامت بإنشاء المدارس الصناعية - الزراعية - ومراكز التدريب المهني، وبلغ عددها خلال العام 1990/1989م (3-2-4) على التوالي.

وشهدت الجمهورية العربية اليمنية إنشاء جامعة صنعاء في مطلع السبعينيات، وبدأ التعليم الجامعي يمارس نشاطه العلمي في العام الدراسي 1970 - 1971م بكليتين هما التربية والشريعة والقانون. وحصل تطور ملحوظ في التعليم العالي حيث ارتفع عدد الملتحقين بالتعليم الجامعي من (64) طالباً عام 1970/1971م ليصل في العام 1990/1989 إلى (31299) طالباً وطالبة، وبلغ عدد الكليات 8 كليات، وإجمالي الطلبة فيها (31299) طالباً وطالبة.

أما مراحل التعليم بعد الثورة بشكل عام فقد صنفت كما يلي:

أ. **تعليم ابتدائي**، ومدته ست سنوات (اقتفاء للتجربة المصرية)، وقد حددت سن القبول مع المراعاة للظروف المحلية، وقد جعل مجاناً.

(53) المرجع نفسه، ص71.

(54) المساح، محمد مقابلة صحفية، المرجع السابق.

ب. **تعليم إعدادي**، وقد أرجع بدايته الحقيقية إلى بداية الثورة كتعليم مخطط، وكان يشترط للقبول فيه النجاح بالابتدائية بنسبة لا تقل عن 50%، وزاد الاهتمام والعناية فيه بالقرآن الكريم والدين واللغة العربية، كما ألغي امتحان القبول للانتحاق بالسنة الأولى إعدادي، كما جعل التعليم في هذه المرحلة مجاناً للجميع.

ج. **تعليم ثانوي**، مخطط كانت بدايته في العام 64/63م، بفتح فصل أول ثانوي، واشترط للقبول فيه ألا يزيد عمر الملتحق عن (18 سنة)، مع استثناء المكفوفين الذين أتموا المرحلة الإعدادية. وروعي فيه فتح قسمين (علمي وأدبي) للقبول بهما بحسب الميول والاستعداد، مع الاستناد إلى المجموع⁽⁵⁵⁾. كما أصدرت وزارة التربية في مصر قراراً نص على أن الحاصل على شهادة من اليمن يتم معادلتها بنفس مستوى الشهادة المصرية ك(نظير).

د. **معاهد المعلمين**، وضعت الوزارة خطة لفتح ثلاثة معاهد للمعلمين في صنعاء، وتعز، والحديدة⁽⁵⁶⁾. كما قررت لكل طالب ملتحق بها إعاشة شهرية مقدارها (15 ريالاً شهرياً).

هـ. **التعليم الديني**: سعت وزارة التربية في عهد الثورة إلى أن تعيد للعقيدة سماحتها وقديستها، وأن تولي التعليم الديني جل اهتمامها، فأنشأت عدداً من المعاهد التي أخذت من الأزهر الشريف برامجها، وأوكلت الإشراف عليها للبعثة الأزهرية.

و. **التعليم الفني والمهني**: اهتمت وزارة التربية والتعليم بهذا النوع من التعليم لعدة أسباب؛ لعل أهمها الحفاظ على الحرف التقليدية اليمنية والصناعات

(55) وزارة الإعلام والثقافة، الذكرى 14 لثورة 26 سبتمبر، ص97-99.

(56) المرجع نفسه، ص99.

اليدوية التي سادت مُنذُ قرون، كما كان من أسبابها المهمة تقديم معالجات لظاهرة التسرب المدرسي الناتج عن دواعي الحاجة الاقتصادية، والاجتماعية، وحتى الثقافية أيضاً. وكان منها أيضاً إدراك النظام لحاجة البلاد والتنمية للفنيين والأيدي العاملة المدربة سعياً لتحقيق التنمية، وتمكن النظام من تحقيق الاستغلال الاقتصادي. ولذلك قامت الثورة بإيفاد أعداد كبيرة إلى كثير من الدول الشقيقة والصديقة للتعلم في مختلف الميادين، وخاصة في أقسام الكهرباء، والميكانيكا، والورش، والصناعة، والزراعة، والتخطيط، والبريد، وهندسة البناء، بمدد زمنية تتراوح بين 3-6 سنوات، وباستراط القبول لحملة الابتدائية العامة(57).

ز. مراكز محو الأمية والمراكز النسوية: كانت وسيلة الثورة لاستدراك محو أمية من حرموا من التعليم من الراشدين افتتاح العديد من المراكز لمحو الأمية في المدن الرئيسية وزودت المراكز النسوية ببرامج (رعاية الطفل، والتدبير المنزلي، وشغل الإبرة وغيرها)، كما استجلبت الخبرات والمعلمات من الجمهورية العربية المتحدة، وأوكلت لهن الإشراف على التدريب(58).

ح. مجالس الآباء: كما اهتمت الثورة أيضاً بالتأسيس لتجربة مجالس الآباء، ولذلك شجعت الوزارة قيامها لتدل على تطور التعليم، ولتوثيق الصلة بين المدرسة والأسرة، وحتى يشارك الآباء في التعاون والتربية... إلخ.

(57) الكتاب السنوي للجمهورية العربية اليمنية، وزارة الإعلام والإرشاد، 1963م، ص 101-102.

(58) الكتاب السنوي للجمهورية العربية اليمنية 963، المرجع السابق، ص 102.

ثانياً: الأوضاع التعليمية في الجنوب

1- في عهد الاستعمار البريطاني:

التعليم في عدن:

أ- التعليم الحكومي:

خلال الفترة من 1839م وحتى 1882م وجدت في عدن ثلاث مدارس حكومية، الأولى في المعلا عام 1879م، والثانية في التواهي عام 1880م، والثالثة في الشيخ عثمان عام 1882م، كما فتحت مدرسة في عام 1856م ثم أغلقت، ثم أعيد فتحها بعد ذلك، وبجانب ذلك وجدت مدرسة "الإقامة" لتخدم أبناء جنود الوحدة الهندية مع وجود ستة طلاب عدنيين.

وقد بلغ عدد الطلاب في العام 1880م، (1768)، منهم (256) في المدارس الحكومية العربية، و(88) طالباً في المدارس الإنجليزية، وكان عدد السكان يتراوح بين 40 و50 ألف نسمة⁽⁵⁹⁾. وبالمقارنة مع اليهود في صنعاء من حيث العدد نفسه خمسون ألفاً، لكنهم امتلكوا (15) مدرسة⁽⁶⁰⁾.

وقد توقف فتح مدارس جديدة لمدة تقارب ستين عاماً حتى قرب نهاية عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، ما عدا:

- مدرسة الإقامة ابتدائي – ثانوي التي فتحت في العام 1918م، مبنى حديث.
- مدرسة صناعية افتتحت في العام 1920 ثم أغلقت في العام 1930م.
- معهد تجاري بعد أن منح الحاج (ياسين راجمان)، هندي مسلم، ترخيصاً وفتحه في العام 1927م.

(59) الأرضي، علي صلاح، تاريخ التعليم في عدن 1839-1967م، ص127.

(60) باعباد، المرجع السابق، ص 76.

• مدرسة جبل حديد، وكانت مخصصة لأبناء السلاطين والمشايخ، وهي ابتدائية فتحت 1936م وكان فيها قسم داخلي لهم.

وقد بلغ إجمالي عدد الطلاب في العام 1937 في المدارس الحكومية 703 طلاب منهم (528 ذكوراً، و175 إناثاً)⁽⁶¹⁾؛ أي بعد مائة عام من الاحتلال، (وفي ذلك مؤشر على مدى الجور والحرمان).

وحتى قبيل نهاية عقد الثلاثينيات لم تبلغ سنوات الدراسة في الثانوية الوحيدة صف - كامبردج العالي سينير كامبردج - الذي يؤهل إلى الشهادة الثانوية ما عدا في حالات نادرة ومنقطعة. أما التحاق البنات بالتعليم الثانوي فلم يكن متاحاً إلا باللغة الإنجليزية في مدارس الكونفنت التابعة للبعثة الكاثوليكية التبشيرية⁽⁶²⁾.

ثم حدث تحسن نسبي مُنذُ عام 1937م، أي بعد فك ارتباط مستعمرة عدن والمحميات بمستعمرة الهند، وإعادة ربطها بوزارة المستعمرات البريطانية، حيث تم افتتاح كلية عدن عام 1952م، وفي 1956 افتتحت كلية خور مكسر للبنات، وافتتح معهد فني لتخريج كوادر للمصفاة عام 1952، ومعهد تدريب معلمين بكريتر، ومعهد تدريب معلمات بخور مكسر، وأنشئت كلية الاتحاد بديلاً عن مدرسة جبل حديد عام 1963 و1964م.

جاءت بواكير تعليم الفتاة في بداية عقد الثلاثينيات عبر جمعية التبشير بفتح مدرسة لبنات المسلمين لتعليم الخياطة والتطريز (وتشرب المبادئ

(61) الأرضي، على صلاح، المرجع السابق، ص129، 133.

(62) مبارك، كرامة، التربية والتعليم في الشطر الجنوبي، ج1، ص 69.

المسيحية)⁽⁶³⁾. حيث فتحت أول مدرسة أولية للبنات في كريتر في عقد الثلاثينيات⁽⁶⁴⁾.

وخصت قوات الاحتلال 5% من ميزانية مستعمرة عدن للتعليم، وكان أغلبها يصرف على المدارس التبشيرية ومدارس الجاليات، ومنها الجالية الهندية والباكستانية، واليهودية، والصومالية، ولم تحظ المدارس الحكومية العربية إلا بأقل القليل منها، كما كان المنهاج في المدارس الحكومية موحداً يركز على تاريخ الإمبراطورية البريطانية وآدابها وفتوحاتها، وكانت تخلو من كل ما له صلة بالعرب، ولغة التدريس في الابتدائية والمتوسطة هي اللغة العربية، وفي الثانوية اللغة الإنجليزية.

جدول (7) يوضح إحصائيات التعليم الحكومي في ولاية عدن (1967-1966م)⁽⁶⁵⁾.

المرحلة الدراسية	عدد المدارس			عدد التلاميذ			عدد المعلمين	
	ذكور	إناث	مجموع	ذكور	إناث	مجموع	ذكور	إناث
الابتدائية	13	8	21	7723	5803	13526	279	210
المتوسطة	5	3	8	3882	2044	5926	126	92
الثانوية العامة والفنية	4	2	6	1952	1145	3097	106	59
معاهد معلمين	1	1	2	68	105	173	11	14
الإجمالي	23	14	37	13625	9097	22722	522	375

وتبقى الإشارة لازمة إلى وجوب أخذ البيانات السابقة ببعض الحذر؛ نظراً لعدم بيان ما إذا كان عدد المدارس وكذلك الطلاب، خاصاً بولاية عدن، أم أن

(63) الأرضي، علي صلاح، المرجع السابق، ص133.

(64) مبارك، كرامة، المرجع السابق، ص 68.

(65) مبارك، كرامة، المرجع نفسه، ص33.

المدارس التي فتحت في عدن لأبناء المحميات الغربية قد دخلت ضمن القوام وأيضاً طلابها⁽⁶⁶⁾.

ب- التعليم الأهلي:

نتيجة ممارسة الاحتلال لسياسة "فرق تسد"، ومنع أبناء المحميات وأبناء الشمال من دخول المدارس الحكومية، وقصر ذلك على أبناء عدن؛ فتح الأهالي وأبناء الوطن مدارس أهلية للمراحل الثلاث، وقد اعتمدوا مناهج عربية من مصر والعراق وسوريا، وقسمت المراحل إلى: ابتدائية ست سنوات، ومتوسطة ثلاث سنوات، وثانوية ثلاث سنوات. وكان التمويل من جمعيات خيرية، ومن تبرعات المواطنين والمغتربين، ومساعدات من بعض الدول العربية، ومن رسوم الدراسة التي يدفعها المقعدون من الطلاب، ويعفى منها الآخرون. وتم افتتاح المدارس الحديثة الآتية:

- مدرسة بازرة الإسلامية : أسسها محمد بازرة عام 1907م، ثم طورت في العام 1912م.
- المعهد التجاري: أسسه- ياسين راجمان - هندي مسلم عام 1927م، وعلى الرغم من أن معظم طلبته هنود فإنه كان متاحاً للجميع، وفتح فرعاً في التواهي عام 1931م. (وقد درس سكرتارية – طباعة – الاختزال - مسك الدفاتر - المراسلات - أعمال البنوك).
- مدرسة أحمد محمد العبادي – نادي الإصلاح في الشيخ عثمان في الثلاثينيات.

(66) كما تلزم الإشارة إلى أن مصدر الإحصائيات وزارة المعارف يناير 1967- بحسب كرامه مبارك 335 وأنها ذيلت الإحصائيات بملاحظات تفيد بدراسة بعض طلاب الولايات الريفية في مركز تدريب معلمات - نظام سنتين - في ولاية عدن.

- مدرسة الفلاح الإسلامية الهاشمية - أسسها حسين الدباغ، الذي أسس قبلها مدرسة مماثلة في المكلا بعد عودته من الحجاز.
 - مدرسة النجاح بعدن - أسسها عدنان يحيى، وطورها عام 1944م.
 - مدرسة النهضة العربية - في الشيخ عثمان، أسسها ومولها الحاج عبده حسين الأهدل، ولم نهتد إلى سنة تأسيسها.
 - المدرسة الأهلية في التواهي - 1949م، أصبحت ابتدائية وثانوية.
 - مدرسة الأخوة، التواهي - 1949م أسسها بعض أهل خير.
 - معهد الجنوب التجاري - 1952م أسسه محمد سعيد الحصيني.
 - مدرسة الإنقاذ الإسلامية - 1953م أسسها محمد عبد الهادي العجيل.
 - المعهد العلمي الإسلامي - 1957م أسسه محمد سالم البيحاني.
 - كلية بلقيس - 1961م - أسسها أحمد محمد نعمان وآخرون.
 - معهد الضياء الإسلامي - 1962م أسسه محمد عبد الرب جابر.
- وقد بلغ عدد المدارس والمعاهد حسب أعلاه ثلاث عشرة مدرسة ومعهداً، ومن الجدير بالذكر أن أغلبها، إن لم تكن جميعها، باستثناء (معهد راجمان)- ساهم في بنائها مواطنون كان لأغلبهم صلة بالاغتراب والهجرة، ومنهم أيضاً من كان في حالة اغتراب وهجرة.
- (ولأسف لم نجد أي معلومات أو بيانات تفصيلية حول المدارس الأهلية، كالطاقة الاستيعابية لكلٍ منها، وأعداد الطلاب، وأعضاء هيئات التدريس، والمناهج المكرسة في كلٍ منها... إلخ).
- ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تلك التجارب لم تكن بعيدة عما كان يعتمل في المنطقة العربية، بتياراتها السياسية، ومعاناة من استعمار جاثم، وصراع بين

تيار إحياء الخلافة والنزوع للخلاص، وظهور الفكر القومي، وظهور وتطور الحركة النقابية.

ج- تعليم الجاليات والإرساليات الأجنبية:

حرصت السلطات الإنجليزية على إعادة تشكيل البنية الاجتماعية لولاية عدن وإعادة تشكيل ثقافتها، وكانت إحدى وسائلها المعتمدة تسهيل وتشجيع الهجرة من دول الكمنولث إلى عدن، وقد تشكلت نتيجة ذلك جاليات عديدة لعل أهمها الجالية الهندية، والباكستانية، والصومالية، واليهودية، ومن الفاتيكان. كما دعمت مدارس تلك الجاليات وخصصت لها أغلبية موازنة المستعمرة المخصصة للتعليم.

وكانت مناهج تلك المدارس حرة، ولغة التعليم الإنجليزية وتمويلها من الحكومات، والكنائس، ومن الفاتيكان، ومن مساعدات الحكومة البريطانية، ومن الرسوم الباهظة والتبرعات من أبناء الجاليات في عدن⁽⁶⁷⁾، وقد ألغيت هذه المدارس في العام 1972م وضُمَّت إلى المدارس الحكومية ووحدها التعليم.

ومن أهم تلك المدارس ما يلي:

- مدرسة للبنين في كريتر
- مدرسة للبنات في كريتر
- مدرسة للبنين في التواهي
- مدرسة للبنات في التواهي
- مدرستا الإرساليات الكاثوليكية أسسهما الفاتيكان 1854م.
- مدرسة الإرسالية البروتستانتية الاسكتلاندية 1886م، ثم أغلقت عام 1943م.
- مدرسة الإرسالية الدانماركية 1910م.

(67) باعباد، المرجع السابق، ص 102.

- المدرسة الجزائرية (للأبناء الجالية الهندية غير المسلمة - 1919م- بنين وبنات).
 - مدرسة قهوجي دنشاو (جلب لها الكتب والوسائل والمعلمين من الهند).
 - مدرستا الجالية الهندية المسلمة (انجمن إسلام - باهي لاجي الإسلامية)، علم فيهما اللغة العربية لتعليم القرآن.
 - مدرستا الجالية اليهودية (واحدة بنين وواحدة بنات).
 - مدرسة الأخوة لأبناء الجالية الصومالية.
- وقد بلغ عدد المدارس حسب أعلاه خمس عشرة مدرسة، منها اثنتا عشرة مدرسة لا صلة لأي منها لا بالعروبة ولا بالإسلام. وفي ذلك مؤشر على خطورة ما كان قائماً، وما كان يراد بالمجتمع وثقافته، كما يعطي ذلك إشارة إلى حرص المستعمر على ممارسة سياسة التنصير، وفي المقابل عظم المسؤولية التي كانت تقتضيها ظروف المواجهة التي كانت نتيجتها في مصلحة المجتمع وثقافته، على الرغم من عدم تكافؤ القوة والإمكانات، من كل الممارسات الاستعمارية التي لم تكتف بما تقدم، بل مارست سياسة العزل والتمييز بين أبناء عدن وأبناء المناطق الأخرى، بما فيها أبناء المحميات طوال عقود طويلة من الزمن، وما كانت تشيعه عن عدنية عدن (عدن للعدنيين) وغيرها كثير.
- من الملاحظ- بناء على ما سبق- أن الاهتمام بالتعليم جاء بعد إهمال طويل من قبل السلطات البريطانية، حيث بدأ نسبياً بالتحسن البطيء في عدن وبقيّة المحميات في وقت واحد، واتخذ من أواخر عقد ثلاثينيات القرن العشرين بداية له، وهي الفترة التي أعيد فيها ربط عدن والمحميات بوزارة المستعمرات البريطانية. وهي ذات الفترة التي بدأ فيها التعليم الحديث في تعز بصورته التي عرضناها من قبل.

التعليم في المحميات الغربية:

بلغ عدد الولايات ست عشرة ولاية تم ضمها ضمن "الاتحاد الفيدرالي" الذي تأسس عام 1959م، ثم انضمت إلى الاتحاد المستعمرة عدن في العام 1963م. وقد كانت كل سلطنة ومشيخة تعد نفسها دولة وحكومة حتى قيام الاتحاد، كما بدأ التعليم متأخراً في العام 1937م، بعد قرابة مائة عام من الاحتلال، وكانت بداياته بإنشاء مدارس لأبناء المحميات الغربية في عدن، ثم في مرحلة متأخرة تم افتتاح بعضها في مراكز وأرياف المحميات.

ومن مدارس أبناء المحميات الغربية في عدن، مدرسة أبناء الرؤساء، افتتحت في 1936م كمدرسة ابتدائية في جبل حديد، وكانت مخصصة لأبناء السلاطين والمشايخ، وقد ضمت قسماً داخلياً، كما تخرج منها عدد 150 طالباً، ولم تتح للكثير منهم التعليم المتوسط والثانوي. وقد استهدف الاستعمار منها إبقاء حالة ترابط وتواصل بينهم وبين عدن حتى لا تكون معزولة، كما استهدف في الأساس تخريج أجيال من أبناء المشايخ والسلاطين ممن تم تأهيلهم تحت إشراف الإدارة البريطانية ووفقاً للإرادة الاستعمارية ليكونوا حكام المستقبل كما تريدهم بريطانيا، ودونما تأهيل عالٍ ليسهل قيادهم والتأثير عليهم.

وفي العام 1952م، تم افتتاح "كلية عدن"، وقد خُصص لأبناء المحميات الغربية فيها قسم داخلي، كما خصص لهم 20% من المقاعد، لكن أبناء الأرياف لم يستفيدوا من ذلك لعدم تأهيلهم في المرحلة المتوسطة.

وفي العام 1962م تم افتتاح "ثانوية الاتحاد" في مدينة الاتحاد - الشعب حالياً - عدن. وتم استجلاب مدرسين لها من السودان، أما مناهجها فقد كانت نفس المناهج السائدة في المدارس الحكومية بـعدن، ولها نفس السلم التعليمي -

ابتدائية - متوسطة - ثانوية، وكانت لغة التدريس في الابتدائية والمتوسطة العربية وفي الثانوية الإنجليزية.

كما افتتحت دار لتدريب المعلمين لأبناء المحميات الغربية في مدينة الشعب عام 1962م.

أما المدارس التي خصصت لأبناء المحميات الغربية خارج عدن فكانت فرص لحج فيها أكبر؛ نظراً لتميزها الناتج عن قربها من عدن؛ ولكونها ممراً لبعض المشيخات والسلطنات، ولذلك فتحت بها مدرسة ابتدائية وأخرى إعدادية "المحسنية" التي تأثرت بالمناهج والنظام المصري، كما تمكنت من إرسال بعض من طلابها من أبناء المشايخ والسلاطين الأغنياء إلى مصر لإكمال الدراسة الثانوية، ثم الجامعية.

وفي عام 1965م، افتتحت ثانوية الحوطة، وكان بها قسم داخلي للمنقولين من الأرياف، أي بعد 126 عاماً من الاحتلال، كما افتتحت ثانوية زنجبار عام 1966م، بنين. وكان يتم إرسال بعض فتيات الولايات إلى كلية البنات بخور مكسر.

جدول (8) يوضح إحصائيات للتعليم الحكومي في الولايات الريفية للعام 1967/66م (68).

المنطقة	المرحلة الدراسية	عدد المدارس			عدد التلاميذ			عدد المعلمين		
		مجموع	إناث	ذكور	مجموع	إناث	ذكور	مجموع	إناث	ذكور
الولايات الريفية	الابتدائية	180	17	197	20907	2112	23019	785	88	873
	المتوسطة	19	6	25	2636	386	3022	112	17	129
	الثانوية	3		3	430		430	25		25
	تدريب معلمين	1		1	82		82	7		7
	الإجمالي	203	23	226	24055	2498	26553	929	105	1034

المصدر: إحصائيات وزارة المعارف في اتحاد الجنوب العربي، يناير 1967م.

(68) مبارك، كرامه مبارك، المرجع السابق، ص335.

ويقتضي الأمر أن أشير هنا إلى ضرورة أخذ الإحصاءات بالحيطه؛ وذلك لأنه مع مراعاتنا لحالة التشتت السكاني، وإهمال المحتل للتعليم بشكل عام، وفي الولايات الريفية على وجه الخصوص، فإن الجدول قد شمل أعداداً للمدارس كبيرة، خاصة وأنا نعلم أن التعليم بدأ متأخراً في هذه الولايات، وما كان له أن يحقق هذه الطفرة بهذا الزمن القصير، كما أنه دخل على مرحلتين، أولاهما- كما رأينا سابقاً- في عدن، ثم الأرياف. وعلى هذا الأساس سنجري بعض القياسات ومنها:

1- عدد المدارس الابتدائية بلغ 197 مدرسة، وفي عدن 21 مدرسة فقط، فهل كانت جميعها مدارس حديثة أم أن أغلبها مدارس أولية؟

2- بلغ عدد المدرسين في الولايات في المرحلة الابتدائية 873 مدرساً ومدرسة، وفي عدن 489، بما يشكل أكثر من نصف عددهم في الأرياف، ويخدمون حوالي عشر مدارس الأرياف.

3- في المتوسطة في عدن ثمان مدارس، و218 مدرساً ومدرسة، وفي الأرياف 25 مدرسة، و129 مدرساً ومدرسة، العلاقات غير منطقية، وكذلك الأمر في المرحلة الثانوية ومراكز تدريب المعلمين.

فهل كان من أهداف وزارة المعارف تضخيم الأعداد رغبة في استجلاب المزيد من الدعم البريطاني للتعليم العربي، أم أنه جاء تبريراً للتعبير عن ازدهار زائف غير موجود، أم أن أعداد المدارس والطلاب قد شمل من درسوا في المدارس الأولية وفي الكتاتيب أيضاً؟

التعليم في المحميات الشرقية:

تشكلت المحميات الشرقية من سلطنات الكثيري، والقعيطي، والواحي، والمهرة، ولم تكد سلطنة المهرة تعرف التعليم، أما الواحي فقد وجد بها ثلاث

مدارس حكومية، وبعض المدارس الأهلية، ولذلك فقد كانت الحالة التعليمية في سلطنتي الكثيري والقعيطي أكبر حجماً وأكثر تنوعاً ووضوحاً، وقد ساهم في ذلك العديد من العوامل لعل أهمها الكثرة النسبية للسكان، والتنافس بين العلويين والإرشاديين، ومتطلبات السياسة البريطانية القائمة على التفرقة بين الكثيريين والقعيطيين، وما يتطلبه ذلك من إنكفاء مسيطر عليه. ولذلك سنتناول بإيجاز الحالة التعليمية في كلٍ منها بحسب الآتي:

أولاً: التعليم في السلطنة الكثيرية

احتلت جزءاً من حضرموت الداخل بمساحة أقل من السلطنة القعيطية، وقد عرفت التعليم الحكومي والأهلي، وقد تجلّى التعليم الحكومي برغم دخوله المتأخر في العام 1948م، مُنذُ افتتحت إدارة المعارف، وعُيّن ناظر للإشراف علي التعليم، والجدول (9)⁽⁶⁹⁾ يبين إحصاءً عاماً للتعليم الحكومي في السلطنة الكثيرية عام 65 و66 و1967م.

المنطقة	المرحلة الدراسية	عدد المدارس			عدد التلاميذ			عدد المدرسين		
		ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	مجموع	ذكور	إناث	المجموع
السلطنة الكثيرية 65-66م 66-67م	الابتدائية	5	1	6	1211	289	1500	38	8	46
	المتوسطة	3	—	3	439	—	439	21	—	21
	الثانوية	1	—	1	40	—	40	3	—	3
	الإجمالي	9	1	10	1690	289	1979	62	8	70

نلاحظ من الجدول السابق:

- 1- قلة عدد المدارس الحكومية، حيث بلغت في مجملها عشر مدارس على مستوى السلطنة حتى عام الاستقلال، كما أن عدد التلاميذ لم يبلغوا الألفين، وإجمالي عدد المدرسين وصل إلى 70 مدرساً ومدرسة.

(69) مبارك كرامه، المرجع السابق، ص336.

2- في المدرسة الثانوية وجدنا (40 تلميذاً فقط وثلاثة مدرسين)، وذلك يعني أنها لم تكن مكتملة، وأنها إن حوت فصلاً واحداً (أول ثانوي) فكيف لثلاثة معلمين أن يقوموا بتعليمهم؟
وقد افتتحت المدرسة الثانوية في العام 1965م، وقبلها كان خريجو المتوسطة يرسلون إلى ثانوية المكلا.

وفيما يتعلق بالتعليم الأهلي، للأسف لا تتوفر عنه معلومات كافية، وقد كان وجوده أسبق من التعليم الحكومي، ولم يكن ذلك بصورة الكتاتيب فقط، وإنما بصورة المدارس الحديثة أيضاً التي انتشرت بعدد أكبر من المدارس الحكومية (وإن تراجعت بعد ذلك عندما أخذت المدارس الحكومية تزداد)⁽⁷⁰⁾.

وكان خريجو المدارس المتوسطة يرسلون إلى ثانوية المكلا حتى افتتحت ثانوية سيئون عام 1965م، أما مناهج المدارس ومدرسوها فقد استجلبوا من السودان، وهذه المناهج بالمناسبة سادت المدارس الأهلية في السلطنتين الكثيرة والقعيطية.

كما أن أغلب المدارس الأهلية- إن لم يكن جميعها- قد وجدت بإسهامات ودعم وتمويل المهاجرين والمغتربين من آل الكاف والسقاف، وممن ينتمون إلى العلويين، عدا مدرسة الغرفة التي مولها "الإرشاديون"، كما دعمت بعض الدول العربية التعليم في السلطنة الكثيرة، ومنها السعودية والسودان.

وبلغ عدد الطلاب والطالبات في العام 1965 و1966م (3818) طالباً وطالبة، وهو عدد أكبر من عدد طلاب المدارس الحكومية الذي وصل في ذات الفترة إلى (1979) طالباً وطالبة، حيث تبلغ الزيادة ما يقرب من الضعف.

(70) باعباد، المرجع السابق، ص107.

وقد تجلت في هذه السلطنة، وعلى مستوى التعليم والإعلام، وحتى محاولة إعادة كتابة التاريخ، حالة صراعية جاءت انعكاساً للحالة الصراعية التي قامت بين (العلويين والإرشاديين) في إندونيسيا وسنغافورة بالذات، ثم عكست نفسها على مستوى الداخل الحضرمي، التي وإن كانت لها جوانبها السلبية المتمثلة بتشتت الجهود وبعثرة الطاقات، وقللت من الآثار الإيجابية التي كان يمكن حدوثها على مستوى التعليم والثقافة في مجتمعات الهجرة والاعتراب، أو في الداخل، فقد كان لها مع ذلك آثار إيجابية عديدة عكست نفسها بصور التنافس في نشر التعليم، وتصحيح العلاقات الاجتماعية، ومحاولة إحداث تغييرات ثقافية، وإلغاء بعض مظاهر الاستبداد، كالدعوة لتحرير العبيد التي أطلقها "الإرشاديون"، وكالمساواة وإلغاء الفروق بين المواطنين، وإنكار تميز العلويين عما عداهم، وغيرها من السياسات والإجراءات التي عكسها "الإرشاديون" على مجتمع دولة مدنية (الغرفة) التي استمرت لأكثر من 20 عاماً، ولم تنته إلا بالحرب التي شنتها كلٌّ من بريطانيا والسلطنتين الكثيرية والقعيطية وبدعم العلويين، وانتهت بنفي رئاسة الدولة، وإعدام قائد جيش دولة الغرفة.

ومن أهم المدارس الأهلية ما يلي:

1- "مدرسة الحق" في تريم، التي تأسست في العام 1917م بواسطة "جمعية الحق" بتريم، وكانت تهدف إلى تطوير التعليم الديني السلفي، وتحديثه، وشكلت مستوياتها العليا مرحلة توازي مرحلة (الرباط) الذي كان يعد بمثابة كلية، أو مدرسة داخلية، يدرس فيها الطالب صباحاً ومساءً، ويتناول طعامه وشرابه على حساب الرباط. ويعد رباط العلامة علي بن محمد الحبشي بسيئون أقدمها، كما كان يسمى رباط تريم بـ"أزهر حضرموت". وبهذه المدرسة عرفت تريم أول محاولة لتنظيم المدرسة على أساس جديد يقوم

على توزيع التلاميذ في صفوف متعددة، وقد استمرت هذه المدرسة قرابة عقدين من الزمن.

2- "مدرسة الأخوة" بتريم، التي أنشأتها "جمعية الأخوة والمعونة" عام 1932م على أنقاض "مدرسة الحق"، ثم بعد مرور خمس سنوات على إنشائها أنشأت الجمعية "مدرسة الأخوة" للبنات التي ازدهرت خلال عقدي الأربعينيات والخمسينيات، ولم تكونا بعيدتين عن التنافس مع الإرشاديين وجهودهم. وقد كان الممول لمدارس (الحق والأخوة) أسرة آل الكاف التي اشتهرت بثرائها الكبير في المهجر.

3- "مدرسة الكاف" بتريم، أنشأتها أسرة آل الكاف في ثلاثينيات القرن العشرين، ثم أغلقت وأعيد فتحها تحت اسم "مدرسة الكاف الخيرية الحديثة".

4- "مدارس النهضة العلمية" بسيئون، افتتحت في العام 1920م، بعد أن جمعت لها التبرعات من إندونيسيا وسغافورة، وقد استمرت حتى العام 1955م، لأكثر من 35 سنة.

5- مدارس دوعن، وهي أربع مدارس قام بتمويلها بعض الأثرياء من الدولة القعيطية.

6- مدرسة الغرفة التي أسسها في مدينة الغرفة عبد الله طرموم، وأوقف لها منزلين في عدن.

7- "مدرسة النهضة" الابتدائية للبنات أنشئت في العام 1942م بدعم آل السقاف من هيئة نظار مدارس النهضة العلمية، وتم افتتاح مبنى جديد لها في العام 1960م، على حساب سالم باحبيش⁽⁷¹⁾.

(71) مبارك، كرامة، المرجع السابق، ص132-134.

ثانياً: التعليم في السلطنة القعيطية

مثلت السلطنة القعيطية الجزء الساحلي من حضرموت، وجزءاً كبيراً من الداخل الحضرمي، وكان التعليم فيها أوسع انتشاراً، كما سبق التعليم الرسمي في وجوده التعليم في السلطنة الكثيرية، حيث بدأ تنظيم التعليم في العام 1940م بإنشاء إدارة المعارف.

وبعد عشر سنوات من إنشاء إدارة المعارف كان عدد المدارس قد بلغ حوالي 29 مدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانوية.

وتميزت السلطنة في تعليمها بميزة تجلت في أن بعض مدارسها كانت خاصة، أنشئت ومولت من سلاطين الأسرة الحاكمة ومن المقربين من الأثرياء، إلا أن هذه المدارس تحولت بعدئذ إلى مدارس رسمية حكومية، ومنها "مدرسة مكارم الأخلاق"، و"المدرسة الخيرية السلطانية"، التي كانت مخصصة للأقارب وأبناء الحاشية، وكذلك "مدرسة الحق السلفية"، و"مدرسة الغيل" 1937م و"مدرسة الهدى" بالقطن.

وأنشئ فيها معهد للمعلمين في العام 1949م، أي في العام التالي لبدء التعليم الحكومي في السلطنة الكثيرية، كما عرفت السلطنة أول معهد للمعلمين في 65، 1966م، ثم افتتحت فيها كلية للمعلمين عام 66 و67م، وكانت تقبل خريجي الثانوية العامة، ويتم تأهيلهم فيها لمدة سنتين، وهي ما تقابل اليوم المعاهد العليا لتدريب المعلمين التي تمنح خريجياتها (دبلوماً متوسطاً).

جدول (10) يبين إحصاء عام للتعليم في السلطنة القعيطية عام 66 و67م⁽⁷²⁾.

المنطقة	المرحلة الدراسية	عدد المدارس			عدد التلاميذ			عدد المعلمين	
		مجموع	إناث	ذكور	مجموع	إناث	ذكور	مجموع	إناث
السلطنة القعيطية	الابتدائية	109	13	96	12926	2225	10701	339	56
	المتوسطة	20	3	17	3147	258	2889	143	15
	الثانوية	2		2	276		276	18	
	معاهد معلمين	2	1	1	93	26	67	7	3
	كلية معلمين	1		1	15		15	5	
	الإجمالي	134	17	117	16457	2509	13948	512	74

نلاحظ من الجدول السابق ما يلي:

- عدد مدارس الذكور ابتدائية (96 مدرسة، بينما عدد المدرسين (283)، أي بمعدل ثلاثة مدرسين للمدرسة الواحدة).
 - عدد المدارس الابتدائية إناث 13، وعدد المدرسات 56، أي بمعدل أربع مدرسات وثلث لكل مدرسة.
 - عدد المدارس المتوسطة إناث 3، وعدد المدرسات 15، أي بمعدل خمس مدرسات لكل مدرسة.
 - عدد ثانويات البنين 2، وعدد المعلمين 18، أي بمعدل 9 معلمين لكل مدرسة.
 - معاهد المعلمين ذكور 1، وعدد المعلمين 4، وعدد معاهد المعلمات 1، وعدد المعلمات 3.
 - هناك كلية معلمين وعدد معلميها 5 فقط.
- ومن الملاحظات السابقة نستنتج وجود اختلالات في العلاقات الموضوعية بين مكونات المربعات، ولا أجد تفسيراً علمياً لذلك.

(72) مبارك، كرامة، المرجع السابق، ص336.

وفي الوقت الذي أورد فيه الشقاع أعداد التلاميذ في المدارس الخاصة، لم يورد لنا أعداد المدارس ولا المعلمين، وبالتالي فقد حال ذلك دون الحديث عن المدارس الخاصة بشكل أنسب وأكثر شمولية أيضاً. وتبقى بعض الإشارات لا بد منها مثل:

1- ورد في تقرير لمدير معارف عدن العام 46 و47م أرقام إحصائية بعدد السكان في عدن والمحميات، وأرقام تقريبية لأعداد التلاميذ في المؤسسات المختلفة، نوردها في الجدول الآتي لتبيين الفوارق التعليمية بين:

- المستعمرة عدن والمحميات بشكل عام.
- السكان والملتحقين بالتعليم.
- المتعلمين أنفسهم ذكوراً وإناثاً.

ومن هذا الجدول سنتبين ضالة حجم الملتحقين بالتعليم قياساً على عدد السكان في عدن والمحميات بشكل عام، ونسبة حظ البنات من التعليم قياساً على مجموع المتعلمين، وهو ما يؤكد على حالة الحرمان من التأهيل لغالبية من مروا بسني التنسيب ولم يمكننا من ذلك، إضافة إلى تدني مستوى التعليم بشكل عام.

حظ السكان من التعليم في العام 1947/46م⁽⁷³⁾.

جدول (11) حجم الملتحقين بالتعليم قياساً على عدد السكان في عدن والمحميات بشكل عام

النسبة المئوية المنوية من مجموع التلاميذ %	النسبة المئوية للتلاميذ من مجموع السكان %	التلاميذ			السكان	المنطقة
		المجموع	إناث	ذكور		
21	6	5545	1165	4380	80516	المستعمرة
4.5	0.72	4410	201	4209	600000	المحمية الشرقية
13.7	1.5	9955	1366	8589	680516	الشاطر الجنوبي في اليمن

(73) مبارك، كرامة، المرجع السابق، ص190، 191.

2- أما ما يتعلق بالمنح الدراسية فلم نجد إحصاءات دقيقة، ومع ذلك نستطيع القول إن إرسال الطلاب من خريجي الثانوية العامة سواء عبر المنح الحكومية أو الخاصة، لم يكن ممكناً قبل عقدي الأربعينيات والخمسينيات نظراً لتخلف التعليم قبل ذلك.

وعليه يمكننا أن نميز أيضاً أن المنح الحكومية كانت وجهتها إلى بريطانيا والهند والسودان، مع مراعاة أن بعض الدارسين في هذه البلدان كانوا يتعلمون على حساب أهاليهم أو الجمعيات⁽⁷⁴⁾.

أما وجهة المنح الخاصة ومنح الجمعيات فقد كانت إلى مصر وسوريا والعراق، إما بإمكانات الأفراد أو الجمعيات، أو بما تقدمه تلك الدول من مساعدات على هذا الصعيد. وقد أورد كرامة مبارك⁽⁷⁵⁾ ما يفيد أن المنح الحكومية في العام 1960م كانت على النحو الآتي:

- خمس منح من المجلس البلدي العدني، وثلاث منح من أمانة ميناء عدن، وثلاث منح من شركة شل للبتروول بمجموع (11) منحة. (ولم يبين ما إذا كان هذا العدد يخص العام 1960م، أم اشتمل على سنوات سابقة).
- وجد في ذات العام عدد (41) دارساً يدرسون دراسات جامعية وعليها على حسابهم الخاص.
- وعلى مستوى المحميات يذكر الكاتب أنه في العام 1955م بلغ عدد الطلبة الذين أرسلتهم إدارة معارف السلطنة العبدلية (18) طالباً لدراسة الطب والهندسة والزراعة والحقوق في مصر والعراق.

(74) مبارك، كرامة، المرجع السابق، ص 237.

(75) مبارك، كرامة، المرجع السابق، ص 237.

- وفي عام 1954م بلغ عدد الطلبة الذين أرسلتهم إدارة معارف السلطنة القعيطية (26) طالباً إلى السودان، ومصر، والعراق، وسوريا، والكويت، منهم حوالي ثمانية يدرسون في الثانويات.
- وهناك أعداد من أبناء المحميات الغربية والشرقية يدرسون في عدد من ثانويات وجامعات البلاد العربية، إما على حسابهم الخاص، أو على حساب حكومات سوريا، والعراق، ومصر، والكويت عبر منح تقدمها لهم الهيئات الوطنية، ومنها "رابطة أبناء الجنوب العربي"، ومنظمات محلية أخرى⁽⁷⁶⁾. مع العلم أن من تلك الجمعيات "نادي الإصلاح" بـعدن، و"الجمعية الخيرية الإسلامية"، و"حركة القوميين العرب"، و"نادي الأغبارة".

وأود هنا أن أؤكد أن الحالة التفاعلية على مستوى التعليم عكست نفسها على مستوى الابتعاث للدراسة في الخارج، ولم تكن بمنأى عن مقاومة السياسة الاستعمارية، ولا عن تأثير الواقع العربي وما كان يعتمل به أيضاً، وأنها عكست ثمارها بما حمله العائدون منهم من أفكار تنويرية، وثورية، أسهمت في تغيير الواقع بعدئذٍ.

بعض الملاحظات المهمة على واقع التعليم في جنوب اليمن:

تبرز أهمية هذه الملاحظات من المقارنة بين المناهج الدراسية التي عُمت في المدارس الحكومية، وخاصة في عدن، والمناهج التي سادت في مدارس الجاليات والإرساليات، والمناهج التي تركزت في التعليم الأهلي، وقد تجلّى أهمها بما يلي:

(76) مبارك، كرامة، المرجع السابق، 238.

1- على الرغم من الإهمال المتعمد للتعليم الرسمي، فقد كانت التجارب التي كرسها الاستعمار في إطار التعليم الحكومي، أو عبر مناهج مدارس الجاليات والإرساليات تهدف إلى "التغريب" من جهة، ومسح الهوية الوطنية، والنيل من الوحدة المجتمعية، ومع ذلك فقد كانت محدودة الأثر، خاصة أنه قد قلل من أثارها عدم انتشار تلك التجارب في الأرياف، وتمسك المجتمع بهويته وثقافته، ومقاومته التي مثلت المدارس الأهلية وانتشارها إحدى تجلياتها، بما كرسه من مناهج حافظت على عقيدة المجتمع وثقافته الوطنية والعربية، وساعده على ذلك استعانتها بمناهج عربية، حتى وإن كان طابعها العام تقليدياً، لكنها لم تخلُ من التجديد والتثوير أيضاً.

2- لا بد من الإقرار بصعوبة الفصل فيما يتعلق بالجهود التربوية التي بذلت، من حيث إعادة تنسيبها لجهود المهاجرين والمغتربيين، أو للمقتدرين من أصحاب رؤوس المال الوطنيين، خاصة أن الواقع الاقتصادي في تلك المرحلة كان متخلفاً، والنشاط التجاري بما يمثله من صور استثمارية قاد أهمه ناشطون كانوا في الأصل مغتربيين أو وكلاء لمهاجرين ومغتربيين.

3- على الرغم من عدم التكافؤ بين إمكانات الاستعمار البريطاني وقدراته ونفوذه، ومعه مصادر الدعم الخارجي المتمثلة بالفاثيكان والإرساليات الأخرى، والجاليات الأجنبية، من جهة، وبين الإمكانات الوطنية التي لم تكن موحدة ولا منسقة أيضاً، وكرست ضمن الجهود التربوية الخاصة، فقد كانت الجهود الوطنية ذات أثار عظيمة حملت في طياتها بذور ثقافة مقاومة تمكنت من امتلاك حاضن مجتمعي ساعد على انتصار الثورة، وتحقيق الجلاء، ويمننة التعليم بعدئذ.

4- تنبه المهاجرون والمغتربون إلى أهمية التعليم باعتباره بوابة التغيير وطنياً، وبأنه حصنهم وملاذهم لحماية عقيدتهم وثقافتهم حتى في مواطن هجرتهم واغترابهم، بل إنهم سعوا للتأثير في ثقافة مجتمعات الهجرة والاغتراب عبر تلك التجارب التربوية أيضاً.

5- على الرغم من تعدد التجارب التربوية الأهلية في المستعمرة عدن والمحميات، واستعانتها بمناهج متباينة سودانية، ومصرية، وعراقية، وأردنية، فقد مثلت تجربة "كلية بلقيس" أنجح التجارب، ولم يكن ذلك لاشتمالها كمؤسسة على مختلف المراحل التعليمية فقط، وإنما أيضاً للفكر التربوي الذي كان يستهدف تطوير التعليم وتوحيده على مستوى المدارس الأهلية، والمبني على خلفية الهوية اليمنية الواحدة، وقد عبر عن ذلك بوضوح الأستاذ أحمد محمد نعمان في أكثر من مناسبة. كما تجلّى ذلك بتشكيل هيئة كان منوطاً بها السعي لتوحيد المناهج في المدارس الخاصة، وحتى مدارس المهجر.

2- الأوضاع التعليمية بعد الاستقلال 1967 – 1989م

بعد جلاء الاستعمار البريطاني في 30 نوفمبر 1967م، وجد النظام الوليد أمام استحقاقات كثيرة، وكان من أكثرها إلحاحاً ما يتعلق منها بالتعليم والثقافة القائمة والمرجوة.

وسعت أول وزارة للتعليم للانضمام إلى ميثاق الوحدة العربية الثقافية، مع السعي لاتخاذ الترتيبات لتنفيذ بنود الميثاق، مع مراعاة الواقع التعليمي ومتطلباته⁽⁷⁷⁾. كما بادرت الوزارة إلى زيارة دول عربية منها، السودان ومصر بغرض الاستفادة من تجاربها، وعملت على إعادة النظر في النظام التعليمي

(77) محمد، أحمد علي، التعليم اليمني جذور تشكله واتجاهات تطوره، ص88.

العام الذي قسمت مراحلها إلى (3-3-6) اتساقاً مع النظام العربي الموحد، كما اتخذت ترتيبات عديدة هدفت إلى يمننة التعليم، وبدأت بالإشراف ثم السيطرة على المدارس الخاصة ومدارس الجاليات الأجنبية⁽⁷⁸⁾.

فضلاً عن ذلك، اتخذ النظام عدداً من القرارات والإجراءات الهادفة إلى تنظيم التعليم وتغيير أوضاعه، وسبل تنظيم وظائفه، وقد تحددت الأسس العامة للسياسة التعليمية، في مجانية التعليم في جميع مراحلها، والتوسع في التعليم النظامي، وفي برامج محو الأمية وتعليم الكبار، وتطوير التعليم الفني والمهني، وبناء التعليم العالي والتخصصي.

وافتتحت الوزارة العديد من المدارس، وسعت إلى توحيد المناهج، وأخذت تنظم دورات تدريبية للمعلمين وأخرى للتدريب المهني، مع وضع خطة شاملة للقضاء على الأمية بدءاً بالعاملين في مؤسسات السلطة. كما افتتحت كلية للتربية العليا (سنتان بعد الثانوية) في العام 1970 لتشكل نواة لجامعة عدن⁽⁷⁹⁾. ونأياً عن الإغراق في التفاصيل، فقد حدثت تعديلات وتغييرات كثيرة في بنية التعليم، كأنظمة، ومناهج، وسياسات إعداد وتدريب للمستهدفين وللقائمين عليه، أوردها بالتفصيل الدكتور بدر الأغبري في كتابه "نظام التعليم وتطوره في الجمهورية اليمنية".

مفاضلة بين تجربتي الشمال والجنوب:

في البدء لا بد من التأكيد على أن المؤسسة التعليمية، والمدرسة على وجه الخصوص، كانت ومازالت أداة بيد السلطة الحاكمة توجهها لتحقيق أهدافها ومصالحها، وتكرس فيها التوجيه السياسي، في الوقت الذي تعد فيه المدرسة

(78) محمد، أحمد علي، المرجع السابق، ص89.

(79) محمد، أحمد علي، المرجع نفسه، ص89.

أداة للتغيير الاجتماعي والثقافي، وذلك ما يقتضي اعتبارها مؤسسة دولة لا سلطة، تركز التربية السياسية المتزنة، وتنشئ المستهدفين على قيم واتجاهات ومبادئ المواطنة الصالحة. (وهذا الفهم أتمنى أن يبقى حاضراً ومنسحباً على ما سبق وما سيأتي، ونحن نتعاطى مع التجارب التعليمية المختلفة، نقارب بها مدى نجاعة كل تجربة على حدة، ومدى قربها أو ابتعادها عن الأداء المأمول).

وأود أن أبين هنا بعض الفروق بين تجربتي الشمال والجنوب في صورة نقاط مركزة بحسب الآتي:

1- على الرغم من الظروف التي رافقت الاحتلال وما نتج عنها من ربط عدن والمحميات بمستعمرة الهند، وفرض هيمنتها على عدن بالقاعدة البريطانية وعلى المحميات باتفاقيات الحماية، وتخلي بريطانيا عن أداء ما يتوجب عليها تجاه عدن والمحميات في مختلف مجالات الحياة، وخاصة في البنية التحتية ومنها التعليم، فقد كانت الحالة التعليمية أفضل من الحالة في الشمال في ظل الحكم الإمامي الكهنوتي المستبد، وكانت أكثر تماسكاً.

2- تباين مرجعيات الحالة التعليمية في جنوب الوطن أوجد حالة تنافسية على مستوى أنواع التعليم، وكان مبعث ذلك في الغالب إما التنازع مع المستعمر المكّرس لأهداف إعادة تشكيل الثقافة، وتشكيل البنية الاجتماعية لسكان عدن، ورفض المجتمع لذلك دفاعاً عن الثقافة والهوية الوطنية، أو التنافس بين التجارب الوطنية ذاتها، من حيث حرص البعض على تسيد الهوية الدينية بنزوعها التمييزي أو الصوفي مع الرغبة في التحديث، أو لرغبة البعض الآخر بالتححرر والفاكك من أسر ثقافة دينية تمييزية مع الحرص على إحلال بديل ثقافي يؤمن بالتحديث، أو تبني بعض ثالث لأفكار تحديثية ذات نزوع وطني وقومي يؤكد على الهوية الوطنية، وعلى عروبة المجتمع،

ومستنجداً بأتمته رغبة بالخلاص من واقع الاحتلال والتخلف والتجزئة والتبعية.

3- أوجدت الحالة التنافسية تلك بيئة تعليمية تفاعلية، وإن لم تقصدها أطرافها المتسببة بذلك، وإن لم تستثمر على الوجه المطلوب، وقد ساهم في وجودها:
أ- الاستعمار البريطاني- بدون قصد- بممارسته القائمة على التفرقة والتمييز، ورغبته وإصراره على إعادة تشكيل البنية الاجتماعية للمستعمرة عدن، التي لم تقف عند رغبته بتوطين الجاليات الأجنبية ودعمها مالياً وتعليمياً، وإنما أيضاً بفرض علاقة تمييزية بين سكان عدن وما عداها.

ب- حاجة الوطنيين ورغبتهم في مقاومة السياسات الاستعمارية القائمة على التفرقة والتمييز والحرمان من جهة، وإصرارهم على السعي لتلبية الاحتياجات التعليمية المناسبة لطموحهم الوطني أيضاً، وقد كان فيهم تجار كانت لهم تجارب اغترابية سابقة، وكان بينهم مغتربون ومهاجرون أيضاً.

ج- دور المهاجرين والمغتربين وإسهامهم في مقاومة السياسات الاستعمارية من جهة، ورغبتهم في إعادة تشكيل الثقافة المجتمعية في عدن والمحميات، ومنها أيضاً في حضرموت التي كانت محل تنازع وخلاف بين العلويين والإرشاديين، وهو الأمر الذي أسهم في تنوع التجارب التعليمية من جهة، كما أسهم في إعادة تشكيل اهتمامات الرأي العام هناك عبر الصحافة، وأسهم في إثراء الحياة الثقافية بحركة التأليف وطباعة الكتب، وامتد إلى محاولات إعادة كتابة التاريخ أيضاً.

وجميع ما تقدم ولد حالة تفاعلية كان قاسمها المشترك التنافس على أكثر من مستوى وصعيد.

كما أوجدت تلك الحالة التفاعلية بذور ثقافة المقاومة السلمية في أحياب كثيرة، والعنفية أيضاً، وإن كانت بدرجة أقل، كما حدث عند اشتراك العلويين مع السلاطين والاستعمار البريطاني في القضاء على دولة آل عبدات الإرشادية في مدينة الغرفة بحضرموت، وهي تجربة تستحق المزيد من الدرس كتجربة وطنية رفعت شعارات تقدمية بمقاييس عصرها، بغض النظر عن مناطقيتها، أو ما اتهمها به العلويون في إطار المكاييدات والتنازع الذي كان محتدماً بين "العلويين" و"الإرشاديين"، أو كما حدث مُنذُ تفجير ثورة 14 أكتوبر 1963م حتى تحقق الجلاء في 30 نوفمبر 1967م.

4- على الرغم من تعدد التجارب في إطار الحالة التعليمية هذه، فقد كان ما يميزها عن الحالة في شمال الوطن أن أغلب التجارب امتلكت قدراً جيداً من التنظيم، وحرصت على توحيد المناهج، وهو الأمر الذي سهّل تحديد أهداف تربوية وتعليمية، وبُذلت جهودٌ لتحقيقها، بغض النظر عما إذا كانت تلك الأهداف قد تمت متابعتها وقياس أثارها من عدمه، لكنها كانت موجودة، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه كانت لأصحاب كل تجربة أسبابهم ورؤيتهم الخاصة. وهناك تمايز آخر بين التجارب المختلفة التي وجدت في عدن وبعض تجارب حضرموت، وبين تجربتي "العلويين والإرشاديين"؛ لأن تجربتيهما نشأتا في المهجر، ثم امتدتا إلى الوطن وفي حضرموت بالذات، ولم يكن مجالها التعليم فقط بل امتد إلى الدين والإعلام والسياسة.

5- تميزت الحالة التعليمية في جنوب الوطن بالاهتمام بتعليم الفتاة في مدارس رسمية وخاصة - حتى إن جاء هذا الاهتمام متأخراً - حيث بدأ في ثلاثينيات

القرن الماضي، لكنه استمر، وبلغ مستوى التأهيل حد تخريجها من كلية البنات، وهو مستوى يعادل مستوى الثانوية العامة، وكذلك التأهيل في مؤسسة تأهيل المعلمات. وقد جاء نتيجة لإصرار المجتمع على تأهيل الفتاة، وتبني العديد من المؤسسات الأهلية المطالبة بذلك، بل وتحسين مستوى التأهيل أيضاً، وهو أمر لم تحظ به الفتاة في شمال الوطن آنذاك.

6- حملت التجارب التعليمية في جنوب الوطن ملامح الأثار الإيجابية لإسهامات المهاجرين والمغتربين على مختلف الصُّعد، وفي الصدارة منها التعليم، والعمل الوطني، فتبدت إسهاماتهم التعليمية بوضوح في العديد من التجارب، في الوقت الذي لم يتسنَّ لهم التأثير على الحالة التعليمية في شمال الوطن نتيجة تشدد النظام الحاكم في تضييقه على حق المجتمع في التعليم والتعلم، ووأده لكل محاولة تبذل على هذا الصعيد إن تجاوزت حدود الكتابيب (المعلومات) التي لم يبخل المهاجرون والمغتربون بتبني ورعاية هذه التجربة أيضاً، وكان إغلاق النظام لمركز الفلاح بحيفان، ومدرسة ذبحان، والنوادي والجمعيات الثقافية خير دليل على ذلك التضييق.

3- الأوضاع التعليمية بعد الوحدة (1990 – 2000م)

1. في مرحلة التعليم العام وعلى مستوى التدفقات الطلابية نرصد ما يلي:

أ. في المرحلة الأساسية من المنتسبين للصف الأول ممن بلغت أعمارهم 6 سنوات، إذ بينما كان عددهم في العام 91/90م قد وصل إلى (356.642) طالباً وطالبة، ارتفع حتى بلغ في العام الدراسي 2000/99م (545.334) طالباً وطالبة.

وكان عدد المقيدین في مرحلة التعليم الأساسي للفئة العمرية (15/4 سنة) في العام 90 / 91م (2.199.446) طالباً وطالبة. إلا أن عددهم في العام 99 / 2000م ارتفع إلى (3.206.866) طالباً وطالبة. كما ظهر تحسن أيضاً في زيادة عدد الإناث الملتحقات بالتعليم الأساسي، حيث بلغ عددهن في العام الدراسي 2000/99م (1.107.959) طالبة⁽⁸⁰⁾.

ب. بحسب إحصائيات الجهاز المركزي للإحصاء، فقد بلغ عدد الطلاب في المرحلة الثانوية في العام 2000م (374.483) طالباً وطالبة، في حين كان في العام 1996م (254.255) طالباً وطالبة⁽⁸¹⁾.

2- التعليم الفني والمهني:

يعد التعليم الفني والتدريب المهني أحد أهم أنظمة التعليم؛ كونه النسق الذي يعني تأهيل المنتسبين بالمعارف والمهارات المطلوبة بحسب مقتضيات التنمية ومتطلبات سوق العمل.

كما أن هذا النوع من التعليم توليه جميع الدول اهتماماً خاصاً، لا سيما في البلدان التي بدأت تخطو خطواتها الأولى على طريق التنمية والتحديث، ومنها اليمن.

وتستهدف الدول والأنظمة من خلال التعليم تحقيق العديد من الأهداف، منها:
أ. إن أي مجتمع لا يستغني عن ضرورة تأهيل بعض أبنائه تأهيلاً عالياً ومتخصصاً عبر التعليم الجامعي المتعدد المستويات، فإن حاجته أشد لإعداد كوادر فنية مساعدة في مختلف التخصصات، بل إن مما يتوجب الحرص

(80) الأغبري، بدر، نظام التعليم وتاريخه، ص138.

(81) الأغبري، بدر، نظام التعليم وتاريخه، ص138.

- عليه أن يكون هناك تناسب بين عدد خريجي الجامعات من الأطباء والمهندسين وبين الفنيين المؤهلين لشغل الوظائف المساعدة، وذلك وفقاً لخطط وبرامج التنمية، حتى أن بعض الدول تحدد نسبة (1-10).
- ب. تتباين مستويات اهتمام الدول والأنظمة بهذا النوع من التعليم بحسب تبايناتها، من حيث كون التعليم محكوماً بمرجعية ضابطة من عدمه، كما تفرض التباينات نوع الأنشطة السائدة وألوية كلٍ منها بين مجتمع وآخر، فالمجتمع الصناعي تتباين أولوياته عن أولويات المجتمع الزراعي.
- ج. تستهدف الأنظمة التي اتخذت التنمية سبيلاً جاداً للتقدم ولتحسين مستوى المعيشة، ولكي تقلل من نسبة الفاقد من المتسربين تحت ضغوط مختلفة (اجتماعية، واقتصادية، وثقافية) تسعى للتأهيل الفني والمهني لمن تحول ظروفهم دون مواصلة التعليم، بل إنها تسعى إلى رفع عدد المنتسبين في هذا النوع من التعليم من خلال تنوير المجتمع بأهميته، وتقديم حوافز مختلفة لمن يلتحقون بهذا النظام التعليمي، كما أن بعضها يلجأ لتحديد نسب نجاح معينة في شهادة التعليم الأساسي لمن يحق لهم مواصلة التعليم الثانوي.
- د. في ظل دولة الوحدة، يقول الدكتور بدر الأغبري: "حظي هذا النوع من التعليم باهتمام الدولة، وتم تشييد عدد من البنى الأساسية التي تمكنه من أن يحتل مكانه المناسب بين أنواع التعليم الذي يتم تقديمه، إلا أنه على الرغم من النجاحات التي تحققت، لم يحقق الطموح المطلوب.. ثم يقر بأن التدفقات الطلابية للالتحاق بهذا التعليم ضئيلة مقارنة بالملتحقين بالتعليم الثانوي، حيث بلغ عدد الملتحقين (7099) طالباً وطالبة، في حين وصل عدد الطلاب في التعليم الثانوي العام (374.483) في العام 2000م"⁽⁸²⁾. ولعل ما ذكره

(82) الأغبري، بدر، نظام التعليم وتاريخه...، ص (139).

الدكتور بدر يقدم دليلاً على مستوى تدني الاهتمام بهذا النوع، في الوقت الذي تتزايد فيه حاجة سوق العمل لخريجي هذا النظام التعليمي⁽⁸³⁾.

3- محو الأمية وتعليم الكبار:

إن نظرة أي نظام سياسي وموقفه من ظاهرة محو الأمية وتعليم الكبار، بما يستتبعه من سياسات وخطط وبرامج لمواجهة، تعد مقياساً موضوعياً على مدى احترام النظام لحقوق الإنسان؛ فمقدار جديته لمواجهة الظاهرة أو عدم جديته يكون الحكم بمدى تأهله ديموقراطياً وسعيه لردم هوة التخلف، وحرصه على انتشار أبناء المجتمع من واقع الأمية إلى مرحلة الأنسنة. وظاهرة الأمية في مجتمعنا في تنامٍ مطرد، على الرغم من مرور ما يقارب أربعة عقود من الزمن مُنذُ قيام ثورة سبتمبر 1962م وحتى نهاية تسعينات القرن العشرين. وعلى الرغم أيضاً من القوانين والقرارات والسياسات والاستراتيجيات التي صدرت من كلا النظامين قبل الوحدة، "حيث أظهرت نتائج مسح الفقر لعام 1999م أن العدد المطلق للأميين قد ارتفع إلى نحو (5.1) مليون أمي وأميه، أي بزيادة حوالي (500.000) عن العام 1994م، رغم انخفاض معدل الأمية إلى 55.7% من السكان، مع استمرار التمييز ضد الإناث والريف. ويعود استفحال ظاهرة الأمية إلى العديد من العوامل التي تعد بحد ذاتها تحديات تنموية، مثل النمو السكاني المرتفع، وتدني نسبة التحاق الإناث بالتعليم الأساسي، وارتفاع نسب التسرب وغيرها⁽⁸⁴⁾.

(83) لمزيد من الاستفادة حول هذا الموضوع أنظر: سيف، أحمد عبده، واقع التعليم في اليمن...، ص ص 40-50.

(84) الأغبري، بدر، نظام التعليم وتاريخه...، ص (143).

ومن المعلوم، بحسب تقارير منظمة الصحة العالمية، أن اليمن تعاني من ارتفاع نسبة الإنجاب إلى 3.8%، وهي من أعلى المعدلات العالمية، وترتفع نسبة معدل الخصوبة لدى الإناث إلى حوالي (6) نسمة⁽⁸⁵⁾.

وأمام هذا التحدي أقرت الحكومة في عام 1998م قانون محو الأمية وتعليم الكبار، والاستراتيجية الوطنية لمحو الأمية وتعليم الكبار⁽⁸⁶⁾. وكما نرى اليوم، فلا القانون نفع ولا الاستراتيجية أجدت.

4- المعاهد العلمية:

أما "المعاهد العلمية"، التي هي نظام تعليم موازٍ للنظام التعليمي التابع لوزارة التربية والتعليم، فإن أعداد الطلاب المنتحقين في مراحل المختلفة بحسب إحصائيات عام 2000م قد بلغت (437.681) طالباً وطالبة⁽⁸⁷⁾.

5- التعليم الأهلي والخاص:

هو تعليم متعدد الأغراض، فمنه ما يحاكي نظام التعليم العام الحكومي منهجاً، ومنه ما يزوج بين تجارب أخرى وبين التزامه بتعليم بعض المواد المقررة في التعليم الحكومي، وخاصة القرآن، والتربية الإسلامية، واللغة العربية مثلاً. ومنه ما يعتمد اللغة العربية، أو الإنجليزية، أو الجمع بينهما، ومنه أيضاً التعليم في مرحلة الحضانة ورياض الأطفال، ومنه ما يقدم فرص التعليم التأهيلي والتربية الخاصة لأصحاب الاحتياجات الخاصة، ومنه معاهد متعددة الأغراض في مجالات مختلفة.

ويعرض د. بدر الأغبري إحصائية بأعداد الطلاب والمدارس والمؤسسات الأهلية والخاصة لعام 2000/99م، أوردها ملخصة فيما يلي:

(85) دراسة مقدمة للجنة الوطنية للمرأة، غير منشورة، ص 17.

(86) لأغبري، بدر، نظام التعليم وتاريخه...، ص (143).

(87) الأغبري، بدر، نظام التعليم وتاريخه...، ص (142).

- أ. بلغ عدد المدارس الخاصة (159) مدرسة، منها في أمانة العاصمة (100) مدرسة.
- ب. بلغ عدد طلاب المرحلة الأساسية من الذكور (26.522) طالباً.
- ج. بلغ عدد الطالبات في المرحلة الأساسية تعليم خاص (15.075) طالبة، بمجموع كلي (41.597) طالباً وطالبة.
- د. بلغ عدد طلاب المرحلة الثانوية (تعليم أهلي وخاص) (3802 / ذ، 1539 / إ)، بمجموع كلي (5.341) طالباً وطالبة.
- هـ. بلغ عدد المعلمين والإداريين (4596)، منهم (455) غير يمنيين⁽⁸⁸⁾، وما تجدر ملاحظته مما ورد سابقاً:

- أن ثلثي المدارس الخاصة تجتمع في أمانة العاصمة؛ ولعل ذلك يعزى إلى أنها عاصمة، ويتجمع بها أكبر عدد من سكان المدن.
- يلاحظ تفشي انتشار مدارس التعليم الأهلي والخاص، وخاصة في عقد التسعينيات وما تلاه، ولعل ذلك يعطي مؤشراً إلى اختلال تطبيق نظرية التعليم من الكلي إلى الجزئي، (أشرنا إليه سابقاً)، كما يشير إلى أن النظام والسلطة لم يهتما بتوفير المباني والمؤسسات الخاصة بالتعليم ما قبل المرحلة الأساسية، إنفاذاً لما أوجبه قانون التعليم من مجانيته في بلد أضحى نظامه السياسي ديموقراطياً يفترض به أن يتيح فرصاً متكافئة أمام الجميع، مما يترتب على ذلك إنفاذ السلطة لمبدأ إلزامية التعليم.
- تزايد عدد المدارس الخاصة، لا سيما في صنعاء العاصمة، يعطي مؤشراً إلى خلل آخر يتمثل في المتوسط العالي للكثافة على مستوى الفصل والصف الدراسي.

(88) الأغبري، بدر، نظام التعليم وتاريخه...، ص (148).

- كما يعزى ذلك إلى أن من ينسبون أبناءهم في هذه المدارس هم من الأثرياء وأصحاب الدخل غير المنظور من مسؤولي النظام والسلطة، وبعض أبناء الطبقة الوسطى ممن يعمل آباؤهم وأحياناً أمهاتهم، أما بقية أبناء المجتمع فلا تتاح أمامهم مثل هذه الفرص (على اعتلالها).
- مما يؤسف له أن هذا النظام من التعليم لا يخضع للإشراف الموجه من الوزارة لأسباب كثيرة، لعل من أهمها أن نسبة كبيرة من هذه المدارس تعود ملكيتها لبعض موظفي وزارة التربية والتعليم⁽⁸⁹⁾.
- هذا النظام يستهدف تحقيق المكاسب الخاصة والأرباح أكثر من اهتمامه بتقديم خدمات متميزة.
- تثبت التقارير الفنية سوء مباني المدارس الخاصة، وعدم ملاءمتها في الأغلب الأعم لكي تكون بيئة تعليمية صالحة.
- تتمتع المدارس الخاصة بإمكانية توفير المناهج الدراسية (علماً أن ما يقارب 90% منها تدرس المناهج الحكومية المعتمدة)، وذلك ناتج عن علاقات المُلَّاك أو مدرائها بالمسؤولين في ديوان الوزارة، وقدرتهم على الحصول على ما يطلبونه بطرقهم الخاصة، كما أن هذه المدارس تأخذ النصيب الأكبر من التجهيزات التي توفرها الوزارة، ومنها أجهزة الحاسوب مثلاً⁽⁹⁰⁾.

(89) سيف، أحمد عبده، واقع التعليم في اليمن بين تأثير العولمة ودواعي الإصلاح، ص 34.

(90) سيف، أحمد عبده، واقع التعليم في اليمن بين تأثير العولمة ودواعي الإصلاح، ص 34-36.

6- التعليم الجامعي:

الحديث عن التعليم العالي طويل وشائك أيضاً؛ لأنه يستحق دراسات مستقلة، ويقتضي التعرف على الأنظمة التعليمية المتعددة والسائدة، وطبيعة ومستويات مخرجاتها، ومدى تأهلها للالتحاق بالدراسات الجامعية المختلفة، وأسباب ذلك والظروف المحيطة، والعوامل المؤثرة فيها، وهذا ما لا تتيحه طبيعة وأهداف هذه الدراسة، ولكن من حيث إن للمهاجرين والمغتربين تأثيرهم على التعليم وعلى تنوير المجتمع، ومن حيث تأثيرهم غير المباشر على الثقافة المجتمعية غير السائدة يمكن إعطاء بعض الإشارات الموجزة، من أهمها:

6/1 هو تعليم حديث قياساً إلى السقف الزمني للدراسة، حيث كانت بدايته في العام 1970م في كلٍّ من صنعاء وعدن.

6/2 مما يؤسف له أن أنواع التخصصات التي أتيحت لمخرجات المرحلة الثانوية لم تكن كافية لاستيعاب تلك المخرجات لعدة أسباب؛ منها تدني مستوى نسبة عالية من المخرجات (لأسباب عديدة لا مجال للتفصيل فيها هنا)، وانصراف نسبة منهم عن التعليم الجامعي لأسباب بعضها اقتصادية، وأخرى اجتماعية وثقافية، خاصة لدى الطالبات، ومنها أيضاً محدودية الطاقة الاستيعابية في الكليات المتاحة، ومنها غياب التخصصات المطلوبة وغيرها.

6/3 غلبت الدراسات والتخصصات النظرية على الدراسات التطبيقية، وفي الجدول الآتي نسب مقارنة في العام الجامعي 1992/91م بين جامعتي صنعاء وعدن⁽⁹¹⁾.

(91) الحاج، أحمد علي، التعليم في اليمن... ص 113.

جدول (12) نسب مقارنة في العام الجامعي 1992/91م بين جامعتي صنعاء وعدن

التطبيقية	النظرية	الجامعة
%26.3	%37.7	صنعاء
%44.9	%55.1	عدن
%28.2	%71.8	الإجمالي

نلاحظ من الجدول السابق أن جامعة عدن تميزت عن جامعة صنعاء من حيث الطاقة الاستيعابية؛ ويرجع ذلك إلى فوارق الكثافات السكانية للمحافظات التي تخدمها الجامعة.

كما نلاحظ غلبة الدراسات النظرية التي شكلت نسبة 71.8%، بما يقارب ثلاثة أضعاف عدد الدارسين في الدراسات التطبيقية.

- هناك نسبة فاقد، إذا ما اعتبرنا نسب الدراسات النظرية والتطبيقية تساوي 100% فإن نسبة الفاقد في جامعة صنعاء بلغت 36%، بينما كانت في جامعة عدن تساوي صفر.

- إن الجدول لم يوضح نسب المقبولين والدارسين قياساً إلى المخرجات الكلية لحملة الثانوية العامة.

- إن أغلب خريجي الدراسات النظرية لا يلاقون فرص العمل المناسبة لتخصصاتهم، وبالتالي يتحولون إلى بطالة مقنعة.

6/4 بلغ عدد الملتحقين بالجامعات اليمنية في العام 2000م (184.000) طالب وطالبة، وكان عدد الخريجين في ذات العام (17.836) طالباً، و(6600) طالبة، يتوزعون بنسبة 87.8% في التخصصات النظرية والأدبية، وقد أدى ذلك إلى تزايد أعداد العاطلين عن العمل من الجامعيين، مما يعكس هدراً كبيراً في رأس المال البشري وطاقاته المنتجة⁽⁹²⁾.

(92) سيف، أحمد عبده، المرجع السابق، ص 50.

6/5 لا تتوافر الإمكانيات اللازمة للبحث العلمي الذي يعاني من غياب استراتيجية وطنية للبحوث، وغياب الخطط الخاصة بذلك، كما نعلم جميعاً قلة مراكز البحوث المتخصصة⁽⁹³⁾.

6/6 إن الجامعات اليمنية لم تتمكن حتى العام 2000م من تجهيز وافتتاح كليات تختص بتقديم علوم ذات علاقة بثورات وتكنولوجيا المعلومات وتقنية الاتصالات⁽⁹⁴⁾.

6/7 لا منطق ولا مبرر لتحديد ترتيب جامعة صنعاء (أم الجامعات اليمنية) بين بقية الجامعات العالمية، خاصة إذا علمنا، وبحسب المرحوم أ.د. أحمد مستجير (شاعر/ لغوي/ مصمم بحور الشعر رقمياً/ مهندس زراعي أنتج القمح بريه بمياه البحر) حول ترتيب جامعة القاهرة (أم الجامعات المصرية)، أن ترتيبها بين الجامعات العالمية في مركز بعد (4700 الأولى)⁽⁹⁵⁾.

6/8 أضحى لدينا سبع جامعات حكومية بعد أن بدأ التعليم الجامعي في كلٍّ من صنعاء وعدن بتأسيس جامعتين في العام 1970م، ثم تأسست جامعة تعز في العام 74م، ثم جامعة الحديدة، وجامعة إب في العام 95م، ثم تم افتتاح جامعتين في كلٍّ من حضرموت وذمار في العام 96م، كما أنه معلوم للجميع تباين عدد التخصصات التي تتيحها تلك الجامعات.

6/9 أما الجامعات الأهلية فقد أورد د. أحمد الحاج⁽⁹⁶⁾، بجدول ملخصه أن جامعة العلوم والتكنولوجيا افتتحت في العام 92م، وجامعة الإيمان 94م،

(93) سيف، أحمد عبده، المرجع السابق، ص 51.

(94) سيف، أحمد عبده، المرجع السابق، ص 51-52.

(95) سيف، أحمد عبده، المرجع السابق، ص 52.

(96) الحاج، أحمد علي، مرجع سابق... ص 145.

وجامعة سبأ 94م، والجامعة اليمنية 95م، وجامعة أروى 96م، وجامعة العلوم التطبيقية 97م، وجميعها كان المقر (صنعاء)، إضافة إلى جامعة الأحقاف بسيئون في العام 1997م.

المبحث الثاني

ظاهرة الهجرة والاعتراب وتأثيرها المتبادل على التعليم

أود التأكيد أولاً على وجود علاقة تفاعلية بين التعليم وثقافة المجتمع، وقد أكدت عليها في أكثر من موضع في هذه الدراسة، وذلك لأن التعليم يجعل من ثقافة المجتمع مجالاً حيويًا لعملياته وأنشطته المختلفة، وبالتعليم يتمكن المجتمع من تنقية ثقافته مما يعلق بها من شوائب وسوء تفسير، والتعليم وسيلة المجتمع لنقل ثقافته عبر الأجيال، كما أنه يكسب ثقافة المجتمع القدرة على التجدد ويكسبها القدرة على التعامل مع الثقافات الوافدة بإيجابية، تائراً وتأثيراً. وبناءً على ذلك، فمن المستحيل الحديث عن تأثير المهاجرين والمغتربين على التعليم، أو الحديث عن التعليم بشكل تجريدي بعيداً عن علاقته وتأثيره على ثقافة المجتمع.

ولذلك كان لا بد لي من التذكير بذلك حتى لا يسيء أحد فهم مرامي الحديث تحت عناوين هذا المحور.

وبناءً عليه، فإن الحركة الوطنية في الداخل اليمني مدينة بالفضل للمهاجرين والمغتربين اليمنيين بالكثير، ذلك أنها عندما احتاجت للدعم وللإنفاق على قياداتها وحركتهم ونضالهم، لم تجد أكرم ولا أفضل من دعم المغتربين والمهاجرين. وعندما احتاجت لأداة إعلامية تعكس حال المجتمع وما يعانيه، كان المهاجرون والمغتربون هم المبادرون، ليس بما احتاجته من أدوات الطباعة، بل بتبني إصدار صحف تعبر عن معاناة المجتمع وحركته الوطنية. وقد تمثل ذلك- على سبيل المثال لا الحصر- بصحيفة "السلام" التي كانت تصدر في بريطانيا، وغيرها. وعندما اعتقلت قيادات الحركة الوطنية إبان

أحداث 1948م، كان المهاجرون مبادرين لرأب الصدع، بل عاد بعضهم، وفي مقدمتهم الشهيد عبدالله الحكيمي، ليقودوا دفعة المعارضة.

وحتى عندما قامت الثورة، وجد قادتها رموزاً اغتريبية تحاول إسنادهم مادياً، ممثلة بالحكيم أحمد عبده ناشر. ولم تقف إسهاماتهم عند هذا الحد، بل تتابعت وأخذت تتفاعل بمقدار تفاعل القيادة السياسية مع قضايا واحتياجات المجتمع، وبمقدار استيعابها لهموم المهاجرين والمغتربين وتفهم معاناتهم. والسؤال هنا لم يعد: هل مثلت الهجرة والاعتراب شكلاً من أشكال المقاومة؟ بل: هل مثلت الحركة الوطنية طموحات وآمال المهاجرين والمغتربين، وارتقت بأدائها إلى مستوى تضحياتهم، أم إنها بأدائها، وبما تمثلته من ثقافة المقاومة عكست حالة خيبة وإحباطاً لدى المهاجرين والمغتربين؟ يقول محمد صلاح الدين الصايدي⁽⁹⁷⁾: "وكانت لنا اتصالات ببعض المهاجرين في فرنسا وغيرها من دول أوروبا، وكنا قد بدأنا قبل الثورة المباركة، 26 سبتمبر، بجمع التبرعات لدعم حركة "الأحرار اليمنيين"، وكنا نرسلها إلى مقرهم في الشيخ عثمان، ثم بعد ذلك كنا نرسلها إلى "الاتحاد اليمني"، الذي أصبح مقره في القاهرة. وذهبت عدة مرات مع بعض الإخوة لتسليمها لأحمد محمد نعمان في حي العجوزة بالقاهرة. ولما قامت الثورة في الجنوب، كنا نجمع التبرعات، بل أصبحنا ندفع اشتراكات شهرية إلى جانب التبرعات المفتوحة ونرسلها إلى زعماء الثورة. ولما منَّ الله بالاستقلال أصبنا بخيبة أمل كبيرة؛ فقد كنا ننتظر أن تعلن وحدة بلادنا عند نيل الجنوب استقلاله، ولكن لعن الله السياسات والحسابات الضيقة. لقد زالت الإمامة ورحل الاستعمار، وبدلاً من أن تتحقق الوحدة، وتصبح لنا دولة يمنية واحدة قوية وعزيزة، نشأت دولتان وعلمان،

(97) الصايدي، محمد صلاح الدين، كتاب ندوة المغتربين، ص 28.

ووطنان، وجيشان يوجهان أسلحتهما ضد بعضهما البعض. وذهب تعبنا وتبرعاتنا واشتراكاتنا وأحلامنا الكبيرة هباءً منثوراً، على مذبح السياسة والمطامع الزائلة".

ثم ماذا كان رد المرحوم أحمد عبده ناشر على من عيّره بتضحياته بأنها ذهبت سدى، قال: يكفيني أن أرى التلاميذ وهم ذاهبون لمدارسهم. وهو رد يحمل في طياته عدم رضا بما حدث ويحدث، بل إن هناك سؤالاً آخر على الحركة الوطنية أن تُجيب عنه: هل تمكنت الحركة الوطنية من إعادة تشكيل ثقافة المقاومة، وثقافة المواطنة كما أرادها المهاجرون والمغتربون، ومن منهما كان أنفع للمجتمع في حركة تطوره نحو الأفضل؟ إن رعونة أداء فصائل الحركة الوطنية، وسوء تقييمها لواقعها الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والسياسي، وإساءتها لقيم المواطنة المتساوية في ظل حكم رشيد، قد أصاب المهاجرين والمغتربين بثلمة يصعب جبرها، ذلك لأن المهاجرين والمغتربين كانوا ينظرون لرموز وتيارات العمل الوطني بأنهم هم الأفهم والأوعى والأكثر قدرة على قيادة سفينة الوطن، ولما ثبت العكس تولدت لديهم الخيبة وشعور بالخذلان، وكان ذلك أحد أسباب تدني مستوى تأثير المهاجرين والمغتربين، سواء على مواطن الهجرة والاعتراب أو في الوطن.

إن مسؤولية الحركة الوطنية لا تقف عند مسؤولية تدني مستوى الأداء الوطني، ورعونة الفعل، والعجز عن تحديد معوقات النمو والتطور في المجتمع ومواجهته بما يستحق، بل تمتد إلى إهمال ظاهرة الهجرة والاعتراب، وما كانت تتطلبه من رعاية وتوجيه وتوثيق أيضاً، مع النأي بها عن التسييس، ورعايتها كتجربة نقابية تسعى لتنمية ثقافة مطلبية تحتاجها، ويحتاجها المجتمع أيضاً.

إن انشغال فصائل العمل الوطني بمكايدة بعضها، وعدم اهتمامها بواجبها الوطني الحقيقي قد انعكس تمزقاً وانصرافاً عن الهم العام لدى المهاجرين والمغتربين، وصل حد قطع أواصر العلاقة مع الوطن الأصل والمجتمع الأساس لدى الكثيرين.

إن إصرار الأحزاب على جعل الولاء للحزب مقدماً على الولاء للوطن، وقبول أعضاء الحزب بخطف إرادتهم وإعادة توجيهها إلى هيئات وإلى مستويات، وإلى شخص الأمين العام، قد أضر بحقوقهم، وشكل خطراً على الوحدة الوطنية، وأضر بالصالح العام، وأعاق التنمية، وحول الأحزاب إلى أشكال قبلية تجمعهم ثقافة خاصة ومصالح متخيلة، لم تتمكن معها من إحداث التغييرات الثقافية المساعدة على انتقال المجتمع إلى مجتمع المواطنة المتساوية.

وفي المقابل، وللإنصاف، هل كان بإمكان القوى الوطنية أن تنتج غير ما أنتجته، وقد كانت نتاجاً لعصر خيمت عليه أجواء نتائج الحرب العالمية الثانية، كانقسام العالم إلى معسكرين متصارعين وبينهما الكتلة الأكبر التي لم تمتلك أسباب القوة المادية، ولم يعد بمقدورها لكي تفرض وجودها سوى استخدام ما تمتلكه من قوى ناعمة، كانت تمكنها من تكوين كتلة صلبة لولا وهن وتبعية بعض من ينتمون إلى إحدى الكتلتين المتصارعتين، وخضوعهم للإملاءات التي كانت تتصادم مع مصالح شعوبهم، ولم تجرؤ على دفع ثمن حرية القرار.

كما كانوا يحملون لقاح عصرهم المتميز بالإقصاء، والمدعي لامتلاك الحقيقة واحتكار تمثيلها، وتطبع كل فصيل بما ادعاه من تميز وامتلاك للحقيقة، وحاول فرض وجوده وتطبيع بيئته ومجتمعه بطابعه المصطنع الذي لم يكن قائماً على احترام حق الآخرين بالاختلاف على الأقل، متخذاً من أسباب القوة وسيلة لذلك.

ومع ذلك، بقي لكلٍ منهم شرف المحاولة، وهو شرف يغدو مُستحقاً إن أحدثت هذه القوى ما يتوجب عليها من مراجعات وكرستها كدروس مستفادة، وعملت على إعادة تخندقها في المكان المناسب الذي تؤكد فيه انحيازها لخيارات الأمة والمجتمع، واستعدت لأن تمارس دورها كرقم يضاف إلى قوة الأمة والمجتمع، لا رقم يخصم من أسباب قوتها المطلوبة للمواجهة في معركة استعادة الإرادة والوعي، وامتلاك الحرية، ودفع عجلة البناء والتطور باتجاه إعادة رسم الحياة كما يريد المجتمع والأمة، وتصحيحاً لما اعوجَّ في مسارهما أيضاً، وساهم بتشويه صورة الأمة بمعتقداتها وثقافتها، وأساء لعلاقتها مع الآخرين.

أولاً: لمحات من تأثير المهاجرين والمغتربين في بلدان المهجر:

أ. إفريقيا:

1- مصر:

تبدى الأثر الثقافي بوضوح في القرن العشرين بالمفاعلات الأدبية والتاريخية والفكرية التي قادها الأديب والمؤرخ والروائي والكاتب علي أحمد باكثير، بما شكله حضوره الثقافي وآراؤه من حراك وسط المنتديات الثقافية والأدبية، وعبر ما سطره قلمه في الصحافة وبين دفات الكتب.

حيث كان له العديد من المؤلفات المسرحية الملحمية، الشعرية والنثرية، أشهرها "ملحمة عمر بن الخطاب"، ومن الروايات الإسلامية أشهرها "وا إسلاماه" و"الثائر الأحمر"، كما ترجم مسرحية "روميو وجولييت"، وحصل على جائزة الدولة التقديرية الأولى مناصفة مع نجيب محفوظ.

وكان يجيد العربية، والإنجليزية، والفرنسية، والملاوية، وحصل على الجنسية المصرية، واختير عضواً في لجنة الشعر والقصة بالمجلس الأعلى

لرعاة الفنون والآداب، وألّف أكثر من ستين قصة ورواية. ومن أشهر أعماله مسرحية "مسمار جحا" التي تنبأ فيها باحتلال فلسطين، وكان الموسم المسرحي في مصر يفتتح سنوياً بها، وأضحت تدلل على عمق تأثيره، وكذلك الحال في العديد من أعماله خاصة رواية "وا إسلاماه" التي كانت مقررة على طلاب الثالث الثانوي لفترة طويلة في مصر، واليمن، والجزائر على الأقل، وأسهمت بتشكيل الوعي والوجدان لأجيال عديدة. كما كانت له آراء في الصراع "العلوي الإرشادي"، حيث كان من رواد "الإرشاديين"، وانتقد العلويين كثيراً، وإن كان يعيب على غلاة الإرشاديين آراءهم وأعمالهم المشوبة بالتعصب، وكتب الشعر، وله منه ديوان "أزهار الربا في أشعار الصبا" وغيره، وله أعمال أخرى منها "القوة الثالثة"، و"يا ليل يا عين"، و"الفرعون الموعود".

كذلك الحال بما سطرته أبقار السقاف، الكاتبة المبدعة التي عاصرت الكثير من الكتاب والمفكرين، واحتلت بينهم مكانة سامقة، وقد كان فيهم عباس محمود العقاد الذي قال عنها إنها "امرأة بعشرة رجال"، وكان كثير الثناء على ما تكتبه، كما كان فيهم صالح جودت، ونجيب محفوظ، ومحفوظ الأنصاري، وعالم الأثار محرم كمال باشا، ومحمود أبو العينين وكيل الأزهر، وأحمد الصاوي محمد. وقد قال عنها الباحث مهدي مصطفى: "لم يشأ القرن العشرون أن ينتهي حتى يدهشنا بالمخبوء في أحشائه، وكأننا على موعد مع المفاجأة، إذ يتم تقديم روح الحياة، أبقار السقاف، إحدى الكاتبات التي تم غيابها زمناً طويلاً وهي تستحق أن تكون في المقدمة وعلى رأس كوكبة من المفكرين". وقد أجادت أبقار اللغة العربية، والإنجليزية، والفرنسية، وكان لها مؤلفات عدة لعل أهمها، "الحلاج أو صوت الضمير" الذي كان لها فيه آراء جريئة تنكر التهم التي لحقت به، كما كان لأرائها التي ضمننتها في كتابها المهم "الدين في شبه

الجزيرة العربية، نحو آفاق أوسع" أثر صادم على ما رسخ في وعي الناس وتناقضته سرديات التاريخ، الأمر الذي دفع بمن يدعون الغيرة على الدين إلى كيل الاتهامات الزائفة لها وإصدار الأحكام غير الموضوعية على ما كتبت. لكنها- وقد أنهى الموت رحلة عمرها الإيجابية- كانت قد تركت لنا وللإنسانية أفكاراً تستحق الحياة التي لا تعرف الموت أو تعترف بأثره.

كما لا ننسى دور المدرسة اليمنية الحديثة التي افتتحت في مصر في السنوات الأخيرة، ودورها الذي يعد امتداداً للمدرسة في صنعاء، وهي من المدارس المميزة بمقاييس التعليم لدينا (على تشوّهه)، وقد بات لها فرعان في القاهرة.

2- السودان:

استوعب السودان عشرات الآلاف من المهاجرين والمغتربين اليمنيين الذين أسهموا في بناء العديد من مشاريع البنية التحتية، ومن أهمها مشروع بناء "سد سنار" الذي بلغ قوام العمالة اليمنية فيه (55%) من مجموع العمال⁽⁹⁸⁾، وفي بناء ميناء بورتسودان، وخط سكة حديد (بورتسودان – كسلا – سنار)، وغيرها من المشاريع الأخرى.

وقد تمكن المهاجرون والمغتربون من تحقيق الاندماج الاجتماعي بسهولة ويسر، ساعدهم على ذلك طيبة المجتمع السوداني الذي وجد فيهم حرصهم على التمسك بالقيم، ونبذ الرذائل، وعدم تقبلهم لمن يمارسها ولو كانوا يمينيين، كما وجد فيهم النجدة، وطيب المعشر، ورفض الضيم.

وإذا كان بعضهم قد شارك في الحرب العالمية الثانية في مواجهة (رومل) في العلمين بمصر، وفي طرابلس الغرب في ليبيا، فإن كثيراً ممن عاد منهم،

(98) الصلوي، العزي، الهجرات اليمنية عبر التاريخ إلى منطقة شرق إفريقيا، ص 55.

مع من انضم إليهم من أبناء المغتربين، شاركوا مع إخوتهم السودانيين في التمرد والثورة على الإنجليز.

وكما انخرط المهاجرون والمغتربون في العمل السياسي وبرز منهم العديد من القيادات السياسية في الحركة المهدية وغيرها، انخرطوا كذلك في الحياة الاجتماعية السودانية، حتى أنهم كانوا يُمنحون وثائق سودانية يسافرون بها ويعودون حتى العام 1950م. وقد برز بينهم العديد من القيادات التي شاركت في النضال ضمن المعارضة اليمنية وداعمين لها، ومنهم يحيى حسين الشرفي، المرجع الأول للمغتربين في السودان، والعديد من الأعيان والمشايخ الآخرين.

ولعب المهاجرون والمغتربون دوراً مهماً في مسيرة النضال الوطني، حيث لم يقتصر دورهم على تأسيس فرع للاتحاد اليمني، بل امتد لمواجهة أنصار الإمامة في السودان، واحتواء ما كانوا يثيرونه من مشاكل ودسائس، كما أنهم جمعوا التبرعات والاشتراكات، سواء التي كانت تذهب لتمويل أنشطة الاتحاد اليمني في مصر وعدن، أو التي كانت تخصص للإنفاق على الطلبة اليمنيين الدارسين بمصر، أو لطبع الكتب والمنشورات.

وعندما نجح الإمام في إقناع السلطات السودانية بإبعاد رموز الأحرار (يحيى حسين الشرفي، وأحمد الخامري، وقائد ناصر العماري، وعبدالله غيلان، وسعد سعيد المعمري) تصدى الأحرار لهذه الجريمة، وتمكنوا من تحريك الشارع السوداني بالخروج للتظاهر حتى تم إفشالها.

وساهم المهاجرون والمغتربون في احتضان الفارين من الحرب (من أبناء الجالية اليمنية) التي دارت بين أثيوبيا وإريتريا، وخففوا من معاناتهم، كما ساهموا في ترحيلهم وعائلاتهم إلى اليمن.

وقد لعبوا دوراً مميزاً في دعم الثورة اليمنية، ورفدوها بالمال والشباب

العائد الذي أسهم في معارك الدفاع عن الثورة، كما أسهموا بمختلف أشكال وصور العمل الوطني.

وعلى الرغم من الأدوار البهية التي عرضت بعضها فيما سبق، فإن مما يؤسف له أننا لم نجد توثيقاً ولا أثراً للعمل التربوي اليمني في السودان، كما أنني على يقين من أن أمراً كهذا لم يكن ليغيب عن اهتماماتهم. ويبقى التفسير الأقرب للمنطق أنهم وقد عاشوا حالة اندماج اجتماعي مميز مع المجتمع السوداني وتزاوجوا وتناسلوا، فقد أكلوا مهام تربية وتأهيل الأبناء للمؤسسات الوطنية السودانية التي تعاملت معهم بوصفهم مواطنين سودانيين. (مع تأكيد على أهمية متابعة البحث في هذا الجانب).

3- أثيوبيا:

مثلت الحبشة وجهة للاغتراب والهجرة مُنذ القدم، وما زالت الآثار السبئية هناك خير شاهد على ذلك، كما أن هرر تشهد بهويتها الإسلامية الغالبة، ولغتها الأمهرية، وأسماء أشهر حكامها على تأثير المهاجرين والمغتربين اليمنيين، وبالتالي فقد كان طبيعياً. بناءً على الظروف التي عاشها اليمنيون أواخر القرن الـ(19) وبداية القرن العشرين- أن تتجه أفواج من المهاجرين والمغتربين باتجاه الحبشة، إما كمحطة وسطى للانتقال باتجاه الشمال، وإما كوجهة للعمل والاستقرار⁽⁹⁹⁾. على أن هناك قوافل أخرى من المغتربين دخلت إلى أثيوبيا عن طريق الجنوب، ومعظمهم من عمل في مد خط السكة الحديد الذي أقيم بين جيبوتي وأديس أبابا، بموجب الاتفاقية التي وقعتها فرنسا مع الإمبراطور منليك عام 1897م، وقد استغرق بناء الخط الحديدي عشرين عاماً بالتمام والكمال، حيث كان هذا الخط قد بني على أكتاف المغتربين اليمنيين، وبالتالي، فقد كانت

(99) الصلوي، العزي، المرجع السابق، ص 110.

البيئة اليمنية الطاردة محفزاً للاستقرار والاندماج الاجتماعي، كما كان المناضل الكبير المرحوم أحمد عبده ناشر أحد من وصلوا إليها عبر الجنوب من الصومال، وغيره كثير أيضاً.

وتميزت الجالية اليمنية التي تم تأسيسها عام 1940م بأنها كانت موحدة لكل اليمنيين، ولذلك يسجل لها بأنها كانت أول محاولة جمعية فرضت نفسها كشكل موحد يمثل كل المهاجرين والمغتربين من بين مواطني الهجرة والاعتراب المختلفة، على الرغم من أنها جاءت تالية لوجود العديد من الجمعيات التي كان لها صبغة مناطقية في التكوين، كجمعية الاتحاد والترقي العريقية، وغيرها في الحبشة، أو في غيرها من مواطني الهجرة والاعتراب الأخرى، بما في ذلك شرق آسيا التي عرف مهاجرونا في إندونيسيا جمعيات مختلفة سابقة، لكنها في أساس وجودها لم تكن قائمة ولا ساعية لتوحيد الجميع، ولذلك حديث في موضع آخر.

وقد تمكنت الجالية من إذابة جهود أبناء الجمعيات المختلفة في إطارها الواسع الذي بفضلها تمكنت قيادات الجالية من توجيه الجهود لدعم المعارضة اليمنية من خلال مختلف الصيغ التنظيمية التي عرفتتها، حزب الأحرار، الجمعية اليمنية الكبرى، الاتحاد اليمني، ورفدها بالمال والإمكانات المختلفة، ومن ثم دعم ثورة 26 سبتمبر 1962م، و14 أكتوبر 1963م، ولعل استقبال المرحوم المشير السلال للمرحوم أحمد عبده ناشر والوفد المرافق له يذكرنا بعظمة دور الجالية هناك.

كما لعبت الجالية دوراً محورياً في التعريف بالمتقدمين من المهاجرين والمغتربين وأبنائهم للحصول على وثائق وجوازات السفر اللازمة للعودة إلى

الوطن، وساعدت المحتاجين منهم، كما ساعدت في حل الكثير من المشاكل والقضايا التجارية وغيرها.

ولعل من أبرز الأدلة على تقدم وعي قيادة الجالية (المؤسسة) أنها تنبّهت باكراً لأهمية ردم الفجوة الناتجة عن الغربة الثقافية التي كان يعاني منها أبناء وأحفاد المهاجرين، ولذلك سعت لتأسيس مدرسة الجالية اليمنية في أديس أبابا عام 1942م، أي بعد تأسيس الجالية بعامين فقط.

إن تميز مدرسة الجالية اليمنية لا يعود لقدمها فقط، وإنما لأنها مازالت مستمرة حتى اليوم، وقد قارب عمرها الثمانية عقود (أكثر من ثمانية وسبعين عاماً)، كما تميزت المدرسة بأن قيادة الجالية حددت لها أهدافاً تربوية مهمة، كانت تشكل - بصورة ما - (محاكاة لفلسفة تربوية مصغرة) مثلت - بحكم وحجم مستوى وعي قادتها في ذلك الحين - نقلة نوعية قياساً على عصرهم ومستويات تأهيلهم، ولأهميتها نوجزها في ما يلي (100).

1- تعليم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، واللغة العربية، إضافة إلى المواد التعليمية الأساسية المستهدفة ربط النشء الجديد من أبناء المغتربين بالوطن من خلال عوامل تربوية وتعليمية حديثة وفاعلة، وتعزز انتماءهم للوطن اليمني وتشدهم إلى حضارة الآباء والأجداد التاريخية، وتعمق في نفوسهم الثقافة العربية الإسلامية، والتقاليد والقيم اليمنية الأصيلة وحب الوطن.

2- تأهيل التلاميذ في حالة انتهائهم من دراسة مرحلة تعليمية أو فصل دراسي معين داخل المدرسة، وانتقالهم إلى الوطن لمواصلة دراستهم بمستوى مماثل ومشابه لمستوى التعليم داخل الوطن.

(100) الصلوي، المرجع السابق، ص 126، 127.

3- خلق جو مناسب للطلاب القادمين من الوطن إلى الحبشة، وتمكينهم من الالتحاق بالمدرسة. ومن خلال النشاطات المدرسية المكثفة، والمبرمجة، والمستفاعة من روح المنهج الدراسي يتوجب على المدرسة أن تركز على تأدية رسالتها النبيلة وواجبها المقدس إلى أقصى حدود الفائدة والعطاء الممكنين، لتأهيل التلميذ المتخرج منها، والاطمئنان على مستقبله، حتى إذا لم يحالفه الحظ في مواصلة دراسته العليا يكون قد استطاع الإلمام نسبياً بلغته، وأمور دينه، وتاريخ وثقافة شعبه ووطنه(101).

"هذه الأهداف المتعلقة بمدرسة الجالية اليمنية كان قد حددها ورسمها لها الآباء الأوائل من المغتربين المستنيرين الذين أسهموا في إنشاء المدرسة، وكانت قد وردت على لسان الأستاذ عبد المجيد عبد العزيز السقاف، مدير المدرسة الأسبق، ضمن حوار صحفي أجراه معه مؤلف الكتاب".
وقد كان من أهم خريجها محمد أحمد عبد الولي، وعبد العزيز ياسين السقاف، وياسين المسعودي، ورجل الأعمال أحمد مسعد الغراسي.

ومدرسة الجالية اليمنية لم تعد فقط في مبناها القديم بمنطقة (المركاتو) المعروفة، بل إنها بعد أن حصلت على قطعة أرض جديدة وواسعة تقدر بـ 22000 متر مربع، تمكنت الجالية، وبالتواصل مع مجموعة الخير (مجموعة هائل سعيد أنعم) من بناء مدرسة حديثة وواسعة مكونة من ثلاثة أدوار قريبة من نمط البناء المعروف الذي اتبعته المجموعة في إنشاءاتها التعليمية العديدة في اليمن، وهي أكثر قرباً من مدرسة المرحوم الحاج هائل سعيد بأمانة العاصمة، إلا أنها أكثر تنسيقاً، ومضاف إليها مبانٍ إدارية ملحقة، وقد تم افتتاحها في العام 2016 / 2017م وغدت مدرسة نموذجية تستحق بتجربتها

(101) الصلوي، المرجع نفسه، ص 159.

الطويلة المزيد من الدراسة والبحث، وخاصة فيما يتعلق بتوثيق أعداد الطلاب الدارسين والمتخرجين منها، والمناهج التي كرسها، وتتبع من تميز ونبغ منهم، والبحث في مكونات المناهج، وجدواها وأساليب التقويم وغير ذلك.

والحديث عن إسهاماتهم في العمل الوطني يصعب إيجازه في حيز كهذا إلا من قبيل إعطاء إشارات فقط لعل من أهمها:

1- دعمهم المتواصل بالمال والإمكانات والمشورة للمعارضة اليمنية بمسمياتها المختلفة، وهو دور غير منكور أيضاً.

2- تصدرهم لحملة شراء مطبعة لصحيفة "صوت اليمن" مع زملائهم في إريتريا، وجيبوتي، والسودان، وتركيبها عن طريق المجاهد أحمد عبده ناشر الذي أرسل عبد الله طاهر لتركيبها، ولتلك (قصة تروى) وتستحق التوثيق.

3- تعاظم دعمهم للـ"جمعية اليمنية الكبرى"، وإقناعهم لسيف الحق الأمير إبراهيم بالانضمام للجمعية بجهود المناضلين شائف محمد سعيد، وعبدالقوي مدهش الخرباش، وأحمد عبده ناشر الذي هيا للأمر أيضاً فرصة اللقاء بالامبراطور الذي أدهشه بمعلوماته الوافرة عن اليمن وظروفها وحاجتها للتغيير، وأبدى له استعداد له لدعمه. وكان ذلك بفضل أحمد عبده ناشر الذي بات مقرباً من الامبراطور، بل وأضحى مستشاراً له.

4- أسسوا صندوقاً لتلقي التبرعات من المهاجرين، ودعموا به الحركة الوطنية، وقدموا منه المساعدات للمحتاجين، وأسهموا من خلاله في بناء العديد من المؤسسات التعليمية في اليمن، سواء قبل الثورة أو بعدها، مما يصعب تناوله وحصره هنا. كما طبعوا منه المنشورات التي كان يتم توزيعها للمهاجرين والمغتربين.

5- تمكنوا من بناء علاقات قوية مع البلاط الامبراطوري، حتى غدا أحمد عبده ناشر العريقي، ومطهر سعيد صالح العريقي مُستشارين مقربين يستأنس بأرائهما الامبراطور في كل ماله صلة باليمن. كما كانت لقيادات الجالية علاقات واسعة مع الطبقة السياسية وأعضاء البرلمان. وقد أثمر ذلك- على سبيل المثال- عندما طلب الإمام عام 1948م من الامبراطور تسليم بعض الأحرار اليمنيين، وفي مقدمتهم كلّ من (أحمد عبده ناشر العريقي، ومطهر سعيد صالح العريقي، وعبدالقوي الخرباش، وعبدالله عبدالغني الشوافي، وعبداللطيف طارش الشوافي، ومحمد علي الهريش العريقي، وأحمد عبدالولي العبسي، ومحمد مهيبوب، وعباس الزبيري، وسيف أحمد الذبحاني، وشائف محمد سعيد) وغيرهم، فرفض الامبراطور الطلب بعد عرضه أيضاً على البرلمان ورفض البرلمان ذلك.

ولم يقف تأثيرهم عند ذلك المستوى، بل عكس نفسه من خلال إسهاماتهم في بناء البنية التحتية للحبشة، سواء بخطوط السكة الحديد، أو بالموانئ في إريتريا الحالية، وفي تنشيط الحركة التجارية وغيرها كثير.

4- إريتريا:

تميز الوجود اليمني في إريتريا بتكوين تنظيم اجتماعي تجاوز السقف الوطني إلى المستوى القومي العربي للعرب المقيمين في إريتريا (وقد كانت جزءاً من دولة الحبشة بالضم والإلحاق)، وذلك حتى قبل تأسيس الجامعة العربية⁽¹⁰²⁾، وكان من أشهر من رأس هذا التنظيم من اليمنيين، الشيخ سعيد باعقيل، ومحمد أبوبكر باخشب، وأحمد عبيد باحبيشي، ومحمد علي العبسي، ومنصور عبدالعزيز الحميري.

(102) الصلوي، المرجع السابق، ص 176.

كما تميز المغتربون اليمنيون هناك بسيطرتهم على التجارة والثقافة، وساعدهم على ذلك دعم بعض المواطنين من قبيلة العفر (أنكالا) ومشاركتهم لهم، وقد كانوا مقربين من الإيطاليين دون غيرهم من قبيلة العفر. (وقد أكد لي المعلومات السابقة وغيرها أيضاً العم المرحوم شائف محمد سعيد صالح، الذي كان مقرباً من الحكيم أحمد عبده ناشر، ويعده ولده ومندوبه في إريتريا الحالية، وقد عزز هذه العلاقة علاقة عمه مطهر سعيد صالح بأحمد عبده ناشر، ثم إنهم جميعاً أبناء قرية واحدة، وزاد من الألفة بينهما تقارب القناعات ووحدة المعاناة أيضاً، كما جمع في نشاطه بين دوره من خلال الجالية، والشكل الذي نشأ في أسمرأ وعصب).

ولم يقتصر التأثير الثقافي على عصب، بل تجاوزه إلى مناطق كثيرة، ومنها أسمرأ، ويعود الفضل بذلك إلى تواتر العديد من الأسباب التي امتدت عبر قرون من التواصل والاحتكاك والتعايش، تمكن فيها اليمنيون من نشر العقيدة الإسلامية، بما يقتضي ذلك من تلازمها مع اللغة العربية كوعاء لنشر تلك التعاليم، ثم إن سيطرتهم على التجارة ساعدت على زيادة ذلك التأثير. كما أن التأثير الثقافي قد حدث بما أسهمت به الجالية، والمعهد الإسلامي الذي أنشأوه بمبادرة من أحمد عبيد باحبيشي وإخوانه، واستجلبوا له مدرسين غالبيتهم من الأزهر. وقد أضفى هذا الأمر تميزاً لأنه كان أول معهد يستخدم معلمين من ذوي المؤهلات العليا، الأمر الذي ساعد على نشر تعاليم الدين، وأسهم في تعليم اللغة العربية. كما انعكس ذلك على مستوى الخريجين، ومكن بعضهم من الحصول على منح دراسية إلى الأزهر وغيره⁽¹⁰³⁾. والحق أن هذه المؤسسة التعليمية اليمنية العريقة التي ظلت تؤدي رسالتها الإنسانية النبيلة لأكثر من

(103) الصلوي، المرجع السابق، ص 192.

نصف قرن من الزمان، كما أسهمت بدور بارز في نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وتعليم اللغة العربية لأبناء المغتربين وأبناء الشعب الإريتري المسلم، جديرة بأن يُطلق عليها المدرسة العربية الأولى في قارة إفريقيا. كما أنشأت الجالية مدرسة في أسمرا، وقد شملت المراحل الثلاث بعد حصول الجالية على دعم بعض الدول العربية، ومنها مصر، واليمن، والسعودية، وليبيا. وقد تم بناؤها ومن ثم افتتاحها في العام 1942م، أي في نفس العام الذي قُتحت فيه مدرسة الجالية بأديس أبابا، وقد أوقفوا لها بعض العقارات، وذلك ما ساعدها على الاستمرار طيلة 34 سنة حتى أُممت⁽¹⁰⁴⁾. وقد كان لمصر عبد الناصر فضل السبق بتقديم الدعم لهذه المدرسة، حيث اعتمدت لها ميزانية سنوية قدرها (3000 جنيه، بالإضافة إلى مرتب لأربعة مدرسين، وقد كان ذلك مبلغاً يعتد به).

وقد بلغ عدد طلابها قبل إغلاقها بعد استقلال إريتريا في العام 84 / 85 م (820 طالباً وطالبة)، وهو عدد يؤكد على تميز هذه المدرسة، حيث كانت تعمل فترتين، صباحية ومسائية، وقد تكوّن مبناها من جناحين ضما 21 فصلاً دراسياً بثلاثة أدوار، إضافة إلى مسجد، ومعمل، ومكتبة ثقافية، ومكتبة للكتب الدراسية، وقاعة محاضرات، ونادٍ ثقافي، ومرفقات أخرى.

كما أن مما يؤكد على تميزها أنها كانت تدرس بثلاث لغات (العربية والإنجليزية والأثيوبية التي حلت محلها بعدئذٍ التجريدية)، ومن الصفوف الأولى، حتى أن خريج المدرسة الابتدائية كان يجيد اللغات الثلاث قراءة وكتابة ونطقاً⁽¹⁰⁵⁾.

(104) الصلوي، المرجع السابق، ص 181 وما بعدها.

(105) الصلوي، المرجع السابق، ص 210 وما بعدها.

وقد حد من تأثيرهم تضررهم من الحرب الأثيوبية الإريترية، حيث قتل الكثيرون، ثم نتيجة لنزوح الكثير منهم إلى السودان، إضافة إلى تأثير التأميم والمصادرة التي تعرضوا لها إبان حكم منجستو هيلا مريام، وكذلك ضعف حضور دور الدولة اليمنية.

5- جيبوتي:

قال المرحوم محمد عبد الواسع حميد، وقد كان أحد مُغتربينا هناك (طالباً / موظفاً / سفيراً فيما بعد)، "إن المهاجرين اليمنيين دائماً ما يتركون تأثيرهم وبصماتهم في البلدان التي يذهبون إليها، بعكس الجاليات الأخرى، وقد أحدثوا نفس هذا التأثير في جمهورية جيبوتي، صحيح أن اللغة العربية بدأت تظهر مؤخراً بشكل واسع، إلا أن اليمنيين كان لهم فضل تعليم هذه اللغة ونشرها في أوساط أبناء الشعب الجيبوتي مُنذُ وقت مبكر" (106).

وقد تصدر إبراهيم العطار، ومحمد عبد الواسع حميد، وأحمد شعلان، وعلي طاهر، حملة الدعم لحركة الأحرار اليمنيين، ممثلين بـ"حزب الأحرار"، أو بما تلاه من أشكال، حتى بلغ ضيق الإمام بهم حد شكواهم إلى السلطات الفرنسية التي لم تتوانَ عن تهديدهم بالترحيل وتسليمهم لسلطات الإمام. وقد كانت هذه الجهود إما فردية أو تنسيقية وسط مجاميع صغيرة؛ لأنهم لم يتمكنوا من تشكيل تجمع نقابي يوحد جهود الجميع، ومع ذلك كان تأثيرهم واضحاً.

أما عن دور الجالية، فبالإضافة إلى بدايات التجمع الذي تأخر حتى منتصف عقد الخمسينيات، فقد كان أدائها ضعيفاً نتيجة تدخل السلطات الفرنسية في أدائها وتهديد قياداتها، الأمر الذي أدى إلى إجماعها عن التواصل مع المعارضة اليمنية، إضافة إلى أسباب أخرى منها تشتت المغتربين، والخلافات التي كانت

(106) الصلوي، المرجع السابق، ص 214.

سبباً في ضعف أداء الجالية بلجوتهم إلى المحاكم والسلطات الفرنسية وغيرها، رغم أن المغتربين والمهاجرين اليمنيين يمثلون (ثمن) سكان جيبوتي البالغ عددهم 400 ألف نسمة تقريباً.

وإذا كان نشاطهم الثقافي قد تبثت آثاره من خلال انتشار اللغة العربية، وتأثيرهم في العادات والتقاليد الجيبوتية، لما للدين الإسلامي من صلة وعلاقة عضوية باللغة العربية، فقد كان من الطبيعي أيضاً أن يكون لهم نشاط تعليمي في وسط الجالية اليمنية والمجتمع الجيبوتي، ولذلك تأسست "مدرسة النجاح" عام 1928م على نفقة المرحوم (علي كبيش) وآخرين، واستجلبت مدرسيها من حضرموت، كما درس بها المرحوم عبدالقادر عبدالإله الأغبري وغيره، وقد عملت بفترتين صباحية ومسائية، وكان قوام فصولها ستة فصول، إضافة إلى المرافق، ومع أنها مدرسة تقليدية فإن الفرنسيين حاربوا قيامها بتدريس اللغة العربية، وإن بصورة غير مباشرة، تمثلت بالتوسع في فتح المدارس المعتمدة اللغة الفرنسية، كما كانوا يرفضون قبول الأطفال الراغبين بدخول المدارس الفرنسية ممن بلغوا سن العاشرة باشرطهم قبول الأطفال بدخول المدارس الفرنسية ممن هم في سن السابعة.

كما سعت الجالية، وفي مقدمتهم طاهر سعيد سيف، وعبدالرحمن أحمد طه (أكبر المتبرعين)، إلى بناء مدرسة الجالية اليمنية عام 1991م، وهي مدرسة حديثة تعمل على ثلاث فترات (بنات / أولاد / محو أمية). ومعظم المعلومات هنا مقتبسة من كتاب (الهجرات اليمنية)⁽¹⁰⁷⁾، وقد تمتعت المدرسة بدعم الحكومة اليمنية التي اعتمدت لها ميزانية كبيرة كانت في السابق (120 ألف دولار، ثم تقلصت إلى 50 ألف دولار في السنة عام 99 / 2000م). كما تعتمد

(107) الصلوي، المرجع السابق، ص 215.

الحكومة اليمنية شهادات السنوات النهائية - الأساسية، والثانوية، وتشرف على أداء الامتحانات فيها، كما تقدم الحكومة المناهج التعليمية للمدرسة ولعشرات المدارس الجبوتية.

وقد بلغ عدد الطلاب في العام (99 / 2000م) (850 طالباً وطالبة)، كما تقدم الحكومة اليمنية منحاً لخريجها وبعض الطلبة الجبوتيين.

وفي الوقت الذي يمكننا فيه تسجيل الامتحان للحكومة اليمنية لصنيعها هذا الذي هو من واجباتها، فإن اللوم يبقى حاضراً بسبب تكريسها لمناهج موسومة بالضعف، وبتكريس التوجه السياسي، وباختلالات كثيرة لا يمكن حصرها هنا، وإن كنت قد أوردت بعض معايير التعليم الموجود عند حديثي عن التعليم والثقافة.

ولعل ما دفعني لقول ذلك هو أن التأثير الثقافي على المتلقين في جبوتي كان سيكون أفضل وأبلغ لو امتلکنا تعليماً محكوماً كما سبق الإيضاح.

- ورد في تقرير عن المدرسة اليمنية في جبوتي، ما يلي⁽¹⁰⁸⁾:

1- إن عدد اليمنيين في جبوتي يصل إلى 70000 نسمة، وكثير منهم متجنسون.

2- عدد العاملين في المدرسة (51 موظفاً) بين إداريين، ومعلمين، وعمال. ويصل عدد الطلاب إلى (676 طالباً وطالبة)، وأنه تخرج من المدرسة (21) دفعة، وعددهم (752) طالباً وطالبة.

3- تشرف وزارة التربية والتعليم اليمنية على الامتحانات الأساسية والثانوية العامة.

(108) مصدره الأخ العزي الصلوي (عضو لجنة مكلفة من وزارة المغتربين لبحث موضوع المدرسة هناك) تاريخه 2013م.

4- تعاني المدرسة من ضعف ميزانية التشغيل، ومن تأخر وصول الكتاب المدرسي، ومن عدم تلبية احتياجاتها في مجال التدريب والتأهيل للكادر التربوي للمدرسة.

5- أكد على حاجتها للتوسع، وتحسين أوضاع المعلمين، وبناء معمل للعلوم، ودعم المدرسة بأجهزة كمبيوتر لا تقل عن (30) جهازاً، وشراء باصات للمواصلات، وحاجتها للوسائل، ولمكتبة ثقافية وطلبات أخرى عديدة.

6- اقترح التقرير فتح كلية مجتمع لتأهيل الخريجين غير المقتدرين على مواصلة الدراسة الجامعية بالخارج.

(لا ندري ما استجد من معالجات للمشاكل التي وردت في التقرير السابق).

6- الصومال:

تأسست الجالية العربية اليمنية في العام 1942م تحت مسمى "اتحاد التجار العرب والصومال"، ثم تحولت التسمية إلى "نادي الشباب اليمني". ويقول عبد الحميد سالم الشيباني أن الجالية تأسست في العام 1943م، وقد شغل هو أمينها العام حتى العام 1945م، كما تم إنشاء "نادي الشباب اليمني" في نفس العام.

وقد أنشأ نادي الشباب اليمني "مدرسة الفلاح" التي استمرت تؤدي دورها لعدة سنوات، ثم توقفت نتيجة نشوب الخلافات بين أعضاء النادي التي وصلت إلى حد تجميد النشاط، لكن جهود بعض الخيرين من أبناء الجالية قادت بدعمهم السخي إلى عودة المدرسة، حتى أنها استمرت إلى قرب نهاية عقد الستينيات عندما توقف نشاطها وتبرعت الجالية بها إلى الحكومة الصومالية. ولعل من أهم أسباب انتهاء دورها كمدرسة تتبع الجالية قرار الحكومة الصومالية "بحق اختيار المهاجر اليمني للجنسية الصومالية، الأمر الذي دفع الغالبية إلى

التجنس، وخاصة من الأبناء المولدين"، كما يرجع ذلك إلى الخلافات المستمرة بين أوساط الجالية.

7- كينيا:

في صورة تقرير داخلي مجتزأ (بخط اليد) قُدم من رئيس وفد من وزارة المغتربين زار كينيا بمهمة تفقدية، ومجهول التاريخ، يفيد بما يلي⁽¹⁰⁹⁾:

1- نشاط الجالية اليمنية هناك - بحسب التقرير- يتداخل مع نشاط السفارة، ويقول تحت رقم البند (10) "إن المهام التي تؤديها الجاليات عادة يمكن إدراجها ضمن اختصاصات السفارات اليمنية حتى لا تكون هناك ازدواجية في العمل بين عمل السفارة وعمل الجالية من ناحية، ولتتم فصل الاختصاصات والتضارب في المهام بين وزارة الخارجية ووزارة شؤون المغتربين".

(وهذه الإشارة تؤكد على صحة ما ذهبت إليه من ضرورة إعادة تصحيح العلاقة بين عمل ونشاط الجاليات والجهات الرسمية، بما يعيد لكيانات المهاجرين والمغتربين صفة العمل النقابي المطلوب، وذلك ما اقترحته في بعض التوصيات الخاصة بتحسين الأداء، خاصة أن هذه الملاحظة التي أباها كاتب التقرير يمكن ملاحظتها في أداء الجاليات بشكل عام).

2- يتحدث كاتب التقرير عن دهشته لما رآه في هذا البلد من انتشار وكثافة المساجد التي أقيمت على أحدث مواصفات التراث الإسلامي، وتتسع لآلاف المصلين، والأعداد العالية لمرتاديها أوقات الصلاة، وخاصة في الساحل الكيني والطريق الرابط بين ممباسا والعاصمة نيروبي، عبر طريق يمتد طوله إلى حوالي (600 كيلو متر) أو يزيد، وملحق بهذه المساجد غالباً

(109) الصلوي، المرجع السابق.

مدارس دينية، إضافة إلى (رياض أطفال أحياناً، وبعض المدارس الكبيرة التي أقامها المغتربون اليمنيون ويتحملون تكاليف إدارتها وتشغيلها).
3- أورد التقرير بيانات ومعلومات بأسماء المدارس ومواقعها الجغرافية وعدد الفصول والمدرسين والطلاب وأسماء الممولين لها، نوجزها في الجدول الآتي:

جدول (13) مدارس يرعاها ويمولها مهاجرون ومغتربون يمنيون في كينيا

الرقم	اسم المدرسة	الموقع	عدد الفصول	عدد المدرسين	عدد الطلاب	الممول والراعي	ملاحظات
1-	مدرسة شيبو الإسلامية	ممباسا	4	6	120	الشيخ صالح محسن بن شقوق	ملحقة بجامع
2-	المدرسة المنورة	ممباسا	17	21	1000	تبرعات المغتربين	ملحق بها روضة
3-	مدرسة قباء	ممباسا	23	26	880	محمد صالح بلوزير	ملحق بها روضة
4-	المعهد الأزهرى	ممباسا	16	23	300	محمد صالح بلوزير	
5-	مدرسة ليواتوني الإسلامية	ممباسا	6	16	99	تبرعات المسلمين في الداخل والخارج	
6-	مدرسة الشيخ نورين الإسلامية	ممباسا	8	9	137	الشيخ طاهر سعيد الحاتمي اليمني	
7-	مدرسة مكارم الأخلاق	ماليندي	10	12	250	؟	
8-	مدرسة التهذيب	ماليندي	6	6	120	حسين عبدالرحمن البيض	
9-	عشر مدارس ملحقة بمدرسة التهذيب في النواحي	ماليندي	؟	؟	؟	حسين عبدالرحمن البيض	
10-	روضة المدرسة المنورة	ممباسا	—	—	202	تبرعات المغتربين	
11-	روضة مدرسة قباء	ممباسا	6	—	240	محمد صالح بلوزير	
12-	روضة مدرسة ليواتوني	ممباسا	4	7	129	تبرعات المسلمين	
13-	روضة مدرسة الشيخ نورين	ممباسا	3	4	42	الشيخ طاهر سعيد الحاتمي	

ونلاحظ من الجدول السابق ما يلي:

- 1- تعدد وتنوع المؤسسات التعليمية التي يرعاها مهاجرونا ومغتربونا في كينيا بين مراحل التعليم المختلفة في نطاق التعليم العام والتعليم الديني.
- 2- تركز النشاط التربوي والتعليمي في ممباسا، وماليندي.

3- قلة عدد المدرسين قياساً إلى عدد الفصول الدراسية والطلاب، وهذا يحتاج معالجة مبنية على معلومات دقيقة حول طبيعة عمل كل مدرسة، وما تركزه من المناهج، وغير ذلك من المعلومات المطلوبة.

4- عدم وضوح نوع المناهج المكرسة في تلك المدارس من حيث (هل هي وطنية كينية، أم يستعان بمناهج أجنبية، أم أن بينها مدارس تعتمد المناهج اليمنية).

5- على الرغم من عدم وضوح نوع المناهج السائدة والمكرسة في تلك المدارس فإن التجارب التعليمية لا شك أنها جيدة ومقبولة، قياساً على المعهود من المكرس في مدارسنا في الداخل اليمني، ولعل مما يدعوني لقول ذلك ما هو ملاحظ في الجدول من انتشار لمدارس رياض الأطفال، وهي حالة نفتقدها في مدارسنا في الداخل اليمني، وكذلك تميز ما يعتمد من تدريس اللغات الأجنبية وغيرها، كما يشير جدول سابق بكشف تفصيلي عن مدارس الجاليات اليمنية بأن "مدرسة الشيخ صالح بن شقوق" يبلغ عدد طلابها (200 إلى 250 طالباً وطالبة) وليس (120) بحسب ما ورد في الجدول أعلاه، وأنها مدرسة أساسية من (9:1) وتقدم ثلاث مواد باللغة العربية.

كما يشير الجدول السابق ذكره إلى أن "مدرسة الفلاح الإسلامية"، وهي مدرسة لم يشر إليها التقرير الداخلي لوفد وزارة المغتربين بكونها مدرسة أساسية من (9:1)، أن عدد طلابها (بين 250 إلى 300 طالب وطالبة)، وتقدم معارفها وفق المنهج الكيني، مع تقديم ثلاث مواد باللغة العربية.

وكذلك الحال بالنسبة لـ "مدرسة الهلال الإسلامية الأساسية" (9:1) التي يبلغ عدد طلابها (بين 150 إلى 200 طالب وطالبة)، وتعتمد المنهج الكيني، مع

تقديم ثلاث مواد باللغة العربية. ولربما أن المدرستين الأخرين لم يصل وفد وزارة المغتربين إليهما، ولذلك لم يضمناها في التقرير المذكور، كما يلاحظ التضارب بين أعداد الطلاب بين التقرير المذكور وبين الجدول المشار إليه بأعلاه.

وتبقى حاجتنا قائمة للحصول على معلومات وبيانات أكثر حول تجارب هذه المدارس، وروادها، ونوع التعليم في كلِّ منها (عام/ ديني)، والمناهج السائدة، وغير ذلك من المعلومات اللازمة لتأسيس بنك معلومات يساعد على معرفة نوع التدخلات المطلوبة التي تساعد من رفع مستوى أداء كلِّ منها، وثمَّن من تطويرها واستمرارها.

كما يشير التقرير إلى أن من أهم المساجد المنتشرة التي يربهاها المغتربون اليمنيون في كينيا المساجد الآتية:

1. مسجد النور، ممباسا، وقد أسسه ويرعاه الشيخ صالح سعيد بن شرمان.
2. مسجد قباء، ممباسا، وقد أسسه ويرعاه الشيخ محمد صالح باوزير.
3. مسجد شيبو، ممباسا، وقد أسسه ويرعاه الشيخ صالح محسن بن شقوق.
4. مسجد النورين، ممباسا، وقد أسسه ويرعاه الشيخ طاهر بن سعيد الحاتمي.
5. مسجد الفلاح ممباسا، وقد أسسه ويرعاه الشيخ صالح محسن بن شقوق.
6. مسجد ليواتوني ممباسا، وقد أسسه ويرعاه المغتربون بالتبرعات.
7. خمسة مساجد في (ماليندي) أسسها المغتربون هناك.

إضافة إلى مساجد أخرى كثيرة لم يتعرف عليها كاتب التقرير المذكور. ومما تجدر الإشارة إليه، أن تلك المدارس والمساجد لا شك أنها تلعب دوراً تأثيرياً واسعاً داخل المجتمع الكيني، وتؤثر في ثقافته أيضاً، ولعل مما يؤكد على ذلك التقارب الاجتماعي بين المهاجرين والمغتربين، وبين أبناء المجتمع

الكيني وإسهامات المهاجرين والمغتربين الخيرية التي تعم أبناء المجتمع بشكل عام، وبعضها الخاصة بالمسلمين اليمنيين والكينيين أيضاً. والحاجة لجمع معلومات أكثر تبدو ملحة للمساعدة في رفع مستوى تأثيرها، وتنقية رسالتها الوعظية والإرشادية، خاصة أن بعضها لها مدارس ملحقة.

ويسهم المغتربون، وخاصة رموزهم، بأعمال خيرية كثيرة بشكل فردي أو بالتنسيق مع "الجمعية الخيرية العربية"، منها ما يكرس في الداخل الكيني، ومنها ما يمتد إلى الداخل اليمني، ولعل من أهمها ما يلي:

1. بناء مستشفى في مدينة ماليندي يتحمل أغلب نفقات تشغيله المغتربون، إضافة إلى تقديم المساعدات للمرضى في المستشفيات، إضافة إلى تمويل الشيخ صالح بن شقوق لعيادة النصر في ممباسا.
2. أوقف المغتربون عدة منازل تنفق إيجاراتها المقدرة (50 ألف شلن كيني) لصالح مقابر المسلمين، كما أنشأوا مقبرة وبدخلها مسجد للصلاة ومزودة بسيارة لنقل الموتى، وموظفين، وعمال لخدمة المسجد والمقبرة للقيام بترتيبات الجناز والدفن دون تحميل أقارب المتوفين أي أعباء مالية ناتجة عن ذلك.
3. تقديم المعونات والمساعدات للمحتاجين من المغتربين والمتضررين من الحروب والسيول، وحل مشاكل من يرغبون بالعودة إلى اليمن من المعسرین.
4. حفر الآبار العديدة في منطقة ماليندي بحسب طلبات الأهالي وعلى حساب المغتربين.
5. تحمل تكاليف تشغيل وصيانة المدارس والمساجد ومرتبات العاملين فيها.

6. بناء العديد من المشاريع في منطقة المهرة اليمنية على حساب الشيخ صالح بن شقوق.

7. إيقاف الشيخ طاهر بن سعيد الحاتمي – أحد كبار التجار – العديد من المباني لصالح مسجد الشيخ نورين، الذي أسسه في ممباسا، ويتكون من طابقين ومكتبة واسعة وملحق به مستوصف ومدرسة، ويتسع لعدد ثلاثة آلاف مصلٍ (ذكوراً وإناثاً).

يلاحظ مما تقدم تدني اهتمام سلطات الدولة اليمنية بأحوال المغتربين هناك وحقهم في الرعاية والعون ومساعدتهم على تعظيم تأثيرهم، وذلك مما حد من تأثير المهاجرين والمغتربين.

8- تنزانيا:

من ورقة مكتوبة بخط اليد⁽¹¹⁰⁾ تتحدث عن التجارب التعليمية في تنزانيا، نستشف منها ما يلي:

1- إن البدايات التعليمية اليمنية خاصة والعربية عامة في تنزانيا كانت بصورة (علمات) (معلومات) بدأت بجهود يمنية، عمانية، ركزت على تعليم القرآن الكريم وتلاوته، وعلى اللغة العربية، والفقهاء الشافعي، وكان من أهمها:

أ- علما عبد القادر عبد الرحمن الجنيد.

ب- علما محمد سعيد عامر الشببي.

ت- علما عمر محمد بافضل.

ث- علما المعلم عبدالله باحميد.

ج- علما المعلم سعيد بن طرش، وكان يعلم فيها أيضاً كتاب البرزنجي للمولد.

ح- علما المعلم سالم حميدان، وكان يعلم فيها أيضاً كتاب البرزنجي للمولد.

(110) الصلوي، العزي، وثيقة غير منشورة.

2- افتتحت العديد من المدارس في تنزانيا بعدئذٍ ومن أهمها:

أ- مدرسة شنجا: وقد افتتحت قبل أكثر من (70 عاماً) على مساحة مائة متر مربع، وقد أسسها أحمد يسلم العاكف، وعلى الرغم من أنها أغلقت لعدة أعوام فإنها عادت للنشاط بعد أن أعيد فتحها في العام 1961م، وما زالت مستمرة حتى الآن، وهي مدرسة أولية تهتم بتعليم القرآن الكريم وعلومه، واللغة العربية.

ب- مدرسة الإرشاد: وبها روضة أطفال ملحقة، وتعود ملكيتها لأسرة الأستاذة خديجة علوي (يمنية) الحاصلة على ليسانس في العلوم الإسلامية من الإمارات، ويعمل بالمدرسة مدرسون حاصلون على مؤهلات تربوية، وتهتم المدرسة كثيراً بتعليم اللغة العربية، والتربية الإسلامية، والتربية الوطنية اليمنية، ويبلغ عدد طلابها بين 200 إلى 300 طالب وطالبة.

ج- مدرسة الجالية اليمنية القديمة: وقد تأسست في العام 1977م بفناء مبنى السفارة اليمنية، ثم توسعت، كما تم استئجار مبنى ملحق بها، وهي تقدم المنهج التنزاني إلى جانب كتابي التربية الإسلامية واللغة العربية من المنهج اليمني، وهي مدرسة أساسية غير مكتملة.

د- مدرسة الجالية اليمنية النموذجية: وقد وضع حجر أساسها الدكتور أحمد البشاري في العام 2000م، وتولى بناءها الشيخ منيف عبد الله بن كليب على نفقته الخاصة، على مساحة تقدر بأربعة هكتارات، وقد بلغت تكاليف بنائها حوالي (سبعمئة ألف دولار)، وقد أقيمت بجوار "المركز الإسلامي المصري"، وافتتحت منتصف العقد الأول من القرن الحالي.

هـ - أسست مدارس أخرى، منها مدرسة أبناء الجالية لتعليم اللغة العربية بدار السلام في العام 2016م، و"مركز الحكمة التعليمي" (ديني تقليدي)،

و"مدرسة باكثر" في جزيرة زنجبار، وهي مدرسة أولية تهتم بتعليم التربية الإسلامية واللغة العربية.

- أسس المغتربون في تنزانيا الجمعية العربية بمدينة السلام، وقد منحت حق العضوية لكل عربي، وامتد نشاطها إلى معظم مدن ساحل شرق إفريقيا زنجبار، وكينيا، وأوغندا، وغيرها. وقد أنشأت المدارس، وجلبت الصحف العربية والكتب، وسعت لتوطيد العلاقات بين الجاليات العربية، مما عكس آثاره الإيجابية على الثقافة التنزانية.

9- جزر القمر وأوغندا:

لم تتوافر لنا معلومات أو بيانات عنهما، ومع ذلك يمكنني القول إن تأثير المهاجرين والمغتربين اليمنيين في جزر القمر كان عظيماً، وقد بلغ حد تمكن اليمنيين من حكم جزر القمر كما عرضت لذلك سابقاً. ثم إن هذا التأثير قد عكس نفسه على أساليب التنشئة الاجتماعية، وأساليب التربية أيضاً، وإن كانت جزر القمر تعاني من تدني مستوى التعليم فيها بشكل عام رغم تأثره بالتجربة الفرنسية حيناً من الدهر، كما أن نشاط الجمعية العربية بدار السلام قد وصل إليها أيضاً.

أما فيما يتعلق بأوغندا فنكاد لا نعرف عنها شيئاً عدا ما ورد في كشف مدارس الجاليات اليمنية – سابق - الذي ذكر وجود مدرسة الجالية اليمنية في كمبالا، وهي مدرسة أساسية من (1:9)، ويبلغ عدد طلابها بين (200-300 طالب وطالبة)، وتعتمد المنهج الأوغندي، مع تقديم ثلاث مواد باللغة العربية في قسمها العربي.

ب: آسيا:

1- الهند والصين وسنغافورة:

عز الحصول على مراجع يمكن الاعتماد عليها للحديث عن تجارب المهاجرين والمغتربين اليمنيين في الهند، لاسيما في مجال التعليم والثقافة، وبالتالي فلا مناص من الإشارة إلى ما وجدته في صورة كشف مدارس الجاليات اليمنية – سابق- وفيه إشارة إلى وجود مدرسة الجالية اليمنية في حيدر آباد، وهي مدرسة أساسية (1:9)، والمرجح أنها تعمل بنظامين (هندي / عربي)، وفي القسم العربي تدرس مواد باللغة العربية، والكشف لم يبين هل المنهج بالكامل يمني أم مواد فقط في هذا القسم، وأن عدد الطلاب والطالبات يتراوح بين (300-400) طالب وطالبة.

أما تأثير المغتربين والمهاجرين اليمنيين في الصين فتشير صورة الكشف المذكور سابقاً إلى وجود مدرسة في (جوانزو) تتبع الجالية اليمنية، وهي مدرسة مكتملة للمرحلتين الأساسية والثانوية، وتدرس المنهج اليمني بالكامل، ويتراوح عدد طلابها بين 300 - 400 طالب وطالبة. والمدرسة الثانية تتبع الجالية اليمنية أيضاً في (ايوا)، وهي مكتملة (أساسية وثانوية)، وتعتمد المنهج اليمني، ويبلغ عدد منتسبيها بين 500-600 طالب وطالبة.

(ومما يؤسف له أن مهاجريننا ومغربيينا يحرمون أبناءهم من الاستفادة من التجارب التعليمية المتقدمة في مجتمعات كاليهند، والصين، وسنغافورة، وماليزيا، وغيرها، بدعوى الحفاظ على الثقافة والهوية، وهي دعوى لا وجهة لها؛ إذ إن الأمر يمكن تحقيقه نسبياً عبر تقديم مواد التربية الإسلامية، واللغة العربية والتربية الوطنية والتاريخ باللغة العربية، وتقديم باقي المناهج المقررة

المكرسة في مجتمعات الإقامة، أو بالاستفادة من مناهج معلومة، كما تفعل ذلك بعض المدارس في ماليزيا مثلاً).

كما أود الإشارة بشكل عام هنا إلى الحاجة الماسة لتقييم تجارب هذه المدارس، وكل المدارس المنتشرة في مختلف دول العالم، على أن يتم ذلك وفق معايير علمية تمكن من قياس أثر هذه التجارب، والعمل على تطويرها، وجدوى استمرارها ومتطلبات ذلك.. إلخ. ولذلك حديث آخر لا يسمح المجال به هنا.

وفي سنغافورة⁽¹¹¹⁾ بلغ عدد المسلمين (595604 نسمة)، ويشكلون (14% من عدد السكان، ونسبة لا يستهان بها منهم عرب، وخاصة من اليمن⁽¹¹²⁾، ويؤكد البحث على أن الدولة السنغافورية تشرف على البنية التحتية الدينية الأساسية للمسلمين. ويذكر البحث أن أشهر المدارس الإسلامية (ست)، منها "مدرسة الجنيد الإسلامية". ومن المعلومات المنشورة عن التعليم في سنغافورة منها ما يؤكد على وجود أكثر من (83 مسجداً)، و(36 مدرسة إسلامية)، وأن أشهرها "مدرسة واتجونج"، ويبلغ عدد طلابها 768 تلميذاً، و"مدرسة الجنيد الإسلامية"، ويبلغ عدد طلابها 697 تلميذاً، و"مدرسة السقاف العربية" وعدد طلابها 545 تلميذاً، و"مدرسة المعارف الإسلامية" وعدد طلابها 245 تلميذاً⁽¹¹³⁾.

وبالعودة إلى البحث المشار إليه سابقاً فإنه يؤكد- (وهو أحد طلاب مدرسة الجنيد)- على أن المدرسة من أهم مراكز الدعوة الإسلامية؛ لأنها تعد الدعاة وأئمة المساجد، ومدرسي الدين الإسلامي، وأنها من أكبر المدارس الست،

(111) الجهاز المركزي للإحصاء، إحصاء عام 2010م،

(112) زركشي، عزمي، بحث حول مدرسة الجنيد بسنغافورة.

(113) الجفري، سيد، مقابلة.

ويبلغ عدد طلابها 1300 طالب موزعين على المراحل الابتدائية والثانوية والعالية. (ونلاحظ هنا تناقضاً كبيراً في عدد الطلاب مع ما ورد في مقابلة الجفري)، وأن المدرسة تستقدم مدرسيها من الأزهر الشريف، وغيره. وأن هذه المدرسة افتتحت في العام 1927م على يد السيد عبد الرحمن بن جنيد بن عمر بن علي الجنيد (يمني)، وتم تحديثها بتكلفة قدرت بمبلغ (15 مليون دولار سنغافوري)، وشهدت الستينيات إدخال مناهج اللغة الإنجليزية، والرياضيات، والعلوم، والجغرافيا والتاريخ، واللغة المالوية، وأن لغة المدرسة الرسمية العربية، ومناهجها تقدم على ثلاثة أقسام. أ- مواد إسلامية، وتتكون من عدة مواد. ب- مواد لغوية عربية وتشمل عدة مواد. ج- علوم وتشمل عدة مواد.

وأن المدرسة تحظى بالاعتراف وبمعادلة شهاداتها من عدة جامعات، ومنها الأزهر، والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وجامعات سعودية، وجامعة اليرموك بالأردن، وجامعات تركية وقطرية. وتضم المدرسة مكتبة، ومختبر حاسوب، ومختبرات علوم، وقاعة محاضرات، وقاعات أخرى، وفصولاً دراسية، قاعة مؤتمرات، مصلى، ملاعب، ومرافق أخرى. كما اختتم البحث بالعديد من التوصيات، منها حاجة المدرسة إلى تطوير المناهج الدراسية في العلوم الإسلامية، والعلوم الكونية، وأهمية الاستفادة من خبرات المؤسسات التعليمية الأخرى، والتركيز على تعليم اللغة العربية وتحديث تقنيات تعليمها، وغيرها من التوصيات.

وسأختم هنا بالقول إن هناك حالة فصام بين مناهج المدرسة وربما بقية المدارس الإسلامية أيضاً، والمناهج المعتمدة في المدارس الرسمية، وهي كما نعلم متطورة كثيراً، وتعد من أرقى المناهج عالمياً، وبالتالي جاءت التوصيات

السابقة تؤكد على ذلك. كما جاءت لتؤكد على حاجة مدارس المهاجرين هناك للاستفادة من التجربة التعليمية السنغافورية.

2- ماليزيا:

في ماليزيا تنتشر العديد من المدارس التي ترعاها مؤسسات تتبع الجالية اليمنية، وتنتشر في العاصمة الماليزية وفي العديد من المدن التي تقيم فيها أعداد كبيرة من أبناء الجالية، وهي مدارس تتباين في لغة التدريس، وفي المناهج المعتمدة بكل منها، وإن كان مما يجمع بينها حداثة الإنشاء، وفرص الحصول على منح مجانية لغير المقتدرين من أبناء المغتربين والمهاجرين، كما تتفاوت وتتباين بين كون بعضها مؤسسات غير ربحية وتسعى لتقديم خدمات عالية الجودة وفق معايير علمية دولية، وبين أخرى تتقصد الاستثمار، وليس من أولوياتها اقتفاء المعايير العلمية للتعليم المجود، ولعل من أهم تلك المدارس ما يلي:

1- "المدرسة العربية العالمية الحديثة" (I.m.a.s): وهي مدرسة دولية، وتعد من أكبر المدارس اليمنية في ماليزيا، وتقدم خدماتها في العاصمة الماليزية (بيترا جايا)، وتعتمد اللغة الإنجليزية واللغة العربية في التدريس، حيث يدرس الطلاب فيها منهج (i. g.c.s.e) البريطاني، كما يدرس الطلاب مادتي التربية الإسلامية واللغة العربية وفق المنهج اليمني، وتتميز بكونها مؤسسة غير ربحية مُنذُ تأسيسها في العام 2007م بجهود ورعاية مؤسسة النور الخيرية التي يقودها رجل الخير فؤاد هائل سعيد أنعم، كما أن "مؤسسة الخير" التي يرعاها علوان سعيد محمد الشيباني ستتكفل بتقديم (30 منحة) للطلاب اليمنيين، بمبلغ يقدر بسبعين ألف دولار تقرر اعتماده

من سبتمبر 2020م، ويشترط للحصول على المنحة نسبة نجاح (b)، وكذا الحال لاستمرارها في السنوات التالية.

والمدرسة تتمتع بترخيص وزارة التعليم الماليزية، وتقدم لطلابها شهادة "كامبردج العامة" البريطانية للتعليم الثانوي، كما أنها معتمدة كمركز امتحاني لهذه الشهادة، وإضافة إلى ذلك تقدم المدرسة فرص امتحانات الثانوية العامة اليمنية (إنجليزي).

ولئن كانت في سنة الافتتاح قد بدأت عملها بعدد (220 طالباً وطالبة)، فإنها في العام الحالي باتت تستوعب عدد (1792 طالباً وطالبة)، من أكثر من خمسين جنسية، ويعمل بها حوالي (134 معلماً ومعلمة) من أكثر من عشرين دولة، من ذوي الكفاءة والقدرة العالية، والتخصصات الأكاديمية والتربوية. وهي تقدم خدماتها سعياً لتحقيق أهداف، منها الاهتمام برعاية العقول الإبداعية، وتعزيز القيم الأخلاقية، ومنها الالتزام بتحقيق النمو والتطوير الروحي، والفكري، والعاطفي، والجسدي، وإعدادهم كرواد للتغيير. (وهذه الأهداف تؤكد على أن تعليمها مجود أيضاً، ويمكن اعتبارها المدرسة النموذجية الأولى على مستوى مدارس مهاجريننا ومغتربينا؛ كونها تعتمد منهجاً إنجليزياً محكوماً بفلسفة تربوية تعليمية متطورة، مع حرصها على تحقيق تنشئة إيمانية نرجوها رشيدة، وتراعي تحقيق أهداف نبيلة تجسدها عبر ممارسات وأنشطة مخططة، كما أنها لا تعاني من عدم توازن الكادر مع الكثافة الطلابية، أو من تدني مستوياتهم؛ لأن استخدامهم يأتي عبر تنافس محكوم بمعايير وضوابط وشروط لشغل الوظيفة، كما أنها ليست مغلقة على اليمنيين وحدهم، مما يتيح للتلاميذ فرص التعرف على تجارب

وعادات وتقاليدهم مختلفة تمكنهم من تحقيق تنشئة متوازنة عبر تدخلات إشرافية رشيدة).

ويبلغ عدد الطلاب اليمنيين في العام 2020م (688) طالباً، وعدد الأجانب (1104) طلاب وطالبات.

2- "المدرسة اليمنية – سيلانجور": تأسست في العام 2006م على يد طلاب الدراسات العليا اليمنيين لتعليم أبنائهم ولحفاظوا على هويتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وتدار المدرسة بهيئة إشرافية يتم انتخابها وفق لائحة تنظم ذلك، وبلغ عدد طلابها في العام 19/18م (284 طالباً وطالبة) وفي العام 2020م (350 طالباً وطالبة)، وتقدم لطلابها المنهج اليمني، ويبلغ عدد قاعات الدراسة فيها (16) قاعة دراسية موزعة على التمهيدي، والأساسي، والثانوي، وجميع طلابها يمنيون.

وتعتمد في ميزانية التشغيل على الرسوم الرمزية من الطلاب، وعلى التبرعات، ورعاية السفارة اليمنية. وقد تكفل الأخ علوان سعيد محمد الشيباني عبر "مؤسسة الخير" التابعة له بتقديم (50 منحة)، كما تكفل بإنشاء معمل للعلوم في المدرسة، مع القيام ببعض الإصلاحات الأخرى.

3- "المدرسة العربية النموذجية – بيتانج": وتعتمد المنهج اليمني في التدريس، وتتبع نظام وزارة التربية والتعليم اليمنية، كما أن شهادتها تعتمد على السفارة اليمنية بعد التصديق عليها من المجلس التعليمي، وهي مدرسة تعاونية غير ربحية تدار بمجلس الآباء فيها.

4- "المدرسة العربية (باهنج)": وهي مدرسة تعاونية افتتحت في العام 2019/2018م من قبل "المجلس التعليمي للمدارس اليمنية"، وهي مؤسسة غير ربحية.

وهناك العديد من المدارس الخاصة، منها "مدرسة الجيل العربي الحديث الدولية"، و"المدرسة العربية اليمنية ببيتراك"، و"مدرسة كدح العربية"، و"المدرسة العربية بجوهور"، وهي تعتمد المنهج اليمني ولغتها العربية، و"مدرسة النخبة العربية بكاجانج".

ومن المؤسف له أن المدارس السابق ذكرها، من الفقرة 2 وما تلاها، تحرم منتسبيها من الاستفادة من المناهج المطورة في ماليزيا أو غيرها من المحكومة بنظم تعليمية لها مرجعياتها الفلسفية الضابطة.

3- إندونيسيا:

ولأننا إزاء تجربة مثالية؛ ذلك لأنها توافرت لها العديد من الميزات التي لم تحظ بها بقية التجارب المهجرية والاغترابية، ومنها ما نالته من الاهتمام والمتابعة، وإن بمقاصد متباينة تجلت بالتوثيق والتدوين عبر مصادر متعددة، منها الوطنية المحلية، ومنها المهجرية، ومنها الوطنية الإندونيسية، ومنها التوثيق والتدوين بالکید الاستعماري الهولندي، والإنجليزي، والدانماركي وغيرها.

كما أنها كتجربة تكرست وسط ثقل مهجري كبير قياساً على غيره من مواطن الهجرة والاغتراب الأخرى، حيث قدرت وزارة المغتربين مُنذُ أكثر من عشرين عاماً ثقل مهاجريننا فيها بنحو خمسة ملايين نسمة، وهو رقم لم تعرفه بقية مواطن الهجرة الأخرى حتى الآن، كما أنها تجربة تبنت ملامحها في مختلف مجالات الحياة المختلفة، سواء على مستوى إندونيسيا، أو اليمن، اقتصادياً، وسياسياً، ودينياً، وتعليمياً، وثقافياً بشكل عام.

كما أن هذا التأثير لم يأت نتيجة موجات هجرة في القرن العشرين فقط، بل نتيجة تواصل وتفاعل وتأثير متبادل امتد عبر قرون عديدة سابقة، وفيها تأكدت

تأثيرات موجات الهجرة عبر الأنشطة الدعوية والاقتصادية، وتأسيس الممالك العديدة، ونشر التعليم الديني، وساعد على زيادة التأثير احتفاء المواطنين بكل من لهم صلة بالعروبة والإسلام بتزايد طردي بقدر تزايد أعداد المعتنقين للدين الإسلامي ذاته، ورغبتهم بالتقرب إلى من تربطهم صلة قربى بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وهو ما مكن العلويين من احتلال مكانة مرموقة في المجتمع، وحظوا بفرص مثالية مكنتهم من جمع الثروات وتقديمهم كقادة في مراحل مختلفة.

والحديث عن كل ما تقدم يطول بقدر لا يسمح المجال بذلك، وإن كان يحرض على إخضاع هذه التجربة إلى مزيد من الدراسات والبحوث الاستقصائية في مختلف مجالات الحياة، ومنها للتوثيق، واستقصاء أثر التجارب في مجالات الإعلام، والتأليف، والمسرح، والسينما، والتعليم على وجه الخصوص، كون مختلف المراجع التي بين أيدينا لم تعط التعليم ما يستحقه من الاهتمام من حيث عدد المؤسسات، وأنواعها، وما اعتمدته من مناهج، وأساليب، وكوادر، وما كان لها من علاقات، وما نشطت في سبيل تحقيقه من الأهداف.. إلخ.

وبعد ما تقدم عليّ أن أشير إلى بعض ملامح التجربة في المدى الزمني المقصود وفقاً لما يأتي:

أولاً: السعي لتوحيد الجهود بتشكيل الجمعيات، وقد تميزت بتنوعها، وتباين مقاصدها وما أحدثته مناشطها، وما عكسته من آثار، ولقد شكلت تلك التجارب سبقاً محسوباً لمهاجريننا في إندونيسيا، ولئن مثلت "الرابطة العلوية" التي تشكلت في العام 1903م أقدم تلك التجارب فإنها ولدت دوافع لإقامة غيرها، إما على خلفية تباينات الأفكار والقيم والمصالح والأهداف، وإما لحشد المزيد من

المريدين نصره لآل البيت، أو لتقرب تفرضه المصالح، وخاصة مُنذُ اشتداد الخلاف بين "العلويين" و"الإرشاديين".

ولقد كان من أهم تلك الجمعيات ما يلي:

1- "الرابطة العلوية" التي تأسست عام 1903م على أيدي بعض كبار العلويين، وكان لها فروع في مدن عدة، وعملت على جمع التبرعات من التجار وإعادة إنفاقها في مشاريع خيرية، منها بناء المساجد، وفتح معاهد دينية، وإنشاء بعض المدارس الأولية.

2- "الجمعية الإسلامية"، وكان لها نفس توجه سابقتها.

3- "جمعية خير"، تأسست في (بتاوي)، وعملت على إنشاء مدرسة في المدينة ذاتها، واعتمدت لتسيير عمل المدرسة على جمع التبرعات، ومن رسائل موجهة من المدرسة إلى المقتدرين وإقناعهم بالتبرع، كما كانت المدرسة تدعو الناس لحضور احتفالاتها السنوية التي تقدم خلالها بعض الأنشطة وتطلعهم على نتائج امتحانات الطلاب.

4- "الاتحاد الإسلامي في جاوا"، كان هدفه الأساسي تحشيد الجهود لمواجهة المكائد الهولندية التي كان يقودها (سنوك) الأستاذ الجامعي، وسعى بالتنسيق مع إدارته الاستعمارية لإغلاق باب الهجرة على اليمنيين، وأنتج إجراءات تضيق الخناق على العرب واليمنيين، حتى إنه حال دون حرية التنقل بين المدن، وعلى مستوى المدينة الواحدة (إلا برخصة سابقة)، وادعى الإسلام وحج إلى مكة لمراقبة وجهاء الحجاج، وراح يكد للتفريق بين المسلم الإندونيسي والعربي واليمني ليقنع الإندونيسيين بأن اليمنيين والعرب أجانب، وأنهم يكيون لهم ولعاداتهم وتقاليدهم، وكان مما ساعده على ذلك ادعاؤه الإسلام وزواجه من مسلمة، وانصراف بعض المهاجرين

إلى تحقيق مكاسب، حتى لو كانت (عبر الربا)، وذلك مما اقتضى إنشاء هذا الاتحاد لمواجهة تلك المكائد، ولتفنياد الادعاءات، ولحماية مصالح المهاجرين والمغتربين.

5- "جمعية الإصلاح والإرشاد"، تأسست في العام 1914م لمواجهة التشدد العلوي، وهيمنتهم على "الرابطة العلوية"، وتدخلهم في الشؤون الخاصة للمهاجرين والمغتربين، ولرفض الإرشاديين لمظاهر التمييز التي كان يعكسها العلويون بالألقاب "سيد/ حبيب" لتمييز أنفسهم عما عداهم، وتقبيل أياديهم، ورفضهم تزويج بناتهم لغير العلويين. وقد سعت الجمعية إلى توعية الناس، وقادت حملات ضد العلويين استندت فيها على مراكز إفتاء من الأزهر وغيره لمنافحة ادعاءات العلويين، وحرصوا الناس على رفض العمل بتعليماتهم، ونشطوا في جمع التبرعات، وتبني المشاريع الخيرية، وفتح المدارس، الأمر الذي دفع العلويين إلى اتهامهم بالكفر والزندقة، بغرض تنفير الناس منهم، لكن الجمعية صمدت وفندت تلك الادعاءات، وكرست في مدارسها قيم الإخاء والمساواة، كما وأصدر مؤسسوها صحفاً تعبر عن توجهاتهم وللرد على الحملات الصحفية للعلويين. بل إن الخلاف وصل حد الاشتباكات المتفرقة أحياناً، وانعكس ذلك على الداخل اليمني، وخاصة مُنذ أن أقدم "الإرشاديون" على تأسيس دويلة في مدينة الغرفة 1924م ومنعوا فيها حمل السلاح، وأكدوا على قيم المساواة، وشجعوا عدم التفرقة بين الناس على أساس عرقي، وحرروا العبيد، وغير ذلك، مما دفع بالعلويين إلى التحالف مع الاستعمار البريطاني، ومع السلطنتين القعيطية والكثيرية لإعلان الحرب على هذه الدويلة، حتى تم القضاء عليها في العام

1945م. (والرأي لديّ أن هذه التجربة تستحق مزيداً من الدراسة، ولا أقصد هنا دولة المدينة، بل التجربة "الإرشادية" برمتها).

6- "الجمعية المحمدية – جاكرتا": تأسست في عام 1912م، أسسها أحمد دخلان بعد قدومه من مكة مدعوماً من محمد بن سعود، وقد سعت لنشر الفكر الوهابي، وحرمت زيارة القبور، والتدخين، والقهوة، وإن عادت وأجازتها. وقد لجأت لاستخدام العنف، وتسببت بإشعال فتنة في جاكرتا نفي على إثرها دخلان إلى مكة، ثم عاد مرة أخرى. ومن محاسنها أنها تصدت لأنشطة البعثات التبشيرية، وأنشأت العديد من المدارس ودور الأيتام، والمستشفيات والعيادات، محاكاةً لأنشطة مسيحية.

كما عكست تلك الخلافات التي تبدت في تعدد الجمعيات إرادتهم للترويج لاهتماماتهم، ولإعادة توجيه اهتمامات الأوساط الاجتماعية التي ينشطون فيها، وذلك ما اقتضى رسم سياسات لأنشطة ثقافية كرسّت في المدارس التي رعوها، وتنافسوا في استجلاب المدرسين من اليمن ومصر وغيرهما، كما تنافسوا في إرسال البعثات التعليمية المختلفة.

ثانياً: عمد المهاجرون إلى جلب المطابع العربية، وشجعوا تأليف الكتب، وتنافسوا في إصدار الصحف الأسبوعية والشهرية حتى تجاوز عددها العشرين صحيفة، كان منها على سبيل المثال:

1- "مجلة الرابطة": شهرية- تبنت دعاوى العلويين، ودافعت عن آرائهم وفتاواهم، ولم تستخدم التاريخ الميلادي، وعارضت مفتي مصر، وكرست نفسها في صراع العلويين مع الإرشاديين.

2- "حضر موت": أسبوعية، نشطت في سورابايا، اجتماعية، لم تهتم بالسياسة، ركزت على أخبار حضر موت وقضاياها المختلفة.

3- "الإرشاد": - جاوا، أسبوعية – ذات اهتمامات أدبية واجتماعية، تبنت آراء وقناعات الإرشاديين.

4- "المرشد": - سورابايا – بدأت في العام 1938م – أدبية – اجتماعية – نصف شهرية، تولاها شباب، اهتمت بمعالجة قضايا المغتربين، ومشكلاتهم، واهتمت بشؤون الوطن وقضاياها، كما كانت تطبع بلغتين، وتقتبس بعض مواضيعها من الصحف العربية، كما اهتمت بجهاد المسلمين ضد المحتلين، ومواقف المسلمين من الصراع الدولي.

5- "الإصلاح": - سورابايا 1957م، شهرية، تطبع بلغتين، اهتمت بشؤون المهاجرين ومشكلاتهم، ومعاناة الناس، كما اهتمت بالشعر والأدب، وكان لها مراسلون يزودونها بالأخبار والمقالات والمواضيع المختلفة.

6- ظهرت العديد من الصحف في سنغافورة، وكانت أكثر استقلالية وتخففاً إزاء الصراع العلوي الإرشادي.

7- بعد توقف صحيفة العرب الأسبوعية 1931م ظهرت صحيفة "السلام" في إثرها، واهتمت بمشكلات المغتربين وأنشطتهم، وقد سعت إلى احتواء الخلاف والصراع العلوي الإرشادي، ودعت إلى نشر السلام والمودة والمحبة بينهم.

8- كما صدرت العديد من الصحف الأخرى.

ويبقى من المهم الإشارة إلى أن كثيراً من تلك الصحف كان يعيها عدم اهتمامها بالكيدي الاستعماري الذي كرس للفصل بين المسلمين الإندونيسيين والعرب واليمنيين، وللنيل منهم والإساءة إليهم، وتأثيره على إذكاء الصراع العلوي الإرشادي. كما عابها عدم اهتمامها بإعادة توجيه اهتمامات الرأي العام نحو قضايا الوحدة، ومواجهة الاستعمار، والسعي لترشيد الخلاف،

ومحاولة وضع حد له، تجنباً للنتائج السلبية التي كانت تطال آثارها الجميع، كما أن كثيراً منها لم تكن تمتلك مقومات الاستمرار والبقاء، فكان متوسط العمر الزمني قصيراً نسبياً.

ثالثاً: الخلاف العلوي الإرشادي وانعكاساته على حياة المهاجرين وتأثيرهم. مع بدايات القرن العشرين كان المهاجرون الحضارمة هم أصحاب النفوذ الديني والاقتصادي، لولا أنهم توزعوا على مجموعتين هما:

أ- مجموعة السادة العلويين الذين تمتعوا بامتيازات واسعة، ومنها الزعامة الروحية على الجالية الحضرية وعلى جميع المسلمين في الجزر، واستأثروا بالألقاب الزمنية والدينية، واحتلال الصدارة في المجالس والمساجد، وكان منهم كبار الأثرياء مثل: آل الكاف، وآل السقاف، وآل العطاس.

ب- مجموعة غير علوية، ومنهم: آل العمودي، وآل بلحمر، وآل باصهي، وآل باسودان، وآل باجنيد، وغيرهم.

كما كان طبيعياً أن تتأثر الجالية بالحركة الفكرية، والسياسية، والثقافية، في بلدان الاغتراب، أو تلك التي قادتها الحركة القومية والإسلامية التي أخذت بالنمو في مصر وسوريا، وتجلت عبر الصحف والمجلات المختلفة. وفي العام 1905م انقسم المهاجرون إلى جناحين: "علوي، وإرشادي" بسبب زواج هندي من علوية، واستفتاء أحدهم لصاحب المنار (محمد علي رضا) حول صحة الزواج، وقد أجازته، فرد عليه الشيخ عمر بن سالم السقاف بتحريم تزويج العلوية من غير العلوي "ولو رضيت ورضي وليها".

وعلى إثر ذلك تأسست "جمعية الإصلاح والإرشاد العربية" 1914م، كما لجأ الإرشاديون إلى علماء من خارج الجالية، ومنهم الأزهر، ومحمد رشيد

رضاء، وأحمد السوركني الذي أصبح المرجعية المحلية للحضارة الإرشاديين في الشؤون المتعلقة بتفسير وفهم الإسلام، لينافسوا العلويين الذين كانوا هم المرجع الديني للحضارة في حضرموت وفي الشرق الأقصى، وكانت تأويلاتهم للإسلام هي السائدة. فأخذ الإرشاديون يشككون في المعتقدات الأساسية لتعاليم السادة، ومن ثم اعتبروا "التعليم المفتاح لتغيير الوضع القائم"، ثم إنهم في القانون الأساسي للجمعية أوردوا نصاً في فصله الخامس يقول "لا يجوز لأحد من آل باعلوي أن يكون عضواً من أعضاء الرئاسة أو وكيلاً لها"، وربما كان ذلك رداً على إغلاق العلويين لرابطتهم عليهم. وراحوا يؤكدون في أنشطتهم وأدبياتهم على المساواة بين الناس جميعاً بدون اعتبار للنسب، واستخدموا لقب "سيد" لمخاطبة أي إنسان، وكرسوا الزواج المختلط بين الجميع، وعلموا هذه الأفكار وغيرها في مدارسهم، كما سعوا إلى تأسيس دولة في مدينة الغرفة، وما جاورها في حضرموت.

وقد نشط العلويون للمنافسة، وأسسوا مدارس كثيرة وعدة جمعيات، كان أكبرها "الرابطة العلوية" التي اعتبروها مغلقة عليهم فقط. كما توسع الصراع ليكتسب أبعاداً سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وآراء ووجهات نظر للإصلاح داخل الوطن، كما حدثت أعمال عنف بين الطرفين، قتل جرائها عدة أشخاص، وتبادلوا الاتهامات، حيث اعتبر العلويون الإرشاديين (تبشيريين، وبلاشفة تمويلهم موسكو)، وفي المقابل اتهمهم الإرشاديون بالارتباط ببريطانيا وخدمة مصالحها في حضرموت، ثم لكون السلطنات الكثيرة والقعيطية مرتبطتين بهم أيضاً.

ولأن هذا الخلاف قد شكل تهديداً يلحق الضرر بالجالية، فقد ارتفعت أصوات، وجرت محاولات للمصالحة، قاد أهمها إسماعيل بن عبد الله العطاس

(علوي)، ثم محمد رشيد رضا، ثم شيخ الأزهر اللذان وجها نداءات واقتراحات لتسوية الخلاف، كما تدخل الملك عبد العزيز آل سعود للتوفيق بينهم، إلا إن الخلافات استمرت.

وإذا كان هذا الصراع قد نتجت عنه آثار إيجابية تمثلت بالتنافس في إصدار الصحف، وفتح المدارس الحديثة، حتى أن الإرشاديين أسسوا ثلاث مدارس للبنات، وأرسلوا البعثات التعليمية إلى مصر وغيرها، وتبلورت رؤية للإصلاح والتحديث داخل الوطن التي عُبر عنها في "مؤتمر الإصلاح الحضرمي" الأول في مدينة الشحر، وفي المؤتمر الثاني الذي عقد في سنغافورة في إبريل 1928م.

فقد كان لهذا الصراع أيضاً آثار سلبية تمثلت في تشطي إرادة وجهود أبناء الجالية، وإهمالهم الاهتمام بما يكاد لهم، وعدم مبالاتهم بتوجهات أجيال المولدين من أحفادهم الغاضبين من ذلك التشطي والصراع، وعدم الاهتمام بتطلعاتهم، ورغبتهم بالاندماج، والذي كانت العديد من المعوقات تحول دون تمكينهم، ولم تقتصر على كيد المستعمر، وإجراءاته التمييزية، وتشجيعه لثقافة إندونيسية لا تقبل بالوجود العربي عامة واليمني خاصة، وإنما امتدت إلى التزمّت بفرض عادات وتقاليد الأجداد التي لا تيسر لهم فرص الاندماج، وأيضاً رفض الوطنيين المتأثرين بالثقافة الاستعمارية لهم بمشاركتهم في مقاومة الاستعمار، أو مزاملتهم على مقاعد الدراسة، وغير ذلك.

وتجدر الإشارة إلى أن اليد القذرة للاستعمار الهولندي لم تكن بعيدة عن هذا الصراع، بل عملت على تغذيته، وقد كانت لذلك تجليات، منها الدور الذي كان يلعبه (د. سنوك) وهو أكاديمي كبير، وقد تورط بعدائه المستنر للعرب بعامة وللحضارم بخاصة، وراح يكيد لهم لكونه مستشاراً للقيادة الهولندية في

إندونيسيا. يقول حامد قادري في كتابه "كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي"، ص14، نقلاً عن سارتونو: "إن سنوك كان متورطاً في السياسة الاستعمارية، وإنه كان يقوم بمهام سياسية، وحول دوره السياسي شرح بإسهاب رحلة سنوك إلى مكة، واعتناقه الإسلام، وزواجه من سيدة مسلمة، ومن سجلات الإرشيف وجدت معلومات تذكر أنه خلال وجوده في الأراضي المقدسة كان على سنوك مراقبة تحركات الحجاج البارزين القادمين من الهند الهولندية"، وفي ص15 يقول: "وحول الانتقادات التي وجهتها جامعة ليدين التي كان يتبعها سنوك، قال سارتونو، إن حدة تلك الانتقادات جعلت الناس يعتقدون أن هناك حركة تحطيم للأصنام أقوى من حركة 1566م؛ لأنها هذه المرة تحطم شخصيات مرموقة".

رابعاً: عن الاندماج والمشاركة في حرب الاستقلال. كانت اتجاهات الرأي العام وسط المهاجرين أواخر العشرينيات قد تحولت بعيداً عن المناكفات والصراع الدائر بين العلويين والإرشاديين، واشتد ميلهم للاندماج والذوبان وسط المحيط الإندونيسي، ولأن يلعبوا أدوارهم المطلوبة لإزالة أسباب الجفاء التي يبيدها قطاع واسع تجاه العرب، والحضارمة في مقدمتهم، وللمشاركة في مقاومة الاستعمار مع الإقدام على ذلك بمبادرات منظمة، ولذلك سعوا لعمل الآتي:

1- في العام 1930م أنشئ أول تجمع لأحفاد المهاجرين وأبنائهم عرف بـ"رابطة عرب إندونيسيا" وذلك كرد فعل رافض للصراع المفتعل، ورفضاً للتمييز الذي كانت تمارسه السلطات الهولندية ضد العرب، وقد كان متبني هذه الفكرة ومؤسس التجمع (عبد الرحمن العمودي)، ولكن هذه الفكرة لم تستطع إقناع الجيل الجديد، والتعبير عن أفكاره وتطلعاته لأسباب

عديدة، لعل أهمها أن قيادة التجمع لم تستطع التخلص من تأثير كبار من دعموا الفكرة، وبما كانوا مبتلين به من صراع علوي إرشادي.

2- في العام 1934م تأسس تجمع "اتحاد عرب إندونيسيا" على قاعدة الاعتراف بإندونيسيا (وطناً لأبناء العرب) وليس حضرموت أو مصر أو سوريا، وأن عليهم واجبات ولهم حقوق كباقي أبناء المجتمع⁽¹¹⁴⁾. "وربط الاتحاد نفسه بالحركات الوطنية الإندونيسية، وأصبح عضواً في المجلس الإسلامي الإندونيسي، وبقيام الاتحاد خرج الكثير من العرب من المجموعتين المتصارعتين، وانضموا إلى الاتحاد، وأسس الاتحاد فروعاً في كل المدن، وأصدر مجلة باسمه أسماها (التيار الحديث)، ثم في العام 1940م تحول إلى حزب، وطالب باستقلال إندونيسيا، وقد تعرض للإلغاء عندما ألغت اليابان بعد احتلالها إندونيسيا الأحزاب". ورغم أن الحكومة بعد الحرب العالمية الثانية طالبت الأحزاب بالعودة للعمل، فإن قيادة الحزب فضلت إبقاء الحزب ملغياً، خاصة أنها قد رأت الأحزاب الأخرى فتحت أبوابها للجميع، فشجعت أعضاء الحزب على الانخراط فيها كلٌ بحسب قناعاته وميوله.

3- تعددت أشكال المقاومة التي مارسها المهاجرون (سلمية/ آخذة بأسباب القوة)، وكان من أشكال المقاومة السلمية رفضهم مع الوطنيين الإندونيسيين التحاق أبناءهم بالمدارس الهولندية، سواء المخصصة للهولنديين، أو للوطنيين؛ لأن الأنظمة المكرسة فيها تنتم بطابع مسيحي بروتستانتي متعصب، وفضلوا تعليم أبناءهم في مدارس خاصة، كما أن من كان يدخل في تلك المدارس الهولندية لا يسلم من الممارسات العنصرية التي وصلت

(114) القادري، حامد، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي، ص17.

حد إيذاء من يرتدي الطربوش الأحمر لصلته بالجامعة الإسلامية والدولة العثمانية. وقد تأذى- على سبيل المثال- حامد القادري الذي كانت لأسرته دار سينما، وكانت لها علاقات مع بعض الهولنديين، ولكنها كانت تجاهر أيضاً بتأييدها لحركات المقاومة، بل سخرت دار السينما لاجتماعات الوطنيين. يقول آدم مالك في ص7 من كتاب حامد القادري – سابق – "وتجدر الإشارة إلى أن معظم المقاومة ضد الاستعمار كانت تحت قيادة المسلمين الذين شكلوا خطراً على سلامة الحكومة الاستعمارية التي مارست سياسة فرق تسد، ولكن تاريخ النضال الإندونيسي جاء بالإثباتات، والرد القاطع، وأثبت أن حركة أبناء العرب قد وجدت نفسها مع الحركات التحررية الإندونيسية، وفي مجال الدعوة الإسلامية كان العرب هم الرواد في شؤون التربية والتعليم، وتسيير دفة المدارس الإسلامية وهذا ما أزعج الاستعمار".

4- اشتهر العديد من مهاجريننا كقادة وطنيين إندونيسيين إبان فترة الكفاح، وحتى بعد الاستقلال، وكان منهم قادة في الحزب من أمثال (حامد القادري، وعبدالرحمن باسويدان، وحسين بافقيه)، حيث كانوا من أشهر قادة الكفاح من أجل الاستقلال جنباً إلى جنب مع إخوانهم الوطنيين، ولم تُعرف عنهم أصولهم العرقية، خاصة أن مبدأ الحزب الأساسي كان اعتبار إندونيسيا وطناً لهم، ثم لأنهم تأثروا بأفكار جمال الدين الأفغاني، وسعوا لنشر الأفكار الإسلامية الحديثة، وخاصة حسين بافقيه الذي كان يرأس تحرير صحيفة "التيار الحديث".

وقد ساعدهم أيضاً على تحقيق القبول لدى الإندونيسيين مقاومة الحزب وقضاؤه على (الربا) في الأوساط العربية، وكان من أقوى تجليات تلك

المقاومة إنتاجهم "مسرحية فاطمة" التي ألفها حسين بافقيه، وعرضت في سورابايا، وفي جاكرتا، وفي سمارانغ وغيرها، وانتقدت المعاملات الربوية عند العرب، ووصفتها بـ"الملعونة".

وقد لاقت استحساناً كبيراً في الصحافة الإندونيسية، حتى أن رئيس تحرير صحيفة "نور الشرق" (هارا هاب) قال عنها: "نقدم تقديرنا وتهانينا لمؤلف ومنفذي المسرحية، ونحن واثقون من أن كل من شاهدها سيكون مع رأينا في أنها انتقدت مجتمعها، وسيتعاطف معها الناس، وستحقق الهدف المنشود، وستلقى أفكارها التأييد الإندونيسي الكامل 100%".⁽¹¹⁵⁾ كما أيد هذا الرأي قائد إندونيسي وطني (راتولانفي) بقوله: "كل هذا قد يبدو غريباً، ولكنه مع ذلك مفهوم لنا لماذا استطاعت حركة عربية وبسرعة الانضمام إلى الحركات الوطنية الإندونيسية؛ لأنني واثق من أن ذلك ليس لكون العرب مسلمين فحسب، بل فقد أثبت التاريخ ما للعرب من دور في الكفاح ضد الهولنديين مُنذُ أمد بعيد وحتى في عهد ما قبل الاستقلال"⁽¹¹⁶⁾.

5- كان المجتمع الإندونيسي يراقب أداء الحزب ويتابعه باهتمام⁽¹¹⁷⁾، "وفي عام 1940/1939م ساند الحزب بكل قوة الحركة المطالبة ببرلمان لإندونيسيا من خلال اتحاد الأحزاب السياسية الإندونيسية". وحتى نتبين حجم تأثير الحزب يكفي أن نعرف أن حجم عضويته في جاكرتا وحدها بلغ حينها (12000 عضو). وقد كان ذلك رقماً كبيراً في حينه، ثم إنه عندما حل الحزب نفسه قال عنه (كي حجر ديوانتارا، وهو مناضل إندونيسي) "من الخطأ ضمهم مع تلك التجمعات التي تعرف بالأقليات، فهم لم يعزلوا

(115) القادري، حامد، المرجع السابق، ص21.

(116) القادري، حامد، المرجع السابق، ص21.

(117) القادري، حامد، المرجع السابق، ص119.

أنفسهم عن عامة القوم، بل ذابوا في مجتمعنا الوطني". ثم إن الحزب كان قد حقق انتشاراً مؤثراً في كل أرجاء إندونيسيا تقريباً، ومع ذلك حل نفسه.

6- شارك العديد من قادة المهاجرين في مفاوضات المائدة المستديرة عام 1949م، الساعية للاستقلال، وكان حامد القادري ضمن وفد الجمهورية، برئاسة محمد حتى، نائب رئيس الجمهورية، كما شارك (حامد القادري الثاني سلطان بونتيناك)، وهو عربي يمني لكنه كان محسوباً على الوطنيين الإندونيسيين، وقد مثل كل إندونيسيا عدا الأقاليم التابعة للحكم الجمهوري، كما وقع مع محمد حتى على كل أوراق اتفاقية المائدة المستديرة من جهة إندونيسيا. وقد مثل ذلك تأكيداً على أهمية دور أبناء العرب وتأثيرهم⁽¹¹⁸⁾. كما لعبوا دوراً محورياً من خلال الهيئة التأسيسية للجالية العربية التي ترأسها الشيخ محضار بن شيخ أبوبكر، وقد سعت إلى جلب التأييد العربي، وأفشلت محاولات هولندا لإرسال ممثلين عرب للأقلية العربية إلى مؤتمر المائدة المستديرة، وكان كلٌّ من حامد القادري، ويحيى العيدروس، وعبد القادر السقاف، ممول الحزب ومشجع تحديث التعليم، أعضاء في الوفد الذي زار الدول العربية ونال الاعتراف بالجمهورية الإندونيسية⁽¹¹⁹⁾.

7- نتج عن اعتراف الإندونيسيين بنضال مهاجريننا أن تم تعيين العديد منهم في البرلمان وفي الحكومة، وكان منهم حامد القادري الذي عين عضواً في البرلمان، وعبدالرحمن باسويدان نائباً لوزير الإعلام، ثم عضواً في الوفد الذي سافر إلى مصر للحصول على الاعتراف. ومع ذلك استمر نضالهم

(118) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 135.

(119) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 136.

ضد القوانين التي كانت تحد من اكتسابهم للجنسية، ومن ثم حقهم في الترشح والانتخاب حتى تمكنوا من تجاوز ذلك بتعديل التشريعات، وأضحوا مواطنين يتمتعون بكامل حقوق المواطنة⁽¹²⁰⁾. "وفي مارس 1956م وبعد الانتخابات كتبت هيئة مؤتمر الشعب الإندونيسي من أصل عربي رسالة إلى رئيس الوزراء، وقعها رئيس وسكرتير الهيئة السيدان حامد القادري وحسين بافقيه. أملين من الحكومة، بعد أن شاهدت نتائج الانتخابات العامة، أن العامة لم تنظر لهم، ولم تعاملهم كطبقة منفصلة، وأن عليها أن تحل مشكلتهم حالاً وذلك بإدراجهم رسمياً مع الأغلبية، بإلغاء كل القوانين والمعاملات التي مازالت تفرق بينهم، وبما يتفق مع إرادة الحكومة التي ترغب في إنهاء مسألة الأقليات في البنية الإندونيسية وخلق مجتمع متجانس". كما كان مما ساعد على تحقيق الاندماج وتذويب الفوارق بجانب ما سبق، إقبال المهاجرين على إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية، وكذلك العمل في الوظائف العامة، والاختلاط الاجتماعي، والتزواج، والتخلي عن التفكير التقليدي الديني، والتكيف مع العادات والتقاليد الإندونيسية غير المتعارضة مع الدين، وكل ذلك أسهم بتحقيق الاندماج واكتساب حقوق وواجبات المواطنة⁽¹²¹⁾. "ومُنذُ الاستقلال حتى العام 1980م كان هناك أربعة من العرب اعتبروا من رواد الاستقلال، وأصبح خمسة من العرب سفراء في الخارج. وفي العهد الجديد مُنذُ 1966م تقلد عدد كبير من العرب مناصب مهمة في الحكومة، إذا ما قورنوا بعددهم الكلي الذي كان قليلاً".

(120) القادري، حامد، المرجع السابق، ص143.

(121) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 148.

- 8- لدينا من رواد تحديث التعليم في إندونيسيا كلٌّ من:
- عوض شحبل، رئيس العرب في سورا كرتا، وهو مثالي ومؤسس المدرسة العربية الهولندية عام 1940/30م، وداع إلى تحديث التعليم.
 - عبدالله بن علوي العطاس من قادة حركة الجامعة الإسلامية، وأرسل أربعة من أولاده للدراسة في تركيا، توفي في 1928م.
 - عليم القادري، رئيس العرب في سوردان – جاوا الشرقية، عضو لجنة تأسيس مدرسة إسلامية للمعلمين، وعضو في "الاتحاد الإسلامي" في المؤتمر الذي عقد في سورابايا 1912م، ومن أهم الداعين إلى تحديث التعليم⁽¹²²⁾.
 - حسين بافقيه، رئيس تحرير صحيفة "التيار الحديث"، ومجدد الإسلام⁽¹²³⁾.
 - عبد الرحمن باسويدان، مؤسس "حزب عرب إندونيسيا"، ورائد من رواد الاستقلال⁽¹²⁴⁾.
 - عبد القادر السقاف، أحد قادة "حزب عرب إندونيسيا"، مشجع تحديث التعليم، وممول الحزب⁽¹²⁵⁾.
 - عبدالله باحشوان، مشجع تحديث التعليم، مؤسس "المدرسة العربية الهولندية" في جاكرتا عام 1950م⁽¹²⁶⁾.
 - أبوبكر شهاب، مشجع تحديث التعليم في سورابايا⁽¹²⁷⁾.

(122) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 114.

(123) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 122.

(124) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 132.

(125) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 137.

(126) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 140.

(127) القادري، حامد، المرجع السابق، ص 142.

كما ألف العديد من المهاجرين الكتب التاريخية عن دور المهاجرين في بلد المهجر، ومنهم حامد القادري، فريد العطاس، وعمر فاروق باجنيد، والشيخ عمر بن عبد الخطيب، وغيرهم(128).

4- تركيا:

كانت فيها حاضرة الدولة العثمانية (دولة الخلافة الإسلامية كما يسميها البعض)، لكنها لم تكن قبلة للمهاجرين والمغتربين اليمنيين. ومع ذلك، ونتيجة لارتباط اليمن بعلاقة تبعية بهذه الدولة، ونشوء علاقات إدارية، وبعض علاقات اجتماعية، ولغيرها من الأسباب، فقد هاجر إليها المئات من اليمنيين، وكان من بينهم العالم المجتهد (علي علوي السقاف) صاحب الحاشية على كتاب "فتح المعين في فقه أحكام الدين" الذي يعد من أهم متون الفقه في مدارس اليمن(129)، وكان معه زوجته آمنة بنت محمد بن حسين بن عبدالله الحبشي، التي تمتعت بعقل مستنير، وعلم غزير اكتسبته في مسقط رأسها سيئون، وعرفت بسعة اطلاعها وشغفها بالقراءة وحلقات العلم.

وإذا كان زوجها وولدها قد جمعا بين العمل والتعليم، فإنها تفرغت لتعليم وتوجيه فتيات تركيا، وفق تعليم ديني يلائم معتقداتها، وقد تمكنت من التأثير على آلاف من الفتيات التركيات، وقد استمرت تزاوّل عملها حتى توفاهما الأجل قبل نهاية الحرب العالمية الأولى، حيث دفنت في إسطنبول، بعد أن عادت من رحلتها إلى اليمن برفقة زوجها، الذي توفاه الله في مدينة الحوطة، حاضرة السلطنة العبدلية.

(128) (أ. د. صالح باصرة – ندوة المغتربين – سابق).

(129) د. عبدالولي الشميري – سابق – ص 6.

ج. أوروبا – بريطانيا أنموذجاً:

مثلت هجرة واغتراب اليمنيين إلى بريطانيا طلائع الهجرة العربية في التاريخ المعاصر، حيث كانوا أول المهاجرين إليها¹³⁰. وفي الحربين العالميتين الأولى والثانية برزت بعض ملامح تأثيرهم بما لعبوه من أدوار لوجستية ضمن البحرية الملكية البريطانية، حيث قتل منهم في الحرب العالمية الأولى الكثير، وفي الحرب الثانية قرابة ثلاثة آلاف، واكتسبوا الجنسية البريطانية، وخلدت تضحياتهم بنصب تذكاري في (ساوث شيلد).

وتمكنوا من تنظيم أنفسهم باتحاد العمال العرب (ذي الهوية الناصرية بحسب وثائقي الجزيرة)، ثم باتحاد العمال اليمني عام 1957م.

- أسسوا نادياً رياضياً في برمنجهام، كما برز من الرياضيين اليمنيين هناك الملاكم نسيم حميد.

- أسسوا إذاعة محلية في شيفلد تبت برامجها باللغة العربية، وتهتم ببث برامج موجهة للمرأة وقضاياها، وإبراز دور اليمنيين في بناء بريطانيا.

- أسسوا "جمعية هلين تراست الخيرية"، وهي تقدم خدماتها لمن يعانون من أمراض مزمنة ودائمة وترعاهم، كمرضى السرطان، كما يقدمون مساعدات خيرية عبر منظمات، منها "تي، أي، إتش"، و"هيومانتريان فورام، ومرسيكول".

- أسسوا جمعيات للجالية اليمنية في مدن عدة، منها ساندي وويل، وبرمنجهام، وليفربول وغيرها. (وثائقي الجزيرة).

(130) (بحسب وثائقي الجزيرة).

ملاحم من تأثير الشهيد عبدالله علي الحكيمي 1900 - 1954م

على الرغم من أنه لم تتح له ظروفه الخاصة وظروف الوطن فرص تلقي العلوم الحديثة، وفرص التأهيل العالي، وبرغم محدودية ما تلقاه من علوم دينية، فإنه تمكن بفضل ذكائه وأمعيته من أن يعي بؤس الواقع ومظالم الحاكمين، ولم يسمح لليأس بأن يتسرب إلى وجدانه، بل اتخذ من المقاومة مركباً. وسأكتفي هنا ببعض إشارات تبرز عظم تأثيره المتعدد الجوانب، التي كان من نتائجها استمرار التآمر عليه حتى استشهاده، كما يلي:

1- بحكم تنشئته الاجتماعية وما تلقاه من تعليم أولي ذي صبغة دينية نشأ متمرداً على واقع البؤس ومن تسببوا فيه، وعلى الرغم من التحاقه بـ"الجيش العربي في عدن" تحت القيادة البريطانية وترقيته (ضابطاً) وهو ما كان يتيح له فرص العيش الأفضل، فقد ظل معارضاً لأنظمة الحكم، وللوجود البريطاني. ولذلك ترك الجيش، والتحق بالعمل بحاراً على سفينة فرنسية، واستقر لفترة في الجزائر، متلمذاً على يد الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي، متشرباً للعلوم الدينية الصوفية، ومقتفياً الآراء الاجتهادية للشيخ جمال الدين الأفغاني.

2- تنقل في العديد من الدول الأوروبية، منها فرنسا، وبلجيكا، وهولندا، وأسس في كلٍ منها "الجمعية الإسلامية"، وكان ناشطاً وسط الجاليات العربية والإسلامية، داعياً للاتحاد، ومعبراً عن مأساة شعبه، وساعياً لحل مشاكلهم وتعزيز هويتهم الثقافية الإسلامية.

ثم انتقل إلى بريطانيا وصنع فيها كصنيعه في سابقاتها من دول أوروبا. بل إنه أسس فيها مدرسة، وبنى مسجداً، وخصص مقبرة لموتى المسلمين، وافتتح العديد من الفروع لـ"الجمعية الإسلامية" في بريطانيا.

كان تأثيره واضحاً، حتى أنه عندما افتتح مسجد "نور الإسلام" افتتحه بحضور كبير شمل سفراء الدول العربية والإسلامية.

وفي مرحلة لاحقة بعد عودته من اليمن عام 1946م افتتح مطبعة، وأصدر جريدة "السلام" عقب فشل ثورة الدستوريين عام 1948م.

3- نتيجة نشاطه المتزايد تعرض لمحاولة اغتيال بتدبير الإمام وتواطؤ بريطانيا، وقُتل فيها سكرتيره (حسن شير)، ولم يفت ذلك في عضده بل استمر بدعوته للحوار المسيحي الإسلامي، وكان ذلك مبعث ضيق لبريطانيا، وأصدر كتابين يحملان أفكاره ورؤاه على هذا الصعيد، هما "دين الله واحد، والأسئلة والأجوبة بين المسيحية والإسلام"⁽¹³¹⁾.

4- لم يحصر اهتماماته بنشر الدعوة والنشاط في "الجمعية الإسلامية" وغيرها من المناشط في بريطانيا وأوروبا، بل كان همه الأساس معاناة شعبه وأمتة، وظل داعياً ومحرضاً، سواء أثناء هجرته واغترابه أو أثناء عودته ووجوده في اليمن، وحتى تأسيس "حزب الأحرار" في عدن، كما أصدر كتاباً بعنوان "دعوة الأحرار"، وبعدها فشلت ثورة 1948م واصل دفاعه عن اليمن وقضية شعبه وعن الأحرار، وأصدر صحيفة "السلام"، وأرسل طلاباً للدراسة في الأزهر، ثم لبي نداء الوطن واستغاثة المعارضة، وعاد إلى اليمن بعد قيام ثورة يوليو 1952م في مصر. وعلى الرغم من التأمير عليه مجدداً من الإمام والإنجليز، ومحاكمته الجائرة وسجنه، فقد خرج من السجن وترأس "الاتحاد اليمني" حتى اغتيل بالسم بعد أن أعجز بريطانيا والإمامة عن مواجهة عناده وكفاحه الراض لسياستهما، وذلك في 1954/8/4م.

(131) الشميري، عبد الولي، من أعلام الاغتراب اليمني، ص12.

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه رغم عدم توافر بيانات كافية عن المدارس اليمنية وما تعكسه من تأثير في البيئة البريطانية، وعدم فرز المدارس المتميزة الثمان المشار إليها بعاليه، فإن التصنيف الحكومي البريطاني يعطي شهادات موضوعية على جودة الخدمات التعليمية المقدمة عبر تلك المدارس، بغض النظر عما إذا كان جميعها يمنية الهوى والهوية، أو بعضها على الأقل، وهي شهادات معطاة بمقاييس جودة التعليم البريطاني الذي يُعد التعليم "استثماراً لا خدمة". ولئن كان لنا أن نفخر، فهو فخر مستحق، وإن كان مبنياً على جهود فردية ومؤقتة، أو جاء اقتفاء لنمط تربوي غير وطني لكنه محكوم بفلسفة تربوية، تنافس مهاجرونا مع غيرهم، وأكدوا قدرتهم على التفوق والتأثير.

وملاحظة أخيرة جديرة بالاهتمام، وإن لم تكن مرتبطة فقط بما أردناه من قياس الأثر على مستوى بريطانيا، بل تكاد تشمل حركة الهجرة والاعتراب اليمني إلى مختلف الجهات، وتتمثل بصبغ وتأطير ما أنشأوا من مؤسسات وكيانات (بالصبغة العربية)، وهو أمر يعكس تأثرهم بالحراك السياسي والثقافي الذي ساد في المنطقة العربية انتصاراً للفكرة القومية بمواجهة الفكر الأخرى التي كانت تعتمل داخل المنطقة بما تفرضه من صراعات ثانوية ظلت تحكم العلاقات بين الفرقاء، وذلك ما سنلمسه أيضاً عند الحديث عن الأثر في مناطق أخرى مختلفة.

ورد في صورة جدول عن مدارس الجاليات اليمنية في بلدان المهج⁽¹³²⁾ ما يفيد بوجود تسع مدارس، بينها "مدرسة معاذ الخيرية" في برمنجهام التي يدرس فيها المراحل الأساسية والثانوية، وتعتمد المنهج اليمني كاملاً، ويبلغ عدد طلابها بين (400 إلى 500 طالب وطالبة). وإني لعلّي ثقة أن هذه المدرسة

(132) الصلوي، وثيقة غير منشورة، المرجع السابق.

وغيرها التي تتخذ المنهج اليمني طريقاً للتربية لا يمكن لأيٍ منها أن تنافس مثيلاتها المعتمدة المنهج البريطاني. ولا أقول ذلك انتقاصاً بل اعترافاً بقصور مؤلم لأننا نقدم خدمة، والبريطانيون يقدمون استثماراً؛ لأن تعليمهم محكوم بفلسفة تربوية يعلمون مقاصدها، ويسعون لتحقيق تلك المقاصد والغايات، والتعديل عندهم وارد في وسائل ووسائط التربية، ونحن لا نمتلك ذلك، بل لم نتفق بعد على أهمية إنتاج الفلسفة الوطنية المنشودة، ولم نوفر الإمكانيات اللازمة لها، ولم نهيئ المؤسسات المنوطة بتحقيق غاياتها ومقاصدها. أما بقية المدارس فتتوزع على النحو الآتي، (مع ملاحظة أنها جميعاً تقدم ثلاث مواد باللغة العربية، وبقية المواد بالمنهج البريطاني):

- "مدرسة الأنصار" في برمنجهام (أساسية): ويبلغ عدد طلابها بين (150 - 200 طالب وطالبة).

- "مدرسة الجالية اليمنية" – ليفربول – أساسية: ويبلغ عدد طلابها بين (150 - 200 طالب وطالبة).

- "مدرسة الجالية اليمنية" – شيفلد - أساسية: ويبلغ عدد طلابها بين (300 - 400 طالب وطالبة).

- "مدرسة الجالية اليمنية" – كارديف- أساسية: ويبلغ عدد طلابها بين (350 - 400 طالب وطالبة).

- أربع مدارس أخرى لم أتبين مواقعها بدقة؛ (لأن صورة الكشف غير واضحة) وإن كانت جميعها مدارس أساسية (9:1)، ويبلغ عدد الطلاب بين (1000 - 1200 طالب وطالبة).

- ثلاث مدارس في لندن وليفربول (الفارابي)، وفي ساوث شيلد – مدارس أساسية – عدد الطلاب في المدارس الثلاث (800 - 1050 طالباً وطالبة).

- كما اشتمل الجدول على بيانات تفيد بوجود أربع مدارس في الولايات المتحدة في ديترويت، ونيويورك، ونيوكاسل، وجميعها أساسية (1:6)، وتعتمد المنهج الأمريكي، مع تقديم ثلاث مواد باللغة العربية، ويبلغ عدد الطلاب في المدارس الأربع (1100 - 1300 طالب وطالبة). وليس لديّ شك في أن تجارب هذه المدارس إيجابية، وتستحق الدراسة والتوثيق والمتابعة والدعم والتوجيه؛ لأنه تعليم محكوم، شأنه شأن التعليم في الدول المتقدمة، وينتمي لمجتمع يوفر بيئة حاضنة للمعرفة وإنتاجها أيضاً.

- (وتجدر الإشارة إلى إن الجدول المذكور الذي تفضل به الأستاذ العزي لم يبين مصدر المعلومات السابقة رغم أهميتها وحاجتها للتوثيق، وحاجة المدارس للمتابعة والاستطلاع، وجمع بيانات أكثر عن كلٍّ منها، تسهياً لتقييم تلك التجارب وبيان أثار كلٍّ منها).

ثانياً: تأهيل المهاجرين:

لم أجد على مستوى مواطن الهجرة والاعتراب بشكل عام أي بيانات أو معلومات حول هذا الأمر تبين وجود فرص للمتخرجين من التعليم الثانوي العام، تمكنهم من الالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا عبر منح تقدمها اليمن، سواء أكانت من منح التبادل الثقافي مع الدول الأخرى، أم منح ومقاعد إلى الجامعات اليمنية في الداخل، باستثناء ما ذكره تقرير وفد زار مدرسة الجالية بجيبوتي، (أشرت له في موضع سابق).

ويبقى التفسير الأقرب لهذا الأمر أن التدخل الرسمي للدولة اليمنية، (بما أنه غير موثق)، غير موجود إلا في حالات نادرة سائبينها تالياً، وأن الحالة العامة لمواجهة هذا الاحتياج تعتمد بشكل أساسي على دعم المغتربين والمهاجرين، سواء بشكل شخصي، أو عبر جمعيات وعلاقات أخرى.

- في كتاب "من الثورة إلى الوحدة"⁽¹³³⁾، وجدت جدولاً يبين المنح والمقاعد الجامعية المخصصة لأبناء المغتربين للعام 2001/2002م، ولم يبين هل هي معتمدة كمنح رسمية من اليمن، أم غير رسمية من الدول التي قدمتها، كما لم يبين ما إذا كانت هناك منح سابقة أو لاحقة، أو مقاعد جامعية.. إلخ. أوجزها في الآتي:

1 – منح

أ – المملكة العربية السعودية 40 منحة.

ب – المغرب 10 منح.

ج – تونس 10 منح.

د – الجزائر منحة واحدة.

2 - مقاعد جامعية:

أ- ألمانيا 100 مقعد.

ب- الأردن 40 مقعداً.

ج - الإمارات 20 مقعداً.

د - قطر 10 مقاعد (بنظر السفارة).

هـ - أثيوبيا 8 مقاعد (بنظر السفارة).

3- داخلياً: جامعة الملكة أروى – صنعاء – 10 مقاعد. (بنظر وزارة المغتربين).

كما برر الكاتب⁽¹³⁴⁾ وجود عوائق حالت دون استفادة أبناء المغتربين في الخارج من المنح الجامعية الخارجية السنوية؛ بسبب اشتراط النسبة المئوية في

(133) عبدالرشيد، إبراهيم، كتاب من الثورة إلى الوحدة، ص66.

(134) عبدالرشيد، إبراهيم، المرجع نفسه، ص 64، 65.

شهادة الثانوية العامة، وعدم مراعاة اختلاف النظم التعليمية من بلد إلى آخر. (وهو عذر لا أراه منطقيًا ومبررًا).

وفيما يتعلق بالالتحاق بالجامعات في اليمن، فقد ذكر الكاتب العديد من الأسباب، لعل من أهمها: فقدان الوثائق السابقة، وخاصة في حالات العودة القسرية، واشتراط استيفاء خدمة الدفاع الوطني، واشتراط استيفاء النسبة المئوية المطلوبة للالتحاق بأي كلية، وصعوبة إرسال الفتيات من بنات المغتربين لمواصلة التعليم داخل الوطن، واشتراط تسديد رسوم بمبالغ كبيرة بالعملة الأجنبية، وعدم قدرة الكثير من أولياء الأمور من المغتربين على تحمل أعباء نفقات الإقامة والرسوم لأبنائهم في الجامعات الحكومية أو الخاصة داخل الوطن.

مما سبق، نستدل على إهمال السلطة ووزارة شؤون المغتربين في رعاية أبناء المغتربين فيما يتصل بهذا الأمر، رغم أنه همّ قديم، حتى أن المؤتمر الثاني للمغتربين – صنعاء 1982م، كان قد أوصى في توصيته التاسعة بالقول: "منح الأولوية في المنح الجامعية المقدمة من البلدان الشقيقة والصديقة لأبناء المغتربين، وفي البند العاشر: "تكثيف وتطوير إنشاء معاهد التدريب المهني لرفع مستوى العمالة اليمنية"، ولم يتحقق من ذلك شيء (135).

في الوقت الذي كان يمكن فيه تخصيص نسبة معينة من إجمالي المنح الخارجية، ونسبة أخرى من المنح الداخلية، لأبناء المغتربين وفق قواعد وشروط خاصة تستثني الشروط التي يخضع لها المتنافسون من طلبة الداخل، أو بعضها على الأقل.

(135) عبدالرشيد، المرجع السابق، ص 143.

ثالثاً: إسهامات المهاجرين التعليمية ودورهم في تنوير المجتمع

أ. في الجانب التعليمي قبل ثورة 26 سبتمبر و14 أكتوبر

لم يبخل المهاجرون والمغتربون، سواء على مجتمعاتهم المحلية، أو مجتمعهم الوطني، بمد يد العون للخلاص من الواقع المؤلم الذي أكره المجتمع على أن يتعايش معه؛ وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها أنهم عانوا من تدني مستويات تأهيلهم قبل الهجرة والاعتراب، وقد انعكست معاناتهم تلك في صور عدة، منها محدودية الفرص التي تتاح أمامهم للعمل والكسب بما يرتبط بها من تدني مستوى ناتج مقايضة جهدهم وعملهم، ثم من صعوبة تكيفهم في أوساط اجتماعية محكومة بثقافات ولغات لم يعدوا لها، ولم يألفوها وينشؤوا عليها، ولم يؤهلوا لها بما يعكسه حرمانهم من استغلال فرص للتكسب نتيجة ذلك، ونتيجة قوانين وشروط سائدة للتنافس عليها. وقد رأينا فيما سبق عرضه بعض صور من ذلك في إندونيسيا وما جاورها، وفي بريطانيا التي على الرغم من اكتسابهم لجنسيتها، وتضحياتهم في الحرب العالمية الأولى، فقد رأينا كيف أن المجتمع والسلطات واجهوا احتجاجاتهم في عامي 1919/1930م بمستويات من القوة والعنف وصلت حد سجن المئات منهم، وترحيل مئات آخرين إلى عدن.

ثم إن من اهتماماتهم تلك أيضاً أن الكثير منهم تركوا في الداخل الوطني أبناءهم وإخوانهم وأقاربهم الذين، وإن شكلوا أسباباً للغربة والهجرة، من حيث رغبتهم بتحسين معيشتهم وتأهيلهم، فقد شكل حرصهم هذا دافعاً إضافياً للتصبر على ما يقاسونه في غربتهم، وأملاً بالخلاص، حتى تحول ذلك لدى كثيرين منهم إلى واجب جهادي يتجاوز حدود واجبه تجاه أبنائهم وأقاربهم، وأضحى واجباً وطنياً.

كما كانت ترجع اهتماماتهم تلك إلى تأثيرهم بما لأمسوه من تطور في مهاجرهم ومواطن اغترابهم، وإدراكهم لأهمية التعليم ودوره في إحداث التغيير في مجرى حياة المجتمع، والتغيرات لدى الأفراد والجماعات، وبالتالي إيمانهم بأن مستقبل أبنائهم ومجتمعهم مرهون بأخذهم بأسباب النهوض، والتعليم وسيلته ومدخله؛ ولذلك أخذت مبادراتهم تنرى وتتعدد، وكان منها:

1- على مستوى بناء مؤسسات التعليم، وجدنا نماذج لذلك في حضرموت وفي عدن، أخذاً بنسق التعليم الحديث، وإن كان في حدود ضيقة، كما وجدنا ذلك في بناء المنات من مدارس التعليم الأولي التي تناثرت في الريف اليمني بشماله وجنوبه. ويبقى علينا ونحن نقترّب من هذه التجربة، (التي وإن وجد بعضنا عليها مآخذ معينة)، أن نراعي اعتبارات عدة عوامل، من أهمها:

1-1 تدني مستوى تأهيل مهاجريننا ومغتربيننا، وانعكاس ذلك على تمسك بعضهم بعقائدهم، وثقافتهم، ورغبتهم بتنشئة الأبناء تنشئة تقليدية تركز أولاً على التعليم الأولي بدرجة أساسية. وقد رأينا نماذج منها انتشرت في بريطانيا وإندونيسيا.

1-2 إيمانهم بتأهيل الأبناء في مؤسسات تعليمية حديثة كان يحول دونه العديد من المعوقات التي لم يكن بإمكانهم تجاوزها، وفي مقدمتها تحكم السلطات الحاكمة في الشمال والجنوب برسم السياسات التعليمية الضامنة لتدجين التعليم المؤمن لمصالحهم وبقائهم، وقد رأينا بما أتاحوه كيف أنهم لم يهتموا بتوافقه مع مصالح المجتمع واحتياجاته، وبالتالي فإن إكراه تلك السلطات والأنظمة لم يكن بمقدورهم ممارسته وفرضه. كما رأينا مما سبق عرضه أن المهاجرين والمغتربين في الوقت الذي

تمكنوا فيه من بناء مدارس حديثة في عدن وحضرموت، لم يكن متاحاً لهم مثل ذلك في شمال الوطن.

1-3 نظرتهم لأهمية التعليم ودوره في التغيير، وتوجيه اهتماماتهم نحوه، ظلت أسيرة لقدرتهم على التوافق في الأهداف (بمواطن الهجرة والاعتراب)، أما أن يأخذ هذا الأمر بعداً أكبر من ذلك فقد كان فوق مستوى طاقتهم ووعيهم، ولذلك رأينا كيف حصر المقعدون من أبناء حضرموت اهتماماتهم تلك على مستوى حضرموت، ولم يمدوها إلى خارج ذلك النطاق الجغرافي.

1-4 كما رأينا الآلاف من المهاجرين والمغتربين يصرون على استمرار تأهيل أبنائهم حتى لو استدعى الأمر انتزاع أطفالهم من عالمهم الأسري المستقر، والدفع بهم لغربة- (حتى وإن كانت وطنية بإرسالهم إلى عدن لتلقي العلم)- لم يؤهلوا لها، وكانت فوق طاقة احتمالهم وتقبلهم، لكنها الضرورة المحكومة بالحاجة، وقد بنيت هذه القناعة أيضاً على قاعدة أولوية تأهيلهم بمعلمة الريف. ولقد كانت هذه التجربة – على الرغم من جوانبها الإنسانية المؤلمة – مثمرة وإيجابية، وأسهمت في تأهيل الآلاف (في تلك الفترة وما تلاها) بمستويات مختلفة مجدية ونافعة، مكنت الكثير منهم من مواصلة تأهيلهم، سواء قبل ثورة سبتمبر وأكتوبر أو بعد ذلك، ومكنت الكثير منهم من لعب أدوار وطنية مؤثرة.

1-5 كان عليهم المواءمة بين اهتماماتهم الكثيرة – خاصة وعامة –، ولئن شكل التعليم أحد مظاهرها فقد كان الهم الوطني العام المتمثل في دعم وإسناد المعارضة مظهرها الأبرز والأحق بالرعاية، وبالتالي فقد كانت إسهاماتهم على هذا الصعيد أوضح وأدعى للتضحية، مع ملاحظة أن

هذا الهم العام لم يكن محل اهتمام عشرات الآلاف منهم في مختلف مواطن الهجرة والاعتراب، وخاصة في شرق آسيا وبعض دول الجوار. ومع ذلك أثمر في محاولات التغيير التي تمت، والتي كان من أهمها حركة 48م، وثورة 62م، وثورة أكتوبر 63م، وما أعقب ذلك من تحديث للتعليم.

2- في سبيل تعليم وتأهيل الأبناء عانى الآلاف منهم نتيجة انتزاعهم من وسطهم الأسري في سن الطفولة، وهي سن كانوا أحوج ما يكونون فيها لرعاية وتوجيه الآباء والأمهات والأسر، وهي سن لم يتمكن فيها أي منهم من امتلاك سياجه القيمي المناسب، ولا القدرات العقلية والنفسية التي تمكنه من تقبل الافتراق عن وسطه الأسري، وتؤكد استعداده للتكيف مع أوساط اجتماعية جديدة مدخلها الاعتماد على النفس (وإن بمستويات متفاوتة)، يفرض ألفتها النوعية أو غربتها الوسط الأسري الجديد الذي قُدر عليه الاندماج فيه. وهو وسط موصول ببيئة اجتماعية جديدة مليئة بعبادات وتقاليد وأنماط سلوك وقيم لم يألّف أغلبها من قبل، من تلك التي تميز المجتمع الحضري عن الريفي. كما عانى الآباء والأمهات من لوعات الفراق المسكونة بالخشية على بنينهم مما قد يواجهونه من مصاعب، ومتاعب، وحرمان عاطفي نتيجة (الفرقة) التي تأتي بدون مقدمات، عدا اتخاذ مماثلة الأقران حجة ودافعاً. لكن حرصهم على تأهيل أبنائهم كان كافياً لتهون دونه التضحيات، وتسقط معه كل الموانع.

ولقد ساعد الأبناء على التكيف والاندماج شعورهم بألفة من تعايشوا معهم – أسراً وأقارب وأقراناً – في وسط اجتماعي تسوده ثقافة مجتمعية تقليدية في أغلبها الأعم، ولم يجدوا صعوبة في تقبلها وتمثلها، كما أن الدافع

الذاتي للتعلم كان الحادي لتحقيق الرضا الأسري من جهة، وتأكيد قدرته على منافسة الأقران وتحقيق الرضا النفسي عن الذات، وكان ذلك مما يخفف من لوعات الفرقة وتدفق موجات الحنين للأسرة ومراتع الصبا، والرغبة في التواصل مع من خلفوهم من الإخوة والأقران، مع الفوز بفرص استعراض ما اكتسبوه من معارف وأنماط سلوك وتقاليد يؤكدون بها تميزهم.

ولقد استمرت تلك المعاناة، وشملت أجيالاً متعاقبة، امتد سقفها الزمني حتى بعد قيام ثورتي سبتمبر وأكتوبر.

ولئن كانت الوجهة قبل ثورة سبتمبر عدن في الأغلب الأعم، لما تتيحه من فرص التعليم الحديث، فقد تعددت المدن التي شكلت مقاصد للفوز بفرص التأهيل، ومنها تعز، وصنعاء، والحديدة، ومدن أخرى عديدة في شمال الوطن وجنوبه، وذلك بحسب توفر فرص التأهيل فيها، وممكّنات المعيشة لهم ولأسرهم ومعيّليهم، وذلك قبل انتشار المدارس الحديثة في مختلف المناطق والأرياف، وبمستوياتها وأنواعها المتعددة المليئة بالحاجة، والمتناسبة مع القدرة.

3- فيما يتعلق بالتأهيل العالي وإرسال البعثات وتمويلها، فلقد كان موضع اهتمام البعض، كما قدمت لذلك سابقاً، سواء على مستوى مواطن الهجرة والاعتراب، أو على مستوى الداخل اليمني، حيث كان أمراً مفروغاً منه.

ولقد تباينت اهتماماتهم في هذا الشأن، فمنهم من حصره بتأهيل أبنائه وأقربائه، ومنهم من رفع سقف اهتمامه، ووسع دائرة طموحه، وساعد على ابتعاث بعض ممن لم تمكنهم إمكانات أهلهم، سواء بإمكاناته الذاتية، أو بما أتاحتها علاقته، أو بجهد جمعي عبر جمعيات ونوادٍ ناشطة ملكت علاقات

مع أنظمة سياسية، ومؤسسات تأهيل، فتمكنوا من ابتعاث من استطاعوا تمكينهم من الدراسة الجامعية والعليا.

ولعل من المفيد هنا التذكير بأن هذا النشاط، وإن بدأ متأخراً لأسباب بينها سابقاً، ومنها عدم انتشار التعليم الثانوي الحديث إلا مُنذُ أربعينيات القرن العشرين وما تلاه، فقد عرضت أيضاً بعض بيانات أكدت على استفادة المئات من الطلاب من فرص الدراسات الجامعية، سواء على مستوى الشمال أو الجنوب، وبينت أن أغلب المستفيدين تمكنوا من مواصلة تأهيلهم على حساب أهاليهم، أو بمساعدة بعض المانحين في العراق، وسوريا، ومصر عبر بعثات تمت من بريطانيا إلى الأزهر، ومن السودان، وأثيوبيا، وأسمر، وإندونيسيا إلى دول عربية مختلفة. وأشرت إلى بعثات تمت من لحج وسلطنات شرق اليمن إلى دول مختلفة، عدا من تم ابتعاثهم على حساب سلطات صنعاء وعدن (وكانوا أقلية على كل حال).

ولقد كان من ثمرات تلك الجهود ما جسده نجاحات المئات منهم بعد عودتهم إلى أرض الوطن بإسهاماتهم النوعية التي تركت آثارها في مختلف مجالات حياة المجتمع عبر أدوارهم الرسمية، ومبادراتهم الذاتية المجتمعية المختلفة التي أسهمت في تغيير الثقافة، وإعادة تشكيل اهتمامات الرأي العام.

ولئن كان من الصعوبة بمكان ذكر الجميع لأسباب عدة، إلا أنني سأعمد إلى ذكر بعضهم ممن بلغوا من الشهرة حداً لا يمكن إنكاره، ومنهم: أحمد محمد نعمان، محمد سالم البيحاني، محمد محمود الزبير، محمد عبده غانم، محمد علي لقمان – د. محمد سعيد العطار – أحمد عبده سعيد صالح – عبد الغني علي أحمد ناجي – د. عبد العزيز السقاف – د. محمد

أنعم غالب – أ. محمد أحمد عبد الولي – د. أمين أحمد عبده ناشر – عبد الغني عبد القادر الشيباني – د. أحمد قائد الصائدي – د. عبد الملك محمد عبد الله – م. أحمد عبدالعزيز سماره – أ. عبدالجبار هايل سعيد – أ. عبدالرحمن هايل سعيد – أ. محمد عبده سعيد أنعم – م. عبدالرحمن سعيد أحمد ناجي – د. محمد قائد الأغبري – أ. علوان سعيد محمد الشيباني - أ. عبده نعمان عطاء – أ. سلطان ناجي – أ. عيسى محمد سيف – د. عبدالحافظ نعمان الحكيمي – أ. محمد أحمد نعمان – أ. عمر الوصابي. أ. عبد العزيز عبدالغني صالح. وغيرهم كثير مما لا يتسع المجال لذكرهم في هذا الحيز المتاح.

كما أن هناك المئات- إن لم يكونوا أكثر- ممن استفادوا من المنح المقدمة عبر حكومتي الثورة في صنعاء وعدن، وجاءت استفادتهم استكمالاً لما بدأه أهاليهم من المهاجرين والمغتربين، أو ممن عادوا بعد اغترابهم إلى أرض الوطن للمشاركة في الحياة العامة، وعمدوا إلى الاستمرار في تأهيل أبنائهم بما مكنهم من الاستفادة من المنح المقدمة عبر صنعاء وعدن، وعادوا بعد تخرجهم للمشاركة في الحياة العامة، ولم تخلُ ممارساتهم، وانشغالاتهم من تأثير، حتى غدا العديد منهم قادة وعناوين نجاح لمن تأثروا بأدائهم وصنيعهم، سواء منهم من قضى نحبه أو ممن ينتظر.

كما أن هناك المئات من الكوادر التي أتمت تأهيل نفسها بجهود أهلها ودعمهم بمستويات متفاوتة في مختلف بلدان الاغتراب والهجرة، وعندما قامت ثورة سبتمبر 62م عاد الكثير منهم تلبية لنداء الواجب، وسعيًا للإسهام بالممكن من الجهد في إطار ما أعدوا أنفسهم من أجله، مسهمين بالدفاع عن الثورة، وفي

تحديث أجهزة الإدارة بما كان متاحاً، ولم تخلُ جهودهم من آثار على صعيد مهن احترفوها، أو على صعيد التأثير في ثقافة المجتمع.

كما أسهم المهاجرون والمغتربون في بناء المدارس، وإنشاء الدويلات في الشرق اليمني حضرموت، فقد أقاموا الجمعيات المختلفة، وأسسوا الأندية، ومنها "نادي الشباب" في سيئون 1938م، و"نادي الإصلاح" في القطن، و"نادي الإصلاح" في المكلا 1940م، وتأسست نوادٍ للتلاميذ، ومنها "نادي الشبيبة المتحدة" التابع لـ"جمعية الأخوة والمعونة" 1932م، و"جمعية اتحاد التلاميذ الأدبية" عام 1940م.

كما أن أدوارهم في إنشاء السلطنتين القعيطية والكثيرية، ودولة مدينة الغرفة وتنمية المنطقة، سواء بالتعليم أو بمختلف المشاريع الأخرى ذات الارتباط بالبنية التحتية، لا يستهان بها، وتستحق توجيه الجهود لمزيد من البحث والدراسة والتوثيق والتقييم، وكذلك لدراسة الآثار السلبية التي نجمت عن الهجرة والاعتراب، سواء على صعيد تفشي الثقافة الاستهلاكية المبنية على تحويلات المهاجرين والمغتربين، وصرفت قوى العمل عن ممارسة أنشطتهم اعتماداً على تحويلات أهاليهم، أو على صعيد إهمال الأرض وما يرتبط بها من أنشطة مصاحبة، أو على صعيد تأثير عدم التأهيل للشباب وغير ذلك.

ب- دور المهاجرين بعد ثورتي سبتمبر 1962م وأكتوبر 1963م

كان لقيام ثورة 26 سبتمبر 62م أثر إيجابي كبير لدى المغتربين والمهاجرين، حيث ضاعف من حماسهم، وإصرارهم على دعمها والدفاع عنها للحيلولة دون انتكاستها؛ لأن بعضاً منهم كانوا من قيادات المعارضة ومحسوبيين عليها. كما عرفنا أن انتكاسة حركة 1948م لم تفت في عضدهم بقدر ما شكلت تحدياً لإرادتهم، وضاعفت من إيمانهم بأهمية التغيير، ومن شعورهم بالمسؤولية

الوطنية، ثم إنهم مارسوا دورهم بدعم المعارضة، ورفدوها بما احتاجته من مال، وجهود، ورجال، ومطالب حتى قامت الثورة.

وبالتالي فقد سعوا وبادروا بالتفاعل مع قيادة الثورة، ووصلت وفود منهم للتعبير عن التأييد، وبذلوا ما أمكنهم من دعمها مادياً، وتحريضاً لمن استطاع من الشباب العودة والانخراط في مؤسسات الجيش والحرس الوطني والشرطة، وفي السلك الإداري للدولة.

كما ساهموا بفتح مقرات لبعض سفارات الثورة في عدة دول، منها أثيوبيا، وكينيا، وتنزانيا بما قدموه من دعم مادي، وتبرعوا به من مبانٍ (136).

وكان لتعيين محمد سعد القباطي- السفير السابق- وزيراً للدولة لشؤون المهاجرين في أول وزارة للثورة وقع إيجابي أشعر الكثيرين منهم باهتمام الثورة بهم، وبأنها تدعوهم للمبادرة بأداء ما أمكنهم من أدوار، انتصاراً لحقهم وحق مجتمعهم بالحياة الأفضل (137).

ثم إن تفجر ثورة 14 أكتوبر 63م، وقد مثلت رداً لكرامة المجتمع، وانتزاعاً لحق منتهك، واستعادة لإرادة مختطفة، زاد من يقينهم بإمكانية تحقيق أحلامهم في الحرية، والوحدة، والقضاء على أسباب التخلف والبؤس والمعاناة، وكل ذلك استدعى منهم استنفاراً للجهود، وسخاء في البذل والعطاء، وتمكيناً للاستمرار، وتوسيعاً للمواجهة حتى يتحقق الانتصار بجلاء الاستعمار، ويتحقق حلم الخلاص بإعادة توحيد اليمن، والانتصار لمعاناة المجتمع.

كما ولدت الثورة بقيامها حافزاً لدى الكثير منهم للعودة إلى الوطن، والمساهمة في تغيير صور الحياة السائدة من خلال الإسهام بالتنمية، سواء عبر

(136) عبدالرشيد، إبراهيم، من الثورة إلى الوحدة، المرجع السابق، ص 138، 139.

(137) العلفي، علي، أبرز الأحداث اليمنية، ص92.

تأسيس المؤسسات المختلطة أو الخاصة، مع المساهمة في إقامة المشاريع المختلفة وفي مقدمتها المدارس، وكان دورهم واضحاً في النهضة العمرانية التي أخذت في الانتشار في العديد من المدن الرئيسية والثانوية، وحتى الأرياف، بما اقتضاه ذلك من لزوم وجود الطرق والكهرباء، والمياه وغيرها.

كما عُرف الكثير منهم بمبادراتهم، وأدوارهم في النضال الوطني، وسيخلد التاريخ أثرهم.

كما أن تأثيرهم على الداخل الوطني تجسد بصور مباشرة، وغير مباشرة، بدعمهم المتواصل للمعارضة الوطنية قبل الثورة، وشرارتهم في قيادتها، وتمثيلها في مواطن اغترابهم وهجرتهم، وبالذفاق عنها ونشر أفكارها حتى قيام الثورة التي كان حضورهم في صفوفها المتقدمة يمثل دعماً لا حدود له لقيادة الثورة وشبابها.

ثم امتد ذلك التأثير بتغيير الأنظمة شمالاً وجنوباً، وأسهم بتحديث التعليم، ومحاولات تثوير المناهج، (وإن بالاستعانة بتجارب أخرى غير وطنية، كما أشرت إلى ذلك سابقاً).

وكانت مبادراتهم إلى بناء المدارس، والإسهام في بناء مدارس أخرى تعكس واقع تفاعلهم مع ما يعتمل في مجتمعهم من حراك، كما كان بذلهم في سبيل تعليم أبنائهم، ومد يد العون لأبناء المعسرین لتمكينهم من التعليم واضح الأثر في تجسيد قيم التعاضد والتراحم.

ولقد كان معلوماً أنه لم يكن بمقدورهم إلا الحلم، خاصة بعد أن تحول موقفهم من دعم للمعارضة في السابق إلى إسناد الأنظمة، ثم لتقديرهم لما كان يعتمل على أرض الواقع، وهم يشاهدون انصراف قيادة الثورة إلى تلبية احتياجات تثبيت النظام الجمهوري، وما اقتضاه ذلك من معارك ومواجهات، وإفشال

مؤامرات، ومحاولات رأب تصدعات وسط الصف الجمهوري، ومتطلبات دعم الثورة في جنوب الوطن، وقصور الإمكانيات، وحادثة تجربة الثورة برمتها. كل ذلك وغيره لم يجعلهم قانعين بما كان يكرس على أرض الواقع من أنظمة تعليمية (بتجربة عربية مصرية)، وما يرتبط بها من أنشطة وعمليات تربوية، (وقد كانت تجربة متقدمة قياساً على ما سبقها وما تلاها أيضاً)، بل ويجعلهم متقبلين حتى لما نال المغتربين والمهاجرين من مستوى تواصل ورعاية لم تكن بالمستوى المطلوب.

إلا أن ما لمسوه من صراع واختلاف بين نظامي الشطرين بعدئذ، وما نتج عنه من عدم تحقيق الوحدة بعد جلاء الاستعمار، قد تسبب بفتور العلاقة بينهم وبين سلطتي الشطرين.

كما أخذت حالات عدم الرضا تطفو على سطح العلاقة كتعبير عن عدم الرضا بممارسات نظامي الشطرين، سواء إن على صعيد العلاقة بينهما، أو على كيفية بناء السلطات في كلٍ منهما، وعلاقتها بالمجتمع، والتنمية، ومقتضيات تأمين النظام لدى كلٍ منهما، وفوق ذلك لما تسبب به من تعميق الانقسامات بين المغتربين والمهاجرين، وتوزع ولاءاتهم بما هو أبعد من رغبات النظامين.

إن تلك العلاقة الصراعية- (بغض النظر عن مبرراتها لدى كل طرف، ومدى حجيتها قياساً على مصالح المجتمع العليا)- تركت آثارها السلبية لدى المجتمع بشكل عام، ولدى المغتربين والمهاجرين بخاصة؛ وذلك بانعكاسها على مستوى الآمال والطموحات، وتزعزع الثقة بمكونات المجتمع السياسي، وشعور بالخذلان كان يتزايد عند مرور الوطن والمجتمع بحالات ابتلاء، وانكشاف يكاد يعصف بما تبقى لديه من عوامل البقاء، ويوصد نوافذ الأمل

بالمستقبل، ومنها (حصار السبعين يوماً للعاصمة صنعاء عام 1968م، وجولة الاقتتال بين النظامين في 1972م).

كما كانت تشعرهم بعجز مضاعف يمنع توحيد إرادتهم، وأهدافهم، وقدرتهم على مواجهة مشكلاتهم المختلفة، أو حماية مصالحهم نتيجة ما أنتجه النظامان من فرقة واختلاف في مواطن غربتهم وهجرتهم، ومع ذلك ظلت أعينهم مفتوحة على كل ما يعتمل في وطنهم، متأثرين بما يحدث حتى وإن كانوا غير قادرين على التأثير فيه.

المهاجرون وتجربة حركة 13 يونيو 1974م

من المفيد في البدء التأكيد بأن اتخاذي العلاقة بين المغتربين والمهاجرين من جهة، وبين الحركة وتجربتها من جهة ثانية، جاء على خلفية القناعة بأنها كانت تجربة توفرت لها الشروط الموضوعية، وعبرت عن علاقة تفاعلية وأثيرة تحققت فيها المشاركة المجتمعية الأوسع في ظل مناخات غير إقصائية، وشملت نطاقاً جغرافياً لم يكن أغلب أبنائه مؤهلين وقابلين للتحويل إلى مجتمع المواطنين، ربما بعكس أقرانهم في المحافظات الجنوبية والشرقية الذين كانوا قد قطعوا شوطاً على طريق إعادة التشكل، كما أنها كتجربة تكرست وسط الكتلة الاجتماعية الأكبر في المجتمع اليمني؛ ولأنها رغم عمرها القصير تمكنت من تحقيق نتائج إيجابية بكل المقاييس.

ثم إنها عكست اعتزازاً بالانتماء، وبالذور الذي مكن المغتربين من تحسين العلاقات الاجتماعية، وعلاقات الإنتاج في كثير من مواطن الاغتراب والهجرة باحترام الذات، والإنصاف في الأجور، وفي حفظ الحقوق.

ولقد وددت قبل الخوض في الحديث عن تلك العلاقة أن أشير إلى أن ثورة 26 سبتمبر 62م كانت قد رفعت أهدافاً ستة، وكان الهدف الرابع منها قد نص

على "إنشاء مجتمع ديمقراطي تعاوني يستمد أنظمتة من روح الإسلام الحنيف".

وقد كانت إقامة مجتمع ديمقراطي تعني إعادة تأهيل المجتمع اليمني وفق شروط ومعايير عديدة لم تكن متاحة، ولا بالمقدور تحقيقها ببسر؛ لأن ذلك كان يقتضي- (بحسب فهمي وفهم الكثيرين)- القضاء على الأمية بمختلف صورها، وضمان حق كل فرد في التأهيل والتدريب بما يتناسب مع استعدادة وقدراته، وحقه في العمل بأجر مجزٍ يحفظ كرامته، وضمان حقه في الاستشفاء والحماية ضد العجز، وحقه في السكن الآمن، وحقه في المشاركة في الحياة العامة دون ضغوط أو استغلال أو إقصاء في مجتمع ونظام يضمن تكافؤ الفرص، والعدل والمساواة، وكفالة حرية التعبير والرأي، وحق الترشح والانتخاب.. إلخ.

وكان ذلك يحتاج إلى تشريعات محترمة مجتمعيًا، وخطط تنمية شاملة متوازنة مبنية على إمكانيات وقدرات وطنية متاحة وممكنة، وإدارة حديثة ونزيهة تمنع الاستقواء خارج القانون أو بتجاوزه، وتجعل من المساهمة في الإنتاج مدخلاً للاندماج الاجتماعي واحتلال المكانة المناسبة فيه، وتيسر إعادة بناء التركيبة الاجتماعية وفقاً لذلك بما يتلائم معه من تعدد وتنوع الثقافات المطلوبة القادرة على تمكين الثقافة المجتمعية من توسيع قاعدة الحاضن المجتمعي المطلوب لتوطين المعرفة، وإنتاجها من جهة، وعلى تسييج النظام السياسي بالحماية اللازمة لاستمراره واستقراره.

وإن كل ذلك وغيره كان يعني أن هذا الهدف ليس سهل المنال، حتى لو أضيف إلى ديمقراطيته سمة التعاون ليكون أحد مداخل ممكنات تحقيقه؛ لأن التعاون تقليد راسخ في المجتمع، ويشكل ظاهرة من ظواهر الحياة فيه، وقد جاء تضمينه كإحياء لخاصية فيه، واستدعاء لموروث، وتعبير عن إرادة التغيير في

المجتمع كنهج حياتي يساعده على ردم التخلف، وبناء مداميك مستقبل يكون فيه التعاون خيار حياة أيضاً، وحلاً يخفف من شحة الإمكانيات للبدء ببناء اقتصاد من نقطة الصفر، وإحلالاً لثقافة جديدة على أنقاض ثقافة التمييز والإقصاء وعدم المساواة التي كانت مكرسة قبل الثورة، وكان الجميع فيها منتقصي الحقوق، ومستلبي الإرادة، وإن تباينت الصور واختلفت المبررات والدرجات. على أن يبقى معلوماً أن لا أعمم هذا الفهم، ولكن بالمقابل علينا أن ندرك أن بعض المغتربين والمهاجرين على الأقل بحكم وعيهم، أو بتجارب حياتهم كان لديهم فهم معين لقيم الحياة في مجتمعات عرفت أشكالاً متباينة من الحياة الديمقراطية، وبالتالي لم تكن الديمقراطية- كمفهوم- غريبة عليهم على الأقل. وحتى لا يبدو الحديث خارج السياق، فقد أردته موصولاً بالقول إن قيادة الثورة لم تستطع قيادة المجتمع لتحقيق التحول باتجاه إنشاء مجتمع ديمقراطي تعاوني عادل لأسباب مختلفة، سبق لي بيان بعضها. ثم إن مؤتمر حرض جاء بقرارات معروفة تنتقص من أحلام المواطنين وحقهم في الثورة وتغيير الأوضاع، وبالتالي كانت الحاجة تستدعي احتواء الآثار السلبية لتلك القرارات، وذلك ما أشارت إلى بعضها القوات المسلحة ببرنامج الإصلاح الذي قدمته عام 71م.

ولما كانت عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية قد تعطلت، برزت إلى أرض الواقع مبادرات تعاونية قادت نحو تأسيس التجربة التعاونية. وقد تميزت التجربة التعاونية بأنها جاءت شعبية الدعوة والتكوين، وبمبادرات نابعة من وسط مجتمع قرر أن يحمل تبعاتها بروح جمعية لا تأبه بموقف النظام، وربما رغبت بإحراجه ليتخذ موقفاً بما يستتبعه من قرارات وإجراءات ستكون سلطاته مجبرة على أن تتفاعل مع التجربة وترعاها، أو

تحتويها هروباً للأمام، خاصة أن برنامج القوات المسلحة المذكور سابقاً قد أشار إلى الإصلاح، وأن عليها مراعاة ذلك.

كما أن الشعبية هنا كانت تعني ديمقراطية العلاقات، والفعل وسط أعضاء كل هيئة تطوير، وخاصة من حيث حاجتها للتنظيم وللإستجابة لحاجات المجتمع، والشراكة بتأمينها وتحقيقها بإرادة تحتكم لقدر من البرمجة والتخطيط المبني على الحاجة، والمرتكز على الإمكانيات المتاحة، والمعبر عن الإرادة الجمعية للمجتمع (بمستواه المحلي أو الوطني).

إن تلك التجربة التي أخذت تتشكل مُنذُ العام 1973م، ما لبثت أن تبلورت بعقد مؤتمرها التأسيسي الذي كلف إبراهيم الحمدي برئاسة الاتحاد العام لها تحت مسمى "الاتحاد العام لهيئات التطوير"، لا بحكم موقعه في السلطة كنائب رئيس وزراء، بقدر ما كان لدوره في الدعوة والتحضير لعقد المؤتمر التأسيسي بمشاركة ممثلين عن التعاونيات القائمة آنذاك، وباعتباره رئيساً لتعاون المنطقة الشمالية الغربية.

تلك التجربة بولادتها الشعبية مثلت رداً على من أراد له البقاء معاقاً وعاجزاً عن استرداد حقه في إعادة ترتيب حياته، وعلاقته بالسلطة بما يؤكد امتلاكه لها، وسيادته عليها وعلى من يتولون المسؤوليات في سلطاتها، بمواجهة سلمية، لكنها تفرض على من يحكم التعامل معها سلباً أو إيجاباً، كما ستجبره على المبادرة بتقديم الخدمات، وتبني إنجاز مشاريع، وتحقيق بعض المصالح للمجتمع. فالمدرسة التي سببها التعاون مثلاً ستحتاج إلى المدرس والكتاب والتجهيزات المختلفة، وتحت ضغط المواطنين ستضطر السلطة إلى تشغيلها شاءت أم أبت.

ومن المؤكد أن برنامج الإصلاح المذكور، وميلاد الحركة التعاونية استقطبا قدراً من اهتمام الرأي العام والمراقبين لأحوال اليمن وغيرهم، وبينهم المغتربون والمهاجرون، وبدأت الاهتمامات تلك تشمل شخوص القائمين عليها أيضاً، ومنهم العقيد إبراهيم الحمدي - الذي تحولت رتبته العسكرية بعد قيام الحركة إلى "مقدم" إثر قرارات التصحيح- ولربما شكلت تلك أساساً لبداية علاقة تولدت بقيام الحركة في 74م بعدئذ، كما قد لا تكون تلك العلاقة مرتبطة بلحظة ميلاد الحركة.

ولئن كانت الآراء متعددة حولها فإن من المهم الأخذ بعين الاعتبار ما تركه برنامج الإصلاح المقدم من القوات المسلحة من انطباعات، وكذلك تشكل هيئات التطوير وموقع إبراهيم الحمدي في قيادتها، ثم موقعه في قيادة الحركة وما أصدرته من قرارات تصحيح مُنذ أيامها الأولى، وما أعقب قيام الحركة من انتشار لهيئات التطوير، وتحولها إلى هيئات تعاون أهلي، وانبثاق الاتحاد العام لهيئات التعاون الأهلي عنها. كما كان للحقبة النفطية وتأثير عوائدها أثر في تنامي تلك العلاقة بما حققته التحويلات من رفق احتياطات العملات الصعبة وتأثيرها الإيجابي على ميزان المدفوعات، وبما عكسته من اهتمام بأحوال المغتربين والمهاجرين، فإن كل ذلك، وغيره مما لم يذكر، أسهم بدرجات متفاوتة في بناء تلك العلاقة، بل إن مما زادها متانة جدية الحركة في اتخاذ التصحيح المالي والإداري نهجاً لمكافحة الفساد وتجفيفاً لمنابعه من جهة، وسيلاً ومعبراً لتحديث الإدارة وإرساء مبدأ الثواب والعقاب. وقد تميزت هذه التجربة باختيار أعضائها وفقاً لمعايير وطنية خالصة بعيداً عن الإقصاء أيّاً كانت مبرراته، أو الجهات الداعية له.

وكان منها أيضاً السعي الدؤوب لقيادة الحركة، وحرصها على استكمال بناء الدولة الحديثة بما تقتضيه من تحديث المؤسسات القائمة، أو استحداث ما لم يكن موجوداً منها على صعيد السلطات الثلاث، تنفيذية، وتشريعية، وقضائية، وقد أنجزت الحركة منها الكثير خلال عمرها القصير، أو بإنجاز التشريعات اللازمة لاستكمال البنية التشريعية المطلوبة، أو من خلال الإجراءات والسياسات التي أخذت الحركة تنفذها، ومنها ما يرتبط بالاهتمام بالريف كفرض الخدمة الريفية على الأطباء، ومنها أيضاً منع استخدام سيارات الدولة، مدنية وعسكرية، خارج الدوام الرسمي، ومنع حمل السلاح، ومنع دخول العسكريين عند التقاضي إلى المحاكم بالميري أو بالسلاح، وغيرها كثير مما كان له انعكاسات على صعيد استتباب الأمن وتحقيق العدل والمساواة تحت سقف حق المجتمع بامتلاك السلطات المختلفة، واستخدام من يرى، فسادت شعارات مثل: نحن خدام لكم ولسنا حكماً عليكم.

وكان منها أيضاً حالة اقتراب قيادة الحركة من مختلف القوى ودفعها للمشاركة في العمل الوطني وفق مقتضيات التنمية التي ما كانت محل خلاف، وعلى قاعدة الحرص على المصالح الوطنية العليا البعيدة عن المناكفات، ومحاولات التجبير أو الاستئثار. وبالمقابل حرص القيادة السياسية على القبول بنتائج الممارسات الديمقراطية، سواء من خلال أعمال "الجان التصحيح"، أو انتخابات "هيئات التعاون". والأدلة على ذلك عديدة، ومنها في 76/8/4م في الجلسة الختامية لمجالس التنسيق والاتحاد العام⁽¹³⁸⁾: "يجب أن تعرفوا أن الانتخابات كان نصف أو ثلث الأعضاء الذين انتخبوا من الهيئات مشطب عليهم، وأنا شفت هذا كله وقلت هل هؤلاء طلوعوا بانتخاب الناس، قيل لي نعم،

(138) خطب وتصريحات القائد، ص 158.

قلنا خلاص الأرض هي للجميع". وفي هذا كما نرى إصرار على التمسك بخيار الديمقراطية واحترام نتائج الانتخابات فيها.

كما كان لسياسة التقارب مع قيادة الشطر الجنوبي من الوطن، والسعي للتهدة، والخوض الجاد في المحادثات، وما كان يتسرب من نتائجها أثر قوي يعزز من أسباب التقارب بين المغتربين والمهاجرين وقيادة الحركة، وكان منها أيضاً الآثار الإيجابية الناتجة عن السياسة الخارجية التي اعتمدها الحركة، وما أنتجته من انعكاسات إيجابية على صعيد علاقات المغتربين والمهاجرين مع مواطن غربتهم وهجرتهم.

كل تلك الأسباب والعوامل، وغيرها مما لم تذكر، أقنعت المغتربين والمهاجرين بأنهم إزاء نظام مختلف، حريص على ملامسة احتياجاتهم، وآمالهم، ويسعى لاستيعابها ضمن برامجه وخطه وسياساته، ولا يتوانى عن الدفاع على مصالحهم وصيانتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وقد لمسوا أثر ذلك في العديد من مواطن الاغتراب والهجرة، وأن ذلك بات يفرض عليهم تقارباً أكبر مع قيادة الحركة، وتفهماً أوسع، وتبنياً لإنجازاتها، واهتماماً جدياً بالتفاعل مع أنشطتها، وإجراءاتها، ومواقفها.

وبناءً على ما تقدم، ومع التسليم بأن العلاقة والتأثيرات الناتجة عنها شملت مختلف مجالات حياة المجتمع والمغتربين أيضاً، إلا أنني سأحاول- ببيان مقتضب- الحديث عن التأثير المتبادل من خلال تجربتين فقط بما لهما من صلات وتأثير على التعليم وهما:

أولاً: تفعيل وتنظيم العلاقة بين المغتربين والمهاجرين وسلطات نظام الحركة:
اعتمدت ثورة سبتمبر 62م في تشكيلها الوزاري الأول وزارة لشؤون الهجرة والمغتربين، ولأن النظام الوليد كان يحتاج إلى تثبيت وحماية، فقد أثر

ذلك على أداء الوزارة حتى اقتصر على زيارات لمواطني الهجرة والاعتراب بهدف شرح الأوضاع، وعرض الحال، واستجلاب الدعم. ولعلني- بما سبق عرضه- قد أوضحت بعض جوانب صورة العلاقة التي ربطت المغتربين والمهاجرين بالثورة في صنعاء وعدن حتى سادها الفتور.

ولكن مع قيام حركة 13 يونيو 74م، بدأ المغتربون والمهاجرون يلمسون خطاباً جديداً يكاد لا يغفل عن ذكرهم ومخاطبتهم، والإشادة بدورهم في مختلف المناسبات الوطنية، والزيارات الخارجية، والمقابلات الصحفية وغيرها. ومنها على سبيل المثال، في خطاب قائد الحركة في الذكرى الثالثة عشرة، عشية 25/9/75م في معرض حديثه عن العمال وضرورة تحسين أوضاعهم، بقوله: "لا بد من أن نضمن لهم أجوراً مجزية، ورعاية صحية، وخدمات تعليمية واجتماعية، وبنفس الاهتمام بقطاع العمال في داخل بلادنا نولي عمالنا المغتربين المنتشرين في مختلف بلدان العالم، والذين على سواعدهم وبعرق جباههم يعيشون شرفاء، وتعيش أسرهم وعوائلهم في هذا الوطن كريمة، ويشكلون مصدراً رئيسياً لميزان المدفوعات التجاري، ومورداً اقتصادياً غير منظور، إنهم يستحقون الرعاية، وعلينا أن نكرمهم، ونذل لهم الصعوبات التي تعترضهم في مهاجرهم ومناطق غربتهم". وبقدر ما كان هذا التزاماً من السلطة، فقد مثل خطاباً جديداً غير مسبوق لدى المغتربين والمهاجرين.

ولقد حرصت قيادة الحركة على ترميم وتقوية الثقة معهم، سواء بممارساتها العملية والإنجازات المتكاثرة على الأرض، أو بتبني خطاب يبرز فيه اهتماماتها بهم ويشعرهم بأنها معهم، وهو خطاب ارتكز على تفهم أسباب غربتهم بصيغ تحمل في مضامينها الاعتذار، وإن بصيغة اعتراف بحجية وصحة تلك الأسباب، ويحرص أيضاً على وضعهم في صورة المعارك التي

تخوضها ضد التخلف، ودعوتهم للمشاركة، مع التأكيد على إصرارها بتبديد كل المخاوف، وعلى دعم وحماية الاستثمار، وعلى الدفاع عن مصالحهم في مواطن الغربية والهجرة أو في الداخل اليمني.

كما نعت الحركة أساليب تواصلها معهم، وصولاً إلى عقد المؤتمر الأول لهم في صنعاء بتاريخ 7/3/76م، وفيه ألقى الرئيس إبراهيم الحمدي خطاباً تاريخياً تطرق فيه إلى كثير من القضايا والاهتمامات المرتبطة بهم، معترفاً بأفضالهم على الوطن والمجتمع، وأكد على أن "استفادة اليمن من أبنائها المهاجرين والمغتربين لا تتمثل فيما يوفره من المال، ولكنها إلى جانب ذلك تتمثل فيما يكتسبونه من الخبرات، ومن توثيق العلاقات والروابط مع الشعوب التي يقيمون بينها". كما ركز على أن فكرة المؤتمر جاءت على خلفية التفكير بالبحث عن أفضل السبل التي تستطيع من خلالها الدولة تقديم خدماتها لهم، وركز على التعليم ودورهم فيه، وقال: "أيها الإخوة، إن مؤتمركم هذا سيبحث قضاياكم كاملة، غير أن أمراً واحداً أحب أن يتركز البحث حوله أكثر، ذلك هو كيف يجب أن ننظم الهجرة، وكيف ينبغي أن يكون مستوى المهاجر؟".

ولعله من المفيد هنا التنبيه إلى نظرة قائد الحركة لظاهرة الهجرة والاعتراب لكونها نظرة استراتيجية بعيدة المدى تتجاوز الاستثمار السياسي للحدث لتقف على عتبات المشكلة الظاهرة، باحثة عن سبل تمكين المغترب والمهاجر (عبر التأهيل) بما سيعكسه ذلك من توسيع فرص العمل، وتحسين الدخل، واستثمار عوائد الغزبية، سواء أكان على مستوى التحويلات والمدخرات، أم على صعيد استثمار الخبرات المكتسبة، وإضافة إلى ذلك أنه كان أول من تعاطى مع هذه الظاهرة بهذا المستوى.

- ولبيان الأثار المتبادلة باختصار، متجنباً الإطالة، سأكتفي بإيراد التوصيات التي خرج بها المؤتمرون، وهي كما يلي⁽¹³⁹⁾:
- إنشاء جهاز حكومي فاعل يعنى برعاية شؤون المغتربين. (وقد تحقق ذلك بإدارة عامة في وزارة الخارجية، وقيام "الاتحاد العام للمغربيين" كشكل نقابي يعبر عنهم).
 - تنظيم الهجرة وإنشاء معاهد فنية لتدريب الراغبين في الهجرة. (لم تستمر التجربة).
 - توقيع اتفاقيات ثنائية مع بلدان الاغتراب لحماية حقوق المغتربين فيها. (أنجزت قيادة الحركة تفاهمات مع بعض الدول).
 - دراسة ومتابعة حقوق المغتربين في الخارج والدفاع عنها. (لم يتبين أثرها بعد الانقلاب).
 - سرعة منح جوازات سفر للمغربيين الذين لا يحملونها لمنع تعرضهم للسجن والمضايقات، وعدم الحصول على العمل. (باشرت الحركة تنفيذها واستفاد الكثيرون من ذلك).
 - تشجيع عودة الكفاءات اليمنية المغتربة إلى الوطن. (لم أجد بيانات حول هذا الأمر).
 - إنشاء مدارس لتعليم أبناء المغتربين مبادئ دينهم ولغتهم في البلدان التي لا توجد بها مدارس عربية.
 - التفاوض مع الحكومات التي تتخذ إجراءات التأميم لممتلكات المغتربين للوصول إلى حلول مناسبة بشأنها. (حدث مع البعض).

(139) عبد الرشيد، المرجع السابق، ص 139، 140.

- تكثيف النشاط الإعلامي، وتزويد المغتربين بالصحف والمجلات وتقوية البث الإذاعي.

- إنشاء إدارة للمغتربين في البنك اليمني للإنشاء والتعمير لتسهيل إرسال تحويلاتهم إلى الوطن. (نفذت التوصية).

ولقد كان جهد حركة يونيو على هذا الصعيد ملموساً ومنتوعاً، ومنه ما شمل أيضاً تسهيل عودة أبناء وأحفاد المهاجرين والمغتربين، سواء من بلدان شرق أفريقيا، أو من بلدان شرق آسيا، وبناء أحياء سكنية لهم، وتيسير إمكانات تحقيق الاندماج الاجتماعي لهم، وغير ذلك مما ارتبط بقضاياهم، سواء قبل عقد مؤتمرهم الأول، أو في الفترة التي تلتها.

كما كان من أبرز صور التأثير ما عكسته تحويلات ومدخرات المغتربين والمهاجرين، سواء على مستوى التأثير الإيجابي لميزان المدفوعات التجارية، أو بما لمسها المجتمع على صعيد مختلف أنواع الأنشطة الممارسة فيه، وفي مقدمتها التجربة التعاونية وما أنجزته من مشاريع وخدمات مختلفة.

وفي المقابل أيضاً كان تأثير اهتمام الحركة بالمغتربين والمهاجرين، سواء بصور مباشرة تمثلت بإعادة ترتيب وتنشيط العلاقة معهم، أو بما عكسته سياستها الخارجية بما أسهم بإزالة عوائق، وحل مشكلات، وأتاح المزيد من فرص العمل، والأهم من كل ذلك أن هذا الاهتمام حرض المغتربين والمهاجرين على الاعتزاز بالانتماء والنفس والدور، كما حفزهم على الإسهام في التنمية، وعزز تفاؤلهم بالمستقبل.

ثانياً: التجربة التعاونية وتأثيرها على المغتربين والمهاجرين وتأثيرهم فيها:

في فترة سابقة، كنت قد أشرت إلى أن التجربة التعاونية في اليمن تشكلت بإرادة شعبية، وجسدت صورة من صور العمل الديمقراطي، كفعل وعلاقات،

وأنها جاءت كرد فعل عبر بها المجتمع عن رفضه لغياب النظام السياسي وتغافله عن واجبه في التنمية، وعبر بها عن إصراره على ردم هوة التخلف، ورغبته بتحسين واقعه المعيشي،

وأنها كتجربة أخذت بالتشكل تنظيمياً مُنذ العام 1973م بتأسيس "الاتحاد العام لهيئات التطوير"، وهو الشكل الذي تغير مسماه بعد ذلك في المؤتمر الثاني إلى "الاتحاد العام لهيئات التعاون الأهلي". وكما تولى الشهيد إبراهيم الحمدي رئاسة الاتحاد بعد المؤتمر الأول، بقي كذلك بعد المؤتمر الثاني الذي سجل فيه موقفاً ديمقراطياً ووطنياً برفضه محاولات جهات أمنية احتواء التجربة، وتمسك بإبقائها شعبية، مؤكداً حق مشاركة قياداتها التي جاءت عبر انتخابات حرة، بل وزاد على ذلك بتقديم استقالته من رئاسة الاتحاد حفاظاً على شعبية التجربة، واحتراماً لإرادة المجتمع، لولا رفض المؤتمرين لها.

ولقد استمالت التجربة موافقة السلطة، وأعقب ذلك رعايتها لها، وتمكنت من الحصول على الدعم المتصاعد المتمثل بالتنازلات المتعاقبة عن نسب من الواجبات المفروضة على المواطنين بإحالة حصص منها للتعاونيات، وقد بدأت بربعها، ثم بنصفها بعد قيام الحركة، ثم بربع ثالث بعد اغتيال الشهيد إبراهيم الحمدي. إضافة إلى تنازلها عن 25% من الضرائب البلدية.

كما تمكنت التجربة من استقطاب اهتمامات منظمات عربية وأجنبية، وتمكنت من الحصول على معونات غذائية، وتمويل لبعض المشاريع.

ولئن كانت التجربة قد أسست اتحادها في العام 73م بعدد (27) هيئة، فإنها أخذت تنمو بمنحى تصاعدي، حيث بلغ عددها تواليًا خلال الأعوام 74، 75، 76، 78م (62، 111، 146، 135 هيئة)⁽¹⁴⁰⁾.

وكان من حسن تصاريف أقدار المجتمع تقارب ميلاد التجربة التعاونية مع ميلاد حركة يونيو 74م، وبقاء أمر قيادة التجربة التعاونية، ورعايتها، والدفاع عنها مرتبطاً بحركة يونيو بقيادة الشهيد إبراهيم الحمدي، حتى غدا ذكر إحداهما ناقصاً لا يكتمل إلا بالحديث عن الأخرى. والقول إن إبراهيم الحمدي كان خير من رعاها ليس فيه أدنى مبالغة، فالواقع حينها كان يؤكد ذلك، وفي المؤتمر الثالث للتعاونيات في تعز بتاريخ 75/11/23م قال: "أيها الإخوة، إن هذه التجربة الفريدة التي خضناها ونخوضها في سبيل بناء وتطوير بلادنا ليست في الواقع إلا ترجمة لما يختلج في ضمير شعبنا العريق من نوازع الخير، وكرد فعل تجاه عوامل فرضت عليه بعد أن قامت ثورته الظاهرة". وقال: "وإذا كانت الشعوب غيرنا تلهث برغم إمكانياتها الوفيرة وراء الدولة في المشاريع العامة، فإن الدولة في بلادنا هي التي تحاول أن تساير الشعب، أو تلحقه في مشاريع البناء والتعليم والصحة والمواصلات". ص 95 من كتاب الخطب. وقال: "وهذه في نظرنا ميزة خاصة بنا تتمثل بأن الشعب اليمني هو الذي يقود الثورة الحقيقية، وأن المسؤولين فيه ليسوا سوى تعبير عنه ومنفذين لإرادته". وفي هذا المؤتمر عبر عن تمسكه بالديمقراطية التي أوصلت ممثلي الهيئات إلى المؤتمر الثالث، وأكد على حقهم في المشاركة، وكف أيدي الأجهزة عنهم، بل طالب أعضاء المؤتمر بعدم التقيد ببحث مشاكل التعاونيات فقط، وإنما كذلك بحث

(140) ظافر، محمد سعيد، حركة 13 يونيو التصحيحية، ص 136؛ كتب الإحصاء السنوي للأعوام 77/76، 78/79م.

مشاكل الوطن والمجتمع، واقترح الحلول، وقال: "ولن تجدوا لدينا إلا آذاناً صاغية، وصدوراً مفتوحة".

ولقد أكدت التجربة التعاونية نجاحها بإسهامها الإيجابي في البرنامج الإنمائي الثلاثي، بل دخلت كمكون أساسي للتنمية في إطار الخطة الخمسية الأولى⁽¹⁴¹⁾. وقد كان من ضمن سكرتارية الإعداد للمؤتمر التأسيسي لـ"المؤتمر الشعبي العام"، وكان الرئيس الحمدي يفخر ويعتز كثيراً بهذه التجربة، ويطمح إلى المزيد من تطويرها، حيث إنه عندما كلفت لجنة الإعداد للمؤتمر الشعبي العام في مارس 77م بإعداد بعض الدراسات التي ستقدم للمؤتمر العام، ومن ضمنها دراسة حول التجربة التعاونية، طلب من اللجنة ضرورة أن تتضمن الدراسة اقتراحات محددة لعمل نقلة نوعية في العمل التعاوني يضيف إلى مهام التعاونيات الجانب الإنتاجي في المجال الزراعي، والصناعي، والاستهلاكي". (وهذا دليل على رعايته لها وجديته في الدفاع عنها).

وعلى الرغم من أن هذه التجربة المائزة لم تتل ما تستحقه من الدراسات، وأعمال التوثيق المناسبة، وهو أمر ينسحب أيضاً وبصورة أقسى على ظاهرة الاغتراب والهجرة، الأمر الذي صعّب من أمر الحصول على بيانات ومعلومات عن حجم دور وتأثير المغتربين والمهاجرين على هذه التجربة على وجه الخصوص، فإنني مع ذلك، استندت إلى حقائق مجتمعية ماثلة، ومنها شيوع انتشار هيئات التعاون الأهلي وبصورة أساسية في الأرياف، وحقيقة أخرى متمثلة في أن ما يقارب من ثلاثة أرباع المجتمع من السكان ريفيون، وبالتالي فإن غالبية المغتربين والمهاجرين ريفيون أيضاً لأنهم أبناء أسر تقطن الأرياف.

(141) ظافر، المرجع السابق، ص137.

وبناءً عليه فإن حجم دورهم وتأثيره- (سواء أكانوا ممن لا تزال أسرهم تقطن في الريف أم انتقلت إلى المدن)- كبير ومؤثر، ويمكن استشرافه من خلال الأعمال التي أنجزتها هيئات التعاون الأهلي مما تم توثيقه، على قلته وقصوره أيضاً، مع عدم إغفال تأثيرهم في المجالات الأخرى، سواء مما ذكر، أو مما حال قصوري دون ذكره، وذلك وفقاً لما يلي:

1- يقول العودي⁽¹⁴²⁾، في معرض حديثه عن خواص ومميزات عمل وتطور "هيئات التعاون الأهلي"، بند (1)، فقرة (أ): "إن ما يقرب من 50% من عدد الهيئات في مختلف المحافظات لم يأت لها إدراج منجزاتها ضمن الإحصاءات آنذاك، لا لأنه لا يوجد لديها أي إنجازات أو مشاريع، وإنما هو عدم الوعي الإحصائي الكافي". ولنا فيما ذكره أ. د. حمود العودي، (وقد كانت له تجربته الخاصة في إطار التجربة التعاونية)، ما يدل على صحة ما ذهبت إليه سابقاً من أن هذه التجربة لم تنل حتى الآن ما تستحقه من أعمال التوثيق والدراسات والبحوث. وهذا خلل إذا استمر لا يسيء لقيمة التجربة فقط، بل تنسحب آثاره السلبية على الذاكرة المجتمعية، وحق الأجيال القادمة في الإلمام بتفاصيل التجربة وإمكانية الاستفادة منها بعد تقييمها، كما يضر بحق المجتمع في إعادة كتابة تاريخ التجربة، وتاريخ المرحلة أيضاً.

2- جدول (14)⁽¹⁴³⁾ تضمن خلاصات بمنجزات هيئات التعاون الأهلي في المجالات المختلفة خلال المرحلة الأولى 75/73م. نقتبس منه الآتي، مع مراعاة ملاحظته السابقة، وهي ملاحظة تسري على بيانات الجداول التي سيتم إيرادها تباعاً.

(142) العودي، حمود، ماضي ومستقبل العمل التعاوني في اليمن، ص24.

(143) العودي، المرجع السابق، ص27.

جدول (14) خلاصات بمنجزات هيئات التعاون الأهلي في المجالات المختلفة خلال المرحلة الأولى 75/73م.

مساهمة الدولة	مساهمات المواطنين	مساهمة التعاون	إجمالي التكاليف بالريال	بيان المشروع	هيئات لم ترسل بياناتها	هيئات أرسلت بياناتها
---	92864363	35387967	128253332	طرق 5106 كم شق	62	80
431190	18330964	15497568	34295722	580 مدرسة	71	74
18000	3355547	7118765	10492312	852 مياه شرب	82	63
---	464000	1018200	1482200	39 مركزاً مستوصفات 8 مرافق	119	27
103055	1280558	4833153	6216766	154 خدمات مختلفة	186	21

3- ورد في جدول (15)⁽¹⁴⁴⁾ خلاصة منجزات هيئات التعاون خلال المرحلة الثانية 76 / 78 م ما يلي:

جدول (15) خلاصة منجزات هيئات التعاون خلال المرحلة الثانية 76 / 78 م

مساهمة الدولة	مساهمات المواطنين	مساهمة التعاون	التكاليف بالريال	بيان المشروع	هيئات لم ترسل بياناتها	هيئات أرسلت بياناتها
11448000	109541935	34284364	154294281	طرق 5664 كم شق	75	83
549890	20791847	16827778	38169515	560 مدرسة	72	82
45000	4703351	8284222	13032573	849 مياه شرب نقية	82	73
79805	413700	1292744	1786294	48 مشروعاً صحياً	125	30
1507113	6500	4533229	6276842	73 متنوعة	132	22

4- فيما سبق عرضه إنجازات الهيئات خلال فترة تجربة 13 يونيو، وإذا ما أضفنا إليها إنجازات هيئات التعاون للفترة حتى 81م، باعتبارها امتداداً لذات

(144) العودي، المرجع السابق، ص 27.

التجربة، ومضافاً إليها إسهامات المواطنين وقد كانت مميزة، فإننا بحسب ما ورد في كتاب د. حمود العودي – سابق – نلاحظ في جدول (16)⁽¹⁴⁵⁾ بياناً بإنجازات الهيئات في مجال الطرقات (وهي مصنفة بحسب المحافظات) للفترة من يوليو 78 إلى ديسمبر 81م.

لكني سأورد حجم الإنجاز إجمالاً كما يلي:

جدول (16) خلاصة منجزات هيئات التعاون في مجال الطرقات للفترة من يوليو 78 إلى ديسمبر 81م

هيئات أرسلت بياناتها	هيئات لم ترسل بياناتها	بيان المشروع	التكلفة بالريال	مساهمة التعاون	مساهمة المواطنين	مساهمة الدولة
124	60	11299 كم طرق	374242902	136313382	233683602	4245918

5- ورد في جدول (17)⁽¹⁴⁶⁾ خلاصة بمنجزات هيئات التعاون في مجال التعليم للفترة يوليو 78م وحتى ديسمبر 81م ما يلي:

جدول (17) خلاصة منجزات هيئات التعاون في مجال التعليم للفترة يوليو 78م وحتى ديسمبر 81م

هيئات أرسلت بياناتها	هيئات لم ترسل بياناتها	بيان المشروع	التكلفة بالريال	مساهمة التعاون	مساهمة المواطنين	مساهمة الدولة
118	66	803 مدرسة فيها 479 مرفقاً	180102629	73537702	70577161	35987766

6- ورد في جدول (18)⁽¹⁴⁷⁾ خلاصة بمنجزات هيئات التعاون في مجالات الصحة والمياه خلال الفترة يوليو 78م وحتى ديسمبر 81م ما يلي:

جدول (18) خلاصة منجزات هيئات التعاون في مجالات الصحة والمياه خلال الفترة يوليو 78م وحتى ديسمبر 81م

(145) العودي، المرجع السابق، ص 28.

(146) العودي، المرجع السابق، ص 28.

(147) العودي، المرجع السابق، ص 28، 29.

مساهمة الدولة	مساهمة المواطنين	مساهمة التعاون	التكلفة بالريال	نوع المشروع	هينات لم ترسل بياناتها	هينات أرسلت بياناتها
13107338	76511946	37255641	126874925	967 م. مياه وصحة	72	112

7 – ورد في جدول (19)⁽¹⁴⁸⁾ خلاصة بالمشاريع المنجزة في مجال صيانة

وتشغيل الطرق للفترة من يوليو 78 م حتى ديسمبر 81م ما يلي:

جدول (19) خلاصة منجزات هيئات التعاون في مجال صيانة وتشغيل الطرق للفترة من

يوليو 78 م حتى ديسمبر 81م

مساهمة الدولة	مساهمة المواطنين	مساهمة التعاون	التكلفة بالريال	نوع المشروع	هينات لم ترسل بياناتها	هينات أرسلت بياناتها
—	28566102	14397373	41520000	6000 كم	127	77

8- بالعودة إلى الجدول رقم (14) نجد أن:

أ – في مجال الطرقات بلغت إسهامات المواطنين ثلاثة أرباع التكلفة تقريباً،

وتحملت التعاونيات الربع الباقي من إجمالي التكلفة البالغة

128253332 ريالاً.

ب – في مجال التعليم بلغت إسهامات المواطنين 53.4%، وبلغت إسهامات

التعاونيات 45.2%، ولم تتحمل الدولة سوى 1.4% من التكلفة

الإجمالية.

ج – في مجال المياه لم تتحمل الدولة سوى 0.2%، أي أقل من واحد في المائة،

في حين بلغت إسهامات المواطنين 32% من التكاليف، وتحملت

التعاونيات المبلغ الباقي بما نسبته 67.8%.

د – في مجال الصحة كانت مساهمة الدولة صفر%، وتحمل المواطنون

31.3% وتحملت التعاونيات بقية التكاليف بما نسبته 68.7%.

(148) العودي، المرجع السابق، ص30.

ه – في مجال المشاريع المتنوعة تحملت التعاونيات ما نسبته 77.7%، وكانت نسبة مساهمات المواطنين 20.7%، ولم تبلغ مساهمات الدولة سوى 1.6%.

9 – بالعودة إلى الجدول (15) نجد أن:

أ – في مجال الطرقات بلغت إسهامات المواطنين 75.4%، أي ثلاثة أرباع التكلفة الإجمالية، وبلغت إسهامات التعاونيات 16.8%، في حين بلغت مساهمة الدولة 7.8% أو أقل قليلاً.

ب – في مجال التعليم بلغت إسهامات التعاونيات حوالي 44%، وبلغت مساهمات المواطنين 54.5%، وكانت حصة الدولة 1.5% من التكاليف الإجمالية.

ج – في مجال المياه تحملت التعاونيات 63.6%، وتحمل المواطنون 36.1%، والباقي تحملته الدولة بنسبة تقارب 3%.

د – في مجال الصحة تحملت التعاونيات 72.4%، وتحمل المواطنون 23.2%، ومثلت مساهمة الدولة 4.4%.

ه – في مجال المشاريع المتنوعة تحملت التعاونيات ما نسبته 72.2%، وتحمل المواطنون فقط 3.8%، والباقي تحملته الدولة بما نسبته 24.1%.

10 – بالعودة إلى جدول (16) الخاص بشق الطرقات نجد أن نسبة مساهمة المواطنين بلغت 62.5%، ونسبة مساهمة التعاونيات بلغت 36.5%، ولم تبلغ مساهمة الدولة سوى 1% فقط.

11 – بالعودة إلى جدول (17) الخاص بالتعليم نجد أن نسبة مساهمات المواطنين بلغت حوالي 39%، ونسبة مساهمات التعاونيات 41%، وتحملت السلطة النسبة الباقية 20% فقط.

12 – بالعودة إلى الجدول (18) الخاص بالمياه والصحة نجد أن مساهمات المواطنين بلغت ما نسبته 60%، في حين تحملت التعاونيات ما نسبته 29%، وتحملت السلطة فقط 11%.

13 – ونلاحظ على ما ورد في الجدول (19) الخاص بتشغيل وصيانة الطرق أن مساهمات المواطنين بلغت ما نسبته 68%، وغطت التعاونيات النسبة الباقية 32%، ولم تتحمل السلطة شيئاً منها.

وحتى لا أطيل سأختتم الحديث بتسجيل الملاحظات العامة الآتية:

1- هذه التجربة التعاونية بقدر ما كانت عظيمة ومميزة فقد ظلمت بقلة الاهتمام بتوثيق وتدوين، وبحث إسهاماتها العظيمة في مختلف مجالات الحياة، وخاصة في مجال إسهامات المواطنين التي لا شك أنها بحاجة إلى مزيد من البحث والتوثيق؛ لنتبين في إطارها حجم إسهامات المهاجرين والمغتربين، وتوثيقها إنصافاً لهم.

2- هذه التجربة التعاونية أثبتت قدرة المجتمع على تحقيق نسب عالية في التنمية، حتى أنها بكل إنجازاتها تقريباً قامت على أكتاف المواطنين وهيئات التعاون الأهلي. وأن المجتمع إذا ما وجد المناخ مهيأ للمبادرة لا يتوانى عن لعب دوره المحوري بقدر تزايد رعاية النظام الحاكم بإطلاق حرية العمل الجماهيري، سواء بعدم التدخل بفرض توجهه السياسي على مكوناتها، أو بالتلويح بالعصا الأمنية لمن يعارض، أو بمحاربة الفساد وتجفيف منابعه ومنعه من التأثير عليها. ثم بما يمكنه من تقديم الدعم المناسب، سواء المادي

أو غيره، أو بما يعتمده النظام وسلطاته من خطط تنمية جادة ومتوازنة مطلوبة، أو غير ذلك.

3- إن كان المغتربون والمهاجرون قد تأثروا عند بناء علاقتهم بحركة يونيو بعوامل كثيرة، سبق لي بيان أهمها، فإن تأثير سياسة التقارب بين نظامي الشطرين، التي تجسدت بمحادثات جادة كادت تنتقل الوطن والمجتمع إلى مرحلة جديدة تبشر بقرب قيام دولة الوحدة، سواء بما كان قد أنجز، وكان منها ما سيتم الإعلان عنه عند زيارة الشهيد إبراهيم الحمدي إلى عدن في 12/أكتوبر 77م كتوحيد النشيد الوطني، والعلم، والتمثيل الدبلوماسي وغيره، أو بما كان قد أنجز على صعيد توحيد التعليم (مثلاً) بتعميم مناهج موحدة لمادة التاريخ لما لها من دور في إعادة تشكيل وجدان واهتمامات الأجيال؛ لأن من لا يعي تاريخه ويحسن استخلاص العبر منه لا يمكنه المراهنة على مستقبل وطني مستقل يمكن البناء عليه، كما أنه لن يحسن معرفة الأصدقاء من الأعداء، ولن يستطيع تحسين استثمار إمكاناته القائمة والواعدة.

4- من الإنصاف الاعتراف بأن التأثير الحقيقي للمغتربين والمهاجرين لا يتمثل بما أسهموا به في بناء المدارس فقط، بل بما أسهموا به على مستوى العمل التعاوني بشكل عام؛ لما لتلك المشاريع من تأثيرات متبادلة على بعضها البعض من جهة، ولما لها من تأثير على مستوى الثقافة الوطنية والثقافات المحلية أيضاً بشكل عام. وهذا إذا ما تغافلنا عن إسهاماتهم الأخرى بما عكسته من تأثيرات غير مباشرة على حياة المجتمع.

5- إن إسهاماتهم الجليلة تلك في الوقت الذي لم يتسن لي بيانها على وجه الدقة لعدم توافر المصادر التي تعينني على ذلك، فإن تركيبة المجتمع القائمة على

توزيع السكان بين الريف والحضر تبرز حقيقة أن حوالي 75% كانوا من قاطني الأرياف في هذه الفترة، وأن المجتمع شهد تصاعد موجات وأعداد المغتربين نظراً لترافق ذلك مع ما عرف بالحقبة النفطية، وما عكسته من تأثيرات، وخاصة على مستوى فرص العمل التي أتاحت نتيجة ما عكسته السياسة الخارجية للحركة مع دول الجوار، وتحسين مستويات الدخل، وتزايد حجم التحويلات إلى الداخل اليمني. هذا، في الوقت الذي يجب ألا نغفل فيه أيضاً تنامي حركة الاغتراب على مستوى أبناء المدن نظراً لمحدودية فرص العمل المتاحة حينها. وكل ذلك يؤكد- (مع إضافة مردودات وإسهامات من سبقهم زمنياً كمهاجرين ومغتربين)- على أن إسهاماتهم كانت جلية وكبيرة. وسيبقى من حقهم أن تهتم الدولة ومراكز البحث والقوى الحية في المجتمع بالعمل على استكشاف ذلك، وتوثيقه، وإعادة إدماجه في التاريخ المعاصر، ولتيم بناء على ذلك إعادة تقييم تجربة الهجرة والاعتراب، وإمكانات تفعيلها وتحسين استثمار عوائدها.

6- ما من شك في أن التجربة التعاونية بطرفي المعادلة المؤثرين فيها، وفي إنجازاتها (المواطنون / وهيئات التعاون) قد أسهما بقدر كبير في إعادة تشكيل ثقافة المرحلة، وكان لهما فعل مؤثر في محاولة إعادة بناء البنية الاجتماعية وخاصة في الأرياف على قاعدة المشاركة في الإنتاج بما استدعى ذلك من إدراك الفرد لمصالحه، وحقوقه، وواجباته، وإعادة بناء علاقاته وفقاً لذلك (بعيداً عن تابوهات علاقاته القديمة)، فقد كان لهما فضل كبير في إقناع المواطن الريفي بأهمية التعليم، والحرص على تنسيب أبنائه للمدرسة، وبأهمية الطريق وما فتحت أمامه من فرص على صعيد تنمية المنطقة بتوفير ما تحتاجه من مياه صالحة للشرب، ومراكز صحية،

ومشاريع مختلفة، ومنها المدارس أيضاً، والأهم من ذلك أهمية انفتاحه ليس مع ما حوله من مناطق فقط، بل على مستوى مختلف المحافظات؛ لما لذلك من فوائد ستعود عليه نتيجة استثماره لأرضه الزراعية، وتصدير محاصيله إلى مختلف المناطق والمحافظات، مما يؤدي إلى تحسين مستوى معيشته، وحسن استثمار أرضه باستثمارها وفقاً لمتطلبات واحتياجات المناطق والمحافظات الأخرى، وما يقتضيه ذلك من انفتاح على من تربطه بهم علاقات العمل في مختلف مراحل العمليات الزراعية. وكذلك على الثقافات المحلية للمجتمعات التي يسوق ويبيع فيها منتجاته، وعلى مستوى الثقافة الوطنية القائمة بما يعكسه كل ذلك من رفض استمرار العزلة التي فرض عليه العيش في ظلها، وإدراكه لأهمية تبني ثقافة وطنية تقوم على الهوية الوطنية الجامعة، وخاصة مع إدراكه لزيف وكذب ما كان يعمم عليه في عزلته من توجيهات "تشيطان" الآخر الوطني.

كما كان لهما تأثير كبير على مستوى إدراك الفلاح والقبلي لمفهوم المصلحة العامة، والحرص على تجسيده في سلوكه وعلاقاته، وموصولاً بأهمية تفاعله مع النظام السياسي الحاكم، وما يفرضه من إجراءات. وقد رأينا بعض ذلك من خلال المساهمة بعمليات التشجير ورعاية وصيانة ما يغرس منها، كما رأينا ذلك من خلال التزام الريفيين بعدم حمل السلاح، على الرغم من أن السلطة اتخذت إجراءات منعه على مستوى العاصمة، ولنقل وبعض المدن الرئيسية، لكننا لمسنا تفعيلاً لهذه الإجراءات حتى على مستوى الأرياف حينها. بل إن القبائل في بعض المناطق – أثناء تنفيذ التعداد السكاني – كانوا يبدون للمشاركين في الإحصاء وللمشرفين استعدادهم لمقايضة النظام (بأسلحتهم الثقيلة والمتوسطة بمقابل الحرائث الزراعية وملحقاتها).

وكل ذلك وغيره كان يؤكد على تسارع إنتاج مكونات ثقافة جديدة كان لتجربة التعاونيات بطرفيها المؤثرين فضل كبير في ذلك.

2- دور المهاجرين في تنوير المجتمع:

ليس مجافياً للحقيقة القول إن التعليم يمثل البوابة المثلى للتغيير، وإنه إن كان حتى عقود مضت كانت فيه فوهة المدفع والبندقية تمثل بوابة للتغيير، فإنها لم تكن لتتمكن من إحداث التغييرات المرتجاة إلا بالعلم أيضاً. ولئن كان (البيان رقم 1) يعكس تجليات القوة وربما العنف، فإن العلم كان ولا يزال وسيبقى القوة الناعمة القادرة على إحداث التغييرات النوعية اللازمة، والكفيلة بانتقال المجتمع إلى مضمار السباق على طريق النمو والتقدم والشاركة في توطين المعرفة وإنتاجها، وتوسيع قاعدة الحاضنة المجتمعية لها.

ثم إن للتعليم علاقة وثقى بثقافة المجتمع، ذلك لأن الفلسفة التي يقوم عليها تجعل من ثقافة المجتمع مجالاً حيويًا لعمليات التعليم وأنشطته المختلفة، وإنه بقدر ما يكون منظماً وهادفاً ومحكوماً بفلسفة تربوية وتعليمية (مقرة مجتمعياً) فإنه تتحدد قواعد وشروط ومعايير المواطنة الصالحة المستهدفة، والكفيلة بتحقيق المواطنة المستنيرة القائمة على إدراك الحقوق والتمسك بها، وعدم التنازل عنها، أو القبول بابتسارها أو انتهاكها، والملمة بالواجبات المرتبطة بتلك الحقوق وأهميتها والسعي لأدائها طواعية بدون تقصير، والمؤمنة بأن المساهمة في الإنتاج وحدها فقط من تمنح الفرد فرص الاندماج الاجتماعي، وتحدد مكانته المستحقة. كما أن من مقاصد وغايات الفلسفة ما يستوعب حاجة المجتمع لرعاية الناشئة بدءاً من مرحلة ما قبل التعليم الأساسي (رياض الأطفال)، بما يضمن الكشف عن ميولهم ورغباتهم واستعداداتهم وخبراتهم، وينميها ويوفر البيئة الحاضنة لها داخل مؤسسات التعليم وفي المجتمع المحيط،

وييسر للمتفوقين فرص النبوغ والرعاية اللازمة ليكونوا علماء المستقبل، ثم بما يليها من مراحل.

كما أن تعليماً كهذا، يمكنه تنقية الثقافة المجتمعية من الشوائب العالقة بها، وأنه بمقدار تمكن النظام السياسي والمجتمع من بناء العلاقة الموضوعية بين مؤسسات التأهيل والتدريب ومختلف المؤسسات المجتمعية الأخرى، وفي مقدمتها الأسرة، وتوفير الإمكانات اللازمة القائمة على جعل التعليم (استثماراً لا خدمة)، تتحقق أهداف ومقاصد وغايات الفلسفة التربوية التعليمية المنشودة، ويصبح التعليم الهادف مساعداً على انتقال الثقافة وتوارثها عبر الأجيال، كما يسعى لتلبية احتياجات المجتمع، ويسهم في توطين المعرفة، وتشكيل البيئة الحاضنة لإنتاج المعرفة، والرعاية للمتفوقين والمبدعين من أبناء المجتمع، ويسهم بتمكين المتلقين من تحقيق التوازن النفسي والبيولوجي والوجداني لمواجهة تأثيرات الثقافات الأخرى التي لم يعد ممكناً لأحد تجنب تأثيراتها المختلفة، كما يمكن للتعليم بتلك المواصفات من تمكين الثقافة الوطنية من الانتقال من طور التلقي السلبي لثقافات الآخرين إلى طور التأثير الإيجابي للمستحسن منها، وإمكانية التأثير في تلك الثقافات أيضاً، أو التخفيف من آثارها، كما أن التعليم المحكوم يستهدف تنشئة الأجيال والمستهدفين تنشئة تراعي الفروق الفردية، وتفتح المجال أمام الموهوبين وترعاهم، وتستهدف تحقيق تربية سياسية متزنة ومنفتحة وديمقراطية (بعكس ما ساد في الماضي وحتى الآن من توجيه سياسي يخدم مصالح المتسلطين على النظام)، بما يكفل توسيع قاعدة الحاضنة الاجتماعية الداعمة لاستقرار النظام السياسي الديمقراطي والمدافعة عنه، بذات القدر الذي تتمكن فيه الثقافة من تحويل المجتمع إلى مجتمع المواطنة المتساوية من خلال إعادة تشكيل مكونات المجتمع على قاعدة

المساهمة في الإنتاج كشرط لازم لتحقيق الاندماج الاجتماعي، ويساعد على خلق وتنمية الثقافات المطالبية لمختلف طبقات وشرائح المجتمع. وهو أمر لازم لإعادة تفكيك الثقافات العصبوية السائدة بما يكفل تصويب الولاء للوطن والمجتمع أولاً، ويعيد تموضع الانتماءات الأخرى وما تتطلبه من علاقات لتكون تالية لذلك، وليست مقدمة على الولاء والانتماء للوطن والمجتمع.

إن ما تقدم، على قصوره، يرسم إطاراً عاماً للتعليم المرتجى، كما يصح اعتباره معياراً نقيس عليه جدوى وموضوعية الأنظمة التعليمية التي تم وفقاً لها تأهيل أجيال متعاقبة على مدى القرن الماضي.

كما إن علينا أن نستحضره ونحن نقارب ونقيس آثار الأنشطة والفعاليات والإسهامات التي جاءت عبر جهود وتضحيات المهاجرين والمغتربين وما عكسته على مستوى الثقافة المجتمعية، أو ونحن نحاول التعرف على مستوى وأنواع التأهيل الذي تحقق للمهاجرين والمغتربين، وما كرس عليهم من أساليب التنشئة الاجتماعية، وهل كان يؤهلهم ذلك لأداء الأدوار التي مارسوها على هذا الصعيد، أم كانت معاناتهم، ومضاف إليها تأثيرهم بثقافات مجتمعات الهجرة، محفزات إضافية جسدت حجم عطائهم، وجعلتنا ندرك مدى عظمة إسهاماتهم، ومقدرتهم في التفوق على ذواتهم، وحاجتهم لتغيير ثقافتهم، وثقافة مجتمعهم في الداخل وفي المهجر.

ولما لم يكن أمر إنتاج تلك الفلسفة بيدهم، أو تحت سقف الوعي العام لهم، فإلى أي مدى أثرت إسهاماتهم، سواء على صعيد تحديث التعليم، أو على مستوى تأثيرهم في العمل الوطني بشكل عام، وفي التغيير الثقافي الذي حدث في المجتمع، على مستوى الجماعات والأفراد، وهل يصح مقارنة ذلك مع التعليم المرتجى، قياساً على ما كان قائماً قبل ثورة سبتمبر وأكتوبر وما بعدهما؟

عن المهاجرين والمغتربين ومستوى تأهيلهم:

يقال إن الإنسان ابن بيئته، ولذلك فهم متباينون في الثقافات، والطباع، والأنشطة، وفي نظرتهم للحياة والكون والمعرفة والأخلاق والمجتمع، وجملة تلك التباينات وغيرها تعكس نفسها في صور ومستويات والتزامات أدائهم الحياتي بما يشكل إضافات في مجرى الحضارة الإنسانية، أو ثلمات تمس بسلامتها، وتؤكد حاجة أصحابها للمزيد من الأئسنة والتطبيع.

والمهاجر والمغترب اليمني ما كان له إلا أن يكون ابن بيئته التي عَجَّت بظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وهي بيئة ظلت تستعصي على التطور الحضاري طوال قرون، كما حرمت أبناءها من حقهم في التغيير؛ وذلك راجع لإرادة ومشئئة من تسلطوا عليه، حتى باتت الدعاية السوداء التي ظلت تردد في مناطق مختلفة من قارة أوروبا عبر بعض عقود القرن العشرين، والقائلة إنه من أراد أن يتعرف على حقيقة وصور حياة أجداده، فعليه بزيارة اليمن لأنها متحف حي يعج بأمثال تلك الصور، أضحت حقيقة مؤلمة.

ولما كنا قد عرضنا في صفحات سابقة بعض ملامح صورة الوطن في بدايات القرن العشرين، فإن من المسلم به أن الإنسان اليمني بشكل عام، ومن هاجر أو اغترب منهم أيضاً، قد عانوا من حياة اليأس والفاقة والظلم والاضطهاد، وقاسوا الويلات من آثار التمييز الطائفي والمذهبي، ومن ويلات الحروب والاضطرابات واختلالات الأمن، وكانت معاناتهم أشد نتيجة حرمانهم من التعليم اللائق بأدميتهم، والمستجيب لحاجاتهم وآمالهم في الحياة. حيث كان أقصى ما هو متاح من تعليم (وذاك للقادرين عليه طبعاً) إما:

أ. تعليم أولي يغلب عليه الطابع الديني في حدوده الدنيا، وهو متاح في المعلومات، الكتاتيب، ويقوم منهجه على تعليم القرآن، ونزر يسير من

قواعد اللغة، ومبادئ الفقه المتمثل بـ"سفينة النجاة"، وعمليات بسيطة في الحساب تقوم على قاعدة الجمع والطرح والضرب والقسمة. ولكل معلامة أستاذ واحد يعتاش على ما يفرض على الأهالي من رسوم ذات طابع عيني في الأغلب الأعم، وهو السائد.

ب. تعليم ديني مكرس في معاهد وأربطة متفرقة وفي مناطق متباعدة كزبيد وذمار، وصنعاء، وصعدة، وحضرموت، وتعز، وصبيا وغيرها، وهو تعليم ذو صبغة مذهبية، تفقد بعضها حقها في اختيار وتحديد ما تقدمه لطلابها وفقاً لمشيئة وسطوة من يحكم، ولا يجمع بينها نظام أو سياسة تعليمية موحدة، ولا أساليب تقويم تحفظ للمتلقي حقه في نيل الشهادات المناسبة المؤهلة للالتحاق بالمستويات الأعلى.

ج. عندما نشأت بعض المدارس الحكومية والأهلية، لم يستفد منها إلا القلة، كما أن ما كانت تمنحه من شهادات لا تؤهل من ينالها للالتحاق بالدراسات الجامعية. ولم تكن محكومة بفلسفة ضابطة، وقد غلب عليها المحاكاة والتقليد، خاصة أنه لم يكن يجمع بينها نظام ولا سياسة تعليمية راشدة، ولذلك فقد اتخذت بعض المدارس الأهلية المناهج العراقية، وأخرى الأردنية، وثالثة المصرية، ورابعة السورية سبيلاً لتأهيل المستهدفين، علماً أن مناهج تلك الدول لم تكن محكومة ولا ملبىة للطموح الوطني، فكيف بحالنا نحن، لكنها على الرغم من ذلك كانت أرقى مما كان موجوداً لدينا، كما أن المدارس الحكومية التي كانت تسمى "المملكة المتوكلية اليمنية" على قلتها كانت متدنية المستوى عن كثير من المدارس الأهلية التي كانت موجودة في عدن، وكانت محكومة بضوابط تخريج كتبة وموظفين لا أكثر.

وكذلك الحال بالنسبة للمدارس الحكومية في عدن وبعض المحميات (على قلتها) كان أفضلها في عدن، ولكن مناهجها كانت متأثرة بما تمليه مصالح المستعمر، مع محاولات للتغريب تعتمد على إهمال كل ما يتعلق بالهوية الوطنية والقومية من لغة وتاريخ وتنشئة وطنية، وتكريس لغة وتاريخ الامبراطورية البريطانية، وتزيين ممارساتها.

وكانت جميعها بما استوعبته من أعداد التلاميذ، قياساً على من كانوا في سن التنسيب، أكبر دليل على حالة الحرمان التي عانى منها المجتمع بأجياله المتعاقبة، كما أن من مكنتهم ظروفهم وإمكاناتهم من الالتحاق بالدراسة، لم يكونوا سعيدي الحظ؛ لأن ما نالوه كان أقل مما يستحقوه، كما أن تعليمياً مدجناً كهذا لم يكن قادراً على الكشف عن إمكانات واستعدادات وميول ورغبات المتلقين، والبناء عليها بما يمكنهم من النبوغ والإبداع، بل تسبب بواد النبوغ والإبداع، وحرم المجتمع من استثمار نبوغ وإبداع أبنائه.

د- بعد قيام ثورة سبتمبر 62م وأكتوبر 63م نشأت أنظمة وطنية نزعت نحو التحديث، ولكنها واجهت إعاقات كثيرة (ذاتية وموضوعية)، وقدمت سلطنا النظامين نماذج متباينة من الأنظمة التعليمية التي لم تخلُ من التأثير بتجارب شعوب أخرى (كالنظام التعليمي في مصر شمالاً، أو النظام الألماني الشرقي جنوباً، كما صبغت مناهج التربية الدينية بالصبغة الوهابية التي سادت مُنذ عقود).

ولم يتمكن كلا النظامين من إنتاج تعليم محكوم بفلسفة تربوية تعليمية وطنية راشدة (مقرة مجتمعياً).

وقد تأثر مئات الآلاف من المهاجرين والمغتربين بما تعلموه، كما أن الأغلبية الساحقة منهم لم يتجاوز مستوى تأهيله التعليم العام بمختلف مستوياته،

ولم يتمكنوا من مواصلة دراساتهم الجامعية، خاصة أن أغليبيتهم من أبناء الأرياف، وهي مناطق ظلت تعاني من غياب التنمية المتوازنة لأسباب كثيرة لا مجال لحصرها هنا، ولذلك ظلت تعاني من هجرة أبنائها إما إلى المدن المختلفة، أو إلى خارج الوطن، كما عانى مهاجرو الأرياف من ندرة فرص العمل المناسبة مع تأهيلهم وطموحهم، الأمر الذي كان يحول هجرتهم الداخلية إلى هجرة مؤقتة لم تقنعهم بالبقاء في وطنهم قدر دفعهم للبحث عن فرص لهجرة خارجية، وخاصة إلى دول الجوار، وبالذات في الفترة التي عرفت بالحقبة النفطية.

ولنا أن نتصور نوع أو أنواع الثقافة المجتمعية التي سادت في بدايات القرن العشرين، ومستوى ونوع العلاقة التي يحتمل أن تكون قد وجدت بين التعليم وثقافة المجتمع السائدة، خاصة بعد أن كرس الأئمة والاستعمار التفرقة، وفرضوا العزلة، وعلينا أن ندرك أن حظوظ من هاجروا واعتربوا من التعليم لم يتجاوز سقف ما ذكر في الأسطر السابقة. وأنهم لم يجدوا أبواب التأهيل والتدريب مفتوحة أمامهم في مهاجرهم، وأن ما أتى أمامهم من فرص العمل كانت بمجملها تعتمد على مقايضة جهدهم البدني بالنزر اليسير من المال، سواء عملوا في البر أو في البحر، وكانت تدفعهم حاجتهم للاندماج والقبول بأعمال خطيرة، وخاصة وقت الحرب، سواء في الحرب العالمية الأولى أو الثانية، حيث شاركوا في أعمال لوجستية، وأحياناً في القتال، وضحى الآلاف منهم بحياتهم في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل. ويكفي أن نعرف أن بريطانيا تنكرت لتضحياتهم في الحرب العالمية الأولى، بل إنها قامت بترحيل المئات منهم نتيجة احتجاجاتهم (على انتقاص حقوقهم، ومصادرة بعضها، ومضايقتهم) في عامي 1919، 1930م رغم حصولهم على الجنسية البريطانية، كما يكفي أن نعرف

أن عدد من قتلوا في الحرب العالمية الثانية من المحسوبين على بريطانيا تجاوز ثلاثة آلاف قتيل، خلداهم الإنجليز بنصب تذكاري منتصب في مدينة ساوث شيلد.

والحاجة للاندماج، وإن كانت رغبة جامعة في الأغلب الأعم، فإنها وجدت بصور، أولها، وهي المعبرة عن الغالبية العظمى للمهاجرين، كانت تأخذ طابع القبول بكثير من ملامح الثقافة السائدة (متطلبات تطبيع)، مع السعي للتأثير فيها أيضاً وإضفاء طابع اليميننة أو الأسلمة عليها، بينما جاءت الصورة الثانية محملة بملامح الانطواء والانكفاء على الذات كتعبير رافض لمظاهر الحياة الاجتماعية في المجتمع المحيط، ومن هؤلاء كثير من مهاجريننا في بريطانيا، مثلاً، وهو الأمر الذي عكس آثاره السلبية على حقهم في الاندماج، وقدرتهم على التأثير في مجتمعهم المحيط، حتى أنهم مُنذُ سبعينيات القرن الماضي وحتى الآن مازالوا يعيشون مشاكل اجتماعية، منها حملة إعلامية تتهمهم بتزويج بناتهم الإنجليزيات على يمينيين في اليمن وكأنهن سلع للبيع، كما قامت السفارة البريطانية باختطاف بعضهن وإرجاعهن إلى بريطانيا⁽¹⁴⁹⁾، كما زاد من عجزهم أنهم ظلوا لعقود يقاومون تعلم اللغة الإنجليزية لاعتقادهم أنها مدخل للارتباط بالإنجليزيات.

وبينهما وجدت صورة ثالثة كرسها المهاجرون والمغتربون ممن كانت نطاق هجرتهم محصورة في دول الجوار، وقد عكست حالة خاصة من التأثير على مجتمعهم الوطني؛ لأنهم كانوا متلقين سلبيين لأنماط من الثقافة الاستهلاكية السائدة وغير المرشدة أصلاً، ولم يتمكن عشرات الآلاف منهم من استثمار نتائج غربتهم (استثماراً حسناً)؛ ولأنهم رغم أعدادهم الكبيرة، وهجرتهم إلى

(149) بحسب برنامج "مهمة خاصة" من قناة العربية.

بيئات ليست غريبة عليهم كثيراً لوجود قواسم مشتركة كثيرة مع بيئتهم الأصلية، لم يتمكنوا من خلق كيانات وأشكال نقابية أو تعاونية تعبر عن آمالهم وآلامهم، وتسهم في ترشيد مطالبهم ومطامحهم؛ لأن الأنظمة في تلك الدول لا تسمح بذلك.

وفي المقابل، وجدت صورة أخرى تمثلت في إقبال المهاجرين والمغتربين على الحياة في مجتمعاتهم الجديدة، وسعيهم لتحقيق الاندماج الاجتماعي حد الانصهار المتجاوز لحقهم بتشكيل الجمعيات المعبرة عن آلامهم وآمالهم، وتأسيس الأحزاب تحت سقف وطن الهجرة والشراكة الفاعلة في مقاومة الاستعمار، ثم التجنس بجنسية المَهْاجر، كما حدث ذلك في إندونيسيا بشكل خاص وفي سنغافورة، وماليزيا، والهند، ومدغشقر، وشرق إفريقيا بشكل عام، وإن كان بمستويات متفاوتة.

وقد نتج عن الاندماج والانصهار انخراطهم في الأحزاب السياسية القائمة، وسعيهم لتغيير القوانين التي كانت تحول دون اكتمال مواطنتهم، كما حدث في إندونيسيا وسنغافورة مثلاً، الأمر الذي مكن العديد منهم من تولي حقائق وزارية بما فيها السيادية، بل إن رئيسة سنغافورة الحالية يمنية الجذور، وزوجها من أصول حضرية، وكذلك الحال فيما يتعلق برئيس جزر القمر، (وإن كان هذا الأمر يحتاج إلى بحث وتدقيق وتوثيق موصول بأسباب التمكين).

كما أنهم تمكنوا من إقامة سلطنات عديدة في إندونيسيا، والهند، وجزر القمر، وقد حكموا تلك السلطنات وأولادهم، ومنهم على سبيل المثال السلطان

محمد القدري العلوي في جزيرة بورنيو، الذي قتله اليابانيون مع 60 شخصاً من عائلته سنة 1944م⁽¹⁵⁰⁾.

ومنهم عائلة شهاب سلاطين إقليم سيالك بسومطرة، وآل جمل الليل بسيام⁽¹⁵¹⁾.

ويؤكد بامطرف⁽¹⁵²⁾ "أن جزر القمر يحكمها إلى اليوم علوي حضرمي، هو السلطان أبوبكر بن عبد الرحمن، المنتمي إلى الشيخ أبي بكر بن سالم، مولى عينات".

وفي هذا المقام، لا ننسى الأثر الأدبي والثقافي في المجتمع المصري خاصة والعربي والإسلامي بشكل عام للمؤرخ والأديب والكاتب علي أحمد باكثير، وله سيرة كاملة بين الأعلام.

ومن الأعلام الذين أثروا في مجتمعات الهجرة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الذي استقر به المقام في (سور أبايا) بإندونيسيا، وعمل مع سليمان مرعي صاحب المطبعة المشهورة هناك، وقد عمل على مراجعة الكتب وتصحيحها للطبع لمدة خمس سنوات، ثم عمل بالتجارة، وهو أديب يكره الغلو ويعيب المنحى الصوفي المفرط لبعض الأسر العلوية، كما يكره الحجاب ويحاربه، ويقول: "الإسلام في إندونيسيا ممزوج بالفنون، فالمرأة تمارس التلاوة والذكر، وترتدي الحجاب، وتمارس في آن واحد الرقص والغناء، فالذوق الفني كبير"⁽¹⁵³⁾.

(150) بامطرف، المرجع السابق، ص68، 69.

(151) بامطرف، المرجع السابق، ص69.

(152) بامطرف، المرجع السابق، ص70.

(153) الشميري، المرجع السابق، ص4، 5.

ومنهم أمنة بنت محمد بن حسين الحبشي، ماتت أثناء الحرب العالمية الأولى في تركيا، وتلقت تعليمها في مسقط رأسها في سيئون، وعرفت بالقراءة والكتابة وحلقات العلم، وعرفت بنبيلها وسعة اطلاعها، وتزوجت من العالم العارف علي علوي السقاف، صاحب كتاب "فتح المعين في فقه أحكام الدين"، وقد عملت في مجال التنوير بالعلم والإرشاد وتوجيه الفتيات، وقد تأثر بها آلاف الفتيات التركيات⁽¹⁵⁴⁾. ومنهم الشيخ الشهيد عبد الله علي الحكيمي، رائد الحوار الإسلامي المسيحي، والمعلم الصوفي، ورائد الحركة الوطنية اليمنية، وزعيم "الاتحاد اليمني"، وله سيرة خاصة. ومنهم شيخ المجاهدين من كان الزبيري والنعمان يلقبونه بـ"المجاهد الأكبر" أحمد عبده ناشر العريقي، وله سيرة خاصة في موضع آخر.

وغيرهم كثيرون لا يتسع المجال لحصرهم ممن عرفوا بأدوارهم المميزة التي كان لها بالغ التأثير على مجتمعات الهجرة وعلى الداخل اليمني. وجميعهم سواء من تناولتهم بعض السير وذكروا فيما دُونَ من تاريخ الحركة الوطنية، أو من ظلوا مجهولين، سواء بإرادتهم التي عبرت عن رغبتهم بإخفاء إسهاماتهم - محتسبين أجرهم وثوابهم عند الله، أو لأسباب أخرى مرتبطة بثقافة مجتمعية ظلت تحكم علاقاتهم وتصرفاتهم وسلوكهم، أو من لم تطالهم جهود الباحثين، أو من كانوا مغتربين ومهاجرين لكنهم عادوا واستقروا في وطنهم بعد عناء الاغتراب والهجرة، واستمروا في أداء دورهم التأثيري عبر عطاءاتهم المختلفة بالمال، وبالموقف، والفكرة، والنضال، والتضحية.

وجلهم عكسوا تأثرهم بثقافات اكتسبوها أو تعايشوا معها في سلوكهم، وعلاقاتهم وجهودهم، ونضالهم في مجتمعات الهجرة والاغتراب، وسجل لهم

(154) الشميري، المرجع السابق، ص4، 5.

التاريخ مآثرهم تلك، أو لم تصلنا أخبار عنها بعد. (وقد آن أو ان توجيه الجهود للبحث والتقصي والتدوين إنصافاً لهم، وإثراء للذاكرة المجتمعية التي باتت بحاجة ماسة لترميمها وإثرائها وتنقيتها من الشوائب التي علقت بها، واضطرتها بفعل عوامل الهدم ومقاصد التجهيل أن تنتكر لكل جميل، وتهمل كل تضحية، وتتماهى مع ما يزيّف من التاريخ، وتهتم بإبراز وتعظيم من تسببوا في ابتلاء المجتمع بالويلات والإعاقة وعدم التمكين، وأضروا بوحدته وثقافته، ونهبوا إمكاناته وموارده)، وكانت لهم آثار وبصمات على الصعيد الوطني والقومي، ولأن جهودهم وتضحياتهم، كما كان لها آثار تبدت بمستويات مختلفة وصور متعددة في مواطن هجرتهم واغترابهم، فقد كان أثرها عظيماً على وطنهم ومجتمعهم وأمتهم، بمستويات وصور باتت تفرض علينا إعادة تدوين تاريخنا المعاصر كما يستحق المجتمع لا كما أراده المستبدون، وهو الأمر الذي سيفسح مجالاً مهماً لاستيعاب تلك الجهود والتضحيات، مع إبراز شخوص من لعبوا تلك الأدوار، وقدموا تلك التضحيات ليصبحوا أيقونات نعترز بها، ونفتخر أن نتخذها الأجيال المتعاقبة قدوة وفنارات تضيء لهم حياتهم، ويستفيدون من تجاربهم وأساليب نضالهم.

إن إسهاماتهم وتضحياتهم كان لها أبلغ الأثر، خاصة إذا ما أضيف لها جهود وإسهامات وتضحيات من كانوا في سابق حياتهم العملية مهاجرين ومغتربين، لكنهم عادوا واستقروا في مناطق مختلفة من وطنهم، وظلت عيونهم مفتوحة على عظم معاناة مجتمعهم، ولم تلههم مصالحهم الخاصة عن أداء واجباتهم الوطنية، فكانوا مبادرين بسخاء أحال العديد منهم فقراء بمقاييس المال والثراء، وإن بقوا أغنياء بتضحياتهم وبرضاهم عما قدموه، وسعداء بما يلمسونه من تغيير لواقع حياة مجتمعهم وأنظمتها السياسية التي حكمتها، أو حتى إن لم يكونوا

راضين عنها؛ لأن معاييرهم كانت تقوم على قياس ما كان قائماً قبل ثورة سبتمبر وأكتوبر، لا على ما بعدها، وأنهم ضحوا واحتسبوا وناضلوا بما استطاعوه، وأفسحوا المجال لغيرهم ليكملوا المشوار، ولإيمانهم بأن عجلة التغيير قد أخذت تدور وتتسارع ولم يعد بمقدور أحد أو قوة إيقافها، وأنها إن أصابها العطب فإن صلابة الإرادة ستتكفل بالصيانة وإصلاح العطب.

إن عظم التضحيات المقدمة عكست آثارها مسهمَةً في تغييرات ملموسة على أرض الواقع، تجلت بما صنعه المجتمع من انتفاضات وحركات وثورات وصولاً إلى قيام الوحدة، وبما فرضه من جلاء على المستعمر وتغيير في أنظمة الحكم، وتفاعل مع قضايا أمته والإنسانية. كما أحدثت تغييرات قيمة على مستويات علاقات الإنتاج، ونظرة الفرد وعلاقته بالسلطة وبمؤسسات الدولة والمجتمع، وإدراكه للحقوق والواجبات وحاجته للانتماء، ومتطلبات الاندماج، كل ذلك وغيره أسهم في إعادة تشكيل ثقافة المجتمع التي وإن لم تستقر بعد وتصبح سائدة كأسلوب حياة بفعل ما يعيشه المجتمع من تقلبات وصراع، إما بسبب التآمر عليه، أو بسبب عدم تمكنه من التحول إلى مجتمع المواطنة حتى الآن، لكنها تبقى كتغييرات وتغييرات جبارة وأساسية ومهمة، أكدت على قدرة المجتمع، وفيه المهاجرون والمغتربون، على صنع التغيير والقابلية للتغيير أيضاً، فلولا الاغتراب والهجرة لما تحولت أشكال المعاناة ومخاطرها إلى فرص، ولولا الفرص التي أتاحت بسبب الهجرة والاغتراب لما تحسنت ظروف المهاجرين والمغتربين، وتميز بينهم العشرات من الشخصيات النابغة التي أدركت وجود تلك الفرص، وسعت بكل ضميرها الوطني والقومي إلى استغلالها تعزيزاً لثقافة المقاومة.

ولولا أولئك الرواد، لما تمكنت المعارضة اليمنية في الداخل من اتخاذ عدن قاعدة لنضالها ولتوحيد الصف، وإنتاج أدوات نضالها ممثلة بـ"حزب الأحرار"، فـ"الجمعية اليمنية الكبرى"، فـ"الاتحاد اليمني"، وغيرها، وبإسهام المهاجرين والمغتربين حتى في قيادة تلك الأدوات، وصولاً إلى قيام ثورة سبتمبر 62م، وأكتوبر 1963م، ولولا نجاح الثورة شمالاً وجنوباً لما أمكن تغيير النظام.

ولولا تغيير النظام لما تحدث التعليم (على تشوّهه الحالي)، ولولا تحديث التعليم، وإن لم يكن محكوماً بالفلسفة المنشودة وطنياً، لما أمكن إعادة تشكيل الثقافة المجتمعية كما نرى، (بغض النظر عما تعانیه اليوم)، بل إن ما تعانیه اليوم يعد دليلاً على مقدار ما نالها من تغيير، حتى إن تعثرت قدرة الأفراد والجماعات ولم تنجح في تحقيق التغيير الإيجابي بالقدر الذي يمكن الثقافة من الاستقرار والتمكين عبر خلق وتوسيع حاضنتها المجتمعية القادرة على فرض النظام الديمقراطي المطلوب وحمايته واستمراره.

(بهذه الصورة وهذا المستوى يجب أن يُفهم تأثير المهاجرين والمغتربين على الداخل الوطني).

ولأننا معنيون هنا بالحديث عن المهاجرين والمغتربين وإسهاماتهم وتضحياتهم، فمن الإنصاف أن نقر ونعترف أولاً بعدم إمكانية استقصائها، وإعادة تظهيرها جميعاً لأسباب عديدة؛ منها بقاء جزء كبير منها غير معلوم حتى الآن، كما أننا لا نمتلك المراجع المناسبة التي تغطي السقف الزمني الذي استهدفته الدراسة، والمعززة بالبيانات والأرقام الإحصائية الموثقة ليتم التعاطي معها بالمستوى المطلوب.

ولكن برغم ما تقدم، فإن دواعي الواجب تقتضي الإشارة إلى بعض المحطات الأساسية، والمجالات التي تأثرت بتلك الإسهامات والتضحيات والجهود، ومنها على سبيل المثال:

1- مساهمتهم في مجرى الحركة الوطنية إبان فترة النضال ضد النظام الإمامي الكهنوتي، وضد الوجود الاستعماري، والنظام السلاطيني الملحق به (وتأثيرهم عليها)، ولأنه مجال ستهتم به أوراق أخرى من هذه الدراسة، فيكفي هنا الإشارة إلى أن الأستاذ أحمد محمد نعمان، والقاضي محمد محمود الزبيري، وقد تزعا حركة النضال ضد الإمامة، وشكلا إطارات وأدوات سياسية خلال أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين وحتى قيام الثورة، ومنها حزب الأحرار والجمعية اليمنية الكبرى، والاتحاد اليمني وغيرهما، كانا إذا ما اختلفا جعلاً من المرحوم أحمد عبده ناشر مرجعاً وحكماً. كما لا ينكر جهوده وجهود الشهيد عبد الله علي الحكيمي في إقناع الآخرين بتأسيس عمل منظم للمعارضة في عدن، وكان من ثمار ذلك ميلاد حزب الأحرار، فالجمعية، فالاتحاد. ومحافظتهم على بقاء المعارضة المنظمة بعد فشل ثورة 1948م، واعتقال قيادات الجمعية اليمنية الكبرى، وذلك بإقناع الشهيد الحكيمي بالعودة إلى عدن وقيادة الاتحاد اليمني حتى استشهاده.

كما تكفي الإشارة هنا للاستدلال على عمق التأثير بما قاله عبد الله السلال في معرض تعريفه بالمرحوم أحمد عبده ناشر أثناء زيارته إلى صنعاء للتهنئة بقيام الثورة، ولبحث طلبات قيادة الثورة من المغتربين في شرق إفريقيا، بقول السلال مرحباً بالضيف: "أهلاً بك وشكراً لكم، فلولا تضحياتكم وجهودكم لما قامت الثورة، لقد ضحيتم كثيراً وجاء دورنا لرد الجميل"، وعرض عليه منصب وزير، بل ورئيس وزراء، لكنه ذهل برد المرحوم بقوله: "جئتكم

باسمي وباسم المغتربين في شرق إفريقيا مهنئاً، وللسؤال عما تحتاجونه منا، ولم آت ساعياً لمصلحة؛ لأن ما قدمناه كان جزءاً من واجبنا نحو الوطن والشعب".

كما تكفي الإشارة هنا إلى ما دونه⁽¹⁵⁵⁾ يقول: "كنت في كارديف مع مجموعة منهم علي محمد راجح، وعبدالله بن عبد الله، وسيف العديني، وفي ليفربول كان هناك هائل مقبل العريقي، ومن الطلاب يحيى عبدالله الديلمي، ومحسن السري، ورجب الحديدي، وأحمد غالب الوجيه الملقب بـ"الخادم"، وكانت لنا اتصالات ببعض المهاجرين في فرنسا وغيرها من بلدان أوروبا. وكنا قد بدأنا قبل الثورة المباركة ثورة 26 سبتمبر بجمع التبرعات لدعم الأحرار اليمنيين، وكنا نرسلها إلى مقرهم في الشيخ عثمان، ثم كنا نرسلها إلى الاتحاد اليمني الذي أصبح مقره الرئيسي في القاهرة، وذهبت عدة مرات مع بعض الإخوة لتسليمها لأحمد محمد نعمان في حي العجوزة بالقاهرة. ولما قامت الثورة في الجنوب كنا نجمع التبرعات، بل أصبحنا ندفع اشتراكاً شهرياً إلى جانب التبرعات المفتوحة ونرسلها إلى زعماء الثورة، ولما من الله بالاستقلال أصبنا بخيبة أمل كبيرة، فقد كنا ننتظر أن تعلن وحدة بلادنا عند نيل الجنوب استقلاله، ولكن لعن الله السياسات والحسابات الضيقة. لقد زالت الإمامة ورحل الاستعمار، وبدلاً من أن تتحقق الوحدة نشأت دولتان وعلمان وجيشان يوجهان أسلحتهما ضد بعضهما البعض، وذهب تعبنا وتبرعاتنا واشتراكاتنا وأحلامنا الكبيرة هباء منثوراً على مذبح السياسة والمطامع الزائلة".

إن الإشارات السابقة، كنماذج، لم يقصد بها التذكير بأحداث بعينها، ولا الإدانة للأنظمة، أو سعياً للتبرير، لكن القصد كان ولا يزال الكشف عن نماذج

(155) الصايدي، أحمد قايد، أوراق من مذكرات بحري، ص28.

إيثار وتضحية، وإمارة اللثام عن معادن رجال- قد لا يكونون مقصودين بذاتهم مع أنهم يستحقون، بل كتعبير عن إرادة الآلاف من المغتربين والمهاجرين ممثلين بهم- كانوا برغم تدني مستوى حظوظهم من التعليم متميزين بوعيهم إلى الحد الذي وجدناهم متمردين على ثقافات مدججة نشأوا في ظلها، وتفوقوا على كل نزوع أناني يتحكم بمن عاش بمثل تجاربهم، وبادروا بتقديم إسهاماتهم وتضحياتهم، مؤكدين انحيازهم لمعاناة شعبهم وأمتهم، حتى أثمرت جهودهم وأسهموا بإحداث التغيير على امتداد اليمن، وما فرضه من تغيرات مست ثقافات المجتمع ووجدانه. كما عكسوا آثارهم تلك من خلال مبادرات عدة بذلت لنصرة الشعب العربي الفلسطيني ودعم ثوراته بالمساهمة بالمال والرجال طوال عقدي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، وحتى ما بعدهما وصولاً إلى الانخراط في فصائل منظمة التحرير الفلسطينية والقتال من خلالها.

2- وكما كانت إسهاماتهم الكفاحية متواصلة ومؤثرة في مجرى الحركة الوطنية، فقد كان بذلهم سخياً في بناء المدارس ودعمها بما تحتاجه من معلمين وموازنات تشغيل، ولم تكن جهودهم تلك منصبية على بلدان مهاجرهم واعتراهم لتحقيق التنشئة الاجتماعية المناسبة لأبنائهم، وسعياً لتجنيب أبنائهم الآثار غير المرغوبة من ثقافات مجتمعات وجدوا أنفسهم مضطرين للتعايش معها، ورغبة في تحقيق أفضل تأهيل لأبنائهم، بل كانت جهودهم مركزة أيضاً على مساعدة أبناء مجتمعهم في الداخل اليمني، إيماناً منهم بأهمية التعليم كمدخل للتحديث، ولذلك بادروا إلى الإسهام بإنشاء عشرات المدارس الأهلية في العديد من المناطق ومنها تعز، وعدن، ولحج، وحضرموت. وتزويدها بما تحتاجه من كتب ومدرسين. كما تضاعفت إسهاماتهم تلك بعد ثورة سبتمبر وأكتوبر لتشمل كل المناطق تقريباً.

وساعدوا في الإنفاق على استجلاب المدرسين العرب رغبة منهم بتحديث التعليم، وساعدوا في تعليم بعض من لم يمتلكوا الإمكانيات المادية اللازمة للتنسيب في تلك المدارس وتغطية نفقاتهم المعيشية اللازمة.

ولم يتوانوا عن تعليم أبنائهم ولو اقتضى الأمر انتقالهم رغم (صغر سنهم) بعيداً عن أسرهم، أو استدعى الأمر استمرار تأهيلهم في مؤسسات التعليم العليا كالجامعات، ولذلك وجدناهم لا يكتفون بإرسال أبنائهم إلى مختلف الجامعات والبلدان، بل كانوا يساعدون في ابتعاث بعض ممن أهله أقداره للدراسة الجامعية ولم يمتلك الإمكانيات المناسبة.

وكل تلك الجهود كانت كفيلة بأن تعكس أثارها الإيجابية على التعليم والتعلم وعلى ثقافة المجتمع بشكل عام، وكان من مظاهر ذلك تأثيرها على الأنظمة السياسية التي ساست المجتمع، وما مثله كل نظام من قيم واتجاهات وميول ورغبات، وأنماط علاقات وسلوك، ومفاهيم، وثقافات مطلبية، وأعاد توجيه اهتمامات المجتمع والأفراد، وفرض المؤثرات ذات العلاقة بتحديد الاهتمامات وترتيب الأوليات وعلاقات الإنتاج، وتحديد ما يستحب مما يجب أن يستقر في الوجدان الشخصي للفرد، وغيرها من المقاصد المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية (سواء المخططة منها عبر مؤسسات التعليم والتدريب، أو غير المخططة منها عبر إمكانات التعلم، وما تقدمه مختلف المؤسسات الاجتماعية الأخرى)، وكل ما له علاقة بتحقيق التوجيه السياسي الذي استهدفه كل نظام، بغض النظر هنا عن سلبيات ما ساد طوال العقود السابقة نتيجة تكريس التوجيه السياسي بدلاً عن التربية السياسية المتزنة والديمقراطية والمنفتحة والمرنة التي مازلنا ننشدها حتى اليوم، كمدخل لبناء المواطنة الصالحة المستنيرة.

المبحث الثالث

التحديات التي واجهت المهاجرين والمغتربين

إن تأثير المهاجرين والمغتربين على مهاجرهم، وكذلك على الداخل اليمني، كان يمكن أن يكون أعظم مما أنجزوه، لولا أنهم تأثروا بعوامل سلبية كثيرة عكست نفسها على مستوى أدائهم ونتائج ذلك الأداء، ومن أهم تلك العوامل والأسباب ما يلي:

1- تدني مستوى التأهيل والتدريب، وهو أمر لم يرتبط بفترة بعينها طوال القرن العشرين، وأن ما قد يقال من اختلافات عرفت عبر الأجيال المتعاقبة من المهاجرين والمغتربين، إن جاز التعبير، فقد كانت اختلافات وتباينات في الدرجة وليس في النوع، فلو قيل إن الأجيال المتأخرة منهم نالت قسطاً أوفر من التعليم، فذلك لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً إلا بمقدار تميز من تعلم القراءة والكتابة عن الأمي الذي لم يمكّنه حظه وإمكاناته من ذلك، وبقي الاثنان محرومين من التأهيل العالي المتخصص الذي يمكّن صاحبه من المنافسة العلمية والعملية والخبرانية للآخرين، حيث بقي محصوراً بين عجزه وما يتاح أمامه من فرص العمل المتدنية في أغلب الأحوال، والتي تتطلب مقايضة جهده البدني بما تيسر من المال على قلته، وتلك كانت الصفة الغالبة والطاغية بين المغتربين، وبالتالي فلم يكن تغيير الأنظمة الحاكمة في الداخل قد مكن المغتربين والمهاجرين من التغيير بالمستوى النوعي المطلوب، باستثناء فترة حركة يونيو 74م التي تنبّهت لمخاطر ذلك، حيث أشار قائد الحركة الشهيد إبراهيم الحمدي في المؤتمر الأول للمغتربين بقوله: "إن المؤتمر سيبحث قضاياكم كاملة، غير أن أمراً واحداً أحب أن يتركز البحث حوله هو كيف يجب أن ننظم الهجرة، وكيف ينبغي أن يكون مستوى المهاجر؟".

2- تعدد اهتماماتهم وانشغالاتهم وتأثيرها على خلافاتهم وعلى نتائج هجرتهم واغترابهم، والحديث حول هذا الأمر يطول، فالاهتمامات تشكلت متأثرة بتباين مستويات التأهيل على بساطته، وتباين الوعي، وارتبطت بالثقافة والقيم التي حكمت علاقات وسلوك وعادات الأفراد، كما تأثرت الاهتمامات بالرغبات المتباينة بالبحث عن الفرص والسعي للنجاح، ثم إنها قبل ذلك ومعها وبعده كانت متأثرة بأهداف الهجرة والاغتراب لدى كل فرد، وما ترتب عليها من إعادة ترتيب الأولويات لدى كلٍ منهم.

وكما تباينت الاهتمامات فقد كانت انشغالاتهم متباينة ومتوزعة بين المسؤوليات الخاصة والالتزامات في المهجر وفي الوطن، ومنصرفه نحو تلبية الاحتياجات، والادخار، والقناعة التي حكمت فهم كلٍ منهم لمعنى العمل العام، سواء على مستوى الجالية والسعي لتوحيدها ومتطلبات ذلك، أو العزوف عن المشاركة، أو أهمية الإسهام في العمل الوطني العام في المهجر وفي الوطن. وقد أثر تعدد اهتماماتهم وانشغالاتهم، وكما عكست أثراً إيجابية عرضنا بعض صورها في هذه الورقة، فإنها قد عكست أثراً سلبية عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ. عزوف كثير من المهاجرين والمغتربين عن التفكير في العودة إلى الوطن أو الاهتمام بمحنته ومشاكله، وخاصة الأجيال المتعاقبة من (المولدين)، وقد رأينا كيف صور ذلك الأديب الراحل محمد عبد الولي في العديد من أعماله الأدبية، وفي مقدمتها روايته (يموتون غرباء)، كما أن الشواهد على ذلك كثيرة، ولا أدل عليها أكثر من أن القوام الحالي للجالية اليمنية في

إندونيسيا يبلغ حوالي خمسة ملايين نسمة، كما يشير إلى ذلك جدول الأعداد التقديرية للمغتربين في الخارج⁽¹⁵⁶⁾.

ب. نتج عن استشراف الخلاف بين العلويين والإرشاديين في شرق آسيا، تنامي التنافس على زعامة المهاجرين والمغتربين. وقد توسعت الخلافات التي تفجرت بسبب زواج علوية من غير علوي إلى انقسام الجالية في إندونيسيا، وسنغافورة وماليزيا، وغيرها إلى جماعتين (جماعة علوية، وجماعة إرشادية)، وراحت كل جماعة تركز للأخرى، وتطور الخلاف إلى أبعد من سببه الرئيسي، وأضحى لكل جماعة مدارسها وصحفها ومرجعيتها، ووصل الخلاف حد الاعتداءات المتبادلة، كما عكست هذه الخلافات نفسها على اهتمامات الأبناء والأحفاد، ومنهم (المولدون)، بما أضعف نزوعهم للانتماء للبلد الأم، وانخرطهم في الحياة العامة، وشراكتهم في مقاومة الاستعمار الهولندي، ثم الياباني، وسعيهم لاكتساب الجنسية الإندونيسية ونيل كامل حقوق المواطنة. وما زاد الأمر سوءاً تدني مستوى التواصل، إن لم أقل غياب آليات التواصل معهم، من قبل السلطات، سواء ما قبل الوحدة أو ما بعدها. على أن هذه المساوئ لم تلغ الأثار الإيجابية للخلاف بين العلويين والإرشاديين بما عكسته من حركة تنوير من خلال تبني فتح المدارس والتوسع فيها، وإصدار الصحف والمجلات، وتأليف الكتب، والمساهمة بإعادة كتابة التاريخ.

ج. اختلاف وتباين النظرة للمسألة الوطنية والحاجة للتغيير، وقد كان ذلك طبيعياً نظراً لتدني مستويات ما حصلوا عليه من تأهيل، وتباين ثقافات بيئات تنشئتهم وتأثرها بممارسات السلطات الحاكمة، التي وإن اجتمعت

(156) عبد الرشيد، المرجع السابق، ص 164، 165.

على إهمال حقوق المواطنين وإهدار الكرامة، لكنها تباينت في تبرير تلك الممارسات باستغلال العصبية القبلية والمذهبية. ولذلك وجدنا المهاجرين والمغتربين من أبناء حضرموت موزعين بين الولاء العلوي والإرشادي، وبين الانتماء في الداخل للسلطنة القعيطية أو الكثيرية، عدا بعضهم لدولة آل عبادات، وكان جل همهم في المسألة الوطنية، إن جاز التعبير، محدوداً بحدود مصالحهم في تلك السلطنات، مثلما اهتمت بذلك أسرة آل الكاف التي جمعت أكبر ثروة حضرمية، وكانت مضرب المثل بين الحضارمة في السعة واليسر. ومن تلك الثروة الطائلة كان آل الكاف يسهمون بقسم لا يستهان به من إيراداتهم من المهجر في التعليم والخدمة الطبية، والإدارة الكثيرية العامة، وتعبيد الطرقات في وادي حضرموت ودوعن والساحل⁽¹⁵⁷⁾. وذلك ما عكس نفسه حتى على صعيد نظرتهم لبريطانيا كدولة مستعمرة، إلا فيما ندر منهم.

في حين وجدنا المسألة الوطنية تأخذ مفهوماً بحجم الوطن لدى مغتربينا ومهاجريننا في أغلب مناطق شرق إفريقيا، وسيلان، وأوروبا، مضاف إليهم رواد حركة المعارضة في الداخل اليمني، وكان دافعهم للتغيير ورغبتهم فيه تمتد لتشمل الوطن، كما عرضت لذلك في صفحات سابقة، بل وتجاوزت اهتماماتهم البعد الوطني إلى البعد القومي بتواصل بعض قياداتهم مع شكيب أرسلان ومع الحسيني في فلسطين، وقيامهم بجمع التبرعات لصالح الثورة الفلسطينية.

د. كما أن من الآثار السلبية التي تبنت بوضوح تلك الثقافات الاستهلاكية غير الرشيدة التي عبرت عن نفسها بحالات التواكل والانصراف عن العمل

(157) بامطرف، المرجع السابق، ص 97.

والإنتاج، وما ترتب على ذلك من إهمال للأرض الزراعية نتيجة اعتماد أهالي المهاجرين والمغتربين في الداخل على تحويلاتهم، ومن خلال زيارة المهاجرين والمغتربين للأهل في الوطن، والإنفاق غير الرشيد لمجرد المباهاة والسعي لاكتساب النفوذ، ولو كان مؤقتاً، والتطاول في البنيان وغيرها.. وهو الأمر الذي تسبب في حدوث مجاعات، منها مجاعة في أنحاء وادي حضرموت عام 1943م نتيجة انقطاع وصول التحويلات من إندونيسيا وسنغافورة، وقد كان فيها أغلب المهاجرين الحضارمة، كما بينا ذلك في صفحات سابقة. يقول محمد عبد القادر بامطرف (الهجرة اليمنية) سابق، ص 108: "بعد نزول اليابانيين في الملايو، وسنغافورة، وجاوا عام 1942م توقفت: أولاً الهجرة من حضرموت إلى أية مقاطعة من الشرق الأقصى، أما الهجرة إلى الهند وإفريقيا الشرقية فقد ظلت متقطعة. وانقطع ثانياً وارد النقود من أقطار الشرق الأقصى، فابتدأ المهجريون يمدون أيديهم إلى مدخراتهم بحضرموت، ونفدت المدخرات وركبتهم الديون فباعوا أموالهم، ثم أثاث منازلهم. وفي مطلع عام 1941م ظهرت بوادر المجاعة، ولم ينتصف عام 1943م إلا وقد انتشرت المجاعة في كافة أنحاء وادي حضرموت، وبما أن "المصائب لا تأتي فرادى"، فقد عمَّ الجفاف معظم أرجاء الإقليم الحضرمي، ومرت على الحضارمة خمس سنوات مظلمة بين 41، 1945م".

3- تدني مستوى التنظيم، وليس المقصود هنا ما أنجزه المهاجرون والمغتربون من أشكال تنظيمية طوال أكثر من النصف الأول من القرن العشرين، فتلك محامد ونماذج أكدت موضوعيتها وفعاليتها، قياساً على زمانها، بما أسهمت فيه من صور الخدمات والرعاية للمهاجرين والمغتربين وأبنائهم في مهاجرهم، بل

المقصود هنا جهود السلطات الوطنية التي كان المعول عليها أن تبني على ما أسسه المهاجرون والمغتربون، ليس فقط من أشكال وهيئات، بل بروحية أداء القائمين عليها وأهدافها الوطنية، لكنها راحت تسييس ما وُجد، وما أوجدته من أشكال وتبنته من سياسات وإجراءات، وتسببت في تخلف مستوى وأشكال الرعاية الحكومية والرسمية برغم كل المسميات التي اتخذتها قبل وبعد الوحدة، وأهملت التخطيط لرفع مستوى تأهيلهم، ولم تهتم بتوجيه وإعادة تشكيل اهتماماتهم وتوجيه وعيهم بما يرفع من مستوى تأثيرهم على مهاجرهم، وتحسين مستوى الرعاية وحفظ الحقوق، وصيانة الممتلكات في الوطن، وتهيئة سبل الاستثمار والادخار وضمانتها، ومتابعة حقوقهم في مهاجرهم بتدخلها لدى السلطات المعنية لصيانتها، وإتاحة الفرص للانخراط في الحياة العامة في مهاجرهم، والسعي للتواصل مع المجنسين منهم وإعادة بناء العلاقات معهم، وترغيبهم بالعودة للوطن للزيارة والاستثمار، وللاستفادة من نفوذهم في مواطنهم البديلة لتحسين ظروف وفرص المهاجرين غير المجنسين، وتنمية وتطوير العلاقات بين مواطنهم البديلة ووطنهم الأصلي.

4- تضيق بعض الأنظمة والسلطات عليهم وعلى مناشطهم واهتماماتهم، كالسعودية، و"دول مجلس التعاون الخليجي"، وعلى حقهم في الاستقرار، وتعليم أبنائهم، وامتلاك المؤسسات التعليمية والاقتصادية المناسبة، وحفظ مكتسباتهم وحقوقهم المختلفة (على الرغم من جهودهم الجبارة في بناء وتنمية تلك المجتمعات التي كانت نظرة مهاجريننا ومغتربيينا لها بأنهم يؤدون واجباتهم وكأنها في مجتمعهم اليمن). وتفتح بالمقابل أبوابها للعمالة الآسيوية، على الرغم من المخاطر الديموغرافية والثقافية التي تحيط بتلك المجتمعات والدول في مجلس التعاون الخليجي، حيث تبلغ العمالة الآسيوية المختلفة فيها أكثر من ستة

عشر مليوناً، وهو ما يفوق أضعاف عدد السكان في بعض دول المجلس، وما يعكسه ذلك من تغيرات ثقافية وعادات تفرضها العمالة الآسيوية وتتطبع بها الأسر الخليجية، حتى بات الكثير منها يتحدث بلكنات ولغات المستخدمين لديها، وذلك يشكل مخاطر كبيرة على عروبة الدول والمجتمعات، وعلى الثقافة العربية بشكل خاص، بل يهدد الوجود ذاته بما تتشرب من عادات وتقاليد وسلوك وقيم واتجاهات تسهم في إعادة تشكيل الضمير والوجدان والاهتمامات العامة والخاصة، إضافة إلى ما يمكن أن تضيفه العولمة من مخاطر التجنيس تحت يافطات الديمقراطية وحقوق الإنسان.

كتب الدكتور حسين غباش⁽¹⁵⁸⁾ موضوعاً مطولاً عن الهجرة والاستيطان والمستقبل الغامض قال فيه: "يتأكد يوماً بعد يوم أن المجتمعات الخليجية الصغيرة قد دخلت، بسبب من تعاضم الوجود الأجنبي فيها في أتون مأزق تاريخي يصعب تصور إمكانية الخروج منه، ولم يعد الأمر يهدد الهوية الثقافية التي همشت، والثوابت الوطنية التي اهتزت، بل يشكل خطراً مستقبلياً على ما تبقى من الوجود الخليجي العربي ذاته". وقال: "بعيداً عن المشهد الخارجي المبهر، فإن الصورة من الداخل تثير القلق بل والريبة، فالشوارع تعج بكل الجنسيات إلا بالمواطنين، وبشكل خاص في الإمارات وقطر. والأغلبية هندية، تليها الباكستانية، والبنغالية، والأفغانية، والفلبينية، والإيرانية، ولحقتها الصينية، تليها الجالية العربية". وقال: "هناك اليوم 16 مليون أجنبي، ومن المرشح أن يصل إلى 30 مليوناً عام 2025م"، وقال: "تبيين الإحصاءات الرسمية 2006، 2007م الخارطة الديمغرافية كالاتي: العمالة الأجنبية في الكويت 60%، وفي

(158) الدكتور حسين غباش من دولة الإمارات العربية المتحدة – على صفحته في تويتر.

البحرين 50%، وفي السعودية 40% إلى 50%، وفي قطر 85%، وفي الإمارات 90%".

ولم يعد لنا إلا الأمل بأن يستدرك إخواننا هذا الخطر الماحق، وأن يراجعوا سياساتهم وإجراءاتهم تجاه مغتربينا، والمغتربين العرب، بما يكفل الحفاظ على عروبة الأوطان والثقافة.

5- عدم اهتمام الدولة بترشيد الهجرة عبر التأهيل السابق من خلال ربط أنظمة وخطط التعليم والتدريب بخطط تنمية شاملة ومتوازنة لتشمل الريف اليمني، وكذلك الحال عدم توجيه الاهتمام بالتأهيل والتدريب أثناء وجودهم وعملهم في بلدان الهجرة، خاصة في الدول التي استوعبت أعداداً كبيرة منهم بما يلبي احتياجات أسواق العمل (ولو بالتنسيق مع الحكومات المعنية)، ويحقق للمستهدفين القدرة على المنافسة من جهة، والرضا الداخلي أيضاً، ويحسن من دخلهم.

وعلى سبيل المثال كان يمكن للسلطة بناء أكثر من مؤسسة ومعهد تدريبي في السعودية والإمارات وغيرهما، بالتنسيق مع الحكومات المعنية ومن العوائد التي تجنيها السلطة من المغتربين، من خلال تعميم الوثائق وتجديد الجوازات وغيرها، وبالاستعانة بإمكانات واحتياطات صندوق التدريب في الداخل اليمني.

6- عودة الكثيرين منهم في عقود مختلفة من القرن العشرين لأسباب عديدة منها:

أ. قيام ثورة 26 سبتمبر وما ولدته من رغبة بالعودة والاستقرار.

ب. قيام حركة 13 يونيو 1974م وما هيأته من فرص ورعاية.

ج. العودة القسرية نتيجة أزمة الخليج الثانية واحتلال العراق للكويت في العام 1990م، والأزمات التي عصفت بالقرن الإفريقي وشرق إفريقيا، وما

استتبع ذلك من إهدار للحقوق والمكتسبات، وعدم تدخل السلطة بالمستويات المطلوبة للدفاع عن تلك الحقوق والمكتسبات واستعادتها.

7- عدم الاهتمام ببناء قاعدة بيانات ومعلومات كافية حول (الأعداد، ونوع الهجرة والاغتراب، وتصنيفهم بحسب إمكاناتهم وتخصصاتهم وأعمارهم، وبحسب النوع الاجتماعي، وأخرى لازمة)، وبناء السياسات والخطط المناسبة بما يكفل رفع مستوى التأثير على مهاجرهم وعلى الوطن.

الخاتمة والتوصيات

أضحت ظاهرة الهجرة والاغتراب تمثل سمة من سمات هذا المجتمع، ولعل مما يزيد من أهميتها، إيماننا بأن الإنسان اليمني يجب أن يكون وسيلة التنمية وغايتها في آن، ولذلك يتوجب على المجتمع والنظام السياسي الحاكم أن يحسن إعداده بما يفرض ذلك من تغيير النظرة وتقدير أهمية الدور، ليس كخدمات تقدم بما تيسر كما هو حاصل اليوم، بل باعتباره استثماراً للمستقبل، وذلك ما يفرض إعادة النظر في التأهيل والتدريب بما يتسق مع متطلبات مواجهة التحديات الذاتية والموضوعية.

والمدخل لذلك التعليم المحكوم بفلسفة وطنية تحدد قواعد وشروط ومواصفات المواطنة الصالحة، (وذلك حديث قدمت بعض تفاصيله أثناء الحديث عن انعكاس إسهامات المهاجرين والمغتربين وتأثيرها على ثقافة المجتمع).

ولئن كان هذا الأمر فوق احتمال ما نحن بصدد، فسيبقى مطلباً وجودياً لا بد من تحقيقه مستقبلاً. ويبقى أن أشير هنا إلى بعض المقترحات لزيادة التأثير في الحاضر والمستقبل، بشكل سريع وبصورة نقاط مركزة ومن أهمها:

1- إعادة تصحيح العلاقة بين وزارة شؤون المغتربين ومكاتب الجاليات اليمنية في الخارج بما يمكن من تحقيق:

(1/1) استقلالية العمل داخل مكاتب الجاليات كونه عملاً نقابياً ديمقراطياً يهتم برعاية شؤون المهاجرين والمغتربين، ويعبر عن آلامهم وآمالهم، ويسهم في خلق وتنمية الثقافة المطلوبة لديهم، ويسعى بالتنسيق مع (الأمانة العامة لاتحاد المغتربين بعد إنشائها) ومع الوزارة لحل مشاكلهم في مواطن الاغتراب والهجرة وفي الداخل اليمني، وصيانة حقوقهم، ويرشد

العلاقة بين المهاجرين والمغتربين ووطنهم بما في ذلك الترويج للمشاريع الاستثمارية المتاحة والمطلوبة المبنية على دراسات الجدوى، وإعادة توجيه اهتماماتهم بما يحقق تعزيز الوحدة الوطنية وتوحيد الأهداف، (وذلك بعد إعادة بناء الثقة مع المهاجرين والمغتربين).

(2/1) تمكين المغتربين والمهاجرين من انتخاب الأمانة العامة لتنسيق الجهود وتساعد على حل المشكلات، وتشرف على تنفيذ الخطط، وتساعد في توفير الممكن من الإمكانيات المطلوبة، والإشراف على عقد مؤتمرات الجاليات، وما ينتج عنها من انتخابات بحيادية تامة، والسعي مع قيادات الجاليات لتيسير تنفيذ قرارات وتوصيات وخطط المؤتمرات الخاصة والعامة.

(3/1) تسعى الوزارة مع الأمانة العامة (المنتخبة) ومختلف الوزارات ذات العلاقة والمصالح المختلفة لتيسير تأمين متطلبات الجاليات فيما يتعلق ب:-
أ- صيانة حقوقهم ومكتسباتهم، وإنشاء مؤسساتهم النقابية والتعليمية والخيرية.

ب- توفير الدعم اللازم لتيسير عمل قيادات الجاليات على المستوى الوطني وبلدان الهجرة والاعتراب.

ج- توفير متطلبات الرعاية اللازمة لهم ولأبنائهم، وتيسير خدمات التعليم والتدريب اللازمين، وتيسير سبل عودتهم لوطنهم.

د- تبني الأمانة العامة، وبإشراف الوزارة، تقديم البرامج المناسبة (المرئية والمسموعة) التي تخدم قضايا المهاجرين والمغتربين، وتعزز وتوثق عرى علاقتهم ببعضهم وبالوطن.

- ه - تمكين الأمانة العامة من إصدار المطبوعات الإعلامية المناسبة التي تعالج قضايا الهجرة والاعتراب في مختلف المهاجر، وتعزيز وتنمي (ثقافة مواطنة مطلّبية مستهدفة) وذلك بإشراك ومساهمة قيادات الجاليات والمهاجرين والمغتربين بشكل عام.
- و- تساعد الوزارة الأمانة في الإعداد والتنسيق لعقد المؤتمرات الوطنية العامة للمهاجرين والمغتربين، وتحرص على المشاركة (دونما تدخل أو وصاية) وفق آلية توضع لذلك.
- ز- تهتم الوزارة بمتابعة أداء الأمانة العامة، ومدى التزامها بتنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمرات، والخطط والبرامج المقررة.
- 2- تتبنى الوزارة فتح وتمويل مركز للدراسات والبحوث يهتم بدراسات: (1/2) ظاهرة الهجرة والاعتراب، وما يتعلق بها تاريخياً، وما يترتب عليها من نتائج، واستكمال التوثيق التاريخي المناسب لها، بالاستعانة بذوي الاختصاص والاهتمام، وبحكومات الدول التي كانت، أو مازالت تمثل مواطن هجرة واعراب لمواطنينا.
- (2/2) إجراء الدراسات والبحوث الميدانية المناسبة الممكنة من امتلاك (بنك معلومات وبيانات) للظاهرة وتعقيدها، وعن المشاكل ومقترحات الحلول، ومتطلبات رفع مستوى المشاركة والتأثير، وإتاحتها أمام المختصين للمساعدة على اتخاذ القرارات المناسبة، أو تقديم للمشورة، أو تسهيل لإجراء المزيد من البحوث والدراسات المتخصصة.
- 3- تتبنى الوزارة مع الأمانة العامة للمغتربين، وبالتنسيق مع الجهات المختصة وذات العلاقة، ومنها وزارة التعليم الفني والتدريب المهني في مراكز مديريات المحافظات ذات الكثافة السكانية من جهة، وكذلك (المقيدة)

بثقافة مجتمعية تميل نحو العزوف عن التأهيل الجامعي لأسباب اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، فتح مراكز تدريب وتأهيل وفق برامج تراعي متطلبات سوق العمل وخطط التنمية في الوطن والجوار.

4- تتبنى الوزارة، وبالتنسيق مع مختلف الجهات ذات العلاقة، السعي لبناء معاهد تعليم فني وتدريب مهني في بلدان الاغتراب والمهاجر المستوعبة لأعداد كبيرة منهم، وبالتنسيق مع حكومات الدول المعنية، لإعادة تأهيل وتدريب المستهدفين وفق خطط وبرامج تراعي:
(1/4) خطط وبرامج التنمية المستهدفة في تلك البلدان ومتطلبات سوق العمل.

(2/4) ظروف عمل المستهدفين بتمكينهم من الالتحاق بالبرامج في الأوقات المناسبة (الليلية مثلاً).

(3/4) تبني برامج تأهيل وتدريب بالشراكة مع الدول المعنية، تكون مواكبة لمتطلبات سوق العمل، ومتميزة بكفاءتها وكفايتها لتحقيق القدرة على المنافسة، وتوفير متطلبات سوق العمل، كما تحقق الرضا للمستهدفين.

(4/4) تقديم خدمات مؤسسات التدريب والتأهيل برسوم رمزية تتناسب وإمكانات المستهدفين.

(5/4) تقديم ما أمكن من تلك البرامج عبر برامج التأهيل عن بعد، أو التعليم التفاعلي كلما أمكن ذلك.

(6/4) منح المستهدفين شهادات معتمدة وفقاً لأساليب التقويم المقررة.

5- تسعى الدولة لتبني خطط تنمية وطنية متوازنة تحد من استنزاف ظاهرتي الهجرة الداخلية والخارجية.

- 6- لا بد من عمل مسح استطلاعي للمدارس (السابقة والقائمة حالياً) في مختلف بلدان الهجرة والاعتراب بقصد التوثيق من جهة، وللاستفادة من المعلومات مستقبلاً للوقوف على إمكانات استمرار مؤسسة ما، وجدوى ذلك من عدمه، ونوع الاحتياج، وإمكانات التطوير ومتطلباته، وقياس أثر المنهج المعتمد واللغة المكرسة للتعليم، وغير ذلك.
- 7- إزالة حالة التداخل في اختصاصات الوزارة والجاليات ووزارة الخارجية مما يرتبط بأنشطة الجاليات.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأغبري، بدر سعيد علي، نظام التعليم وتاريخه في الجمهورية اليمنية، شركة النور للطباعة والمنتجات الورقية، صنعاء، ط1، 2002/2001م.
2. الأرضي، علي صلاح محمد، تاريخ التعليم في عدن، 1839-1967م، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوثيق، الشارقة، جامعة عدن، عدن، ط1، 2001م.
3. البردوني، عبدالله، دار العلوم، مجلة الإكليل، وزارة الثقافة، صنعاء، العددان الثاني والثالث، السنة الثانية، 1983م.
4. البكري، عبد الحميد، التعليم في اليمن (1962-1918م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2000م.
5. الجهاز المركزي للتخطيط، التطور الاقتصادي والاجتماعي في ج. ع. ي. نوفمبر 1967.
6. الجهاز المركزي للتخطيط، كتاب الإحصاء لعام 2010م.
7. الزبيري، محمد محمود، الإمامة وخطرها على وحدة اليمن، وزارة الثقافة، اليمن، ط1، 2004م.
8. الشرعبي، سيف محمد صالح، التعليم بمحافظة تعز ماضيها وحاضرها، نقابة المعلمين اليمنيين فرع تعز، ط2، 1996م.
9. الشميري، عبدالولي، من أعلام الاغتراب اليمني، وزارة شؤون المغتربين، صنعاء، ط1، 2002م.

10. الصايدي، أحمد قايد، أوراق من مذكرات بحري، ورقة مقدمة لندوة "المغتربون الرافد الأساسي للتنمية المستدامة"، كتاب الثوابت، الأفاق للطباعة والنشر، صنعاء، 1999م.
11. الصايدي، محمد صلاح الدين، ورقة مقدمة لندوة "المغتربون الرافد الأساسي للتنمية المستدامة"، كتاب الثوابت، الأفاق للطباعة والنشر، صنعاء، 1999م.
12. الصلوي، العزي، الهجرات اليمنية عبر التاريخ إلى شرق إفريقيا، وزارة الثقافة صنعاء، ط 1، 2004م.
13. العزازي، محمد، وكروزه، هانز، الجمهورية العربية اليمنية دراسة تمهيدية في التنمية الإدارية، د. م، بيروت، د. ت.
14. العززي، عبدالله فارح عبده، اليمن من الإمامة إلى الجمهورية، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، صنعاء، ط1، 2001م.
15. العظم، نزيه مؤيد، رحلة في العربية السعيدة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1986.
16. العلفي، علي محمد، أبرز الأحداث اليمنية، في ربع قرن (سبتمبر 1962- سبتمبر 1987م)، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، د. ت.
17. العودي، حمود، ماضي ومستقبل العمل التعاوني في اليمن رؤية لدور العمل التعاوني في ظل اليمن الاتحادي، مطبوعات مركز دال للدراسات، صنعاء، 2013م.
18. القادري، حامد، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي في إندونيسيا، ترجمة، زكي باسليمان، دار جامعة عدن، ط1، 1998م.
19. الكتاب السنوي لذكرى 14 لثورة 26 سبتمبر، دار الهناء للطباعة، د. م.

20. الكتاب السنوي للجمهورية العربية اليمنية (1383هـ-1963م)، شعبة الإعلام والإرشاد، مجلس رئاسة الجمهورية.
21. الكتاب السنوي للجمهورية العربية اليمنية، وزارة الإعلام، صنعاء، 1967م.
22. المساح، محمد، مقابلة صحفية، ملحق صحيفة الثورة الثقافي، العدد 20234، 2020/4/13م.
23. الواسعي، عبد الواسع، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء، ط4، 1984م.
24. باصرة، صالح علي، الهجرة الحضرية إلى جنوب شرق آسيا (البداية - التأثير والتأثر - النهاية)، ورقة مقدمة لندوة "المغتربون الرافد الأساسي للتنمية المستدامة"، كتاب الثوابت، الأفاق للطباعة والنشر، صنعاء، 1999م.
25. باعباد، علي هود، التعليم في الجمهورية اليمنية، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة السابعة، 2003م.
26. بامطرف، محمد عبد القادر، الهجرة اليمنية، وزارة المغتربين، صنعاء، ط1، يناير 2001م.
27. بحسب مقابلة مع الأستاذ سيد عبد الله الجفري، عضو المجلس الإسلامي السنغافوري.
28. برنامج "مهمة خاصة" من قناة العربية.
29. حسب وثائقي الجزيرة.

30. خطب وتصريحات الرئيس القائد إبراهيم الحمدي، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، ط1، د. ت.
31. دراسة مقدمة للجنة الوطنية للمرأة غير منشورة،
32. زركشي، عزمي، دور مدرسة الجنيد الإسلامية في تعليم الأقليات المسلمة بسنغافورة، بحث منشور في الانترنت.
33. سليمان، كرامة مبارك، التربية والتعليم في الشطر الجنوبي من اليمن، ج1، (1970-1930م)، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط1، 1994م.
34. سيف، أحمد عبده، واقع التعليم في اليمن بين تأثير العولمة ودواعي الإصلاح، د. م، د. ت.
35. طاهر، علوي عبد الله، واقع التعليم في اليمن قبل الثورة، مجلة الإكليل، وزارة الثقافة، صنعاء، العدد الأول، السنة الخامسة، 1987م.
36. غباش، حسين من دولة الإمارات العربية المتحدة – على صفحته في تويتر.
37. ظافر، محمد سعيد، حركة 13 يونيو التصحيحية ودور إبراهيم الحمدي في تأسيس وبناء الدولة اليمنية الحديثة، د. م، صنعاء، 2020م.
38. عبدالرشيد، إبراهيم، كتاب من الثورة إلى الوحدة، وزارة شؤون المغتربين، صنعاء، سبتمبر 2002م.
39. عبده، علي محمد، لمحات من تاريخ حركة الأحرار اليمنيين، ج1، منتدى النعمان الثقافي للشباب، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ط1، 2003.
40. كتب الإحصاء السنوي للأعوام 77/76، 80/79م.

41. محمد، أحمد علي الحاج، التعليم اليمني جذور تشكله واتجاهات تطوره، دار الفكر المعاصر، صنعاء، ط1، 1999م.
42. وثيقة جامعة الدول العربية عن الإدارة الثقافية، حلقة إعداد المعلم العربي في بيروت، أغسطس 1957م.
43. وزارة الإعلام والثقافة، الكتاب السنوي 1980.
44. وزارة المغتربين اليمنيين، تقرير غير منشور، (من وثائق العزي الصلوي).
45. وزارة المغتربين، تقرير غير منشور، مسلّم من العزي الصلوي عضو لجنة مكلفة من وزارة المغتربين لبحث موضوع المدرسة هناك، تاريخه 2013م.

إسماعيلية اليمن في المهجر: الأسباب والآثار

الدكتور/ عمرو بن معد يكرب حسين الهمداني (*)

2020م

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبهم أجمعين..... أما بعد:

الإسماعيليون⁽¹⁾ في اليمن وفي مختلف بلدان المهجر مكوّن مهم وكبير في بنية المجتمعات الكائنة بها، من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهم جزء أصيل من موروث اليمن الثقافي وعمقه التاريخي، وحتى علاقاته الخارجية، ويعانون في الوقت نفسه من فرز طائفي واضطهاد فكري مُنذ سقوط دولتهم الثانية الصليحية على أيدي الأيوبيين. وعلى مدى تسعة قرون وهم يعانون العزلة والترهيب يصل حد التكفير وإخراجهم من ملة الإسلام، بل بلغ الاضطهاد حدود الإبادة الجماعية في بعض مراحل التاريخ.

على مدى التاريخ الإسلامي، لم نر تشويهاً وتحاملاً وتحيزاً ضد فكر ما مثل ما رأينا وشهدنا ضد الفكر الإسماعيلي الفاطمي، لا من حيث التاريخ ولا العقيدة ولا الإنجازات العلمية والفكرية.

(1) الإسماعيلية: يسمون بذلك نسبة إلى إمامهم إسماعيل الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق، ويسمي الفاطميون أنفسهم باسم "أهل الدعوة" أو "المسلمين المؤمنين" ودعوتهم بـ"دعوة الحق" و"الدعوة الهادية". وهم لا يعترفون بالأسماء والألقاب التي نسبت إليهم مثل الفاطمية والإسماعيلية والباطنية والسبعية وغيرها، ولا توجد هذه الألقاب في كتبهم. وقد نسب إلى نفسه الشيخ أبو حاتم الرازي- وهو من كبار علماء الدعوة- في كتاب الزينة، كلمة أهل السنة والجماعة. وقال المؤيد في الدين، باب أبواب الإمام المستنصر (د المؤيد 88):

يا سائلاً تسألني عني.. اعلم بأني رجل سني
أحب أصحاب نبي الهدى.. ديني على حبه مبنی

وقد أطلقت كلمة "الإسماعيلية" على أهل الدعوة عامة في هذا البحث لنسبتهم إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، كما تطلق كلمة الزيدية على أتباع الإمام زيد بن علي، رحمة الله عليه.

أدى الدور السلبي الذي اتخذته الأئمة الزيديون ضد الإسماعيليين إلى تحويل أتباع المذهب إلى مجرد مواطنين من الدرجة الدنيا، وإباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم في أرجاء السعيدة.

وهو ذاته الدور الذي لعبه الفكر الوهابي في نظام آل سعود، الذي أدى أيضاً إلى تحويل الإسماعيليين في نجران الحدودية- المحتلة- إلى مواطنين سعوديين من الدرجة الثانية، وتعرضهم الدائم للانتهاكات الإنسانية.

تتمثل أهداف الدراسة في الوقوف على الأسباب والتأثيرات المختلفة للهجرات الإسماعيلية إلى بلدان المهجر، من النواحي السياسية، والاجتماعية، والثقافية والاقتصادية، التي لعبت الطائفة الإسماعيلية دوراً كبيراً فيها.

وتكمن أهمية الدراسة في كون الوقوف على قضية مهمة كالهجرات اليمنية، أسبابها وتأثيرها، تأتي ضمن أولويات التوثيق التاريخي لليمن وكشف الغموض عن حقائق تلك الهجرات والآثار التي كانت نتاجاً لهذه الظاهرة الاجتماعية.

كما نرى الآثار العظيمة التي خلفتها الطائفة الإسماعيلية من خلال أنشطتهم في محيطهم الجغرافي، من خلال نشرهم للعلوم الحداثية والثقافة الإسلامية الموضوعية فيها، ومن ذلك بلاد الهند والسند، وعدد من دول إفريقيا كمصر وكينيا وغيرها، وامتدت تلك الآثار إلى بلدان مختلفة في أوروبا وأمريكا، وكريباتانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي إطار ذلك حرصنا في إعداد الدراسة على إتباع الترتيب الزمني للوقوف على المراحل المختلفة للهجرات اليمنية الإسماعيلية، والاعتماد على المنهج التاريخي في القسم التمهيدي.

وسلّطت الدراسة الضوء على الطائفة الإسماعيلية اليمانية خلال فترتين زمنيتين، الأولى تاريخية مُنذُ نشأة الدولة الفاطمية الأولى وحتى الانهيار، والفترة الثانية مُنذُ العام 1100 وحتى 1440هـ.

ومن الناحية الجغرافية ركزت الدراسة على مناطق انتشار أتباع الطائفة الإسماعيلية ومناطق هجراتهم في اليمن، والهند، وباكستان، وبريطانيا، وأمريكا، وكينيا، ومصر، والمغرب.

وقام الباحث بتقسيم الدراسة إلى قسمين، تطرقت الدراسة في قسمها الأول إلى الخلفية التاريخية لنشأة الإسماعيلية ومراحل تطورها وانكماشها وتقسّمها وتشرذمها، وصولاً إلى تمركز الإسماعيلية في نجران، وفي الهند وباكستان وكينيا (نيروبي)، وعدد من البلدان الأخرى، ومراحل بناء الدولة، واحتوى القسم الأول على الموضوعات التالية: حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن، وسفارة الإمام علي إلى اليمن، والدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن، والدولة الصليحية النشأة وسقوط الدولة، وإسماعيلية نجران وبناء الدولة، وإسماعيلية الهند والسند.

وفي القسم الثاني من الدراسة، تم التطرق إلى هجرات الإسماعيلية من حيث الأسباب المؤدية إلى تلك الهجرات، وأخيراً تم الوقوف على الأثار المترتبة على تلك الهجرات والتأثيرات التي كانت للطائفة الإسماعيلية في المحيط الاجتماعي لبلدان المهجر.

أولاً: التعريف بالإسماعيلية (الفاطمية) في اليمن والجزيرة العربية (خلفية تاريخية)

حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن:

بعد ما حدث في أيام الخليفة عثمان من أهم الأحداث التي فرقت بين المسلمين، وقسمتهم إلى معسكرات. وكان من الطبيعي- بعد أن أثر اليمينيون الإسلام على أنفسهم ووطنهم، وتناسوا معه العصبية الجاهلية- أن يشتركوا في تلك الأحداث، وأن تجتريهم التيارات المتضادة، وتتحرف بهم أعاصير السياسة، فذهب من ذهب منهم مع الإمام علي وهم الكثير، وانضم منهم فريق آخر إلى معاوية، وتعصب كل فريق لصاحبه.

سفارة الإمام علي إلى اليمن:

ومن هنا نرى أن علياً كان له مريدون ومحبون من الصحابة في عهد الرسول- ﷺ، ولم يقتصر وجود هؤلاء على المدينة وحدها، بل أخذ عددهم يزداد كلما اتسعت رقعة الإسلام، وزاد عدد المسلمين؛ وبخاصة في بلاد اليمن لأنها حظيت بإرسال علي إليها في عهد الرسول. وزار أمير المؤمنين اليمن ثلاث مرات، وفي المرة الأخيرة وصل إلى عدن أبين⁽²⁾، وذكر ابن هشام⁽³⁾ أنه- ﷺ- قد بعث سنة تسع (عام الوفود) بعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه- إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم، ويقدم عليهم بجزية، وقال ابن كثير ما معناه أن النبي- ﷺ- أرسل علياً إلى اليمن قبل حجة الوداع، أي نهاية سنة 10 هـ، فقدم على صنعاء، وصلى برجالها، وجمع قبائل همدان، وقرأ عليهم

(2) الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص13

(3) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك الحميري المعافري، سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أجزاء ص965

كتاب النبي -ﷺ-، فأسلمت همدان جميعاً في يوم واحد، ولما وصل الخبر إلى النبي -ﷺ- خَرَّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: "السلام على همدان، السلام على همدان". وذكر الهمداني في "الصليحون" أن علياً دخل عدن أبين، وخطب على منبرها خطبة بليغة، وذلك قبل رجوعه إلى المدينة.

ويرى الهمداني أن هذه الاتصالات الشخصية باليمن قد تركت أثراً في نفوس الناس هناك، ذلك الأثر هو حب علي وآل بيت النبي، وبقي هذا الحب يزداد ما بقيت الأيام، حتى أن الإمام الفاطمي المستور الحسين بن أحمد⁽⁴⁾ حين أرسل أبا القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي⁽⁵⁾ داعياً إلى اليمن أمره أن ينزل عدن لاعة⁽⁶⁾؛ لأن بها بعضاً ممن يدين بدعوته؛ ولأن الله عَزَّ وَجَلَّ قسم لليمانية ألا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم، فوصل إليها حيث وجد كثيرين ممن يدينون بالولاء لعلي وآل بيته.

(4) أبو المهدي عبدالله بن الحسين، ويدعى الحسين المقتدى أحياناً (إدريس، عماد الدين: زهر المعاني ص63) وهو الحسين بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وقد اختلفت المصادر اختلافاً شديداً في أسماء أجداد المهدي عبدالله. وذلك يرجع إلى الستار الذي فرضه الأئمة المستورون على أنفسهم وإلى اختيارهم أسماء غير أسمائهم الحقيقية كما رواه الشيخ جعفر بن منصور اليمن في كتابه المسمى بالفرائض وحدود الدين (انظر: On the Genealogy of the Fatimid Caliphs. School for Oriental Studies, Cairo: American University of Cairo 1958).

(5) كذا ورد اسمه في افتتاح (3-4) وفي الحور ص197 جاء: أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي واشتهر باسم منصور اليمن بعد أن فتح هو وعلي بن الفضل الجيشاني اليمن.

(6) عدن أبين مشهورة، لكن وجب التمييز بينها وبين عدن لاعة: وهي قرية بجانب مدينة لاعة من أعمال صنعاء (معجم البلدان 4/ 89).

الدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن (303-268هـ):

لقد استفاد الداعيان الإسماعيليان (ابن حوشب، وابن الفضل) من الحالة السياسية والدينية في اليمن عند ظهورهما وقدراتهما الذاتية، واستغلا الإمكانات التي توافرت لهما، وسرعان ما أصبحا ضمن حلقات الصراع في اليمن كطرف فاعل بالغ التأثير شديد الخطورة ووقفت أمامه بقية الأطراف مضطربة فزعة مذعورة وعاجزة عن الحد من اندفاع تياره الجارف الذي اكتسح جبال اليمن وسهولها، وبسط نفوذ الدعوة الإسماعيلية على معظم هضبة اليمن وجبال السراة، وكادت سلطتهما تغطي كامل التراب اليمني لولا الظروف التي أحاطت بالدعوة عموماً والمتمثلة بظهور عبيدالله المهدي في المغرب الأقصى، وانفصال علي بن الفضل عن التكوين الدعوي، واستقلاله بالسلطة فيما تحت يديه من الأرض وإعلانه ثورته السياسية، وانتهاج أسلوب الحكم الفردي في إدارة مملكته. وهذا الوضع انعكس سلباً على جهاز الدعوة في اليمن؛ إذ أدى فيما بعد إلى اختلاف الداعيين في اليمن، وتفاقم الأمر باحتدام الخلاف وتحوله إلى صراع دموي بينهما، وكان لأطراف الصراع الأخرى في اليمن أدوار مشهودة في تأجيجه وإذكاء أواره.

لم يؤد اختلاف ابن حوشب وابن الفضل إلى إضعاف مركز الدعوة في اليمن وحسب، بل أتاح لخصومها-اليعفريين والإمام الرسي- فرصة النيل من مصداقيتها، والطعن في صحة عقيدتها، والتشكيك في إيمان أصحابها إلى حد الجهر بتكفيرهم، والدعوة إلى جهادهم وتطهير البلاد من رجسهم، وتم لهم تدمير المذخرة، والتنكيل بأصحاب علي بن الفضل، وسبي نسائه وقتل أولاده، ثم الإجهاز على كيان ابن حوشب في مسور، لتدخل الدعوة الإسماعيلية بعدها

في اليمن مرحلة الانكفاء على الذات "الستر"⁽⁷⁾، وممارسة النشاط الدعوي بصورة محدودة جداً وبشكل سري تام حتى سنة 439هـ⁽⁸⁾.

الدولة الصليحية (439-525هـ):

قامت دولة (الصليحيين) على يد مؤسسها علي بن محمد الصليحي، وذلك في عام (439هـ). وقد نشأ الصليحي في بلدة (الأخروج) من بلاد الحيمة، إحدى نواحي لواء صنعاء، وكان والده القاضي (محمد الصليحي) يقيم في حصن (يناع) من بلاد الحيمة، وكان سني المذهب نافذ الكلمة في قومه⁽⁹⁾.

وقد اعتنق الصليحي مذهب الإسماعيلية على يد آخر دعائها في مرحلة الاستتار الداعي (سليمان بن عبد الله الزواحي)، وكان الدافع لهذا إلى العناية بتربية (علي بن محمد الصليحي) وتعليمه المذهب الإسماعيلي، ما لاح له من مخائل النبل فيه، والاستعداد لحمل أعباء الدعوة الفاطمية بعد موته⁽¹⁰⁾.

ولما حضرت الداعي (سليمان الزواحي) الوفاة أوصى بكتبه وبمال وفير لعلي بن محمد الصليحي، بعد أن وافق الإمام الفاطمي المستنصر بالله⁽¹¹⁾ على ذلك، ساعد (الصليحي) كل ذلك على الاضطلاع بالمسؤولية، دعوةً وحكماً، على أكمل وجه.

(7) "دور الستر": مدة من الزمن يكون فيها الإمام صاحب الزمان متخفياً، ومرت الدعوة بدور الستر الأول في عصر الإمام المستور عبدالله بن محمد، المتوفى عام (212هـ) وانتهى بقيام الإمام عبدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، المتوفى عام (322هـ)؛ أما دور الستر الثاني فبدأ باستتار الإمام الطيب المولود سنة (524هـ) وحتى الآن.

(8) للمزيد يمكن الاطلاع على كتاب الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص48.

(9) الصليحيون ص62 .

(10) الصليحيون ص68 .

(11) المستنصر بالله (٤٢٠ - ٤٨٧ هـ) هو أبو تميم معد بن الظاهر المعروف بالمستنصر بالله بن علي الظاهر لإعزاز دين الله، وهو الخليفة الفاطمي الثامن والإمام الثامن عشر في سلسلة أئمة الشيعة الإسماعيلية، توفي في (18 من ذي الحجة سنة 487هـ) عن عمر يناهز سبعة وستين عاماً، وبعد حكم دام نحو ستين عاماً، وهي أطول مدة في تاريخ الخلافة الإسلامية. (انظر: بحوث في الملل والنحل للسبحاني 138/8؛ أيضاً: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة؛ يمكن الرجوع إلى المقرئزي؛ اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق الشبال ومحمد حلمي).

وقد بدأ علي بن محمد الصليحي أمره دليلاً للحاج على طريق جبال السراة، واستمر على ذلك خمسة عشر عاماً⁽¹²⁾، كان خلالها يتعرف على أهل اليمن، ويجتمع بالعلماء منهم ومن غيرهم، وكان يبحث مع من يأنس بهم أمر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن، وعن الوسائل الكفيلة بنجاحها. وأكسبته رحلات الحج تلك خبرة بأحوال الناس، ومكنته من دراسة النفس اليمنية، وأفادته في التعامل معها طيلة عهده. وبقيام الإمارة النجاحية والدولة الصليحية قامت في اليمن حكومتان متعارضتان سياسياً وعقائدياً، اتسمت الأولى بالسنية بحكم تبعيتها للعباسيين، واتسمت الثانية بالشيوعية بحكم تبعيتها للفاطميين.

وفي العامين الأخيرين من (الخمسة عشر عاماً) التي ظل علي بن محمد الصليحي فيها دليلاً للحاج بحث مع أعيان اليمن ممن يأنس بهم أمر القيام بالدعوة الفاطمية في اليمن، ثم تعاهد مع ستين رجلاً من همدان في مكة على أن يجهروا بالدعوة، ويجاهدوا في سبيلها حتى يظفروا بها أو يموتوا، وكان المتحالفون معه في عزة ومنعة من قومهم.

وحدد مع خاصته يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة من عام (439) للهجرة موعداً لإعلان الدعوة من أعلى جبل مسار في بلاد حراز، وطلب منهم وصولهم في الموعد المذكور، وكانوا من يام نجران وسنحان صعدة، وغيرهما. وفي نفس اليوم المذكور بعث رسله إلى أتباعه القريبيين منه في بلاد حراز، واجتمع له ذلك اليوم من همدان ثلاثمائة رجل، عدا من اجتمع لديه من بلاد حراز والمناطق القريبة منها.

ولما كان عصر اليوم المذكور أرسل علي بن محمد الصليحي أربعين رجلاً من أهل هوازن من بلاد حراز إلى قمة جبل مسار للتمركز فيه، ومنع أهل

(12) الصليحيون ص 65 .

مسار من الاستيلاء عليه والحيلولة دون طلوعه. أما هو وبقية أتباعه فإنهم صعدوا جبل مسار بعد صلاة العشاء، وفشلت محاولة أهل جبل مسار منعه من طلوع الجبل⁽¹³⁾، ومن أعلى جبل مسار أعلن دعوته للإمام المستنصر بالله. وتختلف الروايات حول تاريخ مقتله، حيث يؤكد الكثير من المؤرخين أن مقتله كان نتيجة خيانة العبيد له أثناء توجهه إلى الحج يوم السبت 12 ذي القعدة سنة 473هـ، وفي رواية أخرى أنها سنة 459هـ.

تسامح الدولة الصليحية مع أهل السنة:

من ضمن السياسات التي اتبعتها الصليحية في إدارته لليمن يذكر الهمداني في "الصليحيون" أن الصليحي كان يتسامح مع أهل السنة، وصبر على تكفير الناس له، ووصفه بالجور.

كذلك فعل أسعد بن شهاب لما دخل زبيد سنة 456هـ والياً عليها من قبل الصليحي، "فأحسن السيرة في الرعية، وأذن لأهل السنة بإظهار مذهبهم"، وغير ذلك من الأحداث التي بيّنها الهمداني في الصليحيون⁽¹⁴⁾. ويؤكد الهمداني أن هذه السياسة الدينية للدولة الصليحية ساعدت إلى حد ما على حفظ الأمن في البلاد الخاضعة لها، مع وجود المعارضة القوية لمذهبها الرسمي.

الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي:

هي أروى بنت أحمد بن محمد بن جعفر بن موسى الصليحي، وتلقب بـ"السيدة الحرة"، وغلب على اسمها في كتب التاريخ، زوجة المكرم أحمد بن علي الصليحي ملك اليمن، من الأسرة الصليحية التي حكمت اليمن بعد أن وحدت معظم إماراته (533-439هـ)، ونشرت الدعوة الإسماعيلية.

(13) الصليحيون ص75 .

(14) انظر الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ص110، 111.

فوض المكرم الأمور إلى زوجته أروى، فكان أول ما قامت به، بعد أن غادرت صنعاء، أن اتخذت مقرها في قصر شيده زوجها في حصن بجبله (اليمن)، ونقل إليه ذخائره، واتخذت جبلة عاصمة لها، وقامت بتدبير المملكة خير قيام، وبسطت سلطانها على القبائل اليمينية، فخضع الناس لها، وكانت مراسلات المستنصر بالله الفاطمي تصدر إلى اليمن باسمها.

وبعد وفاة زوجها المكرّم سنة 481هـ، اختلف الصليحيون والزواحيون في من يتولى الحكم، وكان زوجها قد أوصى أن تسند أمور الدعوة إلى الأمير المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي الذي طمح إلى الزواج منها، فلم ترض أروى بهذا الاختيار، واحتكم سبأ إلى المستنصر بالله الفاطمي الذي أمر أروى أن تقبل بسبأ زوجاً، وإن ظل هذا الزواج صورياً. وظلت أروى تمسك بمقاليد الحكم الفعلية، وتُرفع إليها الرقاع، ويجتمع عندها الوزراء، ويدعى لها على منابر اليمن، فيخطب أولاً للخليفة الفاطمي، ثم لسبأ بن أحمد، ثم للسيدة الحرّة أروى. ولم تلبث أن استقلت بأمر الحكم بعد وفاة زوجها الثاني سبأ سنة 492هـ، واعتمدت في تدبير أمور الملك على عدد من الثقات، منهم: المفضل بن أبي البركات، وزريع بن أبي الفضل، وعليّ بن إبراهيم بن نجيب الدولة وغيرهم، وامتدت أيام حكمها بعد ذلك أربعين سنة، استطاعت في أثناءها أن تمارس سيادتها على الإمارات اليمينية الصغيرة من دون إخضاعها.

وقد عملت السيدة أروى إبان حكمها على تشجيع البناء والعمارة، وأولت إنشاء المدارس والمستشفيات والمساجد اهتمامها الزائد، ولم يقف نفوذها عند حدود اليمن، فقد كلّف الخليفة الفاطمي الإمام المستنصر الملكة السيدة أيضاً بشؤون الدعوة الإسماعيلية بشكل رسمي في عُمان وغربي الهند.

وقد أشرف الصليحيون بشكل واضح على اختيار الدعاة وإرسالهم إلى كوجرات في غربي الهند، وذلك بعد الحصول على الموافقة من مركز الدعوة الفاطمية الرئيسي. ولعبت السيدة دوراً حاسماً وخصوصاً في إعادة تجديد الجهود الفاطمية في عهد المستنصر لنشر الدعوة الإسماعيلية في شبه القارة الهندية، ونتيجة لهذه الجهود الصليحية بدأ الدعاة الذين تم إرسالهم من اليمن بتأسيس طائفة إسماعيلية جديدة في كوجرات في حوالي العام 460 هـ، وحافظت الدعوة في غربي الهند في عهد الملكة السيدة على روابطها المحكمة مع اليمن. وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تحولت الطائفة الإسماعيلية التي تم تأسيسها في كوجرات لتصبح طائفة البهرة⁽¹⁵⁾ الطبيعية الحالية. وعلينا أن نضيف هنا أن امتداد الدعوة الإسماعيلية في اليمن وكوجرات في عهد المستنصر قد تعلق وبشكل مباشر بتطور المصالح التجارية الجديدة للدولة الفاطمية، والتي تستلزم الانتفاع من اليمن كمركز أمن على طول طريق البحر الأحمر التجاري إلى الهند.

(15) الطيبون البهرة الداويون جماعة مسلمة شيعية تنتمي إلى الفرع المستعلي من الإسماعيلية، وتعود بتراتها الديني والأدبي إلى الأئمة- الخلفاء الفاطميين في شمال إفريقيا ومصر، وهم في معظمهم هنود من أهالي البلاد تحولوا إلى الإسلام في القرن الخامس / الحادي عشر على أيدي دعاة أرسلهم بداية الإمام المستنصر، وفي مرحلة ما أصبحوا يعرفون بلقب "البهرة" (وفي بعض الأوقات بـ"البهري" المستعملة في صيغتي الجمع والمفرد)، وفي اللغة الغجراتية تعني هذه الكلمة "الرجل الأمين أو الجدير بالثقة في التعامل والتفاعل الاجتماعي" أو ببساطة "التاجر"، وتشير "الداودية" وتكتب عند العامية داودية في البهرة الداودية إلى اعترافهم بولاية الداعي سيدنا داود بن قطب شاه الذي تولى الدعوة بين 999 و1021 هجرية، بينما عارضه سليمان بن الحسن أول دعاة البهرة السليمانية. المجموعة الثالثة هم البهرة العلويون، وتبدو الاختلافات العقائدية بين جميع المجموعات في أدنى حد لها.

انشقاق الدعوة الإسماعيلية - الانشقاق المستعلي النزاري:

حدث الانشقاق المستعلي النزاري في الإسماعيلية في عهد السيدة أيضاً عام 487هـ، وقسم هذا الانشقاق الطائفة الإسماعيلية الموحدة آنذاك إلى جزأين متنافسين، وهما المستعلية التي اعترفت بالمستعلي خليفة للمستنصر بالله على العرش الفاطمي وأيضاً إماماً لهم، والنزارية التي أيدت حقوق نزار الابن الأكبر للمستنصر، واعتبرته ولي العهد الشرعي المُعَيَّن من قبل المستنصر.

واعترفت الملكة السيدة الحرة بالإمامة الشرعية للمستعلي بعد المستنصر، وذلك بحكم العلاقات المحكمة بين اليمن الصليحية ومصر الفاطمية، وبذلك حافظت على روابطها مع القاهرة والمركز الرئيسي للدعوة هناك الذي أصبح يخدم كمركز للدعوة المستعلية. ونتيجة لقرار السيدة انضمت الطوائف الإسماعيلية في اليمن وكوجرات، مع معظم الإسماعيليين في مصر وسوريا، إلى مخيم المستعلية بدون أي انشقاق، لكن الإسماعيليين في جهة إيران -شرق العالم الاسلامي- الذين أقاموا في المناطق الخاضعة للسلاجقة، كانوا آنذاك تحت قيادة الحسن بن الصباح (518هـ/1124م)، وهؤلاء أيدوا دعوى نزار ورفضوا الاعتراف بإمامة الخليفة المستعلي الفاطمي.

انهيار الإمبراطورية الفاطمية:

تم اغتيال الإمام الأمر وهو الخليفة الفاطمي العاشر والإمام العشرون للمستعلية في ذي القعدة 524هـ / تشرين الأول 1130م، وبعدها بدأت الخلافة الفاطمية طورها الأخير من الانهيار والانحطاط الموسوم بأزمات متعددة تتعلق بالسياسة والحرب والدين والسلالة الحاكمة، كما أضعف الانقسام الجديد أيضاً الدعوة المستعلية. وولد للأمر صبي قبل موته ببضعة أشهر، وسُمي

"الطيب"⁽¹⁶⁾، وتم النص عليه في سجل البشارة الذي بعث به الإمام الأمر إلى السيدة الحرة مع الشريف محمد بن حيدرة، وهو شخص موثوق، معلناً ولادة أبو القاسم الطيب في ربيع الثاني 524 للهجرة⁽¹⁷⁾. شهد على صحة حقيقة الطيب التاريخية ابن ميسر (677هـ-1278م)⁽¹⁸⁾ ومؤرخون آخرون. وعلى أية حال، عيّن الطيب على الفور وريثاً للأمر، وبوفاة الإمام الأمر تولى الحكم ابن عمه أبو الميمون عبدالمجيد (526هـ-1132م) الذي سُمي لاحقاً "الخليفة" و"الإمام"، وأعطى لقب "الحافظ لدين الله".

الانشقاق الطيبي الحافظي:

سبّب إعلان الحافظ لدين الله خليفة وإماماً انقساماً كبيراً في الطائفة المستعلية، ولقي ادعاؤه الإمامة الدعم بشكل خاص من تنظيم الدعوة الرسمي في القاهرة، والأغلبية من الإسماعيلية المستعلية في مصر وسورية الذين أصبحوا معروفين بـ"الحافظية". وأيدت الملكة السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي قضية الطيب معترفاً به خليفة للأمر على الإمامة. وفي البداية كان يطلق على هؤلاء الإسماعيليين اسم "الأميرية"، ولكن بعد تأسيس الدعوة الطيبيية المستقلة في اليمن فيما بعد أصبحت تسميتهم "الطيبيية"، وأصبحت

(16) أبو القاسم الطيب بن المنصور يعتبر الإمام الحادي والعشرين للشيعنة الإسماعيلية المستعلية، وهو ابن الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله، وبحسب رواية المقرئزي فإنه ولد في ربيع الأول من عام 524 هجري وزينت القاهرة بميلاده بأمر من أبيه الأمر بأحكام الله لمدة 14 يوماً، وأصبحت السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحي مستودعاً له لكي تكون اليمن مهدياً للدعوة للإمام الطيب حيث دخل الأئمة في دور الستر الثاني (الكهف الثاني) (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

(17) هذه السجلات محفوظة في المجلد السابع من "عيون الأخبار" للداعي إدريس وفي مصادر طيبيية أخرى، وكذلك موجودة في "عمارة، تاريخ"، نص الصفحات 100-102، الصفحات المترجمة 135-36، انظر كذلك ستيرن "الخلافة" الصفحة 149ف، والهمداني، "الصليحيون"، الصفحات 183-84، -321-322.

(18) ابن ميسر، "أخبار مصر"، تأليف فؤاد سيد (القاهرة: المعهد الفرنسي لعلوم الهندسة المعمارية الشرقية، 1981)، الصفحات 109-110.

السيدة حينها الزعيمة الرسمية للجماعة الطيبية في اليمن، وقطعت روابطها مع القاهرة بشكل مشابه لما فعله الحسن بن الصباح في بلاد فارس عند وفاة المستنصر عام 487هـ/1094م. وصادقَ الداعي الذؤيب⁽¹⁹⁾ بشكل كامل على قرار السيدة. وعلى العكس، فالزريعيون من عدن، وبعض الهمدانيين من صنعاء الذين انتصروا باستقلالهم عن الصليحيين قد دعموا الإسماعيلية الحافظية باعترافهم بالحافظ والخلفاء الفاطميين اللاحقين له أئمة لهم.

ارتبطت الإسماعيلية الحافظية بالنظام الفاطمي، واختفت سريعاً بعد انهيار الأسرة الفاطمية الحاكمة عام 567هـ/1171م، والغزو الأيوبي القادم من جنوب الجزيرة العربية عام 569هـ/1173م. أما الدعوة الطيبية التي بدأت بها السيدة فقد بقيت في اليمن، وبقي مركزها الرئيسي في حراز. وبسبب الروابط القوية والمحكمة بين اليمن الصليحي وكوجرات كانت الدعوة الطيبية أيضاً محفوظة في الهند الغربية، وهذا يبرر استمرارية تواجد الإسماعيلية الطيبية هناك، ويعرفون حالياً بـ"البهرة".

فصل الدعوة عن الدولة:

لما توفي الخليفة المستعلي سنة 495هـ، وخلفه ابنه الأمر، قامت الملكة الحرة بالدعوة خير قيام، وساندها في ذلك الداعي يحيى بن لمك، حتى توفي الداعي يحيى سنة 520 هـ. ولما تبين للملكة أن مملكتها أخذت تنزعزع أركانها قررت بثاقب فكرها أن تفصل الدعوة عن الدولة⁽²⁰⁾ فصلاً تاماً، كما كان الحال في مصر، حتى تباشر الدعوة نشاطها العلمي والديني مستقلة عن تأييد الدولة،

(19) الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني: الداعي المطلق الأول في سلسلة الدعاة الطيبين في دور الستر الثاني الذي أعقب وفاة الإمام الأمر بأحكام الله واستتار ابنه الإمام الطيب بن الأمر. (للمزيد انظر ترجمته ضمن مجموع رسائل الذؤيب، تحقيق وتقديم: د. عمرو بن معد يكرب حسين الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، 2014م).

(20) للمزيد عن ذلك انظر الصليحيون ص232

فصلت هيئة الدعوة كلية عن إدارة الحكومة⁽²¹⁾. وبعد عام 526هـ مباشرة أعلنت السيدة تولى الذؤيب رتبة "الداعي المطلق"، وهو الداعي الذي يمتلك الصلاحية المطلقة، هذا يعد أيضاً إجراءً ذكياً منها لتضمن البقاء للإسماعيلية الطيبية بعد سقوط الدولة الصليحية. وساهم الداعي المطلق الأول الذؤيب الذي عاضده بداية الداعي الخطاب بن الحسن⁽²²⁾ في نجاح الدعوة الإسماعيلية الطيبية، وبعد مقتل الخطاب على يد أبناء أخيه عام 533، وذلك بعد وفاة الملكة الحرة بعام، عين الذؤيب إبراهيم بن الحسين الحامدي الهمداني⁽²³⁾ معاضداً وخليفةً له، وبعد وفاة الذؤيب عام 546هـ خلفه إبراهيم (557هـ/1162م) على قيادة الدعوة الطيبية بوصفه "داعياً مطلقاً". وهكذا أصبحت الدعوة الطيبية مستقلة تماماً عن النظام الفاطمي وعن الدولة الصليحية، وهذا يوضح سبب بقائها بعد سقوط كلتا السلالتين الحاكميتين، ونجاحها في القرون التي تلتها في توسعها الناجح في اليمن والهند الغربية بدون أي دعم سياسي.

(21) الاعتزال عن أمور السياسة والدولة إذا ما أصبحت عاقبة أمام الهدف السامي، لأنها (أي أمور السياسة والدولة) كانت عند الفاطميين ودعاتهم آلة لأداء المسؤولية الكبرى التي هي حفظ الدعوة وتربية المؤمنين، وقد اختاروا دائماً عدم التدخل في سياسة الحكومات، وأوصوا أتباعهم بالوفاء لحكومتهم أينما كانوا في البلاد. (انظر الموسم ص32؛ العددان (43-44) 1999م).

(22) السلطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري (475 - 533 هـ / 1082 - 1138 م)، أحد شعراء القرن السادس الهجري من أهل اليمن، متصوف، فارس، كان معاضداً للداعي الذؤيب بن موسى الوادعي، وتوفي في حياته (انظر: بوابة الشعراء، السلطان الخطاب؛ أنظر أيضاً: السلطان الخطاب- حياته وشعره، إسماعيل قربان حسين، ص72، أنظر أيضاً ترجمته كاملة ضمن مجموع مؤلفات الخطاب، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، 2017م).

(23) إبراهيم بن الحسين الحامدي الهمداني: الداعي المطلق الثاني في سلسلة الدعاة الطيبين في دور الستر الثاني الذي أعقب وفاة الإمام الأمر بأحكام الله واستتار ابنه الإمام الطيب بن الأمر (للمزيد انظر ترجمته ضمن مجموع مؤلفات الحامدي، تحقيق وتقديم: د. عمرو بن معديكرب حسين الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، 2016م).

سقوط الدولة الصليحية:

مرضت الملكة أروى طويلاً، فلما ماتت دفنت في مسجد كانت بنته بذوي جبلة، وقبرها لا يزال حتى اليوم مزاراً. وقامت عدة محاولات في العصور الوسطى من قبل الزيديين وأعداء الإسماعيلية الآخرين في اليمن لتدمير جامع ذي جبلة، ولكن حجرة قبر السيدة الحرة التي حفر عليها آيات قرآنية بقيت سليمة، ومثل موتها النهاية الفعلية للسلالة الصليحية الحاكمة، وعلى إثر وفاتها دبّ الضعف في جسد الدولة الصليحية، وتفككت أوصالها، وصار الأمر فيها إلى الأمراء من آل زريع، وانتهى أمر الصليحيين تماماً بعد أن غزا توران شاه بن أيوب اليمن سنة 569هـ.

الانشقاق السليماني الداودي وانتقال الدعوة إلى الهند:

مُنذ انتهاء الدولة الصليحية استمرت الدعوة الطيبية الإسماعيلية في مسارها، بقيادة الدعوة من أسرة الحامدي الهمداني، ثم من دعاة بني الأنف القرشيين، ابتداءً بالداعي علي بن محمد بن الوليد⁽²⁴⁾. وقد تتابع الدعوة من بني الأنف حتى عام 946هـ/ 1539م، ولم يتخللهم إلا داعيان من أسرة الوادعي، هما الداعي علي بن حنظلة الوادعي (ت626هـ)، وحفيده علي بن الحسين بن علي (ت686هـ)، وكانت سياستهم تسير في خط واحد تقريباً، فقد دأبوا على عدم التدخل في شؤون السياسة بقدر الإمكان. ونتيجة الدور الذي لعبه حكم أئمة الزيدية ضد الإسماعيلية، فقد انضوت الإسماعيلية ضمن القوى المعارضة لحكم الزيديين، وكان القرن الثامن الهجري من أكثر الفترات التي شهد فيها الطرفان

(24) علي بن محمد بن الوليد: الداعي المطلق الخامس في سلسلة الدعوة الطيبية في دور الستر الثاني الذي أعقب وفاة الإمام الأمر بأحكام الله واستتار ابنه الإمام الطيب بن الأمر (للمزيد انظر ترجمته في مقدمة ديوانه، تحقيق وتقديم: د. عمرو بن معديكرب حسين الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، 2015م).

الإسماعيلي والزيدي صراعاً مطرداً لم يستطع أحد طرفيه أن يكون المنتصر المطلق⁽²⁵⁾. واستمر الوضع على سالف عهده إلى فترة الإمام الزيدي شرف الدين، عندما خاض ولده المطهر ضد الإسماعيلية أشرس المعارك التي شهدتها الطرفان، فبدأ حملة تصفية لهم في العام 929هـ/1522م في دروم (طيبة) من همدان الصغرى القريبة من صنعاء، وأسقط قلاعهم وحصونهم الواحد تلو الآخر حتى أجلاهم عن بلادهم، وكان آخر تلك الحروب عام 944هـ/1537م عندما فتح شمس الدين- الابن الآخر للإمام شرف الدين- بلاد حراز⁽²⁶⁾. واعتقد الإسماعيلية أن دخول الأتراك إلى اليمن عام 1538م هو حبل النجاة لهم بعدما شردوا من مناطقهم، ولكن لم يدم ذلك حتى لعب الأتراك نفس دور الأئمة الزيديين، حيث قام الأتراك بسجن الداعي الإسماعيلي يوسف الهندي حتى مات في سجنه عام 973هـ/1565م⁽²⁷⁾. وكان انتقال الدعوة إلى أحد الهنود عام 946هـ هو الأول من نوعه في تاريخ الدعوة المستعلية الطيبية، وكان آخر دعاة بني الأنف هو آخر داعٍ يماني يخضع له إسماعيلية الهند الذين عرفوا لاحقاً بـ"البهرة". وبانتقال الدعوة إلى الهند تم نقل الكثير من ذخائر الإسماعيلية في اليمن من كتب وسلاح وغيرها. ويمكن القول إن ما تم نقله هو بعد حرق أئمة الزيدية لكثير من مخطباتهم واستيلائهم على ثرواتهم. وجاء نقل الدعوة إلى الهند نتيجة الضعف الشديد الذي طرأ على الإسماعيلية في اليمن، خاصة بعد الهزائم التي تكبدوها على يد المطهر بن شرف الدين.

وفي العام 999هـ/1590م حدث أول انقسام في طائفة الإسماعيلية المستعلية الطيبية عندما توفي ثالث الدعاة الهنود في الهند، وقام سليمان بن

(25) عن ذلك الصراع انظر: الحسين، غاية الأمان ج1/ص499-549.

(26) شرف الدين: روح الروح ص107-108.

(27) برهان بوري: منتزع الأخبار ص185 .

الحسن- حفيد يوسف بن سليمان الهندي القاطن في اليمن- بادعاء أحقيته في منصب "الداعي المطلق" بناء على وصية من الداعي السابق، الذي أيده أتباع الإسماعيلية في اليمن، وفي الوقت نفسه قام أتباع الطائفة في الهند بتعيين الداعي داود بن قطب شاه، وذهب سليمان بن الحسن إلى الهند ليدافع عن حقه في منصب الداعي لكن ذلك لم يجد نفعاً، ولم يناصره من إسماعيلية الهند سوى القليل، ومات ودُفن في الهند.

ومُنذُ ذلك الحين، انقسمت الدعوة إلى قسمين: الداودية، نسبة إلى الداعي داود، وأتباعها في الهند ومركزها في بومباي، ومركز فرعي في كراتشي، واليمن وكينيا. والسليمانية، نسبة إلى الداعي سليمان، وأتباعها يتمركزون في اليمن وإقليم نجران، وفي الهند في حيدر آباد الدكن، وبرودة، وكجرات قرب بومباي وفي باكستان(28).

الدعوة السليمانية الإسماعيلية ونقلها إلى نجران:

تُجمع أغلب المصادر على أن أول من انتقل إلى نجران من دعاة الإسماعيلية هو الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي في العام (1108هـ/ 1697م)، على إثر خلاف حول المعتقد مع الإمام المهدي (أحد أئمة الزيدية). ومُنذُ انتقاله، أصبحت نجران مركز ثقل الدعوة ومنطلق قيادتها، وأصبح أهل نجران أنصار الدعوة.. كما استطاع أن يستقل بحكم نجران عن حكم أئمة صعدة، وأصبحت (بدر) المركز الديني المهم للإسماعيلية.

(28) الأعظمي: الحقائق الخفية ص17، 18.

كما أنهم ساسوا المكارمة⁽²⁹⁾ أينما وجدوا (خارج نجران)، من حراز إلى الهند والسند وعراس.. إلخ، وقد حكموا نجران لثلاثة قرون تقريباً، ساسوا رعيّتهم بما يحافظ على وحدة القبيلة، حتى إن خرج بعض أبنائها عليهم لم يوقعوا بهم العقاب؛ ولعل مرجع ذلك يعود إلى أنهم أساساً من أبناء قبائل همدان الصغرى ويعرفون قدر وأهمية العرف القبلي.

كما اتصفوا بالشجاعة وحسن القيادة في الحروب، كما عززوا سلطتهم بالولاء المذهبي، مع اهتمامهم بتربية أبنائهم وأتباعهم بتعاليم مذهبهم⁽³⁰⁾.

وبانتقال الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي (ت 1129هـ) إلى نجران وضع اللبنة الأولى لبناء دولة قوية، وقد استمر خلفاؤه بالحفاظ عليها، وأضافوا إلى سلطتهم في نجران كل مناطق أتباعهم في اليمن "التي كانت خاضعة لسلطة الأئمة الزيديين"، ثم إنهم أصبحوا قوة مرهوبة الجانب في الجزيرة العربية بسبب ما قدمته لهم قبيلة (يام) من تعزيز لسلطتهم.

كما مارس المكارمة الحماية والضغط على حُكّام أسرة الأشراف في المخلاف السليماني، وكانت لهم علاقة صراعية مع الدولة السعودية الأولى⁽³¹⁾، وتؤكد لهم فيها زيادة القوة والمهابة.

(29) المكارمة: أسرة يمنية تولّت زعامة بني يام والجماعة الإسماعيلية الطيبية السليمانية في نجران واليمن مُنذ القرن الحادي عشر/ السابع عشر. وتتألف الأسرة من عشيرة بني مكرم من همدان، الذين سبق أن استقروا في القرى الواقعة غربي صنعاء، وفي ما بعد استقر بعض المكارمة في بدر- نجران الشمالية، وبقيت بدر مكان إقامة تقليدي للدعاة المكارمة الإسماعيليين السليمانيين، الذين حافظوا على استقلالهم السياسي كحكام ليام حتى ضم المملكة السعودية لنجران عام 1934م. (دقري، معجم التاريخ الإسماعيلي ص265).

(30) للمزيد انظر: نوفل، إسماعيلية اليمن السليمانية "المكارمة".

(31) حدثت أحداث قوية ومؤامرات بدعوى من الملك سعود الكبير ضد الدعوة الفاطمية في مدينة بدر الجنوب؛ المشهورة بحرب بدر مع جيش الدولة السعودية الأولى الذي أرسله سعود الكبير وقوامه 100000 مقاتل تمكن الداعي عبدالله بن علي ومعه قبائل يام وهمدان من دحره وهزيمته شر هزيمة بحيث لم ينج منه إلا مثل همل النعم، رغم أنه كان مكوناً من أغلب قبائل نجد والجنوب، وتفصيل هذه الحرب ذكرها لطف الله جحاف في كتابه درر نحور الحور العين، أحداث عام 1223هـ كما أوردها حمد الجاسر في مجلة العرب عدد الربيعان لعام 1415. (انظر أيضاً أحداث السنة الفاطمية، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث -اليمن).

الدعوة الإسماعيلية في الهند والسند:

ارتبطت الهند والسند بعلاقات وثيقة مع مركز الدعوة في اليمن، وظهرت تلك العلاقة بالتعيينات الصادرة من الحضرة الفاطمية في القاهرة، وتعيين الدعاة اليمنيين دعاة على الهند والسند.

وتجلت المرحلة الثانية لعهد "الدعاة المطلقين" الفاطميين في الهند حين تم انتقال مركز الدعوة من اليمن إلى الهند مع قيام أول "داعٍ مطلق" في الهند، وهو الداعي المطلق الرابع والعشرون من سلسلة الدعاة الفاطميين، سيدنا يوسف بن سليمان الهندي (ت 973هـ)⁽³²⁾. وقد قام بنص الداعي الثالث والعشرين محمد بن الحسين بن إدريس الأنف (ت 936هـ)، ولا يزال مركز الدعوة حتى الوقت الحاضر في شبه القارة الهندية، وخصوصاً البهرة الداودية والعلوية في عصرنا الحالي هذا ممثلة في شخص الداعي المطلق الفاطمي. وأثناء تاريخ الدعوة في الهند، عُرف أبناؤها بـ"البهرة"، وأصبح هذا الاسم علماً عليهم مُنذُ أكثر من أربعة قرون، (ومعنى كلمة البهرة باللغة الججراتية تاجر، وهي (أي اللغة الججراتية) إحدى اللغات القومية المنتشرة في مقاطعة كجرات في غربي الهند). وكذلك "بهرة"⁽³³⁾ اسم قبيلة يمنية، وقد عرف أوائل هذه الجماعة الذين قدموا من اليمن إلى الهند باسم البهرة انتساباً إليها. والمرحلة الجديدة من تاريخ الدعوة تبدأ من أواسط القرن العاشر للهجرة (عام 946هـ) في الهند بعدما انتقل إليها مركز الدعوة الفاطمية، ولا تزال مستمرة حتى الوقت الحاضر، وأبرز سمات هذه المرحلة:

(32) صحيفة الصلاة السليمانية ص-681؛ صحيفة الصلاة الداودية ج4/ص-35.
 (33) وهو ما أطلق عليهم بأنها قبيلة يمنية جاءت مع الفتح الإسلامي إلى تونس، والمقصود هنا كناية عن القبيلة اليمنية الإسماعيلية.

- حفظ الدعوة، وتربية المؤمنين، وهما الهدفان الأساسان للدعوة في كل زمان وفي كل مكان مهما اختلفت البيئات والبلدان.
- عهد الدعوة في الهند، كان أول عهد اتخذ الدعاة الفاطميون فيه مركز الدعوة خارج البلاد الإسلامية العربية، وبذلك أصبحت مسؤولية الدعاة المطلقين بالهند أعظم وأصعب في إقامة الشعائر الدينية، وإثراء اللغة العربية، والمحافظة على الثقافة الإسلامية.

كما اهتمت الطائفة الإسماعيلية في الهند بالتعليم اهتماماً بالغاً، وأنشأت في سبيل ذلك الجامعة السيفية ومركز الدعوة السليمانية، وتم تطوير "الدرس السيفي" الذي أقامه الداعي الثالث والأربعون عبد علي سيف الدين مركزاً للدراسات الفاطمية إلى مستوى المعاهد العلمية العالية، وأصبح بذلك يُعرف من ذلك الحين باسم "الجامعة السيفية"، ولا ننسى الدور الذي قامت به الأسرة الهمدانية اليمانية في هذا المجال من خلال تأسيس المدرسة المحمدية الهمدانية التي أسسها سيدي محمد علي الهمداني (ت 1898م)، والتي أتاحت الفرصة لطلاب العلم بتلقي العلوم الإسماعيلية، وكان لها دور كبير في نشر التراث الإسماعيلي الفاطمي وحفظه من الضياع والتزوير. وحالياً تعد الدار المحمدية الهمدانية في اليمن هي المؤسسة العلمية والثقافية الوحيدة في الشرق الأوسط التي تُعنى بالتراث الفاطمي من جميع جوانبه، العلمية، والدينية، والفلسفية، والأدبية. وفي الهند الجامعة السيفية تقوم بهذا الدور، وفي بريطانيا المعهد الإسماعيلي للدراسات بلندن.

ثانياً: هجرات الطائفة الإسماعيلية: الأسباب والآثار

من خلال نظرة عامة على حالة أتباع الطائفة الإسماعيلية في اليمن نجد أن هجراتهم كانت ظاهرة ضرورية للبقاء، سواءً تلك الهجرات الطوعية المتمثلة

في التعيينات التي كانت تصدر من حضرة مركز الدعوة في اليمن إلى عُمان والهند الشرقية، أم بهدف إدارة الدعوة وأتباعها هناك وتنظيم شؤونها، أم من خلال عمليات الإزاحة والتهجير والنفي التي تعرضت لها من الأئمة الزيديين. ولذا يجب دراسة ظاهرة الهجرة لهذه الطائفة بشكل أكثر تحديداً ودقة؛ لتوضيح طبيعة تلك الهجرات، وأسبابها، والآثار المترتبة عليها.

كانت اليمن مقراً للدعوة لأكثر من 400 عام، وهي تواصل اليوم احتضانها عدداً كبيراً من السكان الإسماعيليين، ولو أن مسألة العدد هي موضع تجاذب كبير؛ ويعود ذلك بشكل خاص إلى الاضطهاد الذي مارسه الأئمة من حكام المملكة الزيدية في شمال اليمن قبل تحولها إلى جمهورية العام 1962م، فقد سعى الأئمة الزيديون في صنعاء تقليدياً إلى الانتقاص من سمعة الدعوة والدعاة المطلقين، طوال التاريخ المضطرب الذي أمضوه معاً. وأحد الأمثلة على ذلك ما حدث في العام 1935م، ففي أعقاب توقيع معاهدة الطائف مع الحجاز عام 1934م حاول الإمام فرض تحويل جماعي للإسماعيلية إلى مذهبه، وهم الذين سبق أن أجبروا على الدعوة إلى العقيدة الزيدية في مدارسهم. وفي سنة 1911م، سبق للزيديين أن حاصروا قرى الإسماعيلية في منطقة حراز - مكان التجمع الأكبر للإسماعيلية في اليمن، حيث عاشوا في عداة دائم تقريباً مع جيرانهم الزيديين - غير أن الإسماعيليين المتجمعين قرب ضريح الداعي الثالث حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني⁽³⁴⁾ (ت 596هـ) في الحُطيب، تمكنوا من صد هجوم الزيديين في المعركة التي تلت ذلك، على الرغم من الخسائر الفادحة التي تكبدها الإسماعيليون في هذه المعارك. وبعد تحويل مقر قيادة الدعوة إلى

(34) للمزيد انظر الحامدي، تنبيه الغافلين؛ تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث.

الهند منتصف القرن العاشر/ السادس عشر، جرت معاملة اليمن كمقاطعة خاصة، فخضعت الإدارة للسيطرة الكلية للمنصوب (وكيل- نائب الداعي)، وهو يمني من أهل البلاد، تولى الإشراف على جميع المناصب (العمال) اليمنيين أيضاً، في مختلف مراكز الإسماعيلية في اليمن، وحافظ الدعاة على القيام باتصالات منتظمة مع الجماعة اليمنية- هذا بالنسبة للإسماعيلية الداودية- بينما الإسماعيلية السليمانية واصلت أنشطتها ونقل مقر الدعوة إلى نجران. وتقوم سياسة الدعوة على تشجيع الإسماعيلية اليمنيين على زيارة الهند ونجران (من أجل التسجيل والدراسة بشكل خاص)، وحضور تجمعات الجماعة واحتفالاتها. ولقد حقق الإسماعيليون اليمنيون اندماجاً أكبر مع البهرة الهنود، لكنهم يواصلون الاحتفاظ بعناصر معينة من لباسهم وثقافتهم المميزين.

هجرة الطائفة الإسماعيلية وطبيعتها:

لم تقرأ البيئة المجتمعية العربية التاريخ الإسماعيلي كما يجب أن يُقرأ، وربما لاعتبارات عديدة يدخل في سياقها: أولاً، سرية هذا التاريخ، مما يؤدي إلى تأكيد الحقيقة القائلة: "من جهل شيئاً عاداه". ثانياً، كتابة التاريخ العربي من قبل السلطة، وهي (السلطة العربية الإسلامية) عدوة الإسماعيلية. وبالتالي فإن قراءة تاريخ الإسماعيلية عبر بوابة التاريخ الشرعي/ السلطاني، إنما هي قراءة أحادية الجانب وسلبية الصورة، ولا سيما أن الإسماعيلية قد جسدت في التاريخ العربي الإسلامي الفصيل الأبرز والأهم في تاريخ المعارضة القروسطية العربية الإسلامية. ثالثاً، تركيز الإسماعيلية- ومُنذُ بواكيرها الأولى- على المثقف وإهمال الجماهير جعلها في عزلة مجتمعية، أو تشكل دين الخاصة، بل حرمانها من طاقات بشرية كان بإمكانها أن تشكل قوة نضالية مقاومة. رابعاً، ليست الإسماعيلية وحدها قد دخلها التشويه، وإنما الفصائل العربية الإسلامية

المعارضة كافة، لكن قد يكون نصيب الإسماعيلية أكبر من غيرها على اعتبارها الفصيل الأبرز والأهم على أرض الواقع. أمام هذه المعطيات لم تتردد السلطوية العربية الحاكمة من باب الحرص على مصالحها واستمراريتها من توجيه التهم العديدة لها، وقد يأتي في مقدمتها تهمة الإلحاد، وهي الأخطر والأهم على اعتبار البيئة العربية بيئة مُندينة، وبالتالي سوف تفعل فعل النار في الهشيم⁽³⁵⁾ وعانت الإسماعيلية عبر مراحلها التاريخية- سواء خلال مرحلة سقوط دولتها الأولى، أو خلال مرحلة قيام الدولة الصليحية وسقوطها وانتقال الدعوة إلى الهند وإقليم نجران- من أزمة في المواطنة. ولا شك أن اليمن، كغيره من بلدان العالم الإسلامي، بلد متنوع الأطياف، وهذه الحقيقة تفرض علينا، نحن اليمينيين، أن نفهم حقيقة ما تمر به اليمن، وما تعرضت له من مؤامرات، بشكل يتطلب تقبل الرأي الآخر على أسس المواطنة والتعايش السلمي وقبول الآخر، وضرورة الاتفاق على ما نتفاهم عليه، والحوار على ما لا نتفاهم عليه بعيداً عن العنف. ومن هنا تتطلب الوطنية أن نحتكم إلى العقل (الحكمة) والإيمان، وكما قال المفكر جون ديوي: "إن عدم العنف هو التحرر من الخوف"؛ ذلك أن العنف ليس سوى الوسيلة للصراع ضد سبب الخوف كما قال غاندي، وسبب الخوف هو الخوف من الآخر، وفقدان الثقة بين أبناء البلد الواحد، ومن هنا يجب التفكير بالعدالة في كل ناحية من نواحي الحياة لتحقيق المصلحة الوطنية العليا. وهنا أود أن أؤكد للأطراف الوطنية، أنه لا يمكن تحقيق المصالحة الوطنية على أسس طائفية، أو حزبية، أو إرهابية ترفض الآخر، وتمارس العنف تحت حجج "وطنية"، أو "دينية". فمن غير المعقول أن تلتقي ثقافة العنف بثقافة السلام. ومن الحق أن نقول إن ثقافة رفض طرف

(35) انظر الإسماعيلية بين خصومها وأنصارها ص126، 127.

وطني معين طرفاً وطنياً آخر أو إلغائه يهيء الأجواء للتسامح والمصالحة. وينبغي أن نفهم أنه ليس من معيار الوطنية حرمان أقلية قومية، أو دينية، أو سياسية من حقوقها تحت طائلة المصالحة الوطنية والثقافية، ولا يمكن تحقيق هذه المصالحة إذا حُرمت السلطة الحاكمة القوى الضعيفة والمهمشة من حقوقها المشروعة، أو رفضت الأغلبية حقوق الأقلية باسم "الوطنية".

حالة الإسماعيلية في اليمن وهجرتهم الداخلية إلى نجران:

يتبع البهرة السليمانيون أو المكارمة خطأً من الوراثة يختلف عن خط البهرة الداودية، اعتباراً من الداعي السابع والعشرين وفي ما بعد، أي بعد ولاية ثلاثة دعاة تولوا قيادة الدعوة الطيبية عقب انتقال مقرها إلى الهند عام 1539م/ 946هـ، وقد خلف سليمان بن الحسن⁽³⁶⁾ (ت 1005هـ) ولده جعفر (ت 1050هـ) الذي عاد إلى اليمن، ومُنذُ تلك الفترة استقر مقر الدعوة السليمانية

(36) سليمان بن الحسن بن يوسف بن سليمان، الداعي الـ 27 من الدعاة المنفردين. وسنتحدث بالتفصيل عن أبيه وجده وأبائه وذريته وشجرة نسبه كاملة ضمن موسوعة أعلام المهجر، ونكتفي هنا بنبذة مقتضبة عنه: وهو يعتبر الداعي الرابع من دعاة الهند الذي ابتدء بجده يوسف بن سليمان والذي به انتهى دور الدعاة من بني الأنف بعد الداعي محمد بن حسين بن إدريس عماد الدين؛ وأما أولهم فقد كان الداعي علي بن محمد الوليد الأنف والذي نذكر نسبه كاملاً لعموم الفائدة حسبما ورد في كتاب منهاج الدين وكتاب جنان الجنان، فهو: علي بن محمد بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن يحيى بن إبراهيم الأنف بن أبي سلمة بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن الوليد بن المغيرة بن عمران بن عاصم بن الوليد بن عتبة (أخو هند بنت عتبة) بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.. إلخ النسب المتصل مع نسب الرسول ص لإسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام. حيث نجدهم يلتقون مع بني هاشم عند عبد مناف ومن جاء بعده من آباء الرسول الكرام. أما كلامنا عن الداعي سليمان بن الحسن فسنجعله في عدة نقاط على النحو التالي:

- 1 - ولادته ونشأته:
 - * ولد الداعي سليمان بن الحسن في يوم الاثنين 27 شوال عام 961هـ في اليمن، حيث تربى في كنف والده الداعي المؤهل غير المنفرد سيدنا الحسن بن يوسف بن سليمان، ووالدته الحرة زينب بنت موسى بن سليمان. ولكن الدهر لم يمهل والده كثيراً حيث وافاه الأجل في الأول من شهر رمضان عام 966هـ ودفن بالجورة في طيبة؛ وعمر سيدنا سليمان آنذاك خمس سنوات.
 - * درس في صغره القرآن، ولما بلغ عمره عشر سنوات درسه جده سيدنا يوسف بن سليمان كتاب "الشهاب في الحكم والأمثال والأدب" وهو من تأليف القاضي الشافعي أبي سلامة القضاعي أحد قضاة الدولة الفاطمية في وقت الإمام المستنصر بالله عليه السلام، وكان قد أهده للإمام فقبله منه وكفاهه عليه. وكانت دراسة الداعي سليمان لهذا الكتاب في يوم الغدير من سنة 971هـ. واستمر جده في تدريسه حتى انتقاله في 16 شهر ذي الحجة عام 973 هـ، ودفن بطيبة باليمن.
- 2 - سفره وارتحاله إلى الهند:
 - * لما بلغ 14 سنة ارتحل إلى الهند وبلغه وهو في طريقه إليها انتقال الداعي عبدالجليل بن الحسن إلى جوار ربه حيث كانت نقلته في 16 ربيع الآخر من سنة 974هـ، ولم يتسلم أمر الدعوة إلا لأربعة شهور فقط بعد الداعي يوسف بن سليمان.
 - * وصل العلم له بانتقال أمر الدعوة والقيام بها للداعي داؤد بن عجب فارتحل إلى حضرته في أحمد آباد، وفيها أخذ عليه العهد الكريم، وكان ذلك في صباح ليلة القدر من تلك السنة، وكانت تلك هي ولادته الدينية.
 - * بعد عامين بعدما بلغ السادسة عشرة جدد عليه أخذ العهد وذلك في عام 977هـ.
 - * في الثامنة عشرة من عمره فسح الداعي لصلاة الجماعة بمحلة شيدبور، وكان ذلك في يوم الغدير 18 ذي الحجة من عام 979هـ. وسيأتي تفصيل حياته ضمن الموسوعة العلمية لعلماء المهجر. (انظر أحداث السنة الفاطمية؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث).

في نجران. ويطلق السليمانيون العرب على أنفسهم لقب " المكارمة" نسبة إلى أسرة داعيتهم، في حين يواصل السليمانيون الهنود استخدام تسمية "البهرة السليمانيين". أما عن عدد نفوس السليمانيين فأخر الإحصاءات توضح ارتفاعاً ملحوظاً في أعدادهم، حيث بلغ عددهم في اليمن ونجران ما يقارب 120000، بينما يصلون في الهند إلى عشرات الآلاف.

وكان المكارمة مقيمين في "دروم /طيبة"(37)، ولكن الدعوة لم تنتقل إليهم إلا متأخرة، فقد أورد صاحب كتاب "في بلاد عسير"(38) أسماء أربعة دعاة من الهنود قاموا بأمر الدعوة في الهند وطيبة من عام 974 إلى 1088 هجرية وهم: داوود بن عجب، الذي حصل بعد وفاته انفصال فرقة الداودية عن السليمانية، وسليمان بن حسن، وجعفر بن سليمان، وعلي بن سليمان، وحين وفاة الأخير أوصى بالأمر إلى إبراهيم بن محمد بن الفهد بن صلاح المكرمي، فقام بالدعوة في بلدة طيبة مدة 44 سنة، وحين وفاته عهد بها إلى حفيده محمد بن إسماعيل بن إبراهيم فحصل بينه وبين الزيود حرب غلب فيها فهرب إلى القنفذة(39)، ومنها دعاه إسماعيليو نجران ليكون بينهم، فحضر إلى بلاد نجران، وسكن بلدة بناها وأسماها "الجمعة"، ولكنها الآن خراب.

ومع أن المكارمة غرباء عن نجران، وليس لهم سلطة زمنية (لاسيما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن اليامية مؤلفة من ثلاثة فروع، لكل فرع رئيس زمني قوي) فإنهم نجحوا في أعمالهم، وأصبحوا أصحاب الشأن في الأمور الدينية والزمنية، وامتدت فتوحاتهم إلى الأطراف المجاورة، ووصل بعضهم إلى تريم

(37) طيبة (همدان) هي إحدى قرى عزلة ربيع همدان بمديرية همدانة التابعة لمحافظة صنعاء بلغ تعداد سكانها 558 نسمة حسب تعداد عام 2004م (الدليل الشامل- محافظة صنعاء، www.yemenna.com، مديرية همدان؛ الجهاز المركزي للإحصاء بالجمهورية اليمنية).

(38) حمزة، في بلاد عسير؛ ط 2/1388هـ؛ مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ص174

(39) محافظة القنفذة هي إحدى أكبر محافظات منطقة مكة المكرمة، تقدر مساحتها بحوالي 7032 كم، تُطل غرباً على ساحل البحر الأحمر ويعود تاريخ نشأتها إلى عام 1311م في فترة حكم الخليفة العباسي سليمان المستعلي بالله. (ويكيبيديا؛ الموسوعة الحرة).

حضر موت، وبعضهم إلى أواسط نجد أيام النزاع بين آل سعود وابن دواس وآل مغممر (40).

واحتلت دول الأئمة الزيديين المرتبة الأولى من بين القوى التي شهدت صداماً مع الإسماعيلية في اليمن لتعارض مصالحها السياسية والدينية مع مصالحهم. وكما ذكرنا، فإن انتقال داعي محمد بن إسماعيل المكرمي إلى نجران كان في عهد الإمام المهدي صاحب المواهب (41) (ت 1130هـ) وصاحب الأطوار الغربية، وقد وصفه الشوكاني بأنه أول من أخذ الأموال من حل ومن غير حل، ولكن أيضاً المتوكل من قبله كان قد كَفَّر أهالي اليمن الأسفل- كفر تأويل-، وفرض عليهم الأموال الخراجية بدلاً عن الزكاة. وقد ذكر صاحب كتاب "جلاء الأخيار" (42) أن علاقة الإمام المتوكل القاسم بن الحسين

(40) انظر في بلاد عسير ص 174.

(41) الإمام المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب (1097م-1130هـ) من أئمة آل القاسم، عارضه الكثير من الدعاة لكنه تمكن من هزيمتهم، وفي عهده كانت فتنة المحطوري في بلاد الشرف، وقد احتط هذا الإمام ثلاث مدن عاصمة لدولته كان آخرها المواهب التي عرف بها وكانت فيها وفاته بعد أن أحكم معارضه المتوكل القاسم الحصار عليه فيها؛ الشوكاني؛ البدر الطالع، ج 30/2-32.

(42) من تأليفات سيدنا محمد بن عبدالله بن سليمان صاحب التأليفات الرائقة في التاريخ وفي غيره من العلوم والذي اقتبسه من جميع كتب السير التي كتبت في هذا المجال سواء طيبية أو قاسمية وأسماء "جلاء أفكار الأخيار" ووضعه في ثلاث أجزاء:

الأول: يبدأ من سيدنا الذؤيب حتى آخر دعاة بني الأنف سيدنا محمد بن حسين بن إدريس عماد الدين. الثاني: في سيرة دعاة الهند السنة ابتداء من سيدنا يوسف بن سليمان حتى سيدنا الفيض علي بن سليمان.

الثالث: في سيرة الدعاة من المكارمة ابتداء من جده إبراهيم بن محمد بن الفهد حتى سيدنا إسماعيل بن هبة، ويكون بذلك هذا الكتاب بجميع أجزائه تكلم عن تاريخ الدعوة من عام 520 - 1184 وهي السنة التي انتقل فيها داعي إسماعيل بن هبة.

وتوصلنا إلى أن الجزء الثالث من هذا الكتاب موجود في دار المخطوطات باليمن ولكن مزق أوله وكتب عليه العنوان (تاريخ المكارمة) وهذا اجتهد ممن لم يروا عنوانه الصحيح كتبوا عليه ذلك، وقد يكون وضعه عليه البعثة المصرية التي زارت اليمن عام 1951م، وطبعاً التمزيق الذي أصابه بسبب الزيدية لأنه تحدث عنهم وأبان حقيقتهم وما اقترفوه بحق الإسماعيلية وكذلك ما يدعيه الزيدية في أئمتهم من مناقب مزعومة، ويدعم المؤلف فيها كتب التاريخ التي لدى المذاهب الأخرى في اليمن، وهو من الكتب المحرزة إلى يومنا هذا بأمر من الإمام يحيى حميد الدين.

بالداعي هبة الله بن إبراهيم المكرمي كانت جيدة، وأنه كان يستشيريه في الكثير من الأمور(43).

غير أن البداية الفعلية لعلاقة الصراع بين المكارمة والأئمة، بوصفهما قوتين، كانت في عهد المنصور الحسين بن المتوكل، فقبيل تقلده لمنصب الإمامة كان الناصر محمد بن إسحاق قد أعلن إمامته، وصارت دولته هي الأقوى بتأييد من بعض قبائل حاشد وبكيل، وحصرت قواته المنصور في صنعاء، غير أن شخصية المنصور ساعدته على الصمود. ثم إن حدثاً كان له الأثر الكبير في ترجيح كفته على معارضه عندما قام الحسن بن إسحاق شقيق الناصر محمد بن إسحاق بالمسير إلى طيبة في شعبان 1140هـ، وأمر من فيها من المكارمة بإفراغ دورهم، مما أدى إلى استنجادهم بأقربائهم في نجران(44). وبالفعل لم يتمكن جيش يام المرسل من الداعي هبة الله بن إبراهيم المكرمي من نجدتهم، حيث وصل الجيش وكان المكارمة قد طردوا من طيبة، ولكن الجيش تمكن من السيطرة على بلاد الحيمة وحراز، ووصل إلى صنعاء، وتمكن من فك الحصار الذي ضربته القبائل المناصرة لمحمد بن إسحاق، وسار الجميع إلى طيبة، وما لبث الحسن بن إسحاق أن فر بمجرد دنوّ جيش المكرمي(45). وبعد أن نصرت قبائل يام المنصور بن الحسين، وبعد أن استتب له الأمر، عزم على إخراج المكارمة مما أقطعهم إياه من أراضي حراز والحيمة، وهو ما حدث بالفعل من إخراجهم من أكثرها في عام 1143هـ بعد فترة وجيزة من إقطاعهم إياها. ونستغرب موقف الإمام ذاك؛ لأن البلاد التي أقطعها لهم هي في الأصل من المناطق التابعة للدعوة الإسماعيلية تاريخياً، فهو لم يقدم فضلاً منه وإنما

(43) انظر: جلاء الأخيار مخ 14أ.

(44) جلاء الأخيار مخ 98-99أ.

(45) انظر: إسماعيلية اليمن المكارمة ص110.

أعاد حقاً كان مسلوباً منهم⁽⁴⁶⁾، وأدى هذا الفعل إلى تأجيج الصراع، وخروج المكارمة من يام إلى نجدة إخوانهم. ونستبعد تلك الأحداث الملققة على المكارمة من قيامهم بنهب مدينة بيت الفقيه في يام، وترجع تلك المصادر إلى المناوئين للإسماعيلية ولا يُعتد بها. وتذكر المصادر الإسماعيلية أن الداعي دفع عن أخيه كل سوء وفك الحصار، وأنهم لم يرحلوا عن طيبة إلا بعد أن جرى بينهم صلح وبين الإمام أعاد بمقتضاه ما قطعهم، ووعدهم بإعادة طيبة وإعادة ما أخذه من أموال⁽⁴⁷⁾، وتوالت الصراعات بين الفريقين، وكانت بالنسبة للإسماعيلية مواقف دفاعية وحماية للنفس، بينما كانت لأئمة الزيدية حروب إبادة جماعية ضد الإسماعيلية، واستطاعت الإسماعيلية خلال مراحل الصراع من الصمود، وفي بعضها كانت لهم غلبة، كما حدث في قتل الناصر عبدالله بن الحسن على أيديهم، الذي وصفه القاضي محمد بن علي العمراني في كتابه "إتحاف النبيه بتاريخ القاسم بن محمد وبنيه"، فأشار إلى أنه كان ممن يقوم باستلاب مال الخلق، ولا يجيب إن دعيت لنزاله، ولا يبرز إن اشدت المراس، وغير ذلك مما يوضح حقيقة ما كان عليه الناصر⁽⁴⁸⁾.

وتوضح المصادر أن قتل الناصر لم تقم به الإسماعيلية لوحدها فقط، وإنما انضمت إليها بقية همدان من الزيدية⁽⁴⁹⁾؛ وكان أهم أسباب مقتل الناصر هو الأذى الذي أصاب الإسماعيلية وأهل الدعوة على يد الناصر، فقتلوه بمساندة الدعوة من يام، وقال العمراني عن مقتل الناصر: "إن مقتل الناصر يوم عيد للمسلمين"⁽⁵⁰⁾.

(46) انظر: البراهين المضنية مخ 8، ب.

(47) انظر: جلاء الأخيار مخ 135أ.

(48) تنتظر: إتحاف النبيه مخ/36أ.

(49) حوليات يمانية ص95.

(50) انظر: مائة عام ص287، هامش.

وعن علاقة الإسماعيلية بالدولة السعودية الأولى والثانية لا يمكن أن يشتمل بحثنا على هذه الأحداث، ولكن يجب إفراد بحث كامل يتناول تلك العلاقة والتحويلات التي ساعدت في بقاء الإسماعيلية في نجران وبلاد يام واستمرارهم حتى يومنا هذا.

ومن ناحية أخرى، فإن الممارسات التي اتبعتها الأئمة الزيديون كانت السبب الرئيس في تهجير ونفي أعداد كبيرة من الإسماعيلية إلى الهند الشرقية، حيث أدت الممارسات القمعية، وحروب الإبادة التي وجهت ضدهم إلى قيام قيادات الإسماعيلية بنقل التراث الإسماعيلي إلى الهند، حيث قام الزيديون بحرق وتدمير كل موروثات الإسماعيلية في اليمن، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

إن تحديد سنة بعينها تاريخياً لانتقال المكارمة إلى نجران من المسائل التي يصعب البت فيها؛ لتباين المصادر في ذلك كتبائنها في تحديد اسم أول شخص منهم سكن نجران، فمن قائل إن محمد بن الفهد المكرمي كان أول من استقر فيها، وكان مقامه في بلدة بدر⁽⁵¹⁾؛ أما بقية المصادر فتكاد تجمع على أن أول من انتقل إلى نجران هو الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي، وكانت فترة تزعمه للدعوة ما بين (1129-1094هـ / 1683-1717م)، أي أن جل فترته عاصرت إمامة المهدي صاحب المواهب⁽⁵²⁾ (ت 1130هـ). ومن خلال الأحداث التي أوردها المؤرخون الإماميون عن تاريخ الإمام المهدي، لا نجد ذكراً لخصامه مع الإسماعيلية أو حربهم، ولا نجد إلا حدثاً واحداً وجه فيه المهدي حملاته ضد قبيلة همدان الصغرى التي يقطن المكارمة إحدى مناطقها، لما أعلن الشيخ جابر بن خليل الهدماني العصيان إثر الخلاف الذي جرى بينه

(51) انظر: إسماعيلية اليمن السلیمانية المكارمة، ص76؛ فليبي؛ مرتفعات الجزيرة العربية ج2؛ ص683؛ الوصال، تاريخ عسير.

(52) سبق التعريف عنه.

وبين الإمام، وانتهى ذلك العصيان بقتل ابن خليل وهزيمة أعوانه. والملفت للنظر في هذه الأحداث هو إجلاء الإمام المهدي لهمدان عبر البحر إلى الهند والصين بعد أن تخربت ديارهم، وهي الطريقة ذاتها التي رحل بها محمد بن إسماعيل المكرمي.

وبالرجوع إلى ما أوردته المصادر فإن جميعها تؤكد أن انتقال الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي إلى نجران كان على إثر خلاف طراً بينه وبين الإمام المهدي صاحب المواهب لأمر أنكرها على طائفته، فقام بإخراجه من طيبة ومعه أتباعه من الطائفة، لكن تختلف تلك المصادر في تحديد ذلك التاريخ، ومنها أن ذلك كان في عام 1109 هجرية/ 1696-1697م.

وتأتي رواية أخرى إسماعيلية مفادها أنه في العام 1111 هـ جرى خلاف بين محمد بن إسماعيل المكرمي وبين شريف يدعى مطهر، مقره في صنعاء، أسفر عن ترحيل محمد بن إسماعيل المكرمي من طيبة ومعه بعض من خواصه عبر ميناء عدن إلى ميناء مصوع في الحبشة، وعند وصولهم هنالك هبَّت ريح أعادتهم إلى عرض البحر ثم إلى عدن، ليأمر الشريف مطهر مجدداً بترحيلهم، وعند رحيلهم هبَّت ريح للمرة الثانية وقذفت السفينة إلى ميناء القنفذة حيث نزل الداعي وصحبه وساروا مشياً دون إخبار ربان السفينة عن وجهتهم التي لم تكن سوى نجران⁽⁵³⁾، وقد ذكر صاحب كتاب جلاء الأخيار قصة مشابهة، خلا أنه ذكر المهدي صاحب المواهب عوضاً عن الشريف مطهر، ولم يحدد سنة رحيل الداعي محمد بن إسماعيل⁽⁵⁴⁾.

وقد استقر الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي في بلدة اسمها "الجمعة" هي الآن بلدة خربة، وتكاثر المكارمة الوافدون واستقروا في بلدات عدة بنجران

(53) انظر: إسماعيلية اليمن السلিমانية، ص78.

(54) انظر: جلاء الأخيار (ق 25 أ).

أشهرها بدر، المركز الديني المهم للطائفة، وتقع في وادي حبونا شمال وادي نجران على حدود عسير. ومن البلدان الأخرى التي سكنوها، خشيوه وسهلة، وعلو المخلاف، وقصور شعيب، وبران. وتعاقب الدعاة في نجران، وبخلاف ما جرى عليه الطابع السیادي في الخلافة، فإنه مُنذُ تسلّم المكارمة للدعوة لم يخلف ولد أباه إلا في حالتين، عندما خلف إسماعيل بن هبة الله والده، والحالة الأخرى الحسين بن أحمد وولده علي بن الحسين، وما عداهما فإن الدعوة كانت تنتقل أحياناً من الأب إلى الحفيد، أو من أخ إلى أخيه، أو من داع إلى داع آخر من فرع يبتعد في نسبه عن سابقه إلى ثلاثة أو أربعة أنسال، وأبعد من ذلك فإنها قد تخرج من أسرة المكارمة إلى غيرها، كما حدث بتولي الحسن بن إسماعيل شبام⁽⁵⁵⁾، من إسماعيلية حراز، وعلي بن محسن شبام (الداعي الـ46) المهاجر إلى نجران لاحقاً، كما أنها- أي الدعوة- قد تخرج إلى أحد الهنود، كما حدث بتولي غلام حسين بن فرحات الهندي⁽⁵⁶⁾، وعلي الرغم من أنه لم يكمل السنة حتى توفي، فإن الأمر قد حمل دلالة كبيرة بشأن ربط إسماعيلية الهند السليمانية باليمن وبث الشعور في أوساطهم بأن لهم مكانتهم وذلك بتولي أحدهم منصب الداعي المطلق⁽⁵⁷⁾.

(55) الحسن بن إسماعيل شبام الداعي الـ(42) عند السليمانية، وهو من إسماعيلية حراز تولى الدعوة عام 1262هـ، ووسع من نطاق دولته في حراز إلى ما حولها من مناطق الحيمة وفي غيرها من المناطق وذلك بمساندة المكارمة وقيام له، وقد سيطر الأتراك على دولته واقتادوه أسيراً إلى الحديدية حيث مات فيها بعد أن كانوا أزمعوا على إرساله إلى إسطنبول وذلك عام (1289هـ)، انظر: إسماعيلية اليمن المكارمة، صـ85/ هامش5

(56) غلام حسين الهندي الداعي الـ(47) عند السليمانية قام برحلتين إلى اليمن قبل توليه الدعوة الأولى عام 1303هـ والأخرى عام 1327 هـ؛ انظر: Daftary The Ismail's their History and Doctrines p321

(57) أحدث هذا الانتقال عقب حالة طارئة بعد أن شهدت نجران حرباً بين دولة الإمام يحيى حميد الدين وبين آل سعود حول السيطرة على نجران وما قام به الجيش الإمامي من الاستيلاء على نجران ودخول بدر مركز الدعوة (انظر: إسماعيلية اليمن المكارمة، صـ85).

وبخصوص تسمية دولة المكارمة من عدمها في نجران، فنحن لسنا بصدد دراسة ذلك، ولكن المهم أن سلطة المكارمة تمتعت بمقومات تكاد تكون مقومات الدولة من التنظيم الإداري والعسكري، وتشكل جيش، والمكان الجغرافي أيضاً. والمهم في الأمر أن، إسقاطنا لتلك المقومات يؤكد لنا أن نجران منطقة مستقلة لا تخضع لغير المكارمة، كما أن نفوذهم تعدى ذلك إلى مناطق مخالفة في حراز وعراس، والعدين، وهمدان الصغرى، ولهم نواب عنهم في تلك المناطق. وبالنسبة للجيش، فقد توفر للمكارمة جيش من رجال يام الذين اشتهروا بقوتهم وصلابتهم في الحروب، وعلى الرغم من أن سلطة المكارمة كانت دينية في الأصل، فإن الطابع السياسي فيها كان واضحاً، وهذا يجعلها مشابهة إلى حد ما لسلطة الأئمة الزيديين التي اعتمدت أصلاً على الطابع الديني. وقد يكون الهدف منها تكوين سلطة سياسية هدفها تكوين دولة لها مقوماتها وفقاً للمنظور الإسماعيلي للدولة التي توجب اعتلاء الزعيم الديني قمة الهرم السياسي لها ممثلاً بالإمام أو من يقوم مقامه وهم الدعاة.

وكذلك فقد صاغ المكارمة العديد من الموثيق مع القوى التي احتكت بهم مثل الأئمة، وأشرف (أبو عريش)، والدولة السعودية، ومحمد علي باشا، وقادوا جيوش يام في حملاتهم الكثيرة، وقاموا بتوزيع دعواتهم في كل مناطق طائفهم، وهذا ما نلاحظه بانتشار المكارمة في جميع مناطق الإسماعيلية في اليمن.

أما الأموال فكانت تصل إلى خزانة الدعوة من مصادر متعددة من الزكوات والخمس وغيرها من أتباع الطائفة، ومن المحاصيل التجارية والزراعية التي كانت تديرها الطائفة في اليمن، وأهمها محاصيل زراعة البُن، إضافة إلى

الأموال التي كانت تُسلم من قبل الأئمة، وأشرف أبو عريش، والتي تُعد مصادر أخرى أيضاً.

وبهذا فإن مقومات الدولة كانت آنذاك مقياساً لتسمية قوة ما بها، فقد توفرت جميعها في سلطة المكارمة على قبائل يام ونجران، ولهذا نجد كثيراً من المؤرخين المعاصرين لبعض الأحداث التي دونوها في كتبهم كانوا يطلقون على الداعي الذي عاصر فترتهم ألقاباً، مثل "حاكم نجران"، أو "سيد نجران"، أو "صاحب نجران"، وهي ألقاب غالباً ما كانت تطلق على من كانوا يحكمون دولة مستقلة.

ونظراً للمعطيات التي تُقدمها لنا المصادر، فإننا يمكن أن نُسمي سلطة المكارمة بـ"السلطة السياسية الدينية القبلية"؛ حيث تمكن المكارمة من صهر تلك السلطات الثلاث إبان حكمهم لقبائل يام الذي استمر قرابة ثلاثة قرون.

وهنا نورد ما قاله فليبي، عندما تخيل بلدة بدر في أيامها الخوالي، وذلك بعد أن وصل إليها ورأى حالها في عصره بقوله: "لا بد أن تكون بدر في أيام أوجها في عصر المكارمة مركزاً ذا أهمية عالية وعظيمة حكماً بما يشهد عليه ما تبقى من قصورها ومبانيها والفلل ذات الحدائق"⁽⁵⁸⁾.

ويمكن القول أيضاً إن أول هجوم للدولة السعودية تم على نجران حدث عام 1210هـ بقيادة مبارك بن هادي قرملة رئيس قبيلة قحطان، واقتصر هجومه على بدو نجران، ويبدو أنه كان مجرد جس لنبض قبائل يام؛ لأنه لم يصل إليهم واقتصر على البدو الساكنين في أطراف نجران، وكان أول هجوم وصلت قوات السعوديين إلى قرى نجران عام 1215هـ عندما بعث عبدالعزيز بن محمد آل سعود حملة اصطدمت مع اليامين في نهوقة على بعد ثلاث مراحل

(58) انظر: فليبي؛ مرتفعات الجزيرة العربية، ج2/679.

من نجران، حيث دارت رحى الحرب بين الطرفين، واستمرت أياماً استطاع السعوديون إجبار يام على التراجع إلى قرب بدر، مركز الداعي عبدالله بن علي المكرمي(59)، وبدت هزيمتها وشيكة إلا أن القوات التي جاءت لدعمها غيّرت مسار الحرب حيث تم إلحاق الهزيمة بالسعوديين(60). وتوالت المواجهات بين الطرفين في عدة مواقع أهمها هجوم السعوديين على نجران عام 1223هـ الذي انتهى بانتصار الإسماعيلية وهروب جيوش السعوديين. وكانت أهم عوامل انتصار المكارمة ويام تتمثل في:

- تحصن قبائل يام في قلاعهم، التي يسمونها بـ"الدروب" المبنية من الطين ومن الحجارة، تلك القلاع التي أوقفت هجوم السعوديين أكثر من مرة، وقد أدرك الآخرون ذلك، وهذا ما دعاهم إلى بناء حصنين للغرض ذاته مما أتاح لهم فرصة البقاء لفترات طويلة.
 - شدة مراس أهل نجران الذين عرفوا به في خارج بلادهم، وكانوا أشد مراساً في بلادهم لأنهم أدرى بطبيعتها وبمسالكها، ثم إنهم يعلمون ما تعقبه الهزيمة من إذلال لهم، وهذا ما كان يجعلهم يستبسلون في القتال.
 - الخطط الحربية التي اتبعتها المكارمة أثناء المعارك وحسن توجيههم ليام، مما أدى في نهاية الأمر إلى النصر.
- وأدت هزائم السعوديين في نجران إلى إعاقة توسعهم في بلاد اليمن الجبلية ومن ثم امتداد قواهم في مناطق تهامة(61).

(59) الداعي الـ 37 من دعاة الفرقة السليمانية (صحيفة الصلاة السليمانية، ص715).

(60) انظر: درر نوح الحور، ص754.

(61) انظر: إسماعيلية اليمن السليمانية، ص222.

ولا يمكن إغفال دور العجمان وآل مرة⁽⁶²⁾، حيث يرجع المهتمون بأنساب القبائل نسب العجمان إلى علي بن هاشم من ولد هبرة بن العوث بن الغز بن مذكر بن يام، وقد غلب على لقب عجم لوجود عجمة في لسانه⁽⁶³⁾، أما آل مرة فهم من أبناء جشم بن يام، وكانت مساكنهم مع أبناء عمومتهم في نجران، ثم نزحوا إلى نجد في حدود عام 1130هـ⁽⁶⁴⁾، وأشار صاحب "لمع الشهاب" إلى أن العجمان حلوا نجداً مُنذُ مائة سنة، ويمشون في أي موضع شأؤوا منها لقوتهم وشجاعتهم⁽⁶⁵⁾، وقال فؤاد حمزة عن آل مرة: "من أقدم القبائل العربية وأصحها نسباً، وأشدّها مراساً، وأكثرها همجية، وأبعدها عن الحضارة"⁽⁶⁶⁾.

وقد اتسمت علاقة العجمان وآل مرة بالسعوديين بعدم الثبات، فحيناً تراهم ضمن جيوش السعوديين التي كانت تسير إلى أكثر من مكان في الجزيرة العربية، ثم فجأة يناصرون السعوديين العداء. وكان للعجمان حروبهم الشديدة مع حكام الأحساء آل عريعر، وكان الخاسر فيها الأخيرون، وأشهرها حرب الرضيمة عام 1238هـ، حيث انتصر العجمان وتمكنوا من بسط يدهم على الأحساء، وقد سارع رجال يام في مد يد العون إلى إخوانهم العجمان في هذه الحرب وقاتلوا إلى جانبهم⁽⁶⁷⁾.

شكّل الإسماعيلية السليمانية في اليمن امتداداً لمن سبقهم من أسلافهم من الإسماعيلية في الفكر والسياسة، وفي انتهاج السرية، والعمل الدؤوب على إعادة مجد ما مضى. فعقب تولي أسرة المكارمة للدعوة بعد أكثر من مائة عام

(62) آل مرة أو بني مرة قبيلة عربية يقيمون في السعودية وقطر والإمارات العربية المتحدة والكويت والبحرين وحضرموت ومصر ويتمركز تواجدهم في السعودية وقطر.

(63) انظر: إمتاع السامر، ص491.

(64) انظر: رحلة عبر الجزيرة العربية، ص210.

(65) انظر: لمع الشهاب ص126.

(66) انظر: قلب جزيرة العرب ص202.

(67) انظر: إسماعيلية اليمن السليمانية ص223.

من تولي دعاة هنود لها، أعادت لإسماعيلية اليمن مكانتهم، وقد كان انتقال الداعي محمد بن إسماعيل المكرمي إلى نجران حجر الأساس الأولى لتكوين سلطة إسماعيلية قوية. فبعد أن استقل بها استمر حلفاؤه على الحفاظ على ذلك الاستقلال، وزادوا عليه إخراج جميع مناطق أتباعهم في اليمن عن سلطة الأئمة الزيديين.

صار المكارمة قوة تُهاب، ليس في اليمن وحسب بل في الجزيرة العربية لما تُقدمه قبيلة يام من تعزيز لسلطتهم، فكانت أولى القوى التي احتكت بهم- وكما هي العادة في تاريخ الإسماعيلية في اليمن- الزيدية ممثلة بال القاسم، وجرت بينهم معاهدات وحروب، وصيغت بينهم موائيق كانت تعطي المكارمة المزيد من النفوذ والسيطرة في اليمن. ونتيجة لما بلغته سلطة المكارمة من قوة فقد مارست الضغط على قوة الأشراف آل خيرات في المخلاف السليماني، وجرت بينهم وبين الدولة السعودية الأولى حروب كانت تزيد من قوة المكارمة، وتؤكد على أن قدرتهم الحربية لا يُستهان بها.

ومع ذلك كله فقد أمضى المكارمة في نجران السنوات الطويلة وهم يكافحون في سبيل تكوين دولة إسماعيلية، لكنهم وسط تراكم الأحداث وتسيير الحملات وإنشاء علاقة مع قوة وأخرى، فقدوا الكثير من الزمن دون أن يحققوا غايتهم المنشودة، على الرغم من أن المكارمة لم يتوانوا لحظة في سبيل ذلك.

امتداد نفوذ المكارمة إلى مناطق الإسماعيلية الخاضعة لحكم الأئمة الزيديين:

وجّه المكارمة نشاطهم نحو مناطق الإسماعيلية الأخرى في همدان الصغرى وحرّاز، وعراس، والمزاحن، مستهدفين إخراج تلك المناطق عن سلطة الأئمة الزيديين. وكما رأينا في ثنايا البحث، الزمن الطويل والصراع المرير الذي خاضوه ضد الأئمة في سبيل تثبيت سيطرتهم عليها، ومما يلاحظ على ذلك

الصراع أن حراز كانت صاحبة النصيب الأوفر من اهتمام المكارمة أكثر من المناطق الإسماعيلية الأخرى، ولعل ذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمها:

❖ المكانة الرفيعة التي يكنها الإسماعيلية جميعهم لحراز، فقد شهدت الانطلاقة الأولى لأشهر دول الإسماعيلية في اليمن الدولة الصليحية، وكذلك فإن التراث الفكري من مؤلفات الإسماعيلية التي تمتلئ بها حصونها لا توجد بهذه الكثرة في غيرها(68).

❖ حصانتها التي أعافت الكثير من محاولات الأئمة استردادها في ما بعد.

❖ البعد النسبي عن صنعاء عاصمة الدولة القاسمية مقارنة بمناطق الإسماعيلية في همدان الصغرى، ومحاذاة بلاد حراز لتهماة التي كانت الطريق المعتاد لمسير أيام إلى حراز، مقارنة ببعد عراس عن تهماة.

❖ وأخيراً زراعة البن في حراز الذي يتوفر بكميات كبيرة، خلاف بقية مناطق الإسماعيلية، وما يقدمه ذلك المحصول النقدي من دخل كبير(69).

حالة الإسماعيلية في الهند وبلدان المهجر:

إن ما مارسه الأئمة الزيديون من ممارسات اضطهادية ضد أتباع الإسماعيلية تجب معانيته على أساس من السياق السياسي المحلي لليمن، فقد مرت اليمن بمرحلة مهمة خلال حكم الدولة الصليحية، وكان للدولة الصليحية الأثر الكبير في إعمار اليمن وتطوير البنية التحتية بشكل غير معهود، والآثار الباقية أكبر دليل على هذا الإعمار الذي حاولت الدويلات التي لحقتها غمره ونسيانه.. ومن أهم تلك المعالم العمرانية بناء الجامع الكبير المقدس، الذي جرى استحداث الجانب الشرقي كاملاً بأمر من السيدة الحرة أروى بنت أحمد

(68) انظر: عيون الأخبار، السبع السابع، ص11، مقدمة المحقق.

(69) انظر: إسماعيلية اليمن المكارمة، ص92.

الصليحي، كما أننا نجد أن تعبيد الطرق لم تعرفه اليمن بشكله الحديث إلا في إطار حكمهم من الدولة الصليحية، ومن ذلك مثلاً طريق نقيل السياني وغيرها من الطرق، كما أمرت السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحي ببناء صهاريج في عدن وما يجاورها، وكانت ثمانمائة صهريج، المتبقي منها حالياً ثمانون صهريجاً فقط، وهذا نموذج عن حالة الإعمار التي شهدها اليمن خلال مرحلة حكم الدولة الصليحية.

هذا أدى إلى شعور الأئمة الزيديين بضرورة القضاء على هذا التراث العظيم والعمل على تعييبه، وتمت كتابة التاريخ بطريقة مختلفة تناسب مع أهواء الحكام.

وفي إطار محاولات الزيود إخفاء معالم الدولة الصليحية، توجهت سياساتهم نحو الإبادة الجماعية لهذه الجماعة من خلال الحملات العسكرية المتتالية نحو القضاء عليهم، وهذا أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من الأسر الناجية في محاولة منهم للهروب من هذا الواقع المؤلم، وكانت المناطق التي تم التوجه منها محدودة للغاية، ويمكن حصرها في المناطق المحلية الآتية: منطقة عراس ونجران.

وبالنسبة للهجرة الخارجية، كانت الهند هي موطن قدم للمهاجرين الإسماعيليين اليمنيين، فقد كانت هي الملاذ الآمن لهم، ولذا انتقل إليها العديد من الأسر، خصوصاً تلك الإسماعيلية الداودية، وكانت كجرات هي أول المستوطنات للطائفة الإسماعيلية، وأما معظم أتباع الدعوة الإسماعيلية السليمانية فقد توجهوا نحو منطقة نجران، حيث هدفوا من خلال ذلك النزوح النجاة بحياة من تبقى، ومحاولة إنشاء دولة محايدة في تلك المنطقة الآمنة، مدفوعين على العموم بأمل الحصول على حياة أكثر أمناً وازدهاراً.

وخضعت الدعوة الإسماعيلية لقيادة متصلة من "الدعاة المطلقين" الذين أقاموا في اليمن، ثم تحولوا إلى الهند عام 946 هجرية، حيث كان للجماعة جذور تعود إلى القرن الخامس. وعلى الرغم من التاريخ المضطرب إلى حد ما، فإن الجماعة الهندية تمكنت من البقاء والانتعاش، ثم انتشرت تدريجياً لتشتمل على شتات في مختلف أرجاء العالم. وما أهدف إليه هنا هو تحليل تاريخي، لا أنثروبولوجي أو إثنولوجي، يتناول الكتلة الأساسية من الإسماعيلية المستعربين الطيبين وهم البهرة الداودية، والسليمانية، والعلوية. وللبهرة توصيف فريد بين الملل المسلمة، وسيقوم هذا التحليل التاريخي بإلقاء الضوء على الطريقة التي من خلالها حافظ البهرة على تماسكهم وحماسهم كجماعة اتصفت بثقافة ذات نزعة طقوسية تقليدية مميزة وفكر تحديثي إيجابي متلائم، وسيوضح كيف أن قادتهم الدعاة كانوا القوة الدافعة في توجيه مصير الجماعة وتطور نشأتها في أزمنة متغيرة.

كان القرن التاسع عشر بدايةً لفصل جديد في تاريخ الإسماعيلية اليمنيين في الهند، فقد آذن بحلول فترة من السلم النسبي للدعوة، نجم بصورة أساسية عن إقامة السلطة البريطانية في الهند، عقب سنوات طويلة من اضطهاد الحكام السنة لهم. وبعد سنوات عدة من عدم الاستقرار، تم إنشاء مركز جديد في سورات أُنخذ مقرأً لقيادة الدعوة، وكانت سورات مركزاً تجارياً في غجرات التابعة لسيطرة "شركة الهند الشرقية البريطانية" مباشرة، وقد وقّرت الحماية من الاضطهاد الديني وفرصاً مالية متزايدة أيضاً، يضاف إلى ذلك الدور الكبير الذي لعبه دعاة الطائفة الإسماعيلية في الهند من إصلاحات ذات الأثر الدائم وإرساء بنية تحتية صلبة ومتجددة للدعوة، فمنحها ذلك عزمًا جديدًا في جميع المجالات الدينية، والإدارية، والثقافية، والأدبية.

لقد تأثر الإسماعيليون كمواطنين هنود في الفترة العصرية بالأحوال السياسية والتوجهات العقائدية المتغيرة، بما في ذلك الوجود البريطاني في الهند، واستقلالها وتقسيمها، والحكومات التي قادتها الأحزاب السياسية المختلفة، والتقدم التقني الثوري للتحديث، والحركات الأيديولوجية، كحركة تحرير المرأة، وفرص تعليمية أشمل، وحقوق عمل وتقنيات جديدة في مجال الأعمال. وكان التحكم باستجابة الجماعة والانطباع الذي تركته المؤثرات الخارجية عليها وتفاعلها معه من اختصاص الدعاة ومناصبيهم. وعلى العموم، فإن الانفتاح على التطورات الخارجية الإيجابية يدل على ثقة بالنفس، وسياسة من التسامح والديبلوماسية يمكن ملاحظتها في علاقات الدعوة مع الآخرين، وتوافقها مع قوى اجتماعية وسياسية وأيديولوجية جديدة، وربما معادية، مهّدت الدرب للتعامل مع تحديات جديدة طرحها العالم العصري بدرجة مهمة من النجاح.

وتكشف دراسة مُعمقة للإسماعيلية أن تفسيرهم الخاص للشريعة الإسلامية، باعتبارها تصلح بصورة أساسية لكل العصور، وفلسفتهم القائمة على الفكر وأخلاقياتهم المتصفة بالانفتاح العقلي، وتقاليدهم في الأعمال، وأخيراً بنيتهم التنظيمية المتمركزة على الداعي وتماسكهم، قد ساهمت كلها في تسهيل عملية تبنيّ فريدة للحداثة وتوافق معها. إن أسلوب الحياة والنظرة اللتين توجههما الأعمال التجارية قد شجعا تفاعلاً مع ثقافات أخرى وتبني متطلبات التقدم، وكان الاعتقاد الضمني بالعقيدة الفاطمية- التي تؤمن بأن العقل والدين متوافقان بصورة أساسية ويعتمد أحدهما على الآخر، وتدعو إلى وجوب أخذ "الحكمة" من أي مصدر- قد مكّنهم من اعتناق جميع الإنجازات العلمية للعلوم والتكنولوجيا الحديثة التي لا تتعارض صراحة مع مثاليات الإسلام.

واعتبر دور الداعي في مراقبة استجابة الجماعة للحادثة دون الخروج عن المثاليات الدينية- وهذا اختلاف مستقل في درجة التطابق في قطاعات مختلفة داخل الجماعة لا مفر منه- أمراً حاسماً في تعزيز الأفعال الرشدية التقليدية، وفي توجيه وتصديق ضم الإبداعات الحديثة، وفي وضع المقاييس الموثوقة للتغير والاستمرارية، وأخيراً، لكن ليس أقلها أهمية، في توفير تركيز فعال للولاء الروحي والتماسك الثقافي⁽⁷⁰⁾.

ومن أهم الأسر اليمنية الناجية التي هاجرت إلى الهند أسرة الهمداني التي كان لها نشاط علمي واسع على مستوى الدعوة الإسماعيلية في الهند، وأسست المؤسسة العلمية المشهورة بـ"المدرسة المحمدية الهمدانية"، وسنتطرق لها في مبحث منفصل من هذه الدراسة.

وبالنسبة للبهرة السليمانية في الهند، فإن تسيير شؤونهم يعود إلى ممثل الداعي المعروف باسم "المنصوب" والمقيم في فادودارا (بارودا سابقاً في ولاية غجرات)، ويوجد بهرة سليمانيون يعيشون في حيدر آباد (دكن)، وأحمد آباد ومومباي، ولديهم مركز في مومباي يُعرف باسم بدري باغ.

كما توجد جماعة صغيرة منهم في باكستان، ويبدو أن للجماعة خارج منطقة نجران - حراز اتصالات قليلة مع الداعي، وأن التعاملات بين السليمانيين الهنود واليمنيين محدودة، فاليمنيون يختلفون كثيراً في أسلوب حياتهم وثقافتهم عن الهنود. وقامت الجماعة السليمانية الهندية بالإضافة إلى ذلك بالنأي بنفسها ثقافياً تدريجياً والابتعاد عن جذورها الغجراتية، ويتكلم أفرادها اليوم الأوردية بصورة مشابهة لأكثرية المسلمين الهنود. ومن الأسر البارزة عند البهرة السليمانيين أسرة طيجي، من القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، التي ينتمي

(70) انظر: تاريخ الإسماعيليين الاستمرارية والتغيير، ص374 .

إليها محامٍ هندي مسلم، هو بدر الدين طيبي، والباحث الإسماعيلي المشهور أصف علي فيضي (1899-1981م). وكانت أسرة طيبي تدعو إلى هدفين "تقدميين" هما: تعليم حديث (وخاصة اللغة الإنكليزية) لكلا الجنسين، والتخلي عن ارتداء الحجاب. لكن لا يبدو أنهم حققوا اليوم تقدماً كبيراً في المجال التقني⁽⁷¹⁾.

كما يوجد البهرة العلويون، المشهورون شعبياً بـ"البهرة العلوية"، وهم يتبعون خطأً مختلفاً أيضاً عن خط البهرة الداوديين مُنذُ زمن الداعي التاسع والعشرين وفيما بعد ذلك، أي بعد عهد داعيين من فترة الانشقاق عن السليمانيين، واكتسبوا تسميتهم إلى الداعي علي شمس الدين بن إبراهيم⁽⁷²⁾ (ت 1631م/ 1041هـ) - وهو من سلالة إدريس عماد الدين، وأول يماني يتّأسس الدعوة الداودية - وأطلقوا على أنفسهم لقب "العلويين"، وعلى دعوتهم "الدعوة العلوية الهادية"، وبعد عهود ثلاثة دعاة، أي في العام 1090هـ، انتقل مقر الدعوة العلوية من أحمد آباد إلى فادودارا التي بقيت مقراً لقيادة الدعوة العلوية حتى يومنا هذا، (وستحدث عن تأثيرهم وتأثرهم لاحقاً).

وقد هاجر بعضهم من اليمن، وكذلك من الهند إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا والشرق الأوسط، وأكثرهم يعملون في التجارة، ويهيمنون على سوق البصريات في فادودارا، ولهم أنشطة في مجالات كالحقوق، والطب، وعلوم الحاسوب. أما عاداتهم، ومعتقداتهم، وهرمية (حدود) دعوتهم فمشابهة

(71) انظر: ثيودور ب. رايت "النسب الإسلامي والحداثة: عشيرة طيبي في بومباي" في امتياز أحمد، الأسرة والنسب والزواج بين المسلمين في الهند (نيودلهي 1976)، ص217-238.

(72) انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ص479.

لتلك التي للبهرة الداوئين، بما في ذلك الميثاق⁽⁷³⁾ أو العهد⁽⁷⁴⁾، واللغة (لسان الدعوة)، وطرز اللباس⁽⁷⁵⁾.

تقاليد الإسماعيلية في التعليم⁽⁷⁶⁾:

يعد التعليم الديني مطلباً أساسياً لا غنى عنه، وبالتالي همّاً أساسياً للدعاة، فقد شكّل تاريخياً أولوية ووسيلة لتعزيز المكانة الروحية للداعي، ولديمومة التراث الأدبي الغني للدعوة وتقوية الروابط الدينية، فأقدمت الدعوة على إنشاء المرافق المتنوعة للتعليم الديني، بما في ذلك نظام المدرسة، وتقاليد الوعظ العريقة المعروفة "بالمجالس"⁷⁷ التي استمرت عبر العصور بلا انقطاع، أما عن أدب الدعوة والتعليم فسنناقشه لاحقاً ونوضح هيكلية الدعوة التنظيمية.

كان للبهرة اليمنيين الدور الكبير في ابتداء حملة تطوير أدبية، وكانت الأساس في ذلك المدرسة "المحمدية الهمدانية" التي أسسها سيدي⁷⁸ محمد علي

(73) العهد: نص يقرأه المستجيب وعلى أساسه يعتنق المذهب الإسماعيلي ويقسم على كتمان سر الدعوة وعدم انتشار علومها وطاعة إمام الزمان الذي يطلع فيها على أعماله (منتزح الأخبار مج2/ص22).

(74) لا تقيد المصادر المبكرة بوجود تاريخ محدد لتجديد العهد، وقد ورد في أماكن مختلفة في منتزح الأخبار مج2 أن تجديد العهد كان يجري في الثامن عشر من ذي الحجة يوم الغدير لما لهذا اليوم من أهمية عند الشيعة الإمامية. انظر:

Ivanow, A creed of the fatimids (Bomby, 1936) 13-17 ; Halm, the isma'ili oath of Allegiance and the "sessions of wisdom" in f. Daftary (ed) mediaeval isma'ili History and thought, 91 -98.

(75) تاريخ الإسماعيليين الاستمرارية والتغيير، ص443؛ للمزيد انظر الموقع الإلكتروني (www.alavibohra.org)

(76) الأيديولوجيا: يُطلق البهرة على منظمتهم الدينية تسمية "الدعوة الهادية" وعلى أنفسهم "المؤمنون"، وتشكل المعتقدات التالية المبادئ الأساسية لأيديولوجيتهم، المبدأ الأول هو الإقرار بوحداية الله (الذي يعتقد به جميع المسلمين)، فالبهرة يؤمنون بأنه هو الخالق الذي لا يحيط به فكر أو مخيلة، ثم مبدأ أساسي آخر هو الاعتقاد (الخاص بالشيعة) بوجود مرشد روعي (إمام) في كل عصر مهدي بالله ومعصوم وكامل ويقوم بوظيفة الربط بين الله والبشرية، ويستقي نوره من الله ويبثه بين الناس، وأن هذه القيادة منذ بدء الخلق وتستمردون انقطاع حتى يرث الله الأرض والسماء وما بينهما، وهي متسلسلة في خط واحد تنتقل من الأب إلى الابن حيث يُعين كل إمام خليفته قبل وفاته، ومن هذا الخط ظهر النبي محمد ص ووصيه علي بن أبي طالب ثم أعقبهما خط من الأئمة كانوا من ذرية محمد ص وعلي (والصلة بينهما هي مهم فاطمة ابنة النبي محمد وزوجة الوصي علي). (انظر: عقائد الإمامة الفاطمية في الفصل الذي كتبه القاضي النعمان في الولاية في كتابه دعائم الإسلام، تحقيق، آصف فيضي، ص120).

(77) من أمثلة ذلك المجالس المؤيدية للمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي، والمجالس الحاتمية للداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي وغير ذلك كثير.

(78) سيدي: تعني حرفياً "مليكي" أو "أميري" لكنها هنا لقب دون مستوى "سيدنا" ويمنح لرجال دين أو باحثين بارزين أو أصحاب رتبة في الدعوة.

الهمداني (1844- 1898م)، وتابعه في ذلك أبناؤه وأحفاده حتى يومنا الحاضر، وتضمن البرنامج الذي افتتحه تعليماً مكثفاً ومنظماً بصورة دقيقة، فوصلت دراسة اللغة العربية مستويات جديدة عالية، وتم تفسير القضايا الفقهية للمعاملات (القانونية) ومناقشتها، وصُنفت الكتب والرسائل التي تناولت مواضيع متنوعة، إلى جانب نظم الأشعار بالعربية واللغات الهندية الأخرى (الأوردو والجمراتية)، وكانت هذه المؤسسة التعليمية توازي حالياً الدور الذي تقوم به الجامعة السيفية التي تأسست في بداياتها بجهود حثيثة من الداعي الداوودي عبد علي سيف الدين، والتي كان لها تأثير أيضاً في تنظيم شؤون الدعوة في مجال التعليم.

وفي أعقاب الخلاف الذي نشب حول "نظرية انقطاع النص" في زمن عبدالقادر نجم الدين، تعرضت معاهد الدرس للتهميش، ومن ضمنها "المدرسة المحمدية الهمدانية" التي نعتقد أنه تم التحفظ عليها.

وفي المقابل، نرى تقدماً مهماً تحقق في التربية والتعليم في نطاق الدعوة، وبإدخال نصوص "لسان الدعوة"⁽⁷⁹⁾ أصبح تعليم الدعوة في متناول عامة البهرة، وواصلت مؤسسات نظام المدرسة انتعاشها وتزايدت أعدادها بصورة ثابتة خلال القرن التاسع عشر.

وفي القرن العشرين، ومع ازدياد التعليم الديني، بدأت الدعوة رسمياً بتشجيع ورعاية التعليم الحديث غير الديني، وعندما أصبح طاهر سيف الدين⁽⁸⁰⁾ (ت 1385هـ) داعياً، ازداد عدد مؤسسات نظام المدرسة خلال فترة قصيرة من 30 إلى 300، ثم جرت عملية تدقيق وتوسع لمعاهد الدرس التي أعيدت

(79) لسان الدعوة: وتعني حرفياً لغة الدعوة، وهي لهجة غجراتية تكتب بخط عربي فيها كثير من الكلمات العربية.

(80) الداعي الـ (51) من دعاة الفرقة الداوودية.

تسميتها بـ "الجامعة السيفية"، وفقاً لنمط المعاهد العصرية، وتمت مراجعة مخططات مناهجها لتشمل مواضيع علمية غير دينية كمادتي العلوم واللغة الإنجليزية، كما تم "تأسيس دائرة" التعليم لتنظيم مدارس الدعوة، وأنشئت المدارس الابتدائية والثانوية للبنين والبنات التي درست مناهج تعليمية حديثة، إلى جانب دراسات دينية كمادة إضافية، على غرار كليات التعليم العالي. وطوّر الداعي محمد برهان الدين⁽⁸¹⁾ عملية تحديث الجامعة، إضافة إلى طرائق التعليم العالي، وتزويد المكتبة بوسائل أفضل، مع إعادة تنظيم وتحسين القدرات والحصول على اعتراف بالجامعة كمعهد ديني للتعليم العالي من قبل بلدان مختلفة، منها كراتشي ونيروبي، وكان لها دائرتها المستقلة ذاتياً في بدري محل، حيث تلقى اهتمام الداعي الشخصي، وتواصل بناء المدارس الجديدة، وأصبحت الدعوة مسؤولة اليوم عن مئات المدراس⁽⁸²⁾. وثمة مدارس دينية تسمى "مدرسة للأطفال البهرة" في معظم المدن التي تضم سكاناً من البهرة، ومن أجل إتاحة الفرصة للأطفال لحضور المدارس العلمانية في أيام الأسبوع، فإن المدارس الدينية تقيم دروسها إما مساءً أو في عطل نهاية الأسبوع. أما خارج الهند وباكستان، فإن المدرسة في دبي هي من أفضل المدارس التي يؤمها التلاميذ، حيث تخصص ساعتين من الحصص يومياً في المدارس العلمانية التي يديرها البهرة، وثمة عدد كبير من المعلمين الدينيين المحترفين ممن تدرّبوا في الجامعة، كما يوجد آخرون من المتطوعين الذين تدرّب بعضهم في معهد الزينية في سيدبور، وهذا المعهد قيد العمل منذ 1979م.

(81) الداعي الـ (52) من دعاة الفرقة الداودية.

(82) انظر: تاريخ الإسماعيليين الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، ص403.

هيكلية الدعوة التنظيمية :

اتصفت الدعوة الإسماعيلية بأنها ذات هيكلية هرمية على وجه الحصر، وكان على رأس هذا الهرم "الإمام"، أي الخليفة الفاطمي الذي كان، باعتباره سليلاً ووريثاً للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم-، المستودع الحق للعلم أو «الحكمة»، وكان "داعي الدعوة" ينفذ نشاطاته باسم الإمام ونيابة عنه، وكثيراً ما أطلق على الأخير في المصادر الإسماعيلية المعاصرة تسمية «الباب»، باعتبار أنه كان الوسطة الوحيدة التي من خلالها يحصل التابع على الحكمة. وسبق لنا معرفة أن "داعي الدعوة" في القاهرة الفاطمية كان، في معظم الحالات، قاضي القضاة أيضاً، بحيث أن كلاً من الصيغة «الظاهرية» للشريعة ومعناها «الباطني» قد أسندا لرعاية شخص واحد بعينه. وكان داعي الدعوة يقوم بتحضير «مجالس الحكمة» بكتابة نصوص المحاضرات شخصياً، ثم يرفعها إلى الإمام لتفحصها وتصحيحها إذا احتاجت، ثم التصديق عليها بختمها بتوقيعه، وكانت نصوص المحاضرات تجمع، وهناك احتمال كبير أن نسخاً منها كانت تُرسل إلى الدعوة في جميع أنحاء العالم الإسلامي لضمان تعليم موحد للمعتقد عند جميع الجماعات الإسماعيلية طبقاً لوجهة نظر الإمام، ويعود الفضل إلى هذا الشرط بالذات أن وصلتنا «مجالس» مختلف الأئمة ودعاتهم في شكل مخطوطات وبأعداد وفيرة.

لقد اتخذ تنظيم الدعوة خارج الإمبراطورية شكل «الجزائر» (مفردها جزيرة) في ظل سيطرة داعية من رتبة عالية حمل لقب «الحجة»، وكان عدد مثل هذه الجزائر يبلغ دائماً اثنتي عشرة جزيرة في الكتابات الإسماعيلية، ولكن مما لا شك فيه أن القصد من هذا الرقم كان رمزياً، فهو يشير إلى «الجميع» أو «الكلية». والواقع أن المصادر المعاصرة لتلك الفترة لم توفر الدليل على وجود

عدد كبير من مثل تلك «الجزائر». ويشير الداعي المشهور حميد الدين الكرمانى (83) إلى نفسه في بداية كتابه «راحة العقل»، على أنه «الداعي في جزيرة العراق». وما دام أن عنوان أحد أعماله هو «مجالس بغداد والبصرة»، فيمكننا الاستنتاج أن بغداد والبصرة كانتا مركزين رئيسيين لنشاطاته، وجزيرة ثانية كانت اليمن، وثالثة السند، وهي التي كانت مرتبطة بالقاهرة عن طريق عدن في اليمن. وكانت تغطي الهضبة الإيرانية ومنطقة ما وراء النهر بكاملها شبكة من الجماعات الإسماعيلية، لكن لا تتوفر لدينا معلومات محددة حول تنظيماتها الداخلية، فكانت شيراز في إقليم فارس مركزاً لعمليات الداعي البارز المؤيد، الذي ربما كان مسؤولاً عن كامل الجزء الجنوبي الغربي من إيران، أما في الشمال الغربي فكانت الري (إلى الجنوب من طهران حالياً) من أكثر المدن أهمية في إقليم الجبال منذ أقدم العصور، ومركزاً رئيساً للدعوة منذ بداياتها الأولى، ومن هنا كان إشرافها على الجماعات في مرتفعات الديلم إلى الجنوب من بحر قزوين. ولا بد أن إقليم خراسان في الشمال الشرقي من إيران كان «جزيرة» بنفسه، ولو أنها ظهرت مؤقتاً. في ظل السجستاني وناصر خسرو على سبيل المثال- وكأنها كانت مجتمعة في يد ذلك المقيم في الري.

وجاء في موقع تالٍ "للحجة" عدد وفير من الدعاة المحليين والإقليميين الذين كان لهم بدورهم عدد من المساعدين عرفوا بالدعاة «المأذونين». أما الرتبة

(83) الكرمانى: هو أحمد بن حميد الدين، ولد في مدينة كرمان عاصر الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي (ت 411هـ) وكان على رأس الدعوة الإسماعيلية في كل من إيران والعراق في زمن الإمام الفاطمي الحاكم بأمر الله، له العديد من الكتب أشهرها "راحة العقل". (للمزيد انظر "راحة العقل"، تحقيق محمد كامل حسين، ط1، القاهرة، دار الفكر. د. ت؛ و"الرياض في حكم الصادين صاحب الإصلاح والنصرة" تحقيق: تامر عارف، بيروت، دار الثقافة، المقدمة، و"الداعي الإسماعيلي"، حيدر محمد عبدالله الكربلائي؛ ص103 وما بعدها).

الدنيا في الهرمية فقد شغلها الدعاة «المكاسرون»⁽⁸⁴⁾، وهو مصطلح مشتق من الفعل «كسر»، وصيغ على وزن «مناظر» وبمعناه، وكانت مهمة "المكاسر" الجلوس مع «التلميذ» ومجادلته حتى ينتهي من نقض جميع ما يجادل به. وفي تعليمات النيسابوري لأداب الدعاة⁽⁸⁵⁾، يقول المؤلف إنه على من يقوم بجذب المستجيبين «البدء بكسر مقاومة (التلميذ) وتحطيم آرائه السابقة؛ إن عليه كسر اعتقاده وما يعتقد حتى لا يبقى لديه أي جدل معاكس».

أما الداعي الفرد فقد كان مسؤولاً عن ناحية بعينها، وكان عليه القيام بجولات تفتيشية منتظمة فيها، وينطبق الأمر ذاته على «الحجة» في المستوى الأعلى لـ«الجزيرة». ولا بد أن الحجة كان مسؤولاً أيضاً عن تدريب وتعيين الدعاة العاملين تحت إمرته؛ لكن يبدو أنه كان أمراً متبعاً إرسال جمع الدعاة، أو الذين من المراتب العالية على الأقل، إلى القاهرة، إذا كان ذلك ممكناً، وقضاء بعض الوقت هناك لمقابلة داعي الدعاة شخصياً، وربما الإمام أيضاً، وتلقي التدريب في مركز الحركة. وقد أمضى الدعاة الكرمانى، والمؤيد الشيرازى، وناصر خسرو، وحسن الصباح، أمضوا جميعهم عدة سنوات في القاهرة.

إن تعليم الدعوة مهمة إلهية، كما قال الله لرسوله محمد- صلى الله عليه وسلم:- (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل:125]، ولتوضيح كلمة الله تلك وعرضها يلجأ النعمان إلى اقتباس الحكم والأمثال التي هي- وكما هو متوقع- أقوال الأنمة، ولا سيما أقوال إمام محدد بعينه كان يعد على الدوام الأكثر علماً من بينهم، الإمام جعفر الصادق. وقد جاء عن الإمام جعفر الصادق

(84) المأذون والمكاسر: في هيكلية الدعوة الإسماعيلية عشر مراتب، ويحتل المأذون العقل التاسع أي الرتبة التاسعة ومهمته أخذ العهد والميثاق (منتزع الأخبار، مج2/ص21).

(85) انظر: الرسالة الموجزة الكافية في آداب الدعاة؛ Verena Klemm and Paul E. Walker

أنه قال: «اطلبوا العلم وتزينوا منه بالوقار والحلم، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم» (86). وقال أيضاً: «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يكابر به العلماء ليتأس به في الناس فليتبوأ مقعده من النار؛ لأن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها» (87).

والمتعلم، طبقاً للقاضي النعمان، كثيراً ما يتحرك ويندفع بالطموح والرغبة في التفوق على الآخرين، ويكون بدافع التفاخر أمام الآخرين، والتنافس مع الأصدقاء والزملاء يقوم بدور مهم في هذا المجال، والهدف الرئيس للرجل الطموح يتمثل في الحصول على منزلة عالية، وليس مثل هذا الطموح مؤدياً بالضرورة على كل حال، بل هو في واقع الأمر، كقوة دفع أولية، وكنبضة أولى، مفيد لكن يجب ألا يكون ذلك كل شيء؛ إذ ليس قبل أن يتوغل المتعلم في روح نشاطاته، وعندئذ يمكن القول إن علمه قد توج بالنجاح حقيقة. وينقل النعمان عن الإمام جعفر الصادق أمره لأتباعه: «كونوا لنا دعاة صادقين»، وهذا يعني أن تصرفوا واسلكوا سبيلاً بحيث يصبح مثالكم برهاناً كافياً على تفوق دينكم (88).

الأثار الثقافية للهجرات الإسماعيلية وأبرز رموزها:

الأسرة الهمدانية ونشاطها الثقافي (أنموذجاً لإسماعيلية اليمن في الهند) :
اشتهرت الأسرة الهمدانية بتوارثها لعلوم الدعوة الإسماعيلية، ونقل معظم أدبيات الدعوة من اليمن إلى الهند إبان الحروب التي واجهتها الدعوة الإسماعيلية مع الزيدية، مما دعا الكثير من أبناء الدعوة إلى الهجرة إلى خارج

(86) كتاب الهممة/ ذكر ما ينبغي أن يستعمله الدعاة إلى الأئمة.
(87) المجالس والمسائرات (79/ كلام في مجلس في تخلف أكثر الناس عن علم الفوائد)، والقول منسوب للرسول. انظر: (191/ حديث جرى في مجلس في الرد على بعض المتكلمين)، انظر أيضاً: دعائم الإسلام 1/ ذكر من يجب أن يؤخذ عنه العلم ومن يرغب عنه ويرفض قوله؛ الهممة/ سابق؛ الأخبار في الفقه 2/ كتاب آداب القضاة.

(88) انظر: الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ص40.

اليمن خوفاً على حياتهم، خصوصاً أن الفكر الزيدي كان قد أطلق العنان نحو إبادة جماعية للطائفة الإسماعيلية في اليمن من خلال الحملات العسكرية التي وجهها، والتي دعمها بإصدار الفتاوى التكفيرية ضد أبناء الطائفة الإسماعيلية، وأغلب الظن أنها نفسها تحكم العلاقة بين الزيود في اليمن والإسماعيلية إلى يومنا الحاضر.

وهذا بدوره أدى إلى قيام الأسرة الهمدانية بتبني عملية نقل الموروث الإسماعيلي خوفاً من ضياعه وحرقة خلال الحروب التي كانت تستهدف الطائفة الإسماعيلية، وكان المجال الواسع لها هو الهند، وهناك استقرت وافتتحت تلك المؤسسة التعليمية "المدرسة المحمدية الهمدانية"، وقدمت خدماتها لطلاب العلم دون انتظار أي مقابل.

وفي أعقاب الخلاف الذي نشب حول نظرية انقطاع النص في زمن عبدالقادر نجم الدين، تعرضت معاهد الدرس للتهميش، ومن ضمنها "المدرسة المحمدية الهمدانية" التي نعتقد أنه تم التحفظ عليها.

هجرة المخطوطات الإسماعيلية عبر العالم- مجموعة سيدي محمد علي الهمداني:

نتيجة الحروب التي كانت تستهدف الإسماعيلية في اليمن، وكان أحد نتائجها إحراق المكتبات الخاصة بالإسماعيلية أينما وجدت بهدف طمس هذا التراث الفكري الإسلامي العميق، قامت الجماعة الإسماعيلية في اليمن بإجراءات عديدة للحفاظ على هذا التراث العلمي، ومن ذلك قيامها بتهريب تلك الأعمال الأدبية من داخل اليمن إلى بلاد المهجر، ومن تلك المجموعات مجموعة سيدي محمد علي الهمداني التي تعد من أهم المكتبات الإسماعيلية حتى يومنا الحاضر.

والمخطوطات المنسوبة للعلم محمد علي الهمداني جُمعت عن طريق أكثر من سبعة أجيال من قبل عائلة سامية من العلماء المنتسبين إلى البهرة، ولذلك فإن الجزء الأكبر للمخطوطات من كتابات الإسماعيلية الدينية، والعديد من هذه المخطوطات وحتى اليوم تعد من الأعمال السرية وليس من السهل الوصول إليها أو الاطلاع عليها من قبل أحد من خارج الإسماعيلية، كما أنها ضُمَّت عدداً جيداً من الكُتُب الإسلامية العامة، وكذلك الأعمال ذات المحتوى غير الديني، وهذا يوضح لنا المدى الكامل لثقافة تعلم عائلة العلماء الدينيين اليمنيين في الهند، وقد كتبت أغلبية المخطوطات باللغة العربية، لكن هناك أيضاً عدداً صغيراً منها مكتوب باللغة الفارسية والجوجراتية، وهي أيضاً من اللغات التي كان يعلمها بعض البهرة الإسماعيلية.

وأغلب المخطوطات كتبت في اليمن، ولكن كان للأسرة الهمدانية الفضل في عمل نسخ مُتعددة لكتب في مقر إقامتهم في الهند، على الرغم من أن عدداً منها قديم جداً، (ترجع بعض المخطوطات إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وقبل ذلك)، وأغلب المخطوطات تم نسخها في القرن التاسع عشر حتى القرن العشرين. والغريب في الأمر أنه رغم التطور في الطباعة الحديثة فإن الأسرة الهمدانية ظلت مرتبطة بالنسخ الخطية، والكتابة اليدوية للمخطوطات، وحافظت على هذا الموروث اليمني الإسلامي الأصيل في بلاد المهجر؛ ويرجع أهم الأسباب لذلك إلى سرية هذه الأعمال التي كان يوجد خوف لدى أبناء الإسماعيلية من نشرها والترويج لها، وطباعتها بالطرق الحديثة، وقد استفاد العديد من أبناء الجالية اليمنية في الهند من هذا الموروث العظيم، وحافظ بشكل كبير على الهوية اليمنية لأبناء الجالية اليمنية في الهند.

كما تميزت مجموعة مخطوطات الأسرة الهمدانية بأن عدداً منها قام بنسخها نساء من الأسرة الهمدانية، وكانت من الكتب العالية جداً والسرية أيضاً، وهذه دلالة واضحة على ما كانت تتمتع به المرأة في الأسرة الهمدانية اليمنية في الهند من اهتمام وتثقيف عاليين.

ويعود أصل مجموعة المخطوطات الهمدانية إلى علي بن سعيد اليعبري الهمداني (الذي ولد في 1132هـ/1718م ومات في 1212هـ/1798م)، وهو من نقلها عندما تم تهجير أبناء الإسماعيلية، وكانت وجهته من اليمن إلى كجرات في منتصف القرن الثامن عشر، ومن تلك المخطوطات عدد منها قام بنسخه بيده الشريفة قبل ذلك أو بعد وصوله إلى الهند. ويوضح لنا فهرس المجموعة الصادر عن المعهد الإسماعيلي في لندن⁽⁸⁹⁾ أن هناك ثلاثة أعمال أدبية كانت بيد علي بن سعيد.

والمجموعة توسعت تحت إدارة أحفاده، وبشكل خاص تحت إدارة ابن حفيده، عالم البهرة البارز والمربي محمد علي الهمداني (1249-1315هـ/1833-1898م)، وحفيده حسين (عبدالحسين) فيض الله الهمداني (1319-1381هـ/1901-1962م)، الذي فتح أبواب المكتبة العائلية إلى الثقافة الدولية، وبشكل خاص إلى المُستشرق العظيم والطالب الرائد للدراسات الإسماعيلية باول كروس، وتبعه ابنه عباس الهمداني (1927-2019م)، الذي قام بأخذ تلك المجموعة العائلية إلى مقر إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم قام بالتبرع بها إلى المعهد الإسماعيلي في لندن (التابع للإمام كريم آغاخان) بهدف الحفاظ عليها من التلف والضياع، وكان الهدف الأسمى هو تمكين الباحثين في مجال الدراسات الإسماعيلية من الحصول عليها بسهولة تامة،

(89) FRANCOIS DE BLOIS، Arabic، Persian and Gujarati MANUSCRIPTS، The Hamdani Collection، I.B.Tauris Publishers، LONDON، NEW YORK.

وهو - للأسف- ما لم يتحقق نتيجة السياسات المتبعة في المعهد الإسماعيلي في لندن، التي احتكرت المجموعة ومنعتها عن كثير من الباحثين.

وهو ما دفع حفيد العلامة حسين الهمداني (الدكتور عمرو معديكرب الهمداني) إلى إعادة تجميع المجموعة الهمدانية وغيرها من الأعمال الأدبية من مناطق متعددة في الهند، والسند، والجزيرة العربية، وأوروبا، وكانت مهمة شاقة حيث يقيم الدكتور عمرو بن معديكرب الهمداني حالياً في موطنه اليمن، وكان ذلك سبباً في صعوبات جمة في تحصيل الكثير من المخطوطات والأعمال الأدبية للإسماعيلية، وقد تحققت رؤية الهمداني من خلال جمعه لمئات المخطوطات الإسماعيلية من مصادر متنوعة، وقامت مؤسسته العلمية "مؤسسة الهمداني الثقافية- الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث" بنشر العشرات من الأعمال الأدبية الإسماعيلية في اليمن والعالم أجمع.

إن أصول مجموعة الهمداني التراثية تعود لأسرة واحدة كانت ضمن جالية البهرة في الهند، انتقلت من اليمن، وتعود أصولها إلى علي بن سعيد بن حسين بن علي اليعبري الهمداني من قبيلة همدان المشهورة في التاريخ الإسلامي، وكان مقر إقامتهم في منطقة بيت أنعم - همدان، ثم جرى انتقالهم إلى منطقة حراز بسبب الحروب التي كانت موجهة ضد الإسماعيلية من قبل الأئمة الزيديين، وحراز هي المعقل الرئيسي والدائم للإسماعيلية في اليمن على مر العصور.

وتشير المصادر إلى أنه نتيجة الأعمال العدائية للزيديين ضد الإسماعيلية في اليمن، والخوف من ضياع الموروث الإسماعيلي، قام الداعي الداودي التاسع والثلاثون إبراهيم وجيه الدين (1754-1737م) بدعوة علي بن سعيد بن حسين بن علي اليعبري الهمداني (1212-1132هـ / 1718-1798م) للمجيء

إلى الهند بمجموعته الكبيرة للمخطوطات الإسماعيلية ومخطوطات أخرى، وعلي الهمداني عُرف بنسبه وثقافته، حيث يعود نسبه إلى عائلة الأمير سبأ بن يوسف اليعبري، القائد العسكري للداعي الطيبي المطلق الثالث حاتم بن إبراهيم الحامدي (596هـ/ 1199م)، لكنه وعائلته كانت تعيش في ظروف صعبة، وكانت في حاجة المساعدة، لذا هاجر إلى الهند مع زوجته وابنه إبراهيم، واستقرَّ في سورت، وقدم خدماته تحت أربعة دعاة إسماعيليين: الداعي التاسع والثلاثين إبراهيم وجيه الدين، والداعي الأربعين هبة الله المؤيد في الدين (1193هـ/ 1779م)، والداعي الحادي والأربعين عبدالطيب زكي الدين (1200هـ/ 1785م)، والداعي الثاني والأربعين يوسف نجم الدين (1213هـ/ 1798م).

والمخطوطات اليمنية القديمة انتشرت في مراكز الدراسة الخاصة بالإسماعيلية في الهند على يد حفيده فيض الله (ت 1876م)، وابن حفيده محمد علي (1315-1249هـ/ 1833-1898م) الذي بنى مكتبة كبيرة أثناء وقت أربعة دعاة إسماعيليين هم: الداعي السادس والأربعون محمد بدر الدين (ت 1256هـ/ 1840م)، والداعي السابع والأربعون عبد القادر نجم الدين (ت 1302هـ/ 1885م)، والداعي الثامن والأربعون عبد الحسين حُسام الدين (ت 1308هـ/ 1891م)، والداعي التاسع والأربعون محمد برهان الدين (ت 1323هـ/ 1906م)، وتحمل العديد من المخطوطات الهمدانية ختماً خاصاً بمحمد علي الهمداني.

وبعد وفاة سيدي محمد علي وزعت بنته صفية المخطوطات بين إخوتها الثلاثة الأصغر، علي وطاهر وفيض الله، جميعهم ابتعدوا عن الداعي

الإسماعيلي آنذاك الداعي الحادي والخمسين طاهر سيف الدين (ت 1965م/1385هـ).

ثم تبرعت بما في حوزتها من المخطوطات بعد موتها، حيث لم يكن لها عائلة وماتت بدون أطفال، إلى صديق العائلة الدكتور زاهد علي (1888- 1958م)، الذي انتقلت مجموعته من المخطوطات حالياً إلى المعهد الإسماعيلي في لندن. وموقف طاهر الهمداني كان متناقضاً ظاهرياً، فقد دعم الداعي لكنه على الرغم من هذا، لم يستطع التخلي عن مخطوطاته، ووزع البعض منها إلى أخيه الأصغر فيض الله، والبقية إلى ابنه الثاني، محسن، الذي اشترك في نفس الموقف كأبيه.

ووجد جزء من مجموعة محسن طريقه إلى مكتبة الداعي، بينما البقية ما زالت في امتلاك ابنه شبيب، الذي يستقر حالياً في دالاس في الولايات المتحدة الأمريكية.

والابن الأصغر والثاني لفيض الله (ت 1969م) حاتم، أعاد تجميع مجموعة مخطوطات "الخزانة المحمدية"، وابنه الأكبر أيضاً حسين، وأتاحها لاحقاً أمام العلماء الغربيين لدراستها. وفي 1968م كان فيض الله مريضاً جداً، فأخذت بعض المخطوطات بدون تفويض من مكتبته، وتم بيعها إلى مكتبة جامعة في توبينغن، ألمانيا؛ وقبل موته، أعطى حاتم بعض المخطوطات إلى مكتبة جامعة في بومباي. لكن قبل موت فيض الله طلب من حفيده عباس (ابن حسين)، الذي كان في القاهرة، المجئ لزيارته في سورات، حيث أعطاه أغلب ما تبقى من مجموعته. وأضاف عباس هذه المخطوطات إلى تلك التي كانت في مجموعة أبيه حسين في القاهرة. وامتلكت بنت حاتم سرياً أيضاً بعضاً من المخطوطات الإسماعيلية التي أرسلت في النهاية إلى ابن عمها عباس. وهكذا عاد معظم كنز

حزانة المحمدية الهمدانية الأدبي إلى حيازة عباس بن حسين الهمداني، وأثناء دراسة العلامة حسين الهمداني في أوروبا، أعطى بعض النسخ من هذه المخطوطات إلى الدكتور باول كروس (1944-1904م)، ومن خلاله إلى مكنتات عامة في لندن وباريس.

ونتيجة الانقسامات التي حدثت لاحقاً في الدعوة، وظهور المعارضات مما أدى إلى انشقاقات في الجالية اليمنية الإسماعيلية في الهند بعد موت الداعي السادس والأربعين، كان للأسرة الهمدانية دور كبير في هذه الأحداث.

وقام البروفيسور عباس الهمداني، في أواخر عمره، بتسليم مخطوطات الأسرة الهمدانية إلى مكتبة "معهد الدراسات الإسماعيلية لندن"، في محاولة لحفظ المجموعة من التفرق والضياع، وأيضاً لترك أثر إنساني لسيد محمد علي الهمداني الذي أفنى حياته في تجميع هذه الخزانة التراثية العظيمة. وللأسف كان هذا التصرف، غير القانوني- دون الرجوع لبقية أفراد الأسرة الهمدانية متمثلة في أخيه معديكرب حسين الهمداني، وتناسى أحقية الأخير في ميراث آبائه وأجداده. وتقوم "مؤسسة الهمداني الثقافية" في اليمن بمحاولات عديدة لإعادة هذه المجموعة إلى اليمن، دون الوصول إلى نتائج ملموسة حتى الآن. وعلى الرغم من ذلك، وبسبب ضعف الإمكانيات المتاحة للعائلة الهمدانية في اليمن، فإن الدكتور عمرو، حفيد العلامة حسين الهمداني، قد تمكن- خلال عقد من الزمن- من جمع مجموعة مهمة و متميزة من المخطوطات الإسماعيلية، ويعمل على تحقيق العديد من تلك المخطوطات ونشرها للجمهور في مختلف بقاع العالم.

وكان من المهم بمكان أن تتضمن هذه الدراسة نبذة وجيزة دون إسهاب لبعض أعلام العائلة الهمدانية، وسيكون حديثنا عنهم وفق تدرج تاريخي، وأهم

المصادر عنهم ذكرت في مخطوطة مهمة توضح سيرة الأسرة قام بتأليفها الشيخ فيض الله الهمداني.

علي بن سعيد الهمداني:

سيدي علي بن سعيد بن حسين بن علي اليعبري الهمداني، مات في سورات في شهر رمضان 1212 هجرية / 16 فبراير / شباط 1798م. وتشير المصادر إلى أنه عاش حوالي 80 سنة تقريباً، ولذا فإن الأرجح أنه من مواليد العام 1131 هـ/ 1718م.

ولد في منطقة همدان، وتلقى فيها علومه الأولية، ثم نرح مع أسرته إلى منطقة حراز، ويعود نسبهم إلى الأمير المشهور سبأ بن يوسف اليعبري الهمداني من القرن السادس / الثاني عشر الذي ذاع صيته.

ونتيجة عدة عوامل سياسية واجتماعية، أهمها الممارسات التي كان يقوم بها الأئمة الزيديون ضد أتباع الإسماعيلية، وتشويه صورتهم أمام المجتمع اليمني، إضافة إلى تلقي الشيخ علي دعوة من الداعي المطلق الداودي التاسع والثلاثين الداعي إبراهيم وجيه الدين (ت 1168هـ / 1754م) للنزوح والهجرة إلى الهند، على إثر ذلك انتقل سيدي علي بن سعيد، ونقل مجموعته الكبيرة للمخطوطات من اليمن إلى الهند. وقد عاصر خلال حياته أربعة دعاة متعاقبين.

واشتهر الهمداني بعلمه، وتم اعتباره أحد اثنين الأكثر علماً في الدعوة، والآخر كان سيدي هبة الله بن ولي بهائي، مستشار الداعي الثالث والأربعين سيدنا عبد علي سيف الدين (ت 1232هـ / 1817م)، وبناءً على طلب الداعي قام سيدي علي بوضع كتاب في الشعر⁽⁹⁰⁾ "كتاب سلوان المطاع" الذي يحمل اسمه، إضافة إلى بعض قصائد أبيه وجده. وإضافة إلى ذلك اشتهر سيدي علي

(90) انظر: منتزع الأخبار ج 2 / 231-236.

بكونه خطاطاً خبيراً، وتحتوي مجموعة الهمداني على عدد من المخطوطات كتبها بيده الشريفة، منها المجلد الثاني من دعائم الإسلام⁽⁹¹⁾ للقاضي النعمان بن محمد (ت363هـ)، تم نسخها في 1161هـ/1748م.

وكانت أهم الأحداث التي عاصرها خلال فترة حياته انضمامه مع المنشق هييتي إلى حركة الشيخ هبة الله بن إسماعيل بن عبد الرسول، المعروف بالمجدوع، الذي جاء من ايجين، والمجدوع أعلن بأنه كان على اتصال مع الإمام الطيبي المستور، والذي عيّنه "حجة"، أعلى رتبة من الداعي المطلق الأربعين هبة الله المؤيد في الدين (ت1193هـ/1779م).

وانضم إليه أبرز شخصين متعلمين في ذلك الوقت، هما سيدي علي الهمداني، وسيدي هبة الله بن ولي بهائي، وتذكر المصادر أنهما أصبحا من أتباع المجدوع لفترة من الزمن، ووجّه سيدي علي خطابات إلى رجالات الدعوة، منهم أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن سعيد اليعبري الهمداني للانضمام إلى الهبتيين. وفي وقت لاحق سحب كلا الرجلين العالمين المشهورين دعمهما للمجدوع، وقام سيدي علي الهمداني بتأليف رسالة في تقنيد ادعاءات المجدوع.

محمد علي بن فيض الله الهمداني:

سيدي محمد علي بن فيض الله بن إبراهيم بن علي بن سعيد الهمداني، من مواليد 19 صفر 1249هـ/6 يوليو/تموز 1833م، وتوفي في سوريات في 9 شعبان 1315هـ/1 يناير/كانون الثاني 1898م عن عُمر ناهز الـ65. وعلى الرغم من إصابته بمرض مزمن في عينيه، فإنه كان أحد الأشخاص المؤثرين في الدعوة خلال فترة حياته، واشتهر بعلمه الذي تلقاه عن والده خلال نشأته

(91) المغربي، دعائم الإسلام، مجلدان قام بنشرهما الباحث الإسماعيلي آصف علي أصغر فيضي سنة 1963م، منشورات دار المعارف - القاهرة.

المبكرة، ثم أصبح تلميذاً عند خاله عبد العلي ولي الله، حتى موت الأخير في 1274هـ/1857م.

قام سيدي محمد علي بتعليم مجموعته الخاصة للطلاب مُنذُ 1270هـ/1853م، أثناء وبعد السنوات الأخيرة لحياة مربيته ومعلمه، وقد عاصر الهمداني أربعة دعاة داؤديين هم: الداعي السادس والأربعون محمد بدر الدين (المتوفى 1256هـ/1840م)، والسابع والأربعون عبدالقادر نجم الدين (المتوفى 1302هـ/1885م)، والثامن والأربعون عبد الحسين حسام الدين (المتوفى 1308هـ/1891م)، والتاسع والأربعون محمد برهان الدين (المتوفى 1333هـ/1906م).

وأدى موت الداعي محمد بدر الدين في 1256هـ/1840م إلى خلق زعر بين الطائفة الإسماعيلية، الأغلبية منهم زعمت أن الداعي مات بدون تعيين وريث، وجرى الاعتقاد على أن الإمام الطيبي المستور يجب أن يظهر، وأقروا بأن رئيس الدعوة القادم عبدالقادر نجم الدين يُعد فقط كمنظم وليس كداعٍ مطلق؛ وكان السبب في قيامهم بمبايعته الحفاظ على وحدة الصف والجماعة.

وبدأ نجم الدين مُنذُ تعيينه بإضعاف دور العلماء من خلال تعييناته لأفراد عائلته في المكاتب المختلفة للدعوة، وهذا أدى إلى احتجاج من عدد من أتباع الدعوة أطلق عليه لاحقاً (حلف الفضول)، تم إنشاؤه على أسس مذكورة في رسائل إخوان الصفاء، وقاد الهمداني تلك الحركة المعارضة، وقام حينها نجم الدين بتقديم عروض للهمداني بمنحه مراتب وممتلكات، ومنحه رتبة عالية في 1277هـ/1860م، لكن هذا لم يردع الأخير من معارضته. وبعد موت أبيه في 1293هـ/1876م، سيدي محمد علي ترك الهند وسافر إلى مكة المكرمة مع أربعة علماء آخرين، ومن مكة سافر إلى تركيا وزار إسطنبول، ثم زار سوريا،

وفلسطين، والقدس، وأماكن مقدسة أخرى، قبل الوصول إلى مصر، وسافر عبر شمال إفريقيا إلى تونس والجزائر والمغرب. وهذه الرحلات كان هدفها البحث عن الإمام المستور، الذي كان يعتقد أنه حان الوقت لظهوره.

والفترة الزمنية التي قضاها في مكة حوالي 11 سنة، حتى 1305هـ/1887م، وأثناء هذه الفترة لم يتوقف خلالها من التواصل مع الهند، وتواصلت مراسلاته مع أبناء الدعوة الإسماعيلية، ومع خليفة الداعي آنذاك عبدالقادر نجم الدين في 1297هـ/1880م، الذي أرسل إليه رسالة يطلب فيها تأييده وموافقته على تعيينه خليفة للداعي السادس والأربعين.

وعاد محمد علي الهمداني إلى الهند في 1305هـ/1887م نتيجة إصرار زوجته وأطفاله، وبعد سنة من وصوله أصبح عبدالحسين حسام الدين الداعي الثامن والأربعين، وخلفه في 1308هـ/1891م محمد برهان الدين.

وظل هذان الداعيان على علاقة ودية مع محمد علي، حتى أن حسام الدين زوج حفيده فاطمة إلى ابن محمد علي الأصغر فيض الله، وفي عهد محمد برهان الدين تسلّم شؤون المدرسة السيفية في سوريات، وجعله مستشاراً في تعيينات ممثلي الدعوة في المناطق المختلفة في الهند واليمن. وفي هذه المرحلة ظهرت معارضة جديدة بقيادة عبدالحسين كبروانجي في منطقة ناجبور والذي ادعى أنه على اتصال بالإمام المستور، وفي هذا الصدد قام الهمداني بتأليف عدد من الرسائل لمحااجة المدعي.

وجاء هذا الموقف الذي تبناه سيدنا محمد علي نتيجة وثيقة مهمة كتبها الداعي برهان الدين عام 1891م اعترف فيها بأنه ليس الداعي المطلق وإنما هو فقط منظم لشؤون الدعوة، وأن هذا أيضاً ينطبق على الدعاة السابقين حسام

الدين ونجم الدين، ويتضح لنا أن معارضة محمد علي الهمداني كانت داخلية هدفها الإصلاح وليس الغرض منها إنشاء جماعة خارجية جديدة.

واهتم محمد علي الهمداني خلال فترة حياته، إضافة لما سبق، بالشعر وعلم الفلك، ويوجد لديه ديوان شعري⁽⁹²⁾ ضمن مجموعة الهمداني الموجودة في المعهد الإسماعيلي في لندن، ولديه مؤلف آخر بعنوان "منسك الحج"، وغيرها من المؤلفات، وفي مجموعته يوجد عدد من المخطوطات لبعض العلماء غير الإسماعيليين، جمعها جده ووالده خلال فترة حياتهما.

والعديد من المخطوطات عبارة عن نسخ من أدبيات الدعوة الإسماعيلية القديمة التي قام هو وبعض تلاميذه بفحصها وإعادة نسخها نسخاً متعددة، والمجموعة الهمدانية تحمل ختمه بتاريخ 1284هـ، وقد انتقلت بعض من مخطوطات الهمداني إلى مكتبة جامعتي توبينغن وبومباي.

فيض الله بن محمد علي الهمداني⁽⁹³⁾:

سيدي فيض الله بن محمد علي بن فيض الله بن إبراهيم بن علي بن سعيد الهمداني، أصغر أبناء سيدي محمد علي، ولد في سورات في أكتوبر 1877م وتوفي هناك في شوال 1388هـ/ يناير 1969م عن عمر ناهز 91 عاماً، وكانت علاقاته مع الداعي محمد برهان الدين (ت 1323هـ/ 1906م) ودية جداً، حيث أنه اعتبر أن الداعي هو مجرد مُنظم للدعوة وليس داعياً مطلقاً. وخلف برهان الدين في الدعوة عبدالله بدر الدين (ت 1333هـ/ 1915م) الذي استحوذ على المخطوطات من مجموعة الهمداني التي كانت في حوزة طاهر الأخ الأكبر لسيدي فيض الله، الذي وافاه الأجل بصورة مفاجئة. وقد قرر الداعي أنه

(92) ديوان محمدي؛ للأسف لم تتوفر لدينا نسخة من هذا العمل الأدبي الهام.

(93) عميد المدرسة المحمدية وصاحب المدرسة العالية بسورات.

ليس مجرد مُنظم لشؤون الدعوة وإنما هو داعٍ مطلق، وأدى ذلك إلى التقاضي في المحاكم، خصوصاً في لندن عندما قرر الأخير التحكم في شؤون الدعوة بشكل مطلق. وفي أثناء المقاضاة قدّم الشيخ فيض الله الدلائل على أن الدعوة مُنذُ الداعي السادس والأربعين هي ليست مطلقة وإنما يقوم فيها الداعي بتنظيم شؤون الدعوة وليست له اختصاصات الداعي المطلق.

وعاش سيدي فيض الله حياة طويلة عانى خلالها من الفقر والحرمان والتفاني في خدمة الدعوة في تعليم أبناء الدعوة لأصول الدين الإسلامي في الهند، وأنفق كل ممتلكاته في تحقيق ذلك الهدف السامي- نشر الفكر الإسلامي- وقد كان مديراً للمدرسة المحمدية الهمدانية التي توارثها عن والده، وقد أسس أول مدرسة لتعليم اللغة الإنجليزية في مدينة سورات، وكان- رحمه الله- عضواً نشطاً في "المؤتمر التعليمي للمسلمين" في الهند، والأمين العام "لصندوق التنمية والائتمان"، وهي مؤسسة خيرية، وظل كذلك حتى وفاته، كما كان مسؤولاً على حفظ وإعادة العديد من المخطوطات الهمدانية- مجموعة سيدي محمد علي- والمعروفة أيضاً "بالخزانة المحمدية الهمدانية"، وأتاح العديد من هذه المخطوطات النادرة أمام العلماء والباحثين من شتى بقاع العالم الغربيين، وهو ما قام به أيضاً ابنه الأكبر حسين.

ولديه مؤلفات عديدة أشهرها عملان في التاريخ بعنوان "العقيدة البرهانية والسوانية"، تم نشره في سورات عام 1966م، وكتاب بعنوان "حياة سيدنا محمد علي الهمداني في البهرة الججراتية"، جزء منه موجود في مجموعة الهمداني في لندن.

حسين بن فيض الله الهمداني⁽⁹⁴⁾:

العلامة حسين بن فيض الله الهمداني هو الأبن الأكبر لسيدي فيض الله الهمداني، ولد في سورات في 4/محرم/1319هـ الموافق 33/إبريل/1901م، ولأن ولادته كانت في مُحرم كان اسمه الفعلي "عبدالحسين" الذي تم اختصاره لاحقاً إلى حُسين.

والدته هي فاطمة ديايا، حفيدة الداعي الثامن والأربعين عبدالحسين حسام الدين، وهو تزوج من زينب الحفيدة الكبرى لسيدي صادق علي الذي اشتهر بكونه شاعراً عظيماً.

وتلقى علومه الإسلامية الأولية باللغة العربية على يد معلمه شيخ عشاق علي شهجوري، وكذلك على يد والده، وكان رائداً في الدراسات الغربية، خصوصاً في ما يتعلق بالدراسات التاريخية المتعلقة بالتاريخ الفاطمي.

وقد تحصل على علومه العلمية الأخرى في مدينة سورات - بومباي الهند، حيث اجتاز مرحلة المتريكوليشن⁽⁹⁵⁾ بجامعة بومباي، واجتاز امتحاناتها في الموضوعات الآتية: "الإنجليزية، والفارسية، والتاريخ، والجغرافيا، والأوردية، والجوجراتية"، وحصل على شهادتها في بداية عقد العشرينيات من القرن الماضي.

كما تحصّل على إجازة علمية في الآداب من جامعة بومباي في الموضوعات الآتية: "الإنجليزية، والعربية، والمنطق، والتاريخ الهندي، والإدارة"، وحصل على شهادتها في عام 1922م، وفي منتصف عقد العشرينيات من القرن الماضي (1924م) حصل العلامة الهمداني على شهادة

(94) انظر: الهمداني، العلامة حسين بن فيض الله الهمداني (حياته- نضاله- فكره).

(95) متريكوليشن (Matriculation): شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي وتعادل ثانوية عامة.

الليسانس في الآداب من جامعة بومباي في الموضوعات الآتية: "الإنجليزية الإلجبارية، والإنجليزية الاختيارية" واجتاها بدرجة امتياز.

وواصل العلامة الهمداني دراساته العليا في جامعة بومباي، حيث حصل على درجة الماجستير في الآداب في الموضوعات الآتية: "اللغة العربية والفارسية" بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف في نهاية عقد العشرينيات (1927).

كما واصل العلامة الهمداني تعليمه العالي في جامعة لندن- إنجلترا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة لندن عن أطروحة علمية في تاريخ الملل والنحل الإسلامية في العام 1931م بعنوان:

The Doctrines and History of the Ismaili Da'wa in Yaman as)
Based on Da'i Idris Imad'al Din's `Kitab Zahr ul-Ma'ani' and
(Ph.D. diss. ، Other Works ، University of London ، 1931).

وبهذا يعد العلامة الهمداني أول دكتور أكاديمي على مستوى الخليج والجزيرة العربية.

وإتقانه لأكثر من عشر لغات حية ولغات قديمة، ومن تلك اللغات ما كان العلامة الهمداني يتقنها قراءة وتكلماً دون كتابة، وهذه اللغات تحديداً هي اللغة الفرنسية، واللغة الهولندية، واللغة العبرية، واللغة السبئية الحميرية⁽⁹⁶⁾، ومن اللغات التي كان يتقنها العلامة قراءة وكتابة وتكلماً اللغة العربية، حيث حصل على بكالوريوس في الآداب بامتياز بالعربية والإنجليزية من جامعة بومباي أيضاً. واللغة الفارسية، فقد حصل العلامة على الماجستير بالعربية والإيرانية من جامعة بومباي، وأجاد العلامة الهمداني اللغة الألمانية، واجتاها منهاجاً

(96) الإيراني، مقابلة تلفزيونية، برنامج "وتلك الأيام"، تلفزيون اليمنية الفضائية، تاريخ 2010/2/14م.

خاصاً بالألمانية في جامعتي هيدلبرج وبرلين، وكذلك اللغة الإنجليزية، حيث حصل على درجة الدكتوراه باللغة العربية والإنجليزية من جامعة لندن، كما أتقن العلامة الهمداني اللغة الأوردية والججراتية.

وكان العلامة مرتبطاً بعلاقات جيدة، وخاصة مع صديقة الدارس والباحث المشهور بول كروس الذي استفاد من خزانة الهمداني المشهورة، كما استفاد من هذه الخزانة العديد من الدارسين والباحثين الذين كانت لهم علاقة مباشرة مع العلامة حسين الهمداني، منهم آصف فيضي، وزاهد علي.

وتولى العلامة الهمداني مهامه في مجال التدريس، إضافة إلى توليه بعض المهام الإدارية الثقافية، وقد تدرجت هذه المراحل زمنياً، حيث حصل العلامة على عضوية "الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية" خلال الأعوام (1930-1932م). وعلى حد علمي فإن هذه العضوية يتم منحها إلى من توفرت لديه خصائص علمية معينة يمكن تمثيلها بالعبقرية، واستطاع العلامة الهمداني الحصول عليها أثناء قيامه بتحضير دراسة الدكتوراه في جامعة لندن.

وعقب حصول العلامة على درجة الدكتوراه تم ضمه ضمن هيئة التدريس في "جامعة بومباي" (الهند) كأستاذ للغتين العربية والفارسية بكلية سوارت خلال الفترة (1933-1934م)، وفي الفترة نفسها تم توليه مهام إدارية كمدير لـ"مدرسة انبمن إسلام العالية" بأحمد آباد في العام 1933م. وكذلك عمل نائباً لرئيس "كلية إسماعيل يوسف" ببومباي في عام 1932م، وتولى مهام رئاسة "الجمعية العربية" بكلية منجلداس بسورات خلال الفترة (1933-1934م)، ويعد الهمداني أول مؤسس لهذه الجمعية، وتولى منصب السكرتير العام للأصدقاء الدوليين بسورات خلال الفترة (1933-1934م).

وفي العام 1934م تم تعيينه عضو لجنة الاستقصاء التي عينتها حكومة نظام حيدر آباد لتقديم التوصيات والمقترحات الخاصة بإصلاح مكتبة الأصفية بحيدر آباد.

وحصل العلامة الهمداني على درجة أستاذ مساعد للغة الفارسية بكلية الفنستون (بومباي) بداية العام 1935، ومارس مهامه الأكاديمية فيها طيلة عام، ولمدة عقد من الزمن كان العلامة الهمداني أستاذاً للغة العربية والتاريخ الإسلامي وعميد القسم العربي بدرجة (أ) بكلية إسماعيل يوسف (بومباي) من بداية العام 1937م. وخلالها تولى منصب السكرتير العام للجمعية العربية (بومباي) من الفترة (1941- 1944م)، وتولى العلامة مهامه كرئيس لقسم الآداب بكلية إسماعيل يوسف (بومباي) خلال الفترة (1945- 1946م)، وكان السكرتير العام للجمعية الثقافية العربية الهندية (بومباي) خلال الفترة (1945- 1947م).

كما كان العلامة هو الأستاذ المسؤول عن مكتبة كلية إسماعيل يوسف (بومباي) من الفترة (1945 إلى 1947م). وكان أستاذاً للخريجين الذين تعتمدهم جامعة بومباي للإشراف على أبحاث الساعين للحصول على شهادة الدكتوراه باللغة العربية.

وفي الفترة (1947- 1948م) تقلد العلامة مهامه مديراً مساعداً للأبحاث الإسلامية في حكومة البنجاب الغربية بلاهور بالباكستان، وهي المرحلة التي تم خلالها انتقال العلامة من بلد المنفى (الهند) إلى بلد المنفى (الباكستان).

وفي نهاية العام 1948م تم تعيينه كأول مستشار ثقافي لسفارة الباكستان بالقاهرة بدرجة (أ)، وهذه كانت بداية انتقاله من باكستان إلى بلد المنفى (القاهرة) التي استقر فيها حتى وافته المنية - رحمه الله.

وإضافة إلى المنصب الدبلوماسي الثقافي السابق للعلامة الهمداني فقد استطاع تولي عدة مناصب أكاديمية ودبلوماسية، وكانت له أعمال سياسية ونشاطات ثورية، فبدايةً من العام 1949م بناءً على دعوة من طه حسين-وزير المعارف المصري- عمل الهمداني أستاذاً لفقهِ اللغات السامية واللغة الفارسية في كلية دار العلوم المشهورة والمرتبطة بجامعة الأزهر والقاهرة بدرجة أستاذ، حتى توفي في العام 1962م، وخلال هذه الفترة تم تعيين العلامة الهمداني الملحق الثقافي للسفارة اليمنية بالقاهرة من العام 1949 إلى 1962م، وخلالها أيضاً تم توليه مهام المستشار الثقافي "للاتحاد اليمني" المنعقد في القاهرة ضد حكم أئمة بيت حميد الدين في اليمن من العام 1948 إلى 1962م. وله العديد من المؤلفات، وهي من أهم الأعمال العلمية في التاريخ الفاطمي⁽⁹⁷⁾، وهو يُعد بامتياز رائد الدراسات الفاطمية في العالم العربي والإسلامي.

وتوفي الدكتور حسين الهمداني في منتصف سبتمبر 1962م بأرض منفاه بالقاهرة، وتم دفنه في مقبرة أحد أصدقائه، وهو العالم الجليل عبد المتعال الصعيدي، وكُتبت على ضريحه عبارة مفادها "صديقين في الدنيا، صديقين في الآخرة"⁽⁹⁸⁾.

عباس حسين الهمداني⁽⁹⁹⁾:

البروفيسور عباس الهمداني كان أستاذاً في جامعة ويسكونسن – ميلووكي (الولايات المتحدة الأمريكية)، ولد في سورات، الهند في عام 1926م، وحصل

(97) للمزيد عن مؤلفاته راجع كتاب العلامة حسين بن فيض الله الهمداني حياته- فكره- نضاله.

(98) العلامة حسين بن فيض الله الهمداني حياته – فكره- نضاله، عدة صفحات.

(99) نبذة عن حياة البروفيسور عباس الهمداني تم نشرها خلال فعالية أربيعينية الفقيد التي أقامتها مؤسسة الهمداني الثقافية في اليمن في شهر فبراير 2020م.

على شهادة البكالوريوس (مع مرتبة الشرف)، وشهادة في القانون من جامعة بومباي في عامي 1945 و1947م على التوالي، وشهادة الدكتوراه من جامعة لندن (كلية الدراسات الشرقية والإفريقية) في عام 1950م، في الدراسات العربية والإسلامية. وقام بتدريس التاريخ الإسلامي في جامعة كراتشي من 1951م إلى 1962م؛ ودرّس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة من 1962م إلى 1969م، ومُنذُ ذلك الحين في جامعة ويسكونسن - ميلووكي حتى تقاعده في عام 2001م.

تركز منشوراته على المجالات الأربعة الآتية:

- ❖ الفكر الفلسفي الإسلامي في العصور الوسطى، خاصة فيما يتعلق "بإخوان الصفاء" وموسوعتهم، وقد حقق بعضاً من أجزاء هذه الموسوعة.
- ❖ الخلفية الإسلامية لرحلات الاستكشاف.
- ❖ الصراع بين الخلافة العباسية والفاطمية.
- ❖ شارك في ندوة جامعة صنعاء سنة 1986م عن أبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني¹⁰⁰.

تشمل زمالات الدكتور عباس الهمداني وجوائز: منحة دراسية من لجنة فولبرايت، والمركز الأمريكي للبحوث في مصر، وجائزة التميز في التدريس، والخدمة، وترويج السلام من جامعة ويسكونسن - ميلووكي. وقد ألقى محاضرات في العديد من الجامعات، بما في ذلك الجامعة الأمريكية في القاهرة، وجامعة القاهرة، والجامعة العبرية. ويجيد الدكتور عباس الهمداني عدة لغات كالإنجليزية، والعربية، والفرنسية، والأوردية، والجورجانية، وقد تنقل حول العالم على نطاق واسع، وتحدث في مؤتمرات في أوروبا، والأمريكيتين،

(100) للمزيد انظر Al-hamdani the outset of the domination of the Hamdan over Yemen

والشرق الأوسط، وشمال إفريقيا، وأستراليا، وآسيا. وتبرع الدكتور الهمداني في العام 2006م بحوالي 300 مخطوطة موروثية عبر سبعة أجيال من أسرته "المعهد الدراسات الإسماعيلية" بلندن، الذي قام بفهرستها في منشورات "معهد الدراسات الإسماعيلية بالعربية والفارسية والمخطوطات الجورجية".
ويُصنف الهمداني من أبرز العلماء عالمياً في مجال الدراسات الإسماعيلية، إضافة إلى امتلاكه ل ذخيرة علمية نادرة متمثلة في مجموعة المخطوطات النادرة التي آلت إليه من آبائه وأجداده من علماء الدعوة الإسماعيلية.
ومن أهم أعماله ومؤلفاته:

- تحقيق كتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب.
- إخوان الصفاء: بين الكندي والفارابي.
- حياة المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي.
- تحقيق الرسالة (48) من رسائل "إخوان الصفاء" 2019م.

- A POSSIBLE FÂTIMID BACKGROUND TO THE BATTLE OF MANZIKERT
- Fatimid Literature Creation, preservation, transfer, concealment and revival
- The Muhtasib as Guardian of Public Morality in the Medieval Islamic City
- The Tayyibi - Fatimid Community of the Yaman at the Time of the Ayyübid Conquest of Southern Arabia
- Al-hamdani the outset of the domination of the Hamdan over Yemen
- "'Kitab az-Zinat' of Abu Hatim ar-Razi." In Actes du XXIe Congrès International des Orientalistes. Paris: Imprimerie Nationale, 1949.

Pp. 291-294.

- *"The Tayyibi - Fatimid Community of the Yaman at the Time of the Ayyübid Conquest of Southern Arabia "* Arabian Studies' Cambridge' Vol. VII (1985)
- *"Evolution of the Organizational Structure of the Fatimi Da'wa "* Arabian Studies III (1976): 85-114. *Da'is in Yemen.*
- *"Abu Hayyan al-Tawhidi and the Brethren of Purity "* I.J.M.E.S. IX (1978): 345-353. [Revised version of a paper presented under the same title to the Tenth Annual Meeting of the Middle East Studies Association at Los Angeles' 11-13 November 1976.]
- *"An Early Fatimid Source on the Time and Authorship of the Rasa'il Ihwan al-Safa "* Arabica XXVI (1979): 62-75.
- *"A Re-examination of Al-Mahdi's Letter to the Yemenites on the Genealogy of the Fatimid Caliphs "* J.R.A.S. (1983/2): 173-207.
- *"The Arrangement of the Rasa'il Ikhwan al-Safa and the Problem of Interpolations "* Journal of Semitic Studies XXIX' no. 1 (Spring 1984). Pp. 97-110.
- *"Sirat of al-Mu'ayyad fid Din al Shirazi."* Ph.D. diss.' S.O.A.S.' University of London' 1950.
- The Beginnings of Ismaili Dawa in Northern India. Cairo' 1956.
- *"The Discovery of a Lost Literature "* All Pakistan History Conference VIII (1958): 61-73.
- The Fatimids. Karachi' 1962. 84 pp.
- *"Some Considerations on the Fatimid Caliphate as a Mediterranean Power."* In Atti Terzo Congresso di Studi Arabi e Islami'i. Naples: Ravello' 1967. Pp. 385-396.

- *"The Fatimid-Abbasid Conflict in India "* I.C. XLI (1967): 185-191.
- *"The Yamani Ismaili Dai Hatim b. Ibrahim al Hamidi (d. 596 A.H./1199 A.D.) and his Book `Tuhfat al Qulub' "* Proc. 27th Intern. Cong. Or. (1971): 270-272.
- *"Some Aspects of the History of Libya During the Fatimid Period."* In *Libya in History*، ed. Gadalla. Beirut: Imprimerie Catholique، 1970. Pp. 321-348.
- *"The Dai Jalam b. Shayban and the Ismaili State of Multan. Karachi، 1973.*
- *"The Dai Hatim ibn Ibrahim al Hamidi and his Book `Tuhfat al Qulub' "* Oriens XXIII/XXIV (1974): 258-300.
- *"Byzantine-Fatimid Relations before the Battle of Manzikert "* Byzantine studies I (1974): 169-179.

توفي عباس الهمداني في أواخر ديسمبر العام 2019م عن عمر ناهز 92 عاماً في بلد المهجر أمريكا-مخلفاً إرثاً علمياً كبيراً ومهماً، وللأسف لم تسنح الفرصة للاستفادة منه في موطنه الأصلي اليمن، وتعمل "مؤسسة الهمداني الثقافية" حالياً على العمل على نشر تلك الأعمال الأدبية والثقافية للبروفيسور الهمداني في اليمن، وكذلك العمل على ترجمة أعماله إلى اللغة العربية حتى يتمكن الباحثون المهتمون بالدراسات الفاطمية من الاستفادة منها.

الأثار الاجتماعية للهجرات الإسماعيلية:

كان أول داعية إسماعيلي أرسل من اليمن إلى كامبي الهندية هو عبدالله⁽¹⁰¹⁾ الذي نجح في تأسيس الدعوة بنحو ثابت. وطبقاً لتقاليد الإسماعيليين البهرة أو

(101) لا تتوفر لدينا معلومات واسعة عنه .

رواياتهم⁽¹⁰²⁾، فإن عبدالله قد تمكن في نهاية الأمر من تحويل سدھراجا جياسنغا (487-527هـ) ملك غجرات الهندوسي الراجبوتي الذي كان يتخذ أنهلوارا (باتان الحديثة) عاصمة له، ووزير الاثنين الشقيقين بهارمل وتارمل، إضافة إلى شريحة مهمة من السكان المحليين، حوّلهم إلى الإسلام على مذهبه، وطبقاً لهذه الروايات فقد كان يعقوب بن بهارمل هو من خلف عبدالله وأصبح رئيس الدعوة في الهند، وقد أرسل ابن عمه فخر الدين بن تارمل يدعو إلى الإسماعيلية في غرب رجستان حيث لاقى حتفه هناك. ودُفن فخر الدين الذي عُد أول شهيد إسماعيلي هندي في غاليكوت، وانتقلت ولاية الدعوة في الهند عقب ذلك إلى بير (أو الشيخ) حسن المعروف باسم حسن بير أحد المنحدرين من الداعي عبدالله، وقُتل حسن عموماً بينما كان يقوم بأعمال الدعوة، ولا يزال ضريحه في مكان قرب هاريج، وخلف حسن حفيده آدم بن سليمان الذي شغلت سلالته منصب الولاية لأجيال عديدة⁽¹⁰³⁾.

وكانت الجماعة الإسماعيلية في غجرات قد حافظت على روابط وثيقة مع اليمن، وأيدت مثل الصليحيين حقوق المستعلي والأمر في الإمامة، ووقف المستعليون الغجرات بصورة مشابهة إلى جانب السيدة أروى بنت أحمد وتنظيم الدعوة القائم في اليمن في تأييدهم للقضية الطيبية أثناء النزاع الحافظي – الطيبي. وبعد انهيار الدولة الصليحية خضع الطيبيون في الهند لإشراف وثيق من الداعي المطلق في اليمن الذي كان يختار الرؤساء المتتاليين للجماعة

(102) بنديات، صفحات كثيرة (100-48) وخبر خواء، تصنيفات، ص68، 91، وفصل ص32-33

(103) أفضل معالجة للموضوع قام بها عظيم ناجي، تقليد نزارى، ص65، 91؛ ميسرا، الجماعات المسلمة في غجرات ص10-12، 54-65؛ إيفانوف "ساتيانث" في كولكاتيا ص1-19، علي، أصول الخوجا ص39-44؛ هوليستر، الشيعة ص339-362، يوسف علي، خوجا، الموسوعة الإسلامية، م2 ص960-962؛ إيفانوف، خوجا ص256-257؛ مادلونغ الموسوعة الإسلامية 2، م5، ص25-27.

الهندية، ويستقبل بانتظام وفود البهرة من غجرات في ظل تلك الظروف. وتابعت الجماعة الطيبية في غجرات نموها بشكل ملموس، واعتنقت أعداد كبيرة من الهندوس الإسماعيلية الطيبية، لا سيما في كامبي، وباتان، وسدبور، وفي أحمد آباد فيما بعد، المكان الذي تأسس فيه مقر القيادة الهندية (104).

ولم يتعرض إسماعيلية غجرات ولا دعائهم لاضطهاد الحكام الهندوس المحليين الذين لم يشعروا بأي خطر جراء نشاطات الإسماعيلية. وهكذا فقد نمت الجماعة الإسماعيلية وتطورت من دون أي عائق، حتى الغزو الإسلامي لغجرات سنة 697هـ/ 1298م عندما تعرضت نشاطات الدعوة للتضييق إلى حد ما على أيدي حكام المنطقة المسلمين الذين اعترفوا بسيادة سلاطين دلهي، وتدهورت حالة الإسماعيليين الهنود أكثر من ذلك مع غزو ظفرخان مظفر لغجرات سنة 793هـ/ 1391م. ولأنه كان يتوجس خيفة من نجاحات الإسماعيلية، فقد أصبح ظفرخان أول حاكم لغجرات يقمع الشيعة في مملكته، وتتالت الأحداث على الإسماعيلية في ظل الانقسام الذي حدث بينهم حتى تأسس حكم المغول، حينها بدأ البهرة الإسماعيلية يتمتعون بدرجة معينة من الحرية الدينية، حيث تخلوا عن "التقية"، وصاروا يصلون علناً في مساجدهم.

وفي أكثر الأحوال، كان يتم إرسال الطلبة الواعدين من الطيبين الهنود إلى اليمن لزيارة معارفهم، مستفيدين من الروابط الوثيقة القائمة بين البهرة الطيبين ومقر قيادة الدعوة المركزية، وهذا ما جرى لكبار رجالات الدعوة الإسماعيلية. وكان يوسف بن سليمان الذي تولى رئاسة الإسماعيلية بهرياً آخر اختاره الوالي لدراسات متقدمة في اليمن، وقد وصل يوسف إلى اليمن وهو ما يزال شاباً يافعاً، وأول ما درس على يدي حسن بن نوح البهروجي (ت939هـ).

(104) انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ص470-471.

وسرعان ما لفتت دراسة يوسف انتباه الداعي المطلق الثالث والعشرين فرشحه لخلافته، وهكذا أصبح يوسف أول هندي يرأس الدعوة الطيبية بصفته الداعي المطلق الرابع والعشرين. وعندما توفي الداعي الثالث والعشرون سنة 946هـ كان خلفه يوسف في سدبور، فمن غجرات راح يوسف يُصرف شؤون الدعوة لبضع سنوات قبل استقراره في اليمن. وعندما توفي سنة 974هـ تحول مقر القيادة المركزي للدعوة الطيبية من اليمن إلى غجرات على يدي خلفه الهندي عبد الجليل بن حسن، وفي تلك الفترة أقام الداعي المطلق الطيبى مقره الخاص في أحمد آباد، وعيّن نائباً له لإدارة شؤون الجماعة ودعوتها في اليمن⁽¹⁰⁵⁾.

وقد تعرض الإسماعيلية للعديد من الاضطهاد والملاحقة من قبل حكام حكموا غجرات وغيرها بعد حكم المغول، ويمكن اعتبار فترة الحاكم المغولي جلال أكبر هي أفضل مرحلة مرّت، وما تلاها كانت مراحل زمنية صعبة على جماعة الإسماعيلية. وجرى في ظل الموجات المتكررة للاضطهاد منع طقوس الإسماعيلية البهرة وممارساتهم في الهند، بما في ذلك زيارة أضرحة الأولياء المتعددة، واحتفالات إحياء ذكرى استشهاد الحسين بن علي خلال شهر مُحرم، يضاف إلى أنه حتى التبعيدات الدينية الطيبية، كالصلوات اليومية، صار يديرها الموظفون السنة الذين أصبحوا مسؤولين عن رعاية مساجد الطيبين أيضاً. وفُرضت على الإسماعيليين البهرة ضرائب جزائية وأشكال أخرى من المطالب المالية الباهظة، وعُين، في الوقت نفسه، معلمون سنة لتعليم الإسماعيليين البهرة عقائد الإسلام السنّي. واستمرت أعمال الاضطهاد هذه التي استوجبت التزاماً صارماً بـ"التقية" طوال فترة قيادة ابن عبد الطيب وخليفته موسى كليم الدين

(105) انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم، ص474؛ صحيفة الصلاة السليمانية ص682.

(ت 1122هـ) الذي تزامنت فترته مع السنوات الأخيرة من فترة عالمجيرا. وفي وقت متأخر وصل إلى سنة 1116هـ، أُعتقل المزيد من البهرة البارزين ممن عملوا باسم الدعوة الداودية، وأُرسِلوا مع كتبهم إلى الإمبراطور المغولي لينالوا عقابهم⁽¹⁰⁶⁾. وبوفاة اورنكزيب سنة 1118هـ، والانحطاط اللاحق للإمبراطورية المغولية في الهند، سُمح لجماعة البهرة الإسماعيلية عموماً بالتطور بحرية أكبر، وأدى اشتغالهم في المجال التجاري إلى جذب انتباه أصناف متنوعة من حكام الهند الصغار الذين كثيراً ما فرضوا عليهم دفعات مالية مخالفة للأصول.

وكان الداعي السادس والأربعون محمد بدر الدين بن عبد علي سيف الدين (1252-1256هـ) آخر الدعاة الذين كانوا ينتمون إلى الراجبوتيين من غجرات. وتشير المراجع إلى أنه في أكثر من مناسبة قد ذكر أن خليفته هو عبدالقادر نجم الدين، غير أنه توفي فجأة سنة 1256هـ دون أن يعلن ما يُسمى "النص الجلي"، وهي التسمية العامة لولي العهد، ما سبب جدلاً ساخناً في الجماعة في مسألة الخلافة، وهو جدل استمر حتى الوقت الحاضر⁽¹⁰⁷⁾؛ ولم يُقدم علماء الداودية في ظل تلك الظروف على الكشف عن الأمر للجمهور، إلا أنهم اتفقوا عموماً على وجوب تولي عبدالقادر نجم الدين إدارة شؤون الدعوة، وكان عبدالقادر الذي شغل رتبة "المكاسر" في ذلك الوقت ابناً للداعي الخامس والأربعين طيب زين الدين بن شيخ جيوانجي. والجدير بالذكر، أن شيخ

(106) وردت رواية هذه الزيارة في "جنة بوري" الشعر المنسوب إلى إمام شاه، ترجم عند هودا "بعض نماذج" ص 122-137. انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ص481.

(107) انظر حول ذلك محمد علي، موسم بهار، م3 ص693-767، إسماعيلجي، أخبار، ص362؛ زاهد علي، ص295-297، انجنيز، البهرة ص135 وما بعدها، بونوالا ص 14، 219، 221، 224-228؛ انظر أيضاً: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ص484.

جيوانجي هو جد أكثر أسر الدعاة الداوئين حدائة، وهي التي بدأت سنة 1232هـ وحتى وقتنا هذا. والمهم في الأمر، أن الداوئية اعترفوا بعبد القادر رئيساً جديداً لهم، بينما واصلت دوائر متعلمة جدالها في أمر ولايته وتشكيكها في شرعيته.

بل إن بعض العلماء الذين قلقوا كثيراً من مسألة انقطاع النص والتعاقب المنتظم للدعاة، بدأوا يتوقعون الظهور الوشيك للإمام الطيبي، وكانت النتيجة أن غادر خمسة علماء من الداوئين البارزين، بمن فيهم محمد علي بن فيض الله الهمداني (ت 1315هـ/ 1898م)، الهند إلى شبه الجزيرة العربية سنة 1293هـ/ 1876م بحثاً عن الإمام، وزارت المجموعة العديد من المواضع في الحجاز وغيرها، ودخلوا في مصاعب مع السلطات العثمانية التي ظنت البهرة الإسماعيليين جواسيس. وفي عام 1295هـ/ 1878م أقام علماء الدين الداوئين القياديون، برئاسة إبراهيم بهائي صفي الدين، مجلساً استشارياً في سورات عُرف باسم "حلف الفضائل" من أجل هداية الجماعة في المسائل الدينية طبقاً للشريعة، لا سيما أن التثقيف الديني كان قد توقف في غضون ذلك في مركز "دار سفي". وتبين أن المجلس لم يولد إلا ليعيش فترة قصيرة، وأن مختلف دوائر الداوئين بقيت مضطربة جراء الجدل الذي أحاط بتولي عبدالقادر نجم الدين لمنصب الداعي.

وهنا يتضح لنا التأثير الاجتماعي الذي كان للأسر اليمنية دور مهم في بنية المجتمع الإسماعيلي في الهند، فقد كانت أكثر الأسر معارضة، وكانت لها مواقف راديكالية بخلاف العامة من أتباع الطائفة الإسماعيلية. كما يتضح لنا مدى المعاناة التي مرت بها تلك الأسر اليمنية في بلاد المهجر، الهند، سواء من

الحكام المحليين للمناطق الهندية التي استوطنوها، أو من خلال الخلافات التي مرّت بها الدعوة الإسماعيلية وكان لها تأثير مباشر عليهم. ويتضح لنا مدى التزام اليمنيين بالحفاظ على هويتهم اليمنية من خلال عاداتهم ولباسهم وتقاليدهم المختلفة.

وفي وقت الداعي الحادي والخمسين طاهر سيف الدين (1333-1385هـ/1915-1965م) الذي ترأس الجماعة لمدة خمسين سنة، راحت المعارضة، التي أكدت في بداية أمرها التعليم العلماني، تدعو بمرور الوقت إلى التغيير الاجتماعي والحقوق الفردية، وديمقراطية المؤسسات المحلية التي تتبع الدعوة، والمسؤولية المالية للمبالغ التي تُجبي من الداويين. وجرى إبان الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين تكوين المزيد من المجموعات الإصلاحية التي سرعان ما انضمت إلى المعارضة القديمة في الجماعة، مؤسسة جبهة متحدة باسم "برغاتي مندال" (أي المجموعة التقدمية)، لكن الأكثرية الساحقة من الداويين البهرة، وهم التقليديون في أساليبهم ونظرتهم، واصلت كونها مؤيدة متحمسة لداعيها.

ولم يكن ذا أهمية الاستخدام الفعّال لعقوبة الفصل عن الجماعة، والأمر بالمقاطعة الاجتماعية من بين إجراءات تأديبية أخرى مارسها الداعي في إضعاف الجهود الإصلاحية الداوئية. وفي وقت مبكر من فترة ولايته، حوّل سيدنا طاهر سيف الدين مقر إقامته الدائم ومقرات قيادات الدعوة الداوئية إلى بومباي، حيث سبق لجماعة مهمة من البهرة الإسماعيليين أن أقامت هناك، يضاف إلى ذلك أن بومباي أصبحت مركزاً رئيساً للتجارة في الهند حيث تفوقت على مراكز البهرة السابقة في غجرات، وبعد تقسيم الهند، أصبحت كراتشي في باكستان بجاليته المهمة الأخرى من البهرة ثاني أكبر مركز مهم للجماعة

الإسماعيلية في جنوب آسيا، وأتاح الداعي الحادي والخمسون المجال لأفراد جماعته للقاءه بانتظام، وأعاد بناء العديد من المقامات الدينية للبهرة في الهند، إضافة إلى بنائه مسجد سيفي في بومباي، وهو الأكبر بين مساجد الداويدين الذين لديهم العديد من المساجد الأخرى في آسيا وفي أمكنة أخرى.

وخلف طاهر سيف الدين سنة 1965م ولده الأكبر سيدنا محمد برهان الدين الداعي المطلق الثاني والخمسين للبهرة الداويدين، وقد تمسك الداعي محمد برهان الدين بسياسات والده بصورة أساسية، حيث كرّس اهتماماً خاصاً لأمر الإنعاش الاجتماعي والتعليم للداويدين، إضافة إلى الإسهام المتزايد للمرأة في شؤون جماعة البهرة، والبهرة هم في الوقت الحالي من بين أكثر الجماعات تحصيلاً في التعليم في جنوب آسيا. وفي عام 1983م أنشأ الداعي فرعاً جديداً للجامعة السيفية في كراتشي، وكان قد حصل في سبعينيات القرن الماضي على عروض واسعة من الحكومة المصرية لترميم الأوابد من الحقبة الفاطمية، ورمم البهرة الداويدين عقب ذلك عدداً من هذه الأوابد، ومنها مسجد الحاكم والأمر، وعمل الداعي محمد برهان الدين على بناء العديد من المساجد للبهرة الداويدين في جنوب آسيا، وفي عدة بلدان في الغرب⁽¹⁰⁸⁾.

ولا توجد لدينا إحصاءات دقيقة عن أعداد البهرة الإسماعيليين في الهند، ولكن بناء على إحصاءات قامت بها الحكومة الهندية في ثلاثينيات القرن الماضي، فإن المتوقع أن يكون عدد البهرة قد تجاوز المليون شخص في بداية القرن الحالي، أربعة أضعهم يقطنون في الهند، وأكثر من نصف عدد البهرة الداويدين يعيشون في غجرات، بينما يتموضع الباقون بصورة أساسية في بومباي ووسط الهند. وتتألف المراكز الحضرية الرئيسة للداويدين في الهند من

(108) انظر: الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ص488.

بومباي، ودوهد وأوديبور، وأوجين، وسورات، وأحمد آباد، وسدبور، إضافة إلى بلدات أخرى في غجرات، ومذيا برادش، ومهرشترا. أما خارج الهند فالعدد الأكبر للدأوديين موجود في باكستان، ومعظمهم في كراتشي، كما أنهم يتواجدون في سريلانكا أيضاً وفي مختلف أنحاء الشرق الأقصى. وأكبر تجمع للبهرة خارج الهند بعد باكستان يتموضع في إفريقيا الشرقية، حيث يعيش الآلاف منهم في تنزانيا، وكينيا، وأوغندا. وقد وجد الإسماعيليون في إفريقيا الشرقية أنفسهم مضطرين إلى الهجرة إلى الغرب بنحو متزايد بسبب السياسات القمعية لبعض الحكومات المحلية ضد الآسيويين. وبالفعل فإن جماعات داوودية قد أسست نفسها في أوروبا وأمريكا منذ سبعينيات القرن الماضي.

البهرة العلوية في الهند.. تأثيرهم وتأثرهم:

أشرنا سابقاً إلى الهجرة العلوية ونسبتهم إلى الداعي علي شمس الدين، وهو حفيد الداعي اليميني إدريس عماد الدين، وقد مرّت الدعوة بظروف مشابهة لتلك التي مرت على البهرة في الهند لا تختلف عنها في شيء، وكان للطائفة أدوار عديدة في المجالات الثقافية والاجتماعية من حيث إنشاء المدارس الدينية العلمانية، وتشهد الجماعة العلوية تطوراً ملحوظاً في بنيتها الاجتماعية والسياسية، خصوصاً من خلال النشاطات التي يدعمها الداعي الحالي سيدنا حاتم زكي الدين (الداعي الخامس والأربعين من دعاة الفرقة العلوية) (109).

وقد عانت البهرة العلوية من ممارسات وحشية ضدها من قبل معارضيها، ولم تجد سوى اللجوء إلى المحاكم الهندية، ومن أهم تلك الأحداث، أحداث عام 1622م، وبعد إصدار الأحكام لصالحها، بدأت الجماعة تشعر باستقرار نسبي، حيث تكررت تلك الأعمال والمضايقات من قبل معارضيها، وهو ما دعا

(109) للمزيد انظر الموقع الإلكتروني الخاص بالبهرة العلوية (www.alavibohra.org).

المكاسر حسن بدر الدين إلى السفر إلى لاهور، ثم إلى كشمير لمقابلة الامبراطور شاه جهان في 1637م، والذي عقبه أحداث جمة عملت في مجملها على استقرار الجماعة العلوية والحد من المضايقات وأعمال العنف الموجهة ضدها من معارضيها.

ويمكن القول إن دعاة البهرة العلوية هم امتداد لأجدادهم من الدعاة اليمانيين وحتى يومنا هذا؛ والذين كان لهم الأثر الكبير في ترسيخ مبادئ الدعوة ونشر الإسلام بين أوساط الهندوس. وتضم البهرة العلوية الآلاف من الأتباع، ولا توجد لدينا حصيلة دقيقة بشأن أعدادهم.

والياً تحظى الجماعة بحالة من الاستقرار في مناطق تواجدها في الهند، وخارج الهند أيضاً في دبي، والكويت، وباكستان، وغيرها من البلدان.

ونرى المعالم الإسلامية التي ساهمت البهرة العلوية بإنشائها ممثلة في مقر الدعوة الرسمي، وإنشاء العديد من المساجد الخاصة في منطقة فادودارا حيث تستقر الجماعة العلوية، ولديهم مساجد أخرى في مناطق انتشارهم المختلفة، ويتم تعيين نائب يدير شؤون الجاليات المتواجدة في مختلف المناطق والدول التي تنتشر فيها الجماعة العلوية.

وشهدت البهرة العلوية تطوراً ملحوظاً في مجالات التعليم في عهد الداعي الثاني والأربعين علي بدر الدين (ت1958م)، حيث أدت جهوده إلى تنظيم أكثر لشؤون البهرة العلوية والجاليات المختلفة، وأيضاً كان لجهود الداعي الثالث والأربعين سيدنا يوسف نور الدين آثار كبيرة في إنشاء أهم مساجد البهرة العلوية، واشتهرت البهرة العلوية في المجال التجاري بتجارة البصريات في عهده، ويقوم الداعي الحالي الخامس والأربعون سيدنا حاتم زكي الدين بجهود كبيرة وحديثة من أجل تطوير البنية التحتية للطائفة في مناطق تواجدها، والعمل

على تنظيم أكثر لشؤون الجماعة العلوية، كما قام بمساعدة العديد من الباحثين الغربيين والشرقيين المهتمين بالدراسات الإسماعيلية من خلال إتاحة بعض كتب خزائنه المشهورة والكبيرة التي تحتوي على العديد من الأعمال الأدبية للإسماعيلية، والتي ساعدت الباحثين في تحقيق التراث الإسماعيلي بصورة أكثر دقة وفعالية.

ولا ننسى أيضاً الجهود التي تبذلها الجماعة العلوية في المشاريع الاجتماعية والتنمية، وما يقدمه الداعي الحالي من جهود كبيرة في هذا المجال تهدف إلى مساعدة الفئات الفقيرة في شتى بقاع العالم، ومنها اليمن.

النشاطات الاقتصادية للإسماعيلية في بلدان المهجر:

اعتمدت معيشة الأكثرية العظمى لجماعة البهرة في الهند تاريخياً- كما يوحي الاشتقاق اللغوي الأكثر قبولاً لاسمهم- على بعض أشكال التجارة، وقد لقيت التجارة والأعمال بصورة تقليدية وعقائدية تشجيعاً فعّالاً تفضيلاً لهما على بقية أشكال العمالة والوظائف، وكان ثمة رجال أعمال بهرة ناجحون يعملون في الهند مُنذُ بداية تأسيس الجماعة هناك. وقد وصفهم ناشر صحيفة "بومباي" في أواخر القرن التاسع عشر بـ"البهرة التجار"- تجار كبار على نطاق واسع يتاجرون مع شبه الجزيرة العربية، والصين، وسيام (اسم تايلندا الحالي)، وزنجبار – وغالبية التجار المحليين أو أصحاب الدكاكين الصغار- وأشار إليهم باعتبارهم "الطبقة الأكثر ثراءً ونجاحاً بين مسلمي غجرات".

وشهدت الفترة من القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي والعشرين توسعاً كبيراً في مغامرات البهرة التجارية في بلدان خارج الهند، حيث راحت جماعات مهاجرة ومزدهرة تتشكل في نصفي العالم الشرقي والغربي، ففي القرن التاسع عشر، بدأ البهرة مغامراتهم في مناطق أخرى تابعة للإمبراطورية البريطانية،

كالمالديف وسيلان (سيرلانكا اليوم)، وشرق إفريقيا، مستفيدين من موارد "شركة الهند الشرقية البريطانية"، وبتشجيع من دعواتهم ومساعدتهم المالية في أحيان أخرى، وشكّلت موجة مرض الطاعون القاسية في العام 1813م دافعاً للبهرة الذين تأثروا بها للسعي وراء رزقهم في أماكن أخرى، وتوسعت أنشطتهم التجارية وشركاتهم أيضاً مع الهنود الآخرين في استثمارات مختلفة، وتولوا تشغيل عمليات زراعة أشجار المطاط والشاي، ولعبوا دوراً مهماً في تجارة التوابل. فكانت "شركة هونغ كونغ- كولون للنقل البحري" من تأسيس أحد البهرة، عبدالعلي إبراهيم، الذي لا يزال أحفاده رجال أعمال رواداً في هونغ كونغ، وكان البهرة إبان العقود الأخيرة من ذلك القرن يهاجرون بأعداد كبيرة غير مسبوقة إلى بومباي، ويشاركون في النمو المالي لهذه الحضارة المزدهرة والمساهمة فيه، على الرغم من احتفاظهم بعاداتهم الاجتماعية- الدينية المحافظة ضمن بيئتها العالمية. وأقدم العديد من رجال الأعمال البهرة الرواد على بناء مساجد، وجماعة- خانة (قاعة الجماعة) كثيرة، بعضها كان في أمكنة لم يسبق لها وجود فيها، فأصبح هناك مسجد لكل جماعة من جماعات البهرة تقريباً، وأيضاً البيوت الفارهة⁽¹¹⁰⁾.

وشهد القرن العشرون نمو الازدهار التجاري للبهرة الذين كانوا من بين أسبق من سبق من مغامري الأعمال البهرة اليمنيين ممن استغلوا توسع الأسواق وفرص التجارة المتزايدة لتلك الحقبة، فكانت الفرص المالية واحدة من الدوافع الأساسية، إلى جانب التعليم، في التضخم السكاني للبهرة في الغرب، ولا سيما في المملكة المتحدة، وكندا، والولايات المتحدة. في حين احتل الدافع الاقتصادي

(110) انظر على سبيل المثال الوصف الذي كتبه السير جون مالكوم لم العام 1823م لبيوت البهرة "العصرية" في سوررات مع "التحسينات الأوروبية" في نشرة رئاسة بومباي، كمبل، م.9، قسم 2: المسلمون والبارسيون [أو الزرادشتيون]، ص29، حاشية 1.

المرتبة الأسمى التي دفعت برجال البهرة إلى الهجرة إلى دول الإمارات في منطقة الخليج، وصارت حياة أسر هؤلاء المقيمة في الهند تعكس تقدماً في رخائهم وازدهارهم⁽¹¹¹⁾.

المؤثرات السياسية لإسماعيلية اليمن في بلدان المهجر:

اتصفت الفترة الحديثة من تاريخ الدعوة الطيبية، على وجه العموم، بأنها فترة ازدهار وهدوء نسبي، وخاصة عند مقارنتها بالحقبة التي سبقتها، وقد حظي الداعي في الهند باحترام تاريخي من قبل الهندوس والسيخ، وكذلك من قبل المسلمين، باعتباره شخصية روحية لامعة. واشتهر البهرة بمواقف تميزت بنزعتها نحو الانسجام، وحسن النية، وعدم المواجهة مع الناس من أتباع المعتقدات الأخرى. ومع ذلك فكثيراً ما عانوا من الاضطهاد والأعمال العدائية لكونهم جماعة شيعية أقلية، والتزامهم بممارسات دينية علنية مميزة، كالاحتفال بالعيد بناءً على تحديد فلكي له (وليس بناءً على رؤية القمر)⁽¹¹²⁾، وإقامة صلوات أيام الجُمع بصورة منفصلة، وممارسة احتفالية "المأتم"، أثار عداوة طوائف المسلمين السنة، بينما أدى ذبحهم للحيوانات للحصول على لحومها في بعض الأحيان إلى إثارة غضب الهندوس النباتيين (وهذه عوامل كانت مهمة في السياق العريض للاضطرابات بين المسلمين والهندوس في البلاد). ثم إن التماسك الملحوظ والرفاه الاجتماعي المؤثر لدى جماعة البهرة، إضافة إلى الاحتفالات، وأسلوب حياتهم الأفضل، وتقدمهم في ميدان التعليم لاحقاً، شكلت

(111) في مسح حديث العهد لأسر البهرة الهنود بلانك، الملا، ص203، توصل المؤلف إلى أن ثلاثة أرباع المشاركين في المسح كانوا من أصحاب الأعمال وأن نسبة صغيرة مقبولة كانوا من أصحاب الياقات البيضاء [موظفين] وعدد أقل كانوا معلمين أو تجاراً يديرون تجارتهم بأيديهم، بينما ذكرت نسبة 4.2% أنها تعمل في الصناعة. (انظر أيضاً: تاريخ الإسماعيليين.. الاستمرارية والتغيير ص401).

(112) للمزيد يمكن الرجوع إلى كتاب رؤية الهلال بين التأويل والظاهر، تأليف: د. عمرو معديكرب الهمداني؛ منشورات مؤسسة الهمداني الثقافية؛ 2019م.

عوامل أثارت غيرة وحسد بعض المجموعات الأكثر فقراً والأقل تنظيماً من بين إخوانهم في الدين. فأحد العوامل المهمة في التوتر بين الطوائف كان الوفرة المادية التي تمتع بها البهرة، والتي أثارت، وفقاً للروايات التاريخية، جشع الحكام المسلمين والهندوس من فترة ما قبل الاستقلال، وأدت مُنذُ ذلك الحين إلى استهداف الممتلكات التجارية كلما وقع عنف طائفي.

وكانت السلطات السياسية تقوم عبر العصور بحماية البهرة واضطهادهم في آن، ولذلك فقد كانت السياسات السياسية للدعاة الهندوس تستقي من فهمهم ونظرتهم التقليدية لأنفسهم على أنهم "قوم غريب" وتعني حرفياً "الناس الفقراء"، أو الناس الضعفاء سياسياً وغير القادرين على الدفاع عن أنفسهم، وبكلمات ميسرة "الجماعة المضطهدة والمنهكة".

ومن المفارقة أن البهرة عانوا من تحامل الحكام المسلمين، بينما تمتعوا في المقارنة بحرية من القيود الدينية والاضطهاد في ظل الحكام الهندوس، واستمرت هذه التجربة في هند ما بعد الاستقلال، وبدأ البهرة مُنذُ القرن العشرين بشكل خاص بدمج أنفسهم، ولو بدرجة محدودة، في الأمة الإسلامية الهندية ثم العالمية. وفي انتخابات 1935م الوطنية أيدَ البهرة في بومباي- حيث كان المسلمون يهيمنون على الكتلة الانتخابية- محمد علي جناح من العصبة المسلمة، وشكّلت مناسبات الاستقبال التي أقامها الداعي للقادة المسلمين الدوليين الزائرين، والدعوة إلى ترميم الأقصى ومؤتمر فلسطين، تأكيد توجه جماعة البهرة باتجاه رابطة عموم المسلمين والتعاطف معهم. وقام الداعي الداودي طاهر سيف الدين بتقديم الكسوة أو الأستار الحمراء التي تُعلق داخل الكعبة في العامين 1931 و1937م، وتبرع بقوالب أضرحة مصنوعة بصورة دقيقة من الفضة والذهب لأضرحة الإمام علي (1942م)، والإمام الحسين (1937م)،

ورأس الحسين في القاهرة (الذي دشن العام 1966م)، وشارك الداعي أيضاً في مؤتمرات دولية ذات صلة بالدين. لقد وضع الداعي طاهر سيف الدين مكاناً لجماعة البهرة على الخارطة الوطنية للهند، وبتوجيه منه بدأ البهرة بتحقيق اعتراف وطني كمكون إيجابي من مكونات مجتمع البلاد، وكثيراً ما جرى ومدح وإشادة لجذورهم الدينية القوية، ومبادئ سلوكهم، وفطنتهم في ميدان الأعمال، وانضباطهم ونظرتهم المتسامحة، من قبل الشخصيات العامة البارزة، وارتفع البهرة ليحتلوا مناصب مدنية بارزة، كمنصب "شريف بومباي"، وكبير قضاة المحكمة الهندية العالية، بل وحتى المحكمة العليا. ومُنذُ منتصف القرن العشرين راحت أعداد كبيرة من البهرة تستقر في الشرق الأوسط والغرب، واكتسبت الدعوة هوية دولية عامة لا سمياً خلال زيارات الدعاة إلى مراكز الجماعة الجديدة، حيث حققوا اعترافاً رسمياً بهم في الخارج كرؤساء لجماعة دينية معروفة، فاستقبلوا كضيوف حكومات، ومنحوا تكريماً وتشريفاً مدنياً في بلدان عدة(113).

(113) انظر: تاريخ الإسماعيليين الاستمرارية والتغيير لجماعة مسلمة، ص388.

النتائج والخاتمة

توصل الباحث من خلال بحثه إلى عدة نتائج ذات صلة بالمحاور الأساسية للدراسة العامة للآثار المتبادلة للهجرة اليمنية، والمتمثلة في الآتي:

أولاً: الأسباب:

- 1) تنوعت الأسباب بين طاردة وجاذبة، وكان النصيب الأكبر لهجرة الإسماعيلية هي الأسباب الطاردة المتمثلة في الهجرات غير الطوعية (التهجير القسري).
- 2) موقف أئمة الزيدية من الإسماعيلية والاضطهاد الذي مارسوه ضدهم كان من أهم الأسباب السياسية التي نتج عنها تهجير كبير لإسماعيلية اليمن.
- 3) الحروب الموجهة ضد الإسماعيلية من قبل الزيدية كانت أحد الأسباب السياسية أيضاً المسببة في تهجير الإسماعيلية للبحث عن الأمان.
- 4) الاتهامات الدينية والعقائدية والأخلاقية ضد الإسماعيلية لعبت دوراً مهماً في هجرة الإسماعيلية كسبب رئيسي أيضاً، حيث تم إطلاق الأحكام والفتاوى الدينية ضدهم، وإخراجهم من دائرة الإسلام، وإباحة دمائهم وأعراضهم وفقاً لذلك.
- 5) استهداف التراث العلمي للإسماعيلية من خلال حرق مكنتباتهم وتدميرها، أدى ذلك إلى مخاوف كبيرة عند الإسماعيلية من فقدان هذا التراث الفكري العظيم، مما أدى بهم إلى نقل ما تبقى من تلك المكنتبات إلى خارج اليمن (بلاد المهجر)، وأطلقنا عليه "هجرة المخطوطات".
- 6) وللأسباب السالفة الذكر أيضاً، تم نقل مركز الدعوة الإسماعيلية إلى خارج اليمن، سواءً في الهند أو نجران.

ثانياً: أوضاع المهاجرين في بلدان المهجر (الأثار المتبادلة):

- (1) الانغلاق الذي اعتمدته الإسماعيلية وسيلة للحفاظ على كينونتها في بلدان المهجر.
- (2) التركيز على بناء القدرات الذاتية لأبناء الإسماعيلية في مختلف المجالات للوصول إلى الاكتفاء الذاتي.
- (3) التكاتف والتعاون المشترك بين أبناء الطائفة أدى إلى خلق فرص عمل أمام جميع أبناء الطائفة الإسماعيلية دون استثناء.
- (4) عدم الانخراط في الأعمال السياسية (لأسباب عقائدية)، أدى ذلك إلى المحافظة على بقاء الجماعة الإسماعيلية في استقرار وأمان.
- (5) الانفتاح على المجالات الاقتصادية في بلدان المهجر، وبناء سمعة طيبة (نتيجة الارتباط العقائدي والديني) خلق نوعاً من الائتمان والثقة نحو هذه الجماعة اليمنية.
- (6) تشجيع الإسماعيلية اليمنيين على زيارة الهند وجران (من أجل التسجيل في الدراسة بشكل خاص)، وحضور التجمعات والاحتفالات الدينية الخاصة بالجماعة.
- (7) السمعة الجيدة التي حظيت بها الجماعة الإسماعيلية في بلدان المهجر ساعدتها على توسيع علاقاتها مع محيطها الخارجي في بلدان المهجر.
- (8) التنظيم المؤسسي، خصوصاً لجماعة البهرة، ساعد على توفير حياة أفضل لجميع أبناء الإسماعيلية.
- (9) الصراعات التي تعرضت لها الجماعة في بلدان المهجر كانت محدودة ولم تهدف إلى محاولة إبادة الجماعة- كما حدث في اليمن- وكان الهدف منها الضغط السياسي عليها فقط.

- (10) على المستوى الثقافي، نجد تأثير الجماعة الإسماعيلية في بلدان المهجر مهماً ومحورياً؛ حيث ساهمت الإسماعيلية في نشر الإسلام في مناطق تواجدها والعمل على إرساء التراث الإسلامي فيها.
- (11) كان لهجرة العقول الإسماعيلية اليمنية تأثير كبير في بلدان المهجر، وقد برزت تلك الشخصيات في عدة محافل دولية وإقليمية، واعتبارهم رواداً لحركة التنوير في العالم.
- (12) كان لنقل المخطوطات الإسماعيلية الأثر البالغ في استفادة دول المهجر ومؤسساتها العلمية من الكثير من تلك المخطوطات المهمة والنادرة، حيث قام المفكرون من أبناء الإسماعيلية اليمنيين بإهداء مجموعات من تلك المخطوطات إلى المؤسسات العملية المختلفة، وإمداد المفكرين والمستشرقين بتلك الكنوز الفكرية المهمة.
- (13) يتضح لنا التأثير المتبادل لهجرات الإسماعيلية اليمنية من خلال نقل العديد من العادات والتقاليد من الهند إلى اليمن، كاللباس، والممارسات الدينية التي تعد حالياً مظهراً أساسياً لأبناء الطائفة الإسماعيلية، خصوصاً البهرة منهم.
- (14) كما أن التأثير المتبادل يتضح جلياً من خلال الأنشطة الاقتصادية التي يمارسها الإسماعيلية في اليمن من خلال خلق فرص عمل، والاعتماد على الأنشطة الاقتصادية الصغيرة في مختلف المجالات.
- (15) أخيراً، يتضح لنا تأثير أبناء الإسماعيلية بمواطن المهجر من خلال تخليهم عن عادة مهمة في اليمن، وهي عادة مضغ القات وزراعته، حيث يشتهر أبناء الإسماعيلية كافة في اليمن بعدم تناولهم شجرة القات اللعينة، واهتمامهم الكبير بزراعة شجرة البن الأصيلة.

ثالثاً: الخاتمة:

من خلال الدراسة يتضح لنا الدور الحيوي المهم للإسماعيلية اليمنية في بلدان المهجر، والتأثير الكبير لهم في مناطق هجراتهم المتعددة من نواح عدة، سياسية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية، وأيضاً المؤثرات الخارجية التي ساهمت في صياغة تلك المتغيرات، والمتمثلة في الاضطهاد والممارسات التعسفية التي عانت منها الجماعات اليمنية، أو من خلال حالات الاستقرار النسبي التي تمتعت بها الجماعة الإسماعيلية في فترات مختلفة، وهذا ساهم في ازدهار مشاركتها السياسية، وتطورها المعرفي والعلمي، وأيضاً الانطلاق في عالم التجارة والاقتصاد العالميين.

وقد كان للممارسات اللاإنسانية للأئمة الزيديين ضد الجماعة الإسماعيلية نتائج منها التهجير، والإبادة الجماعية، وحرق مكاتب ومساجد الإسماعيليين في شتى بقاع السعيدة، واستمر هذا الوضع لعقود وأزمة طويلة دون توقف من الزيديين حتى يومنا هذا، ومن الأمثلة المؤكدة في استمرار تلك الممارسات منع الكتب الخاصة بالطائفة الإسماعيلية عن الباحثين والمهتمين، والموجودة في مكتبة دار المخطوطات اليمني، ومكتبة الجامع الكبير المقدس⁽¹¹⁴⁾، إضافة إلى تلك الممارسات التعسفية ضد أتباع المذهب الإسماعيلي نتيجة اختلافهم في مواقيت التعبدات كالصوم والإفطار الذي يعتمد فيه الإسماعيلية على محددات وعلى أساليب حديثة، وأهمها الاعتماد على الحساب في صوم شهر رمضان

(114) قامت مؤسسة الهمداني الثقافية بمحاولات عديدة للحصول على نسخ (صورة رقمية) من الكتب الإسماعيلية في دار المخطوطات للعمل عليها وتحقيقها تحقيقاً علمياً رصيناً، وللأسف باءت جميع جهودها بالفشل، حيث صرّح المسؤولون بأن هذه الكتب ممنوعة ومحزنة بأمر من إمام اليمن يحيى حميد الدين، وهذه الأوامر ماضية حتى يومنا هذا!!!.

والخروج منه، وهذا أدى إلى إصدار الأحكام ضدهم، ومهاجمة دور عبادتهم من قبل الزيديين (115).

وفي الختام نرى أن الإسماعيلية لو أُتيحت لهم الفرصة والانفتاح، لكان تأثيرهم عظيماً على مستوى الداخل اليمني، وسيكون لهم الإنجاز العظيم في إحداث قفزة نوعية للمجتمع اليمني في مجالات العلم والاقتصاد والإدارة، وهو ما لمسناه من خلال بحثنا الحالي وتأثيرهم في مناطق تواجدهم حالياً. كما تتضح لنا أهمية البعد السياسي وانتهاج الطائفة الإسماعيلية الابتعاد عنه بصورة مُطلقة، وعدم الاكتراث بنتائجه، فجلُّ اهتمامهم هو المجتمع والعمل على تطويره وبناءه البنية الإنسانية القائمة على التنظيم والتعاون بين الأفراد، برسالة مفادها أن التسامح الديني هو الأساس في بناء المجتمعات. ونأمل من الباحثين في المستقبل القريب أن يتم الاهتمام بدراسات خاصة ومتخصصة لدراسة حالة الجماعة الإسماعيلية للاستفادة من تلك التجارب على واقعنا الحالي في اليمن، والعمل على تطوير المجتمع اليمني والخروج به إلى آفاق واسعة وتطور أكثر. كما تجدر الإشارة إلى أهمية التوسع في ضم سير أعلام إسماعيلية اليمن في المهجر ضمن الموسوعة المرتقبة لأهمية الأدوار التي تصدرها إسماعيلية اليمن في كافة المجالات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(115) من ذلك ما حدث في عيد الفطر لعام 1440 هجرية، حيث قامت كتيبة بمهاجمة مسجد البهرة في منطقة نغم، وتم سجن أكثر من 27 شخصاً من الإسماعيلية على خلفية احتفالهم بعيد الفطر قبل إعلان حكومة صنعاء بذلك بيوم واحد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع الفاطمية

(1) الأنف، إدريس عماد الدين بن الحسن [ت872هـ]:

- عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: د. أيمن فؤاد سيد، [السبع السابع]، إصدارات معهد الدراسات الإسماعيلية-لندن.
- برهانوري، سليمان جي، منتزع الأخبار في أخبار الدعاة الأخيار، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، [2-1]، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدارين (41، 42).

(2) الحامدي، إبراهيم بن الحسين [ت557هـ]:

- كتاب الابتداء والانتهاء، تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني (ضمن مجموع مؤلفات إبراهيم بن الحسين الحامدي [1])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن.
- الرسالة الشريفة في المعاني الطاهرة الطريفة، تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني (ضمن مجموع مؤلفات إبراهيم بن الحسين الحامدي [1])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن.

(3) الحامدي، حاتم بن إبراهيم [ت596هـ]:

- المجالس الحاتمية الصغيرة (مجالس الامتحان)، تحقيق: د. عمرو بن معديكرب الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء، تحت الطبع.

- تنبيه الغافلين، تحقيق: د. عمرو بن معديكرب الهمداني، منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط1، 2012م.

(4) الحجوري، الخطاب بن الحسن [ت 533هـ]:

- ديوان الخطاب، نشره: إسماعيل قربان حسين، ضمن كتاب السلطان الخطاب حياته وشعره، دار المعارف، مصر.

- رسالة في بيان إعجاز القرآن، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب [1])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط1، 2017.

- رسالة النفس، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب [1])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط1، 2017.

- رسالة غاية الموالي، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب [1])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط1، 2017.

- منيرة البصائر، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب [1])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط1، 2017.

- رسالة النعيم، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني، (ضمن مجموع مؤلفات الخطاب [1])، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط1، 2017.

(5) دفتري، فرهاد:

- الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم؛ ترجمة: سيف الدين القصير؛ دار الساقى بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية؛ ط1/2012م.
- تاريخ الإسماعيليين الحديث - الاستمرارية والتغيير لجماعة مُسلمة؛ ترجمة: سيف الدين القصير؛ دار الساقى بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية؛ بيروت - لبنان؛ ط1؛ 2013م.
- الرازي، أحمد بن حمدان الليثي الورستاني (أبو حاتم) [ت323هـ]:
- الزينة في الكلمات العربية الإسلامية، عارضه وعلق عليه: حسين فيض الله الهمداني، [1-2]، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، ط3، 2020م.
- سليمان، محمد بن عبدالله؛ جلاء أفكار الأخيار؛ مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية.

(6) الشيرازي، هبة الله بن موسى بن عمران "المؤيد في الدين"
[ت470هـ]:

- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعوة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، ط1، 1949م.
- المجالس المؤيدية "المائة الأولى"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (51).
- المجالس المؤيدية "المائة الثانية"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (52).

- المجالس المؤيدية "المائة الثالثة"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (53).
- المجالس المؤيدية "المائة الرابعة"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (54).
- المجالس المؤيدية "المائة الخامسة"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (55).
- المجالس المؤيدية "المائة السادسة"، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (56).
- صحيفة الصلاة والعبادات (الداوئية) [4-1]، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية.
- صحيفة الصلاة (السليمانية) [3-1]، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن مشروع توريث صحيفة الصلاة.
- (7) آل عُمي، عبدالله حمد؛ أحداث السنة الفاطمية؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، (تحت الطبع)؛ صنعاء- اليمن.
- (8) الكرمانى، أحمد حميد الدين [ت411هـ]:
- راحة العقل، تحقيق وتقديم: د. مصطفى غالب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1983م.

- كتاب الرياض؛ مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية الإصدار (175).

(9) الهمداني، حسين بن فيض الله [ت1962م]:

- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من سنة 268هـ إلى سنة 626هـ)، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث- صنعاء- اليمن، ط5، 2009م.

- بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفاء وعقائد الإسماعيلية فيها، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط2، 2010م.

- On the Genealogy of the Fatimid Caliphs. Cairo: American University of Cairo· School for Oriental Studies· 1958.

(10) الهمداني، الذؤيب بن موسى الوادعي [ت546هـ]:

- رسالة النفس، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني وآخرون، ضمن مجموع رسائل الذؤيب بن موسى الوادعي، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط1، 2014.

- رسالة الدرج، تحقيق وتقديم: د. عمرو معديكرب الهمداني وآخرون، ضمن مجموع رسائل الذؤيب بن موسى الوادعي، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء- اليمن، ط1، 2014.

(11) الهمداني، عمرو معديكرب:

- العلامة حسين بن فيض الله الهمداني (1901-1962م) حياته وفكره ونضاله، إصدارات الهيئة العامة للكتاب، صنعاء- اليمن، ط1، 2014م.

- الإسماعيليون في اليمن والجزيرة العربية وأزمة المواطنة؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث؛ صنعاء- اليمن؛ ط1؛ 2017م.

- نبذة عن حياة البروفيسور عباس الهمداني؛ منشورات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، صنعاء-اليمن.

(12) المغربي، القاضي النعمان بن محمد [ت363هـ]:

- الأخبار في الفقه، تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني، [1]، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، (تحت الطبع) صنعاء- اليمن.

- افتتاح الدعوة، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (70).

- تأويل الدعائم، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (37).

- دعائم الإسلام، تحقيق: آصف أصغر فيضي، [2-1]، دار المعارف، القاهرة، 1964-1963.

- الهمة في آداب اتباع الأئمة، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (72).

- المجالس والمسائرات، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية، نشرتها مؤسسة الهمداني الثقافية ضمن سلسلة الإصدارات الكمبيوترية للمخطوطات الفاطمية، الإصدار (34).

(13) منصور اليمن، جعفر [ت 380هـ]:

- فرائض وحدود الدين، مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية.

الوليد، علي بن محمد [ت 612 هـ]:

- ديوان علي بن محمد بن الوليد، تحقيق: د. عمرو معديكرب الهمداني، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث، (تحت الطبع) صنعاء- اليمن.

- ABBAS AL-HAMDANI. Al-hamdani the outset of the domination of the Hamdan over Yemen

- فعاليات مؤتمر الحق في المواطنة المتساوية (الإسماعيليون في اليمن أنموذجاً) المنعقد بتاريخ 7- 8 / إبريل/ 2012م، إصدارات الدار المحمدية الهمدانية للدراسات والأبحاث- صنعاء- اليمن، ط1، 2012م.

- FRANCOIS DE BLOIS ،Arabic، Persian and Gujarati MANUSCRIPTS، The Hamdani Collection ،I.B.Tauris Publishers ، LONDON.NEW YORK.

- موقع إلكتروني: <http://dmhsr.blogspot.com/>

- موقع إلكتروني: www.alavibohra.com/

(14) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة:

- الطيب بن الأمر، موقع إلكتروني.

- المستنصر بالله، موقع إلكتروني.

- محافظة القنفذة، موقع إلكتروني.

المصادر والمراجع العامة

- الأَعْظَمِي، مُحَمَّد حَسَن (مُضْمَن كِتَابِ الْحَقَائِقِ الْخَفِيَّةِ عَنِ الشَّيْخَةِ الْفَاعِطِيَّةِ)، طَبَعَ الْهَيْئَةُ الْعَامَّةُ لِلتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ، 1970م.
- الْإِرْيَانِي، مَطْهَر عَلِي، مَقَابِلَةُ تَلْفِزِيُونِيَّةٍ، بَرْنَامَجٍ وَتَلْكَ الْأَيَّامِ، تَلْفِزِيُونِ الْيَمْنِيَّةِ الْفَضَائِيَّةِ، تَارِيخٌ 2010/2/14م.
- الْأَلُوسِي، أَبِي الْمَعَالِي مُحَمَّد شُكْرِي؛ غَايَةُ الْأَمَانِي فِي الرَّدِّ عَلَى النَّبْهَانِي؛ نَشَرَهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمُحَمَّدُ الْعَبْدُ اللَّهِ الْجَمِيعُ؛ مَكْتَبَةُ نُورِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ، 2007م.
- الْأَهْنُومِي، حَسَنُ بَنِ حَسِينِ الرَّوسِي؛ الْبَرَاهِينُ الْمُضِيئَةُ فِي السَّيْرَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ؛ مُؤَسَّسَةُ الْإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ؛ الْيَمَنُ.
- ابْنُ مَيْسَرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُوْسُفَ بْنِ جَلْبَ (ت 677)؛ تَارِيخُ مِصْرَ؛ طَبْعَةُ هَنْرِي مَاسِيَه؛ الْقَاهِرَةُ، 1919م.
- التَّمِيمِي، ضِيَاءُ خَضْرٍ جَاسِمٍ؛ بَنُو الْوَلِيدِ وَأَثْرُهُم بِالذَّعْوَةِ الطَّبِيبِيَّةِ فِي الْيَمَنِ؛ رِسَالَةٌ مَاجِسْتِيرٍ؛ جَامِعَةُ بَغْدَادَ؛ 2017م.
- الْجَاسِرُ، أَحْمَدُ؛ مَجَلَّةُ الْعَرَبِ؛ عَدَدُ الرَّبِيعَانِ لِعَامِ 1415م.
- جِحَافٌ، لَطْفُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدٍ؛ دَرَرُ نَحُورِ الْحُورِ الْعَيْنِ بِسَيْرَةِ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ عَلِيٍّ وَأَعْلَامِ دَوْلَتِهِ الْمِيَامِينِ؛ تَحْقِيقٌ: إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَحْمَدِ الْمُقْحَفِيِّ؛ مَكْتَبَةُ الْإِرْشَادِ؛ الْيَمَنُ.
- الْجِهَازُ الْمَرْكَزِيُّ لِلْإِحْصَاءِ، كِتَابُ الْإِحْصَاءِ السَّكَّانِيِّ لِلْجُمْهُورِيَّةِ الْيَمْنِيَّةِ لِعَامِ 2004م.
- الْجِهَازُ الْمَرْكَزِيُّ لِلْإِحْصَاءِ بِالْجُمْهُورِيَّةِ الْيَمْنِيَّةِ؛ الدَّلِيلُ الشَّامِلُ- مَحَافِظَةُ صَنْعَاءِ، www.yemenna.com، مَدِيرِيَّةُ هَمْدَانَ. الْحَمِيرِي، أَبُو سَعِيدِ بْنِ سَعِيدٍ (ت 573) – نَشْوَانُ؛ الْحُورِ الْعَيْنِ؛ الْقَاهِرَةُ 1948م

- الحبشي، عبدالله محمد؛ حوليات يمانية.. اليمن في القرن التاسع عشر الميلادي؛ دار الحكمة اليمنية؛ صنعاء- اليمن؛ 1991م.
- حمزة، فؤاد؛ قلب جزيرة العرب؛ مكتبة النصر الحديثة؛ الرياض؛ 1933م
- حمزة، فؤاد؛ في بلاد عسير؛ مكتبة النصر الحديثة؛ الرياض؛ ط2؛ 1968م.
- الدوسري، شعيب بن عبدالحميد بن سالم؛ إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر؛ مطبعة الحلبي- القاهرة؛ 1365هـ.
- الريكي، حسن بن جمال بن أحمد؛ لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب؛ دار الملك عبدالعزيز؛ الرياض- السعودية.
- زين العابدين، إبراهيم بن علي؛ تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون؛ تحقيق وتعليق: محمد مسلط بن عيسى الوصال البشري؛ دار الإيمان؛ الرباط؛ ط5؛ 1992م.
- سادلير، ج. فورستر؛ رحلة عبر الجزيرة العربية، من القطيف في الخليج "العربي" إلى ينبع على البحر الأحمر خلال عام 1819؛ بومباي؛ طبع في مطبعة الثقافة الاجتماعية في بايكولا؛ 1866م.
- السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط6، 1417 هـ.
- شرف الدين، عيسى بن لطف الله؛ روح الروح في ما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح؛ تحقيق: إبراهيم بن أحمد المقحفي؛ بدون ت.
- الشوكاني، محمد بن علي؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع؛ دار الكتاب الإسلامي؛ القاهرة.
- العمري، حسين عبدالله؛ مائة عام من تاريخ اليمن الحديث؛ دار الفكر المعاصر؛ اليمن.

- العمراني، محمد بن علي؛ إتحاف النبيه بتاريخ القاسم وبنيه؛ مخطوط بخزانة الدار المحمدية الهمدانية.
- فليبي، هاري سانت جون (الشيخ عبدالله)؛ مرتفعات الجزيرة العربية؛ ترجمه وعلق عليه؛ د. غبتان بن علي الجريس؛ مكتبة الحسكة.
- الكربلائي، حيدر محمد عبدالله؛ الداعي الإسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي ودوره السياسي والفكري والعقائدي في الدولة الفاطمية (390-470هـ / 999-1077م)؛ جامعة بغداد؛ كلية الآداب؛ رسالة دكتوراه؛ 2011م.
- المعافري، أبي محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت213)؛ السيرة النبوية في ثلاثة أجزاء؛ تحقيق: وليد بن محمد بن سلامه وخالد بن محمد بن عثمان؛ مكتبة الصفا.
- المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، [2-1]، دار الكلمة للنشر والتوزيع، صنعاء- الجمهورية اليمنية، 2002م.
- المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي [ت845هـ]، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء [3-1]، تحقيق: جمال الدين الشيال، ومحمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1967-1973م.
- معجم قاموس المعاني؛ موقع إلكتروني؛ تأسس عام 2010م.
- الموسم؛ مجلة فصلية مصورة تعنى بالتراث والآثار تصدر في هولندا؛ العددان 43؛ 44؛ 1999م.
- نوح، علي؛ الإسماعيلية بين خصومها وأنصارها؛ دار التوحيد للنشر؛ سوريا؛ ط1؛ 2000م

- نوفل، حمود زايد، إسماعيلية اليمن السليمانية "المكارمة"، دار النشر للجامعات، صنعاء- اليمن، ط1، 2011م.
- هالم، هاينز؛ الفاطميون وتقاليدهم في التعليم؛ دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع؛ 1999م.

الصحافة اليمنية في المهجر: التأثير والتأثر

أ/ عبد الباري طاهر (*)

(*) كاتب وباحث ونقيب أسبق للصحفيين اليمنيين.

مدخل إلى الصحافة الحضرية المهاجرة:

ارتبطت الصحافة اليمنية في المهاجر بوجود يمينيين وعرب كثيرين في هذه المهاجر، وخاصة في بريطانيا، وجنوب شرق آسيا، ابتداءً من العام 1905.

وتعود نشأة الصحافة المهاجرة إلى مطلع القرن الماضي في جنوب شرق آسيا، وهي الصحافة الحضرية، وفي بريطانيا- كارديف صحيفة "السلام" التي أصدرها الشيخ المجاهد عبد الله الحكيمي 1948.

عبّر صدور الصحافة المهجرية عن واقع في اليمن، وخاصة في حضرموت، فقد نزح الحضارمة بالمئات وعشرات الآلاف إلى شرق إفريقيا وجنوب شرق آسيا والهند، واشتغلوا بالتجارة ونشر الإسلام، واندمجوا في تلك المجتمعات، ولعبوا دوراً مشهوداً في التمدن والتحضر، وبناء الكيانات، وتأسيس الصحف والأحزاب والهيئات القومية، ومقاومة الاستعمار؛ فكان التأثير والتأثر بالغاً.

وفي المبحث المتواضع أقوم بتتبع هذه الصحافة ورصدها، ودراسة ما كتب عنها، وما يتوافر عنها من دراسة وتقييم ومراجع ونماذج إن وجدت، ومناخ الصدور، وأماكن الصدور، ورؤساء وهيئات التحرير، مع نبذة تعريفية محدودة، وآتي على تتبع الاتجاهات الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، وعلاقتها بالمكان والزمان، والارتباط بقضايا العصر المختلفة، وبيد ومنشأ المهجر.

واستخدمت منهج الوصف والتحليل في دراسة الصحف، والقضايا التي تتناولها، وأوضاع المهاجرين، ثم أوضاع مهاجرهم وبلدانهم.

الصحافة الحزمية المهاجرة في جنوب شرق آسيا: النشأة والتطور:

تعود نشأة الصحافة الحزمية في جنوب شرق آسيا: إندونيسيا، وماليزيا، وسنغافورة، إلى مطلع القرن الماضي، وتحديداً في العام 1905. ومطلع القرن الماضي كان بداية الثورات الكبرى: روسيا 1918، وتركيا 1911، وإيران 1906، ومصر- ثورة عرابي، وكان أثر ذلك بالغاً على ما يسميه لينين "استيقاظ آسيا". كان التأثير كبيراً على الاستقلال، وحركات التحرر الوطني، وخاصة استقلال الصين والهند، بل على القارة كلها. ويؤرخ الباحث د. عبدالله الزين بداية ظهور العديد من المطبوعات الصحفية باللغة العربية ابتداء من 1905، رابطاً ذلك بالتنافس بين مختلف الجمعيات المختلفة⁽¹⁾، ويبدو أن صدمة الحداثة، والانفتاح على العصر وتياراته الزاخرة في العالم هي الأساس لنشأة هذه الصحافة التي وصلت إلى الأربعين، وازدهارها وتطورها.

ولا شك أن لنشأة الجمعيات والأحزاب السياسية، والمنافسة أيضاً بين "الإرشاديين" و"الرابطة العلوية" أثراً في تنوع وتعدد هذه الصحافة، لكن الأثر الأعمق والكبير لقضايا العصر الكبرى، وفي مقدمتها الثورات، وحركات التحرر الوطني السمتان الأبرز في مطلع القرن العشرين.

وفي الدراسة ارتأيت أنه من الأفضل دراسة القضايا والأفكار التي ركزت عليها الصحافة الحزمية المهاجرة بدلاً من ترسم أسماء الصحف، وعناوينها، وتاريخ صدورها، وهيئات تحريرها، وإعطاء الأولوية للقضايا التي تناولها هذه الصحف، مع عدم إغفال التعريف بالصحيفة، ومكان وزمان الصدور،

(1) النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر: إندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، 1900-1950، د. عبد الله يحيى الزين، دار الفكر، 2003م، ص 27.

والمحررين إذا لزم الأمر، خلافاً للأسلوب الذي اتبعه عديد من الدارسين، ومنهم الدكتور عبد الله الزين، و"الموسوعة الصحفية". فالمزج بين الصحف والموضوعات ضروري لغياب الصحف التي يمكن قراءتها، باستثناء أعداد قليلة لا تعطي الصورة الحقيقية للقضايا المتناولة، وتكون صحيفة "السلام" هي الاستثناء الوحيد لتوفر أعدادها.

ويمكن وصف دور الصحافة المهجرية في جنوب شرق آسيا بالرائدة، ليس بالقياس إلى الداخل اليمني، وإنما أيضاً بالنسبة لمناطق الصدور المهجرية، ففي بلدان إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة، لم تكن الصحف الأهلية أو الرسمية قد صدرت، أما في الداخل اليمني، سواء في حضرموت بلد المنشأ، أو اليمن بصورة عامة، فلم تعرف صدور الصحف؛ ففي اليمن "الشمال" لم تُعرف الصحافة باستثناء "صنعاء" التي أصدرها الأتراك عام 1878م كصحيفة رسمية للولاية العثمانية أسوة بالولايات الأخرى التابعة للإمبراطورية العثمانية⁽²⁾، وهناك صحيفة "يمن" باللغة التركية صدرت في الحديدة قبيل "صنعاء" عام 1872م. وقد عرفت حضرموت الداخل صدور العديد من الصحف الأهلية مُنذ مطلع القرن الماضي.

ونشأت الصحافة اليمنية في المهجر وتطورت، وأدت دورها المميز وفق إمكاناتها وقدراتها، ولعبت دوراً كبيراً لا يستهان به في تكوين رأي عام وفق منهجية كل صحيفة⁽³⁾.

ويقيناً، فإن انغلاق الداخل، والتخلف المريع ليس وراء صدور صحافة المهجر، وإنما هو بالأساس وراء الهجرة ذاتها، وبالنسبة لإصدار صحيفة

(2) الصحافة اليمنية: نشأتها وتطورها، د. محمد عبد الملك المتوكل، مطابع الطوجي التجارية، 1983م، انظر: ص 17.

(3) النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر (مصدر سبق ذكره)، ص 28.

"السلام" التي أصدرها الشيخ عبدالله علي الحكيمي في كارديف ببريطانيا بعد انكسار حركة 1948م في صنعاء، فكان رداً على هزيمة الانقلاب، والتصدي للاعتقالات الكيفية، والإعدامات التعسفية والجائرة "للأحرار اليمنيين"، وللمعارضة السياسية عامة.

وتركز الدراسة على صحافة المهجر في جنوب شرق آسيا بالأساس، وتمر سريعاً على الهند، حيث لا يتجاوز الإصدار الصحفي فيها بضع صحف، وفي كارديف "السلام"، وفي مصر "صوت اليمن" في إصدارها الثاني في القاهرة في العام 1955م، ولن أشير إلى "الصدّاقة" التي أصدرها عبد الغني الرافي في مصر؛ لأنها ليست إصداراً يمينياً، وإن كانت قد تعاطفت مع القضايا اليمنية، شأن "الشورى" التي أصدرها محمد علي الطاهر، وعمل فيها محرراً الأستاذ أحمد محمد نعمان؛ لأنها ليست يمنية، كما هو الحال أيضاً لمجلة "الفتح" التي أصدرها محب الدين الخطيب. والحقيقة أن "الشورى"، و"الفتح" لم يُدرسا لعدم صحة النسبة إلى اليمن، بخلاف "الصدّاقة" التي كان الشهيد محمد صالح المسمرى، ويحيى أحمد زبارة محررين فيها.

وقد شهدت القاهرة صدور مجلة "اليمن الجديد" التي أصدرها السفير عبد الرحيم عبد الله بعد ثورة الـ 26 من سبتمبر 62، ومجلة الطلاب اليمنيين في القاهرة "يمن" في ثمانينيات القرن الماضي، ومجلة فصلية في لندن بعنوان "الرواد".

النشأة والخلفية:

كانت القارة تستيقظ للتحرر ونيل الاستقلال؛ فتركيا الخلافة الإسلامية-الرجل المريض- في غرفة الإنعاش، وروسيا تشهد مراحل انهيار الإمبراطورية القيصرية، ويتوثب الحزب الشيوعي للاستيلاء على السلطة عبر

المظاهرات والاحتجاجات، وصولاً إلى الانتفاضة المسلحة في أكتوبر 1918م. وفي تركيا كانت قضية المشروطة تنبؤاً صدارة المطالب على كثرتها، وكان الخلاص من النظام الإقطاعي القروسي هدفاً مشتركاً للشعوب الواقعة تحت النير الإقطاعي العثماني؛ فكانت ثورة أتاتورك تدق أبواب القسطنطينية، وكانت إيران تشهد مظاهرات واحتجاجات المشروطة 1905م، وقد طوحت بمجلس نواب بلاد فارس في عهد السلالة القاجارية، وكانت الصين تواجه "حرب الأفيون" المفروضة عليها منذُ منتصف القرن التاسع عشر من قبل المستعمرين الفرنسي والبريطاني. وكانت الهند، وإندونيسيا، وماليزيا، وسنغافورة تزرح تحت نير الاستعمار البريطاني والهولندي. وكانت الثورات الإيرانية 1906، والتركية 1911، والروسية 1905 تدق الأبواب؛ وهي خلفية وتاريخ نشأة الصحافة الحضرية في المهجر.

وللأمة العربية حضور في الصحافة الحضرية المهاجرة؛ فقد كانت الأمة مجزأة، وتزرح تحت النير التركي، وكان المطلب الأساس الخلاص من الوجود التركي، وحق تقرير المصير، في حين كانت دول الحلفاء تُعدُّ تركيا "الرجل المريض"، وترى مناطق وجوده غنيمة استعمارية؛ لذا تحالف الحلفاء تكتيكياً مع الحركات المناوئة للأتراك؛ لتحقيق أهدافها الاستعمارية، في حين كان همُّ الأمراء العرب تكوين إماراتهم، مستعينين بالمستعمرين البريطانيين والفرنسيين.

وكانت دعوات الاستقلال، ودعوات التجديد والإحياء الديني والفكري، والخلافات بين مختلف الاتجاهات والتيارات حاضرة بقوة في صحافة المهاجر الحضرية، وقبل ذلك وبعده، فإن حضرموت الوطن هو الحاضر الأكبر.

وحقاً لا تغيب عن الصحافة قضايا الأمة العربية؛ قضايا الإسلام والمسلمين، وقضايا عصرهم، وخاصة مشاكل مهاجرهم سلباً وإيجاباً، ومشاكل الجزيرة العربية، والكيانين الناشئين في اليمن ونجد والحجاز خصوصاً. ينقسم المبحث إلى قسمين الأول: صحيفة "السلام" - صحيفة المهاجر اليمني التأثير والتأثر كأنموذج، وهو المقدم للفريق، والثاني: الصحافة الحضرية المهاجرة؛ وهو الجزء الثاني المؤجل والمشتغل عليه.

المطالب الديمقراطية وافتتاحية السلام:

تمثل المطالب الديمقراطية جوهر خطاب صحيفة "السلام"، وتعد "السلام" أول صحيفة عربية تصدر في بريطانيا بعد "المستمع العربي" التي أصدرتها "هيئة الإذاعة البريطانية" (ال بي بي سي) في لندن عام 1940؛ فقد صدرت "السلام" في 6 ديسمبر 1948؛ أي بعد ثمانية أشهر من فشل ثورة 48 الدستورية، وأقل من سبعة أشهر على نكبة 48، وبعد ثلاثة أعوام من نهايات الحرب الكونية في اليمن، وقبل أربعة أيام من صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وكان الشهيد المجاهد الكبير عبد الله علي الحكيمي- رئيس تحرير "السلام"- من كبار الدعاة الإسلاميين والمفكرين المنورين؛ فقد تبنى دعوة السلام، وحوار الأديان، ورفض العنف والعصبية الدينية والطوائفية والعرقية والشوفينية؛ فقد دعا إلى الإصلاح والتجديد ورفض المذهبية والسلالية، وطالب بإصلاحات تؤدي لنظام ديمقراطي برلماني، وبناء دولة حديثة وديمقراطية، كما دفع- ومُنذُ الثلاثينيات- إلى تحديث التعليم، وساعد الطلاب في الالتحاق بالجامعات وبخاصة الأزهر.

كان الحكيمي متعدد المواهب والقدرات، فقد عمل مترجماً وموجهاً في "جيش الجنوب العربي"، وكان ضابطاً في الكتبية البريطانية "الفرقة اليمنية الأولى"، وأسهم بنصيب كبير في بناء "حزب الأحرار"، وصحيفة "صوت اليمن"، ووضع ثروته تحت تصرف "الأحرار"، ورفض أن يتولى رئاسة حزب الأحرار؛ لأنه نذر نفسه لدعوة عالمية إسلامية؛ فقد عمل بحاراً، وارتبط بالطريقة الشاذلية الصوفية، وأصبح رئيساً لها في أوروبا.

أصدر الحكيمي صحيفة "السلام" في كارديف، وقد اهتمت الصحيفة، ومُنذُ الأعداد الأولى، بالدعوة للحرية والحوار والدفاع عن ضحايا 1948، وفلسطين، والجامعة اليمنية، واستقلال البلاد العربية، ومد كفاحه إلى الصومال، والباكستان، والمهاجر اليمنية، كما تبني دعوة حوار الأديان، والدفاع عن الصوفية، والتحذير من الخطر الإسرائيلي القادم، ونقد تشنت وفساد الحياة السياسية العربية والإسلامية، واهتم أيضاً اهتمام بالتعليم، سواء في اليمن والبلاد العربية أو المهاجر العربية والإسلامية.

كان الشيخ الحكيمي داعية الديمقراطية والحرية في اليمن بشطريها، وفي الوطن العربي من خلال صحيفة السلام المنبر الديمقراطي الذي دعا إلى الحداثة والإصلاح الديني، والتجديد السياسي، والاحتكام إلى صناديق الاقتراع، وهي المطالب المطروحة على المواطن العربي حتى اليوم.

والكتابة عن هذا الواحد المتعدد سباحة في بحر شديد الغزارة والامتداد والعمق، وسوف أقتصر في هذه التناولة على المطالب الديمقراطية والإصلاح من خلال نماذج من افتتاحيات صحيفة "السلام"، والاسم نفسه - السلام - يحمل دلالة جد مهمة، خصوصاً لدى داعية إسلامي وصوفي يدرك عمق وقداسة السلام الذي هو اسم من أسماء الله الحسنى، كما أنه المعنى الحقيقي والعميق

للإسلام دين الرحمة والسلام، وقد اختار الاسم في مواجهة نقيضه مع طبيعة ممارسات النظام الإمامي الذي نكل بالأحرار، وقتل الخارجين على أبيه. لقد كان الحكيمي المتعدد المواهب والمتنوع القدرات والطاقات من أوائل كتّاب "صوت اليمن" التي ساهم، إلى جانب الزبيرى والنعمان، في إصدارها في عدن عام 1946م، وكان يكتب فيها باسمه الصريح، عكس العديد من زملائه الأحرار.

وقد كرس الحكيمي افتتاحية "السلام"، ومقالاته جلها للحديث عن الأوضاع اليمنية، والتخلف المريع في المتوكلية، والقمع الشديد للأحرار، كما أنها أيضاً قد وظفت في مناقشة هزيمة العرب النكراء في 48، وشدد النكير على الجامعة العربية بعد أن أحسن الظن بها في البداية، وكرس أجزاء مهمة للأوضاع العربية والبلدان الإسلامية. ولكن النصيب الأوفر من هذه الافتتاحيات والخطاب الناري كان مكرساً للدفاع عن شهداء ومعتقلي انقلاب 48 - الثورة الدستورية في صنعاء.

ويعنون افتتاحية العدد الأول (براعة استهلال السلام) باسم الله السلام نستهل صحيفتنا السلام، وفتحتها مستعيزين بحولك وقوتك وقدرتك على أن تجعلنا من أهل السلام، ودعاة السلام، ومحبي السلام. ويتوجه بالعدد الأول إلى إخوانه العرب والمسلمين، ويعد فيها بنجدتهم، وخدمة الحق والعدالة والفضيلة والإنسانية.

وفي العدد المنوه به يتحدث الشيخ عن رسالة السلام فيحددها بـ:

1- الدعوة للرجوع إلى مبادئ الإسلام القويمة التي جعلت العرب أمة واحدة وحضارة ومنار الإنسانية، وملجأ نلوذ به من الطغيان.

- 2- الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي في كل مناحيه، ويؤكد على التقارب بين الطبقات، وإزالة الفوارق العائقة أمام التعاطف والتعاون.
 - 3- الدعوة إلى نشر الثقافة حتى لا ينالها غني لغناه، ويحرمها فقير لفقره، ويدعو إلى الثقافة العامة بأوسع معاني الكلمة، ويعدّ الثقافة وسيلة وسلاحاً لنيل السيادة والتفوق والسعادة.
 - 4- الدعوة إلى دعم الجامعة العربية، وتعميق التواصل بها لشعوب الأمة. ويرى أن خلق كتلة عربية في مواجهة الكتلتين: الشرقية، والغربية إحدى الضمانات.
 - 5- أن تقوم سياساتنا الداخلية على أسس من الديمقراطية الصحيحة، وأن تكون سياساتنا سياسة مبادئ لا مصالح، للفقير فيها مثل الغني من حقوق ومنافع، وعلى الغني فيها مثل ما على الفقير من واجبات والتزامات.
 - 6- الدعوة إلى عرض أدبنا العربي في وضعه الصحيح. لقد كان أدبنا العربي في عصوره الأولى تشع منه نسائم الحرية والشهامة والمروءة والفن الأصيل، ويدعو إلى أدب عصري، ونتاج يرقى إلى الحرية ويدعو إلى القوة⁽⁴⁾.
- والحقيقة أن افتتاحية "السلام" ورسالتها صالحة اليوم كافتتاحية لأي مجلة راقية من مجلاتنا الحديثة جداً، أو صحفنا السيارة أياً يكن توجهها أو لون تفكيرها؛ فرسالة السلام لاتزال مطلباً بعيد المنال ودونه خרט القتاد من وجهة نظر حكامنا، ووعداً قابلاً للتحقق والإنجاز من وجهة نظر المدافعين عن الحرية والعدل.

(4) صحيفة السلام، عدد (1)، 6 ديسمبر، 1948، ص3.

ويقيناً، فإن الرسالة قد حددت وبوضوح رسالة "السلام" وصاحبها المجاهد عبد الله علي الحكيمي؛ فالدعوة إلى مبادئ الدين الحنيف بدلالاته الحضارية والقومية وعمقه الإنساني، ومناهضته للاستبداد والطغيان مطلب إنساني عام، كما أن نشر الثقافة وتسويدها هو الآخر غاية إنسانية نبيلة، وهدف عظيم، وقوة إبداعية لا تقهر، والأمم والشعوب التي أشاعت الثقافة هي الآن التي تنتسب العصر، ومنها الأوروبيون، والأمريكان، واليابان، والصين، وبعضها أمم وشعوب بدأت نهضتها قبل الحربين الكونيتين، وحتى متأخرة عنها كالصين واليابان، والعديد من الدول الآسيوية ومنها ماليزيا، ولقد أصبحت المعرفة- كما قال بيكون- قوة، وتحولت إلى قوة منتجة للخيرات المادية، وأساساً جديداً للثروة والتسيّد؛ فازدهار الاقتصاد، وغزو الفضاء، وامتلاك ناصية التحولات الكبرى في العصر رهن بالدراسات والأبحاث والاكتشافات العلمية، وحتى الثورة الثالثة – ثورة الاتصالات- مرتبطة بالمعرفة والعلم، أو بالأحرى ثمرة من ثمارها.

ودعوته لقيام كتلة عربية، وإن ضاعت في حمى خلافت داحس والغبراء العربية، إلا أنها لاتزال أفقاً مستقبلياً واعداءً، وهي مطلب من أهم مطالب الشعوب العربية المغلوبة على أمرها.

ويكشف البند الرابع عن عبقرية الحكيمي في بناء السياسة الداخلية على أسس ديمقراطية صحيحة، وكان الحكيمي- بفضل معرفته بالتجربة الليبرالية الأوروبية- يدرك مدى حيوية وأهمية الديمقراطية. والواقع أن جل مأسينا من إدارة الظهر للديمقراطية، وتغييب الحرية، والاحتكام لتأييد شرعية الثورات المقيت، أو إلى غلبة غاشمة لا تبقي ولا تذر؛ فما دعا إليه الحكيمي في العدد

الأول من "السلام" عام 48 كان مطلباً رئيساً للأحرار، ولا يزال مطلباً رئيساً للحركة السياسية في الوطن العربي من الماء إلى الماء، وخصوصاً في اليمن. ولنتتبع "السلام" في رحلتها الصحفية الزاهية، ومدى الالتزام بالرسالة العظيمة التي قطعها الحكيمي على نفسه مُنذُ العدد الأول.

ففي افتتاحية العدد الرابع⁽⁵⁾ (رحلة إلى الماضي) يتحدث الحكيمي عن انغماس المسلمين في الترف والسرف، وضياع دولتهم بعد أن وصل إليها أناس عديمو الحنكة والخبرة، وأصبحت قائمة على القهر والغلبة، يحكمون بلا شورى ولا دستور ولا نظام يستحق أن يطلق عليه اسم نظام، اللهم إلا السلب والنهب والظلم واستبداد كل حاكم برأيه؛ ففقد العدل، وحل محله الفساد. ويشير إلى السجون، وتسيّد الجهل، وغياب التعليم؛ لأنه لا يمكن لحاكم جاهل أن يسمح بتعلم شعبه؛ وهل يمكن أن يكون المملوك أفضل من سيده؟!

ويدعو للعودة لمبادئ الدين الصحيح، وإلى التجمع والتكتل، وإلى الشمم والإباء والتضحية ووحدة القيادة، وإلى الشورى والدستور، ثم يستدرك الحكيمي: "لا تظنّ أيّ أحارب الجديد- احتراساً من دعوته للعودة للماضي-، أو أنني جامد وأحب الجامدين.. أنا لست ذلك أبداً، ولست أدعو إلى الماضي المعقد؛ إنني أدعو إلى الماضي الذي جدد لنا المجد والفخر والعظمة؛ ذلك الماضي المطلق عن جميع الحواجز والقيود التي نرسف بها، ثم إنني أحارب العجزة والعاجزين، وأنا من الجديد وإلى الجديد". يضيف: "ولكن بشرط أن نأخذ سلاح الماضي؛ فهو أنفذ وأمضى"⁽⁶⁾.

(5) المصدر السابق، عدد (4)، ص1.

(6) المصدر السابق، عدد (4)، ص1.

واضح أن الأستاذ والمفكر لا يقف عند تخوم النصوص، وإنما يأخذ الروح والعظة والاعتبار والفهم العميق للحدث بأبعاده ودلالاته المختلفة، ويستعيد وجهه وعمقه وأثره؛ فالحكيمة هنا لا يناقش قضية عودة الماضي بمعنى القراءة الحرفية أو التمسك الأعمى، وإنما يعني استلهاً عظماً هذا الماضي، والإفادة من تجربته الفذة وشديدة التنوع والغني.

ويكرس افتتاحية (العدد الخامس) لذكرى مولد الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- بعنوان (محمد سيد العالمين)، والإضافة نفسها تحمل الدلالة، والافتتاحية التي تغطي صفحة كاملة وبقية من صفحة (4) مكرسة كلها لمعنى العدل في حياة النبي الكريم، فهو يذكر قصة خروج النبي- صلى الله عليه وسلم- في مرض موته، ووقوفه على المنبر منادياً أصحابه: من كنت جلدت له ظهراً، فهذا ظهري، ومن كنت شتمت له عرضاً، فهذا عرضي، ومن أخذت له مالاً، فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يخشى الشحناء، فليس من شأنني. ويعلق: كان الغرض المراد والحكمة المقصودة في ذلك أن يرسم لأصحابه وأتباعه خطة نظام ودستوراً عاماً؛ فيزودهم به في آخر حياته، ويكون لهم بمثابة الختم على آخر الكتاب، أو اللبنة في آخر صف، ويأتي على ذكر العدل في الآيات القرآنية، ومكانة العدل في حياة الناس، ليخلص إلى القول: إذن، من الذي يسير على هذه العدالة، ومن ذا الذي يعمل بهذا النظام، ومن ذا الذي يخضع لهذا الدستور الذي خضع له سيد العادلين؟(7).

(7) المصدر السابق، عدد (5)، ص4.

أما افتتاحية (العدد السادس) فمكرسة لذكرى المولد النبوي، ولعل ما يلفت النظر أنه يؤرخ لـ 12 من ربيع الأول بالعشرين من أغسطس 570م وهو تتبع دقيق⁽⁸⁾.

في (العدد الثامن) تتناول الافتتاحية (أوبكر والعدالة)، ويأتي على ذكر خطبة أبي بكر ومقولته: أطيعوني ما أطعت الله فيكم. ودعوته للناس لتقويمه⁽⁹⁾. وإشكالية الاحتفاء بالعدل والمساواة إشكالية كل زعماء النهضة الإسلاميين، كالأفغاني، ومحمد عبده، ورضا، وابن باديس، وابن عاشور، والفاسي وغيرهم، ولعل اهتمام الكواكبي بالاستبداد وخير الدين التونسي بالإصلاح الشامل قد فتح عيونهم أيضاً على القيمة العظيمة للحرية؛ فالحرية موجودة أيضاً في كتابات صاحب (السلام)، ولكن يظل الاحتفاء بالعدل له الأولوية في الدعوة والتفكير.

ويمتاز الحكيمي أنه قد عاش التجربة الليبرالية الأوروبية، ومكنته معرفته بالإنجليزية والفرنسية، وانغماسه في العمل الدعوي والصحفي، والكفاح العملي من الاحتفاء بالحرية والديمقراطية.

وفي هذا السياق يعنون افتتاحية العدد التاسع "الإمام العادل"⁽¹⁰⁾، ويضمّن المقالة بطلب عمر بن عبد العزيز للحسن البصري أن يصف له الإمام العادل، مما يعزز الإشكالية المشتركة بين الإصلاحيين الإسلاميين في عصر النهضة. ولعل من عرف طبيعة الحكم المتوكلي يجد العذر لصاحب "السلام".

ويكرس افتتاحية العدد (الرابع عشر) عن "الباكستان والجامعة الإسلامية"، مشيداً ومبتهجاً بقيام هذه الدولة الإسلامية بعد أشهر من قيامها، كما يشيد

(8) المصدر السابق، عدد (5)، ص 1.

(9) المصدر السابق، عدد (8)، ص 1.

(10) المصدر السابق، عدد (9)، ص 1.

بزعيمها محمد علي جناح، مثنياً على الشيخين الأفغاني ومحمد عبده ونضالهما وجدهما في نصره المبادئ والحق⁽¹¹⁾.

وأما الأعداد: (17)، و(18)، و(20)، فيتناول فيها الفاروق في عدالته، ويأتي على ذكر محاسن الخليفة الثاني ومواقفه العادلة، مسقطاً ذلك على أحوال المسلمين في منتصف القرن الماضي، والأهم التأكيد على طواعية البيعة، وعدم إرغام الناس عليها⁽¹²⁾.

وفي العدد (28) يتحدث عن الشباب الذين تتمناهم الأمة في حالة نهضتها. والافتتاحية هنا حماسية وتعبوية تحمس الشباب على الفضيلة والصبر وتحمل المكاره في سبيل نهضة الأمة ورفيها، ويقدم العظة والعبر والدروس بالزعماء والعظماء الذين وهبوا حياتهم دفاعاً عن أوطانهم⁽¹³⁾.

ونقرأ في العدد (29) من عظات التاريخ، فيأتي فيها على وصية علي بن أبي طالب لولديه الحسن والحسين عندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم فشق رأسه: النفس بالنفس. إن هلكت؛ فاقتلوه كما قتلتني، وإن بقيت، رأيت فيه رأيي. يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون في دماء المسلمين تقولون: قد قتل أمير المؤمنين. ألا لا يقتلن إلا قاتلي. انظر يا حسن، إن أنا مت من ضربتي هذه؛ فاضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل؛ فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور⁽¹⁴⁾.

واضح أن الشيخ يتحدث بصورة غير مباشرة عن مقتل الإمام يحيى، والكلام – الوصية – موجهة للإمام الجديد أحمد وإخوانه من الأمراء. صحيح أنه في

(11) المصدر السابق، عدد (14)، ص 1.

(12) المصدر السابق، الأعداد (17)، و(18)، و(19)، ص 1.

(13) المصدر السابق، العدد (28)، ص 1.

(14) المصدر السابق، العدد (29)، ص 1.

هذا الموضوع لم يشر مباشرة لذلك، ولكن الرسالة واضحة وجلية؛ فهو يتخوف على رفاقه الأحرار من سيف الجلاد، ويحذر ويعظ دون أن يشير إلى الأسماء. وفي حين يؤكد على القانون السماوي (النفس بالنفس) بدون عصبية ولا تمييز ولا ألقاب، يعمد إلى مقارنة غامزة بين نور الشمس وسواها.

وقد عاد الحكيمي للكتابة أكثر من مرة عن عظات التاريخ؛ لأنه على صلة مباشرة بمقتل الإمام، والمقارنة بين مقتل سيدنا علي والإمام يحيى، وما أعقب كلاً منهما دفاعاً عن شهداء ومعتقلي 48. ويبدو أن الحكيمي رأى أن الموضوع بحاجة لاستكمال؛ فأعاد في العدد (32) الافتتاحية بنفس العنوان "عظات التاريخ"؛ فذكر مقتل علي وابنيه بعد أن خلقوا مثلاً سامية، مشيراً إلى أن التاريخ قد يعيد نفسه، ولكن ليس من كل الوجوه، فسفاح بني العباس لا يمكن مقارنته بسفاح القرن العشرين؛ لأن ذلك ينقض كل ما ابتكر من بعد. يضيف: ترى- والأسى يملأ جوانحك، ودم الغيرة يغلي في عروقك إن كنت إنساناً- رؤوساً تتطاير ذات اليمين وذات الشمال، وأرواحاً بريئة تزهب، ولا نتيجة محاكمة عادلة يخرج بعدها المحكوم عليه إلى حبل المشنقة أو إلى المقصلة وهو مقتنع بخطئه لا يساوره الشك في عدالة الحكم، ولكن هوى نفس واحدة ودماغ واحد، هي نفس ودماغ دكتاتوري. إن مصلحته الشخصية لن تتم إلا إذا أزيلت من طريقه كل العراقيل التي يعتقد المانع الوحيد من مواصلة سيره في سبيل القضاء على شعب مسلوب الإرادة، وامتصاص دماء أمة لا حول لها ولا قوة؛ إذ يريد أن تنتفخ أوداجه، وتعلو كرشه، ويلمع تاج الدكتاتورية على رأسه، وتتحني لتقبيل أقدامه الآلاف من عباد الله؛ كل ذلك على حساب تلك الملايين

التي ضللتها الدعايات السخيفة، أو المعتقدات البالية... إلخ⁽¹⁵⁾. والكلام واضح الدلالة، ثم يأتي على أوصاف سجون الإمامة دون أن يسمي.

ومُنذُ العدد الـ (37) تتجه الصحيفة اتجاهاً نقدياً حازماً وصارماً، ولعل بداية "صوت اليمن" الناطقة بلسان "الجمعية اليمنية الكبرى" قد سحبت نفسها على "السلام" نفسها؛ فقد حل التصريح والنقد اللاذع محل التلميح، والمواجهة مكان الرجاء والالتماس والمناشدة، وقد بدأ التحول التدريجي مُنذُ العدد (35) بعد أن نشر يحيى أحمد زبارة في العدد (34) يشيد بالحكومة الجديدة للإمام أحمد، ويدعو إلى انتظار الخير العميم، والتريث والانتظار في الانتقاد. ففي العدد (37) يعنون الحكيمي افتتاحيته "لكل سؤال جواب"، ويتوجه بالسؤال مباشرة للإمام أحمد، وتكون الافتتاحية بمثابة الرد على مقالة السيد زبارة، وربما رداً أبعد من ذلك بكثير؛ فهو يرد على كل التصريحات، وما ينشر ويذاع، وسأل الإمام: لماذا يقتصر تشكيل الوزارة على سيوف الإسلام- لقب إخوان الإمام؟! ولماذا لا تشترك فيها الكفاءة من رجال الشعب؟ مشيراً إلى أن الشعب اليمني ليس سيوف الإسلام. ويسأل: لماذا لا يتم الضرب على يد معاول الهدم؟ ملمحاً إلى خلافات الإمام مع إخوته، وأن الشعب خارج اللعبة كلها، ويصف حال الشعب المشرد في أصقاع الأرض، ويمضي في تساؤلاته النارية عن الجهل والفقر والمرض والظلم المنكل بالبلاد والعباد: أين المصانع؟ أين المزارع؟ أين المعارف؟ أين البنوك التجارية الأهلية الحرة؟ أين سفراؤكم؟ أين قنصليتكم؟

ويأتي بأسلوب الصحفي السهل الممتنع على ذكر محنة المغتربين اليمنيين في أرصفة شوارع المدن الكبرى مهانون ومحتقرون، جوازاتهم مزيفة، وأسماؤهم مستعارة، مؤكداً أن الحكومة قائمة على أشلاء هؤلاء الفقراء، وينتقد

(15) المصدر السابق، العدد (32)، ص1.

أخذ الضرائب والإتاوات والجزية على المغتربين، وينقد تزييف المنافقين الذين يصورون للإمام غير الحقيقة، ويأتي، وربما لأول مرة، في الافتتاحية تصريحاً لا تلميحاً على ذكر المعتقلين، ومن أعدمهم الطغيان، واصفاً إياهم بأنهم شهداء عند ربهم يرزقون، وأنهم بريئون.

والواقع أن نقد الصحيفة لاذع وقوي وحكيم في الوقت نفسه؛ فهو يشير إلى أن الشعب اليمني يعيش فوق بركان، ويدعو إلى حرية القول والرأي المطالب به اليوم وغداً وبعد غد⁽¹⁶⁾.

أين الصحافة الحرة؟ أين المدرسون؟ أين الخطباء والوعاظ الأحرار؟ ناصحاً الإمام أن يقتدي بالحكومات العربية والإسلامية. ويضيف: ولا نكلفكم أن تكونوا كأمرिका أو بريطانيا وغيرهما. مختتماً: إننا لا نطلب من جلالكم إلا العدل والإصلاح، ولكم منا السمع والطاعة، والله بيننا وبينكم. مذنباً الافتتاحية باسم اليمن⁽¹⁷⁾، عكس ما يعمل في الكثير من التوقيع بأسماء مستعارة أو غير مذنبة.

وهذه الافتتاحية، كما أسلفت، تمثل تحولاً في خط الجريدة وخطاب الحكيمي، وتأتي بعد مضي أكثر من عام على فشل ثورة 48؛ ولعل الأمر مرتبط بالمحاكمات والإعدامات وتزايد البطش والتشدد في الدولة المتوكلية.

والواقع أن مطالب "السلام" كمطالب الأحرار لا يزال جانب كبير منها مطروحاً على جدول كفاح الحركة الديمقراطية اليمنية، والملاحظ أيضاً في سياق التحول النوعي في خطاب (السلام) بداية نشر مبادئ حقوق الإنسان، والتعليق عليها في العدد (38)⁽¹⁸⁾.

(16) المصدر السابق، العدد (37)، ص1.

(17) المصدر السابق، العدد (37)، ص1.

(18) المصدر السابق، العدد (38)، ص1.

وفي العدد (39) عنون مقاله الافتتاحي بـ"رفقاً بشبابكم يا علماء الدين"، والمقال دعوة للتحرر العقلي والديني، ونقد حاد للخرافات والجمود والتكفير والتنفير، ودعوة لتجديد الشباب وانفتاحهم على علوم العصر والحياة والتطور⁽¹⁹⁾.

وافتتاحية العدد (41) تحية للعديد، وهي أقرب للإنشاء الأدبي والروحي منها للمقالة السياسية، ولكنه كعادته لا ينسى الظلم، وأعواد المشانق، والإعدامات بدون إدانة أو محاكمات، في إشارة جلية للحال اليمني⁽²⁰⁾.

أما افتتاحية العدد (45) فعن مصر والجامعة العربية. وهذه هي المرة الأولى التي يكرس فيها الحكيمي الافتتاحية عن مصر والجامعة العربية، والافتتاحية تجمع بين الخبر والتعليق عليه، وتحليل الوضع العام في المنطقة العربية، فقد اقترحت مصر عقد معاهدة الأمن بين دول الجامعة العربية، وجرت مناقشات للاقتراح في مصر والصحافة المصرية، ولبنان، والسعودية، وبعض البلاد العربية؛ ساخراً من اليمن التي أبدت الاقتراح، ووافقت عليه مقدماً، هكذا يقول مراسل التاييمز. واللافت أن المقترح المصري قد وضع كمعارضة لمقترح موازٍ هو سوريا الكبرى والهلال الخصيب، ويشير صاحب "السلام" إلى أن التوحيد الأمني ضروري لحماية البلدان العربية، ويرى الانقسامات سواء داخل مصر حول المقترح أو الدول الأخرى، وتعلق "السلام" على الاهتمام البريطاني مشككة في النوايا الأوروبية الهادفة إلى تمزيق شمل العرب، والحرص على فصل مصر عن الجسد العربي؛ ليتمكن الصهاينة من مواجهة الدول العربية المفككة بعد فصل الزعيمة مصر عنها⁽²¹⁾.

(19) المصدر السابق، العدد (39)، ص1.

(20) المصدر السابق، العدد (41)، ص1.

(21) المصدر السابق، العدد (45)، ص1.

ويضيف صاحب "السلام" - لا فض فوه -: فليحذر المصريون الطابور الخامس في بلادهم؛ فما أحوج البلاد العربية إلى الاتعاظ والاعتبار بحركات الاتحاد الاقتصادي والسياسي والعسكري والمالي الذي تقوم بها دول أوروبا الغربية، أو دول شمال الأطنطي ودول أوروبا الشرقية، وما أحوجنا إلى وحدة قوية، وتعاون وثيق بين دول المصالح والمنافع المشتركة.

وعبقرية صاحب (السلام) آتية من إدراكه لطبيعة الصراع الدولي، والخطر الصهيوني، والطابور الخامس الداخلي، ومعرفته باتجاهات رياح العصر، وأهمية الاقتصاد والمصالح المشتركة، وقد أكدت الأيام صدق رؤية الحكيمي وعمق تفكيره(22).

أما افتتاحية العدد (48) فمكرسة للاحتفاء بمرور عام على إصدار الجريدة، والعنوان "السلام تدخل عامها الثاني"، فيؤكد على رسالة السلام المجاهدة في إعلاء كلمة الحق، ونصرة المظلومين، مشيراً إلى أن السلام لن تكون للإعارة أو الإيجار، ويؤكد أنها لن تنهزم أو تتأثر بدعاية الهزيمة أو الرعايد الرجعيين، وتخلص (السلام) إلى أن دعوتها للسلام والأمان، وأنها لا تعلن حرباً على أحد، وليست عدوة لأحد، وليس لها عدو إلا الباطل وحده، وليس لها خصم إلا الظلم، وأنها تملك صرخة الحق، وصوت المظلومين، وهو أقوى من قوة السلاح، وأمضى من أحدث المعدات إلى قلوب المستبدين(23).

ويكرس افتتاحية العدد (49) برسالة موجهة للأمة البريطانية حكومة وشعباً، فيشكر البريطانيين باسم الجالية الإسلامية على الحفاوة والعطف، وسماحهم بإصدار "السلام" الحرة المستقلة، مشيراً إلى أن هذه الجالية قد غادرت

(22) المصدر السابق، العدد (45)، ص1.

(23) المصدر السابق، العدد (48)، ص1.

الأوطان راغمةً بسبب الظلم والقهر، وأنها لو كانت في مواطنها لما تأتى لها أن تصدر صحيفة أسبوعية، أو شهرية، أو سنوية، أو حتى في العمر مرة، ولا شك أن المعنيَّ أكثر من غيره هو اليمن⁽²⁴⁾.

ويكاد العدد (الخمسون) أن يكون أنموذجاً فريداً؛ فهو رسالة مفتوحة للإمام، ولكن ميزتها أنها تكشف اتصالات الحكيمي ومطالبته للإمام، وطرح قضايا الأحرار والشعب اليمني؛ وهو ما يفسر التلميح، وعدم النقد الصريح والمباشر في الأعداد الأولى، وجليّ أيضاً أن صاحب "السلام" كان داعية سلام حقيقياً، وذا رؤية ديمقراطية نفتقر إلى مثل صدقيتها في حياتنا العامة اليوم؛ ففي الافتتاحية يذكّر الإمام بعدة مذكرات رفعها قبل إصدار "السلام"، وحدد المطالب في: إطلاق سراح المسجونين، وتخفيف الضرائب التي شردت اليمنيين في كل قطر، والإعفاء للرعية من البقايا، وهي زكاة تقديرية تفرض على الرعية في سنوات الجذب، وتظل سيفاً مصلناً على رؤوسهم كل عام، ورفع الخطاى والتنافيذ، وتتجلى في إرسال الجنود إلى قرى الفلاحين واستباحتها والإقامة فيها، وإجراء إصلاحات في الأوضاع الاقتصادية والحياة المعيشية، وتعميم التعليم الحديث، وإرسال البعثات إلى الخارج، وتحسين حياة الجيش وتحديثه، وإطلاق الحريات العامة، وتنظيم الإدارة والجمارك، وإقامة برلمان شعبي لا يدخله الأمراء، ولا يشتغلون بالتجارة، وطالب بحكومة دستورية وملكية دستورية ديمقراطية. والكثير من هذه المطالب لا تخرج عن مطالب الأحرار، لكنها في "السلام" تتخذ صيغة أكثر وضوحاً وارتباطاً

(24) المصدر السابق، العدد (49)، ص1.

بالاتجاهات الليبرالية حينها، والكثير منها لايزال مطلباً ملحاً في حياتنا السياسية⁽²⁵⁾.

ويشع على الإمامة احتكامها للعنف، ودفع أنصارها لاستخدام السلاح الذي يصفه بالصدئ والمفلول بعد عجزهم عن استخدام السلاح النظيف، ودرء الحجة بالحجة⁽²⁶⁾.

وفي العدد (الثاني والخمسين) يتحدث عن عيد الميلاد، فيثني على مظاهر الزينة والاحتفال في بريطانيا الخارجة من ركام الحرب الكونية الثانية، ثم ينتقد الجنوح الغربي لصناعة القنبلة النووية من اتباع رسول السلام، كما ينتقد بشدة تسليم أرض المسيح لأعدائه الذين صلبوه كإيمان أتباعه، ويختتم المقال بالدعوة للمقارنة بين عيد الميلاد في بريطانيا، ومولد الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- في اليمن، وإلى مقارنة بين خطاب جورج السادس، وخطاب الإمام في المناسبتين، وما عسى الإمام أحمد أن يقول! ⁽²⁷⁾.

وفي العدد (الثالث والخمسين) يتحدث الحكيمي عن المولد النبوي، وينتقد الانحرافات لدى أتباع الديانتين المسيحية والإسلامية؛ فيعيب على المسيحيين الميل للقوة، واستعباد العالم وغزوه؛ مفنداً ذلك بمقولات المسيح ودعوته للتسامح والصفح والرحمة، كما ينتقد المسلمين في جنوح حكامهم نحو الطغيان والاستبداد، وتغييب جوهر الإسلام في العدالة والمساواة والحقوق، وهي رؤية بالغة النفاذ والحكمة⁽²⁸⁾.

(25) المصدر السابق، العدد (50)، ص1.

(26) المصدر السابق، العدد (50)، ص1.

(27) المصدر السابق، العدد (52)، ص1.

(28) المصدر السابق، العدد (53)، ص1.

ويوجه رسالة إلى الشهداء في العدد (58)، مكتوبة بدم القلب، ونزف الوجدان: "يا شهداء الحرية والعدالة المقتولين ظلماً وعدواناً، تتقدم إليكم أمتكم اليمنية صغيروها وكبيرها الصامدة من أعماق القلب. ويسمي يوم 3 جمادى الأولى اليوم المشئوم الأسود، في حين يطلق عليه الحكام يوم النصر؛ يوم أعلنت فيه الحرب على سلطان الشعب؛ يوم الدكتاتورية والاستبداد، والقضاء على العدالة والحرية والقانون؛ يوم أعلن سفك الدماء وإزهاق الأرواح، مختتماً كلمته الأسية بأن اليوم إياه يستوحي عواطفنا، ويستفز ضمائرنا، ولا بد لنا أن نتخذة يوم تاريخ لنا أو علينا، وما الكرة الأولى إلا المران للكفاح، والحرب سجل؛ فليخذ التاريخ (29).

وفي الصفحة الثانية من العدد (59) يكتب مقالة ضافية عن إطلاق الأستاذ أحمد محمد نعمان، ويستدرك في افتتاحية العدد (60) ليكتب تحت عنوان "الانغلاق شيء والإصلاح شيء آخر"، الأستاذ يطلق والشعب يفرح (30).

أما العدد (61) فخطاب مفتوح إلى أمين الجامعة العربية وزعمائها، يشخص فيه الحكيمة حالة الأمة بعد احتلال فلسطين، والانقسامات الحادة بين هذه الحكومات، ثم يطرح قضية اليمن، مشيراً إلى خلافات الأسرة المالكة وأمرائها فيما بينهم، وخلافاتهم مع الشعب. والرسالة تؤكد وعي صاحب "السلام" بالأوضاع في الوطن، وحقيقة النظام الإمامي الهش والمتداعي في المتوكلية اليمنية (31).

كما يوجه رسالة إلى الرئيس ترومان- (رئيس الولايات المتحدة الأمريكية)، وينشرها في العديدين: (62)، و(63) بالإنجليزية والعربية. والرسالة احتجاج

(29) المصدر السابق، العدد (58)، ص1.

(30) المصدر السابق، العدد (60) ص1.

(31) المصدر السابق، العدد (61)، ص1.

وعتاب على اعتراف أمريكا بالمتوكلية اليمنية، ويصم المتوكلية بالإقطاعية والدكتاتورية، وأنها دولة قامت على اغتصاب السلطة، وسفك الدماء، وهدر الحقوق، ويذكره بأن بلاده تحتضن المنظمة الدولية المعنية بالعدالة، كما أنها دولة ديمقراطية، ويشير إلى خلافات الأمراء وتناحرهم، وإلى رفض الشعب لهم، وعدم قبوله بأي اتفاقيات أو عقود يوقعونها؛ لأنهم يفتقرون للصفة التمثيلية للشعب، ويحذر من وقوع اليمن في أحضان الشيوعية؛ فالحكيم يتكلم بخبرة أجواء ما بعد الحرب الكونية الثانية، وينطلق من معرفته بالدول وتوجهاتها الفكرية والسياسية⁽³²⁾.

وتكون افتتاحية العدد (65) أشبه بالصواعق والفضائف البعيدة المدى؛ وهي تدلل على تصاعد النقمة والغضب الجماهيري ضد الطغيان، ولهذا الخطاب الناري عمق فلسفي وبعد ديني، ويبدأ الخطاب كدأبه: (يا صاحب الجلالة، إن العقل البشري من أجل ما بدأته القدرة الربانية، وكونته العناية الإلهية، بما حبته من الاستعداد الذي لا حد له، والمواهب التي لا نهاية لها. إن أعظم جرم يرتكبه الإنسان في هذه الحياة هو الضغط على العقول، ومحمد عليه الصلاة والسلام إنما جاء محرراً للعقل من الاضطهاد والأوهام وعبادة الأصنام؛ فلا يغوث ويعوق، ولا ظالم ولا مستبد، وأمركم شورى بينكم⁽³³⁾).

لقد سولت لك نفسك فأطلقت لها العنان، وأعطيتها من السلطة ما لم يعطها أحد، ولو من الذين يدعون الألوهية. يشير إلى الآية (ما علمت لكم من إله غيري). الآية.

(32) المصدر السابق، العدد (62)، و(63)، ص1.

(33) المصدر السابق، عدد (65)، ص1.

ثم يسرد قسوة معاملته لليمنيين، وبطشه بالمزارعين، وتعذيب المغتربين كتعبير الحكيمي، والرسالة قطعة فنية راقية، وخطاب سياسي من نوع رفيع، ولغة خطاب غير مسبوق في أدبنا الصحفي والسياسي⁽³⁴⁾.

أما افتتاحية العدد (66) فكانت مكرسة لعودة سيف الإسلام عبد الله من فرنسا بعد غياب دام سنتين، قضاها منتقلاً بين مصر وأمريكا وإنجلترا وفرنسا في رحلته الثانية، أما الأولى فلمدة عام صرف خلالها ستين ألف جنيه، وأما الثانية فقد صرف فيها خمسة ملايين من الريالات "ماريا تريزا" خلال ستة أشهر، وقد أخذ مالية لواء الحديد، ويشير إلى أن المبلغ يساوي مالية اليمن لعامين، ويحدد ما صرفه خلال هذه الرحلة بعشرة ملايين وثمانية عشر ألف ريال. ويشير إلى أن عبد الله، وحسب بعض الإشارات، كان يتقاضى مبالغ من الفرنسيين لاستعادة عرش سوريا، وإن كان الحكيمي يستبعد ذلك، فالضحية الأكيدة عائدات اليمن. ويشير: ماذا لو صرفت هذه الأموال على المستشفيات أو المدارس والبعثات الطلابية للخارج؟ مؤكداً أن ما يأخذه أخوه في الداخل أكبر بكثير⁽³⁵⁾.

وتحت عنوان "إذا أراد الشعب أن ينتصر فعلى القدر أن يمتثل" في العدد الـ (67) يتحدث عن الحرية كحق طبيعي ولحياة الأجيال التي تلينا، ويتحدث عن (...) وفي العدد سقط كلام- عن أنواع من السقام لحقت بالجسد الاجتماعي؛ فاستعصى الدواء على قوم لم يغيروا ما بأنفسهم، ويدعو في المعالجة إلى عمل منظم وجريء، ويشدد على المشاركة الفعالة من الأطراف التي يعينها الأمر، ويرى أن الحرية ثمرة كفاح الناس بعمل منظم وجماعي⁽³⁶⁾.

(34) المصدر السابق، عدد (65)، ص1.

(35) المصدر السابق، عدد (66)، ص1.

(36) المصدر السابق، عدد (67)، ص1.

ولعل من أهم افتتاحيات "السلام" ومقالاتها وتحليلاتها الاهتمام الكبير بحقوق الإنسان، وهو ما تفتقر إليه صحافتنا اليوم؛ ففي العدد (78) يعنون الحكيمي بالمانشيت العريض "مذكرة إلى جلالة الإمام أحمد بحقوق الإنسان الطبيعية"، ويكرس الافتتاحية لهذه الغاية؛ فيعلن باسم الأمة كلها الابتهاج بصدور الإعلان العالمي، ومشاركة في قبوله، علماً بأن اليمن إحدى الدول العربية المستقلة التي شاركت في الصياغة، والأهم أن الشيخ يتقدم بهذه الوثيقة الخطيرة للإمام ثم يطلب إليه القيام ببعض الخطوات، وأهمها إجراء انتخابات شعبية، وقيام حكومة شعبية منتخبة. ويبدو أن الوطن العربي كله ما يزال ينتظر تنفيذ دعوة "السلام" (37).

والسلام شديدة الاحتفاء بمولد الرسول، وافتتاحياتها بهذه المناسبة غالباً ما تؤكد وتشدد على الدلالات والمعاني العظيمة للحرية والعدل والقيم العظيمة. وتتواصل رسائل الشيخ الجليل للإمام عبر افتتاحيات السلام؛ فبيعت إليه برسالة في العدد (83)، حاشداً الآيات والأحاديث التي تحضُّ على النصيحة، والتحذير من عواقب الظلم، وخيانة الأمانة، وعذاب الإمام الجائر، ويأبى الشيخ إلا أن يحاصر الطغيان بقوانين الأرض والسماء (38).

ويضمن العدد (85) خطابين مفتوحين، أحدهما: للإمام، والثاني: لأمين الجامعة العربية، وفي كلا الخطابين يقوم الحكيمي بعرض أحوال اليمنيين والمظالم التي يتعرضون لها، ويبدو أن قلم الشيخ، ومُنذُ نكبة 48 القومية والوطنية، قد أصبح المعبر الأمين عن شكاتها وحالها، كما أصبح السوط في ظهر الطغاة والحكام الرجعيين، على حد تعبيره (39).

(37) المصدر السابق، عدد (78)، ص1.

(38) المصدر السابق، عدد (83)، ص1.

(39) المصدر السابق، عدد (85)، ص1.

ويتوجه في العدد (86) بخطاب ناري وجديد للإمام⁽⁴⁰⁾. أما العدد (88) فيكرس الافتتاحية ومقالة بجوارها. والمقالة تعليقاً على صورة للإمام وبيده السيف في مواجهة الشيخ الذي يحمل المصحف، إضافة إلى كتاب في الحديث بعنوان "هذا كتاب الله، وهذا حديث رسوله يا جلالة الإمام أحمد"، أما المقالة "الإمام أحمد يحتمي ببريطانيا من "السلام" و"الفضول" وليس من القنبلة النووية"⁽⁴¹⁾.

أما افتتاحية العدد (89) فهي رسالة من عبد الله علي الحكيمي بالنيابة إلى الإمام أحمد ملك اليمن. يشير إلى أن الرسائل المرسلة للإمام هي أيضاً موجهة للناس، ويعرفها الجميع، ولكنه، وهذا هو الجديد، يشير إلى مذكرات إضافية له لا يعرفها إلا الله، وأنتم، فيا ترى أين هذه المذكرات، والشيخ الحكيمي لا يقول الكلام جزافاً⁽⁴²⁾.

ويكرس افتتاحية العدد (92) عن الجامعة العربية: ماذا فعلت لليمن؟ ومن المسؤول عن نكبة اليمن؟ وفيها نقد شديد المرارة والغضب من موقف الجامعة التي علق عليها الشيخ أمالاً عراضاً في البدء⁽⁴³⁾.

وعن الإسلام دين وعقيدة وعمل، يكتب الشيخ عن العلاقة الحميمة بين العقيدة والعمل في الإسلام ليكشف أن سر انتصار الإسلام عائد إلى ربطه بين العمل والعقيدة، كما يكتب عن الحكومة الإسلامية، مركزاً على القيم القائمة على الإنصاف والشورى والعدل والمساواة بين جميع البشر⁽⁴⁴⁾.

(40) المصدر السابق، عدد (86)، ص1

(41) المصدر السابق، عدد (88)، ص1.

(42) المصدر السابق، عدد (89)، ص1.

(43) المصدر السابق، عدد (92)، ص1.

(44) المصدر السابق، عدد (99)، ص1.

صحيفة السلام والوضع العربي: مصر أنموذجاً:

كانت الحربان الكونيتان: الأولى والثانية، بداية البدايات في مختلف مناحي الحياة، وخاصة في المشرق العربي؛ فالدولة القُطرية نفسها معطى من معطيات الحربين الكونيتين. وإذا كانت الصحافة في مصر تعود إلى مطلع القرن الثامن عشر؛ فإن اليمن قد شهدت - على استحياء - ولادة هذه الصحافة في نهاياته.

«اليمن» 1872م، و«صنعاء» 1877م، وهما منشوران دوريان يهتمان بالدرجة الأولى بأخبار الوجود التركي. واللافت أن «الكتيبة الأولى» التي صدرت في 1939م تضم كوكبة من طلاب الأزهر الشريف من الشمال والجنوب، وقد ولدت في القاهرة، وصدرت فيها أيضاً «اليمن الخضراء» في العام نفسه، وقد نشأ تعاطف في صحافة الإخوان المسلمين مع حركة الأحرار "حزب الأحرار" الذي تأسس في عدن عام 1944، ثم "الجمعية اليمنية الكبرى" عام 1946، التي أصدرت، أو صدر باسمها «صوت اليمن»، وكانت هناك في مصر صحف مستقلة تتعاطف مع اليمن ك«الصدائة»، و«اليقظة العربية» 1939م، وهما الصحيفتان اللتان أصدرهما عبد الغني الرفاعي، وقبل ذلك «الشباب»، وصحيفة «الشورى»، و«العلم» اللتان أصدرهما الفلسطيني محمد علي الطاهر في نفس الفترة.

وكانت الأربعينيات والخمسينيات ربيع الصحافة العدنية؛ فقد اعتمد البريطانيون قانون الإخطار لإصدار الصحف، وتشكيل الأحزاب؛ فصدرت عشرات الصحف، وتكونت عدة أحزاب.

صحيفة "السلام" .. وصف عام:

صدر العدد الأول من «السلام» في 6 ديسمبر 1948 في كارديف ببريطانيا، أي قبل بضعة أيام من صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وقد

احتفت الصحيفة أياً احتفاء بهذا الإعلان، ونشرته معلقة عليه، وعمل الحكيمي على إسقاط مواده على واقع المتوكلية اليمنية التي تصادر الحق في الحياة، واعتُبرت السلام من أوائل الصحف العربية التي تصدر في أوروبا- إن لم تكن الأولى- حسب الدكتور الفرد هوليدي.

وصدرت الصحيفة في ست صفحات قطع (46 × 29 سم)، ثم تطورت في الأعداد الأخيرة إلى 8 صفحات.

وتحتل المقالة الصحفية فيها مواضع الصدارة، ويبدو أن بُدع الصحيفة عن البلاد العربية بعامة واليمن بخاصة قد فرض هذه الأسلوب. والمتتبع لأعداد الصحيفة المهاجرة يلمس الاهتمام الكبير بالقضايا العربية الكبيرة، وخاصة نكبة فلسطين، والجامعة العربية، وأوضاع البلاد العربية، وخاصة اليمن ومصر.

وفي العدد الأول من الصحيفة تحت عنوان «حياتنا الثقافية» يرى الكاتب طاهر خميري عدم التناسب أو عدم التوازن، فهو يرى أن هناك العديد من الأطباء والمحامين والرياضيين والمهندسين والمتخصصين في مختلف فروع المعرفة الطبيعية قد بلغ بعضهم من الشهرة والتفوق ما خولهم حق الانتساب إلى الجمعيات العلمية في أوروبا وأمريكا⁽⁴⁵⁾. ولكن إذا نظرنا إلى علم اللاهوت والفلسفة والأدب، نجد أن الأمر يختلف عن ذلك كثيراً؛ فهو يرى أن في العالم العربي العشرات من المعاهد الدينية، كالأزهر في مصر، والزيتونة والقيروان بالمغرب، يعد أساتذتها بالآلاف، ولكنهم كلهم لم يُخرجوا مُنذُ عهد الشيخ محمد عبده سوى كتابين أو ثلاثة يمكن أن تعد ذات قيمة في موضوعها، ويضيف الحكيمي: لا أظن أن السبب جمود وركود في التفكير؛ فقد حضرت حلقات

(45) صحيفة السلام، عدد (1)، 5 صفر 1368هـ/6 ديسمبر 1948م، ص4.

الدروس في المعاهد المذكورة، ورأيت رجالاً يعدون من كبار اللاهوتيين حسب مقاييس العصر، ولكنهم فيما يظهر قد نسوا عادة الكتابة والتأليف. ويعيب على الفلاسفة العرب الوقوف عند تخوم الترجمة، وعدم الاجتهاد والتجديد، ويشدد النكير على الأدباء العرب، ويقارن بين الإنتاج الأدبي العربي والأوروبي، فيحيل إلى الفارق الكبير بين الأدب الأوروبي في تطوره وتجده وازدهاره، وتساؤل الإنتاج العربي؛ رافضاً الفكرة القائلة بالانقسام بين الفصحى والعامية، ويرى أن هذا التعليل- على براعته- غير صحيح وغير مقنع؛ لأن تلك العوامل لم تؤثر في إنتاج الغزالي، وابن خلدون، والجاحظ، والمعري.

ويربط حالة التخلف بالفصل بين الحياة العملية، والاتكال على الوحي والإلهام والعبقرية والنبوغ في الجانب الذي نعتبره غير عملي، مع أنه يمثل أخص مميزاتنا.

ويشترط الوصول إلى ما وصل إليه الغرب بالربط بين حياتنا العملية، واللاهوت والفلسفة والأدب، معتبراً الفصل المطلق بين الحياة العملية والفكرية قلة دين، وقلة عقل، وقلة أدب (هكذا)⁽⁴⁶⁾.

ويحدد في (العدد الأول) رسالة «السلام»:

1- الدعوة للرجوع إلى مبادئ الإسلام القومية؛ إلى المبادئ التي صهرت العرب وصفتهم، وخلقت منهم أمة واحدة وحضارة وتاريخاً، ثم سمت فجعلت منهم مناراً للإنسانية في عصورها المظلمة، وملجأً يلودون به من الطغيان.

(46) المصدر السابق، العدد (1)، ص4.

2- الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي في كل مناحيه؛ إلى الإصلاح الذي يعمل على التقارب بين الطبقات⁽⁴⁷⁾، وإن شئت فقل: إزالة الفوارق بين الطبقات. ولعل هذا المبدأ قاسم أعظم بين الثورتين: المصرية، واليمنية؛ فقد ورد هذا في أهدافهما الستة المتقاربة حد التناغم، بل أزعَم أن هذا المبدأ قد ورد عند البنا في رسائله، وتجلّى بصورة أوضح عند سيد قطب في «العدالة الاجتماعية»، ويبدو أنه في الأربعينيات والخمسينيات كان مطلباً: الاستقلال والعدل، يتقدمان المطالب الأخرى كلها، ولأولوية العدل في الفكر الإسلامي أهمية كبيرة.

ويبدو أن التسمية «السلام» لها رافد إسلامي صوفي يؤمن بالحوار والهداية بالتي هي أحسن، ورافد أهم هو إدراك مآسي الحربين الكونيتين، وآثارهما التدميرية الكونية، وبخاصة لعربي يعيش في أوروبا، ويدرك مآسي أمته العربية التي تقاسمها الأوروبيون بالسنتيمتر، كما يعيش همّ انكسار الثورة الدستورية في صنعاء التي وأدها الإمام أحمد، مؤزراً من مختلف الأنظمة العربية.

ويقدم الشيخ الحكيمي تحليلاً ضافياً لنتائج الحربين الكونيتين: الأولى، والثانية، وانقسام العالم إلى معسكرين، وينظر بثقة وتفاؤل كبيرين لـ 22 من مارس 45 حين اجتمعت بقصر الزعفران بالقاهرة سبع دول عربية لتوقيع ميثاق الجامعة العربية، ويصور الجامعة كوليّد يحبو⁽⁴⁸⁾.

ويحلل عميقاً أسباب وعوامل سقوط فلسطين؛ معتبراً أن الحرب جولة خسرها العرب، مذكراً بعضات التاريخ ودروسه حين استطاع القائد محمود

(47) المصدر السابق، العدد (1)، ص3.

(48) المصدر السابق، العدد (1)، ص2.

زنكي توحيد القطرين: العراق، وسوريا، ثم تلاه صلاح الدين الأيوبي، ليضم القطرين بمصر؛ فيتوحد العرب، وتكون نهاية الحرب الصليبية. ويدرس سعيد النجار في العدد (الثالث) المستقبل الاقتصادي لجامعة الدول العربية؛ فيرى أن غالبيتها زراعية، ويلحظ انخفاض مستوى المعيشة، كما أنها متخلفة اجتماعياً وثقافياً، ويرى أن تطورها متقارب يؤدي بها إلى نهايات متقاربة.

وتكون النبوءة العبقريّة بتوقع قيام ثورة يوليو 52؛ فهو يقول بالحرف: "أما مصر التي تترغم دول العرب، والتي تحتضن الجامعة العربية، فغنية بمواردها، ولكنها لا تُستغل على الوجه المرضي، وقد ظلت ترزح تحت عبء الاحتلال البريطاني ونيره قرابة سبعين عاماً، كانت فيها كالبقرة الحلوب تدر اللبن، ولكنه يشربها غير أبنائها، وتنتج، ولكن لكي ينتفع قوم دخلاء، واليوم، وقد بلغ الوعي القومي منتهاه، تجتاز مصر مرحلة انتقال خطيرة نرجو ألا يطول أمدها؛ حتى تقوم بدورها في خدمة العروبة خاصة والشرق عامة"⁽⁴⁹⁾.

والكلام المنصوص يعود إلى 23 ديسمبر 48، ويشيد بموقف دول الجامعة من استقلال سوريا ولبنان، ولكنه يرى أن الحق ضائع ما لم تسنده قوة، وهو ما نعاني منه حتى اليوم، وتتابع الصحيفة نقدها اللاذع للموقف العربي المتخاذل، وينتقد الدعوة للحرب، وإسكات القلم: تكلم يا سيف، اسكت يا قلم. وقد سكت القلم، وتكلم السيف؛ فماذا قال السيف؟ دولة اليهود قائمة، والهجرة مستمرة، وأراضي العرب محتلة، ومصر تحارب وحدها.. اللهم وفق العرب، وأرشدهم واجمع كلمتهم⁽⁵⁰⁾.

(49) المصدر السابق، العدد (1)، ص2.

(50) المصدر السابق، العدد (5)، ص2.

وفي قراءة لأهداف السياسة العربية يدرس الكاتب الفلسطيني منير شماء حالة العرب المزرية، وخيبة أملهم في الحرب إلى جانب الحلفاء، وخروجهم من الحرب بكارثة قومية: احتلال فلسطين، وضياع الاستقلال. وتدين «السلام» حادثة اغتيال النقراشي باشا على يد شاب من "الإخوان المسلمين"، وتعرب عن الأسف لوصول الحزبية في البلاد العربية حد سفك الدماء(51).

ويحمل الحكام العرب، بتخاذلهم وخلافاتهم وشكوكهم في بعضهم، مسؤولية نكبة فلسطين(52).

وتواصل الصحيفة نقدها للمسؤولين عن نكبة فلسطين، وتغمز من قناة الجامعة التي بدأ الخلاف يدب بين أطرافها المختلفة، ثم يقول: إن الجامعة تكونت بوحى هبط من خارج البلاد العربية، وأن خلافات أعضائها قد تتسبب في استقالة حكومة الوفد(53).

ويتساءل بحرقه: بعد أربع سنوات من تأسيس الجامعة العربية، ماذا صنعت بشأن فلسطين وليبيا واليمن التي تناشدها وتناديها الغوث والنجدة؟ لقد صرخت الأمة اليمنية إلى الجامعة، وأذرتها سوء العاقبة، ولكن الجامعة لم تعر القضية اليمنية اهتمامها(54).

وينتقد وضع اللاجئين في البلدان العربية كلها(55). وتنقل الصحيفة عن «آخر ساعة» مقالاً بعنوان «الرد الخالص»؛ فقد أشارت المجلة إلى أن مندوب اليمن في المؤتمر الآسيوي المنعقد في دلهي يناير 49 انتقد الطريقة التي عولجت بها

(51) المصدر السابق، العدد (5)، ص2.

(52) صحيفة السلام، المصدر السابق، العدد (11)، ص1..

(53) صحيفة السلام، المصدر السابق، العدد (18)، ص2

(54) صحيفة السلام، المصدر السابق، العدد (19)، ص2.

(55) صحيفة السلام، المصدر السابق، العدد (20)، ص5.

قضية فلسطين العربية، فطلب إسماعيل كامل بك- سفير مصر- الكلام، وسأل مندوب اليمن عن عدد الجنود اليمنيين الذين بعثت بهم حكومة اليمن إلى ميادين القتال، خصوصاً أن اليمن قد قطعت عهداً على نفسها في السير جنباً إلى جنب مع البلاد العربية. ويعقب المحرر منتقداً السفير المصري، ومعتزفاً بواقع اليمن حينها، وملقياً التبعة على سياسة الحكومة المصرية التي كانت من أهم العوامل التي تضافرت على تحطيم مستقبل اليمن⁽⁵⁶⁾. واضح أن المحرر يشير إلى الموقف من حركة 48.

وتحت عنوان «غضبة شباب لأمتهم» تنقل السلام عن جريدة «العلم العربي» مقالة نارية: "قد علمتم أن كلام ملوكمم....، وقد علمتم قبيل الهجمة الأولى أنه لولا صولتكم، وإضراب شبابكم المثقف عن الطعام في بغداد وبيروت ودمشق والقاهرة؛ احتجاجاً على ذل سياساتكم، وإحجامها لما كان ذلك الزحف الرائع، والذي- وأسفاه! واذلاه! -عاد بالهدنة شجاً ناشباً في حلق العروبة، لا ينقذها منه إلا ثورتكم الكبرى الوشيكة، إن شاء الله. إني لأحس الدممة في جوف بركانها الهادئ إلى حين"⁽⁵⁷⁾. وهو تنبؤ آخر بالثورة. وتترصد الصحيفة، وتحليل عميق، الموقف الأمريكي، والإمدادات الفرنسية بالسلح⁽⁵⁸⁾.

وتحت عنوان «السلام تنشر ما لا تنشره المصري» كتب حسين المقبل، وهو معارض يمني ينتمي إلى "الأحرار"، وطالب أزهرى، متناولاً بعض قرارات اللجنة الثقافية بمجلس الجامعة التي اتخذت قرارات منها: تعليم الكبار، والعميان، وموافقة الأعضاء وبالإجماع.

(56) صحيفة السلام، المصدر السابق، العدد (21)، ص2.

(57) صحيفة السلام، المصدر السابق، العدد (29)، ص3.

(58) صحيفة السلام، المصدر السابق، العدد (30)، ص3.

يقول المقبلبي: "إن هذه الخطوة مباركة وعمل مشكور لو لم يبق أمام اللجنة الثقافية إلا الكبار والعميان، أو لو كان تعليم الكبار والعميان فرعاً من فروع التعليم الذي نشرته أو تنشره اللجنة الثقافية في العالم العربي، والذي تعاونت أو تتعاون فيه الدول العربية والشعوب مع اللجنة، أما ونسبة التعليم لا يكاد يكون في الألف واحد من المبصرين الصغار في بعض دول الجامعة العربية. يعلم هذا جميع أعضاء اللجنة الثقافية أو بعض أعضائها، ثم لا نسمع حتى اقتراحاً واحداً في كيفية معالجة هذه المشكلة؛ مشكلة التعليم."

ويؤكد، ومعه كل الحق، أن بعض الدول لا توجد فيها مدرسة ابتدائية واحدة على النظام الحديث تؤهل الطالب أن يلتحق بثانوية مصرية. وواضح أنه يشير إلى اليمن، كما يذكر أن بعض الدول لا توجد بها ثانوية تؤهل الطالب للالتحاق بجامعة من جامعات بعض الدول العربية، ثم تراهم يوافقون بالإجماع على ضرورة تعليم الكبار والعميان، كأنهم قد فرغوا من تعليم الصغار، أو كأن نسبة من بقي من الصغار لا يُلتفت إليها، والواقع أن نسبة الأمية في الوطن العربي الكبير كبيرة حتى اليوم بعد مضي أكثر من نصف قرن.

ويسخر المقبلبي من قرار الاحتفال بذكرى ابن سينا، الذي وإن كان عظيماً، إلا أن الأولوية يجب أن تكون احتفالاً بافتتاح جامعة ثالثة في مصر، وجامعة في بيروت، وجامعة ثانية في دمشق، وجامعة ثانية في بغداد، وعدة مدارس ابتدائية وثانوية في اليمن والسعودية والأردن. ويرى أن الناس عندما يسمعون مثل هذه القرارات يهزون رؤوسهم استهزاء بهذه الخيالات الخسبية، "أما عدونا الذي ربض في قلب بلادنا، وراح ينشئ المدارس والمستعمرات، ويجبر العرب على تعلم لغته العبرية، فما ندري كيف كان سروره بهذه القرارات التي لا تسمن ولا تغني من جهل". ويضيف: "إننا نحارب أربعة أعداء: الجهل،

والفقر، والمرض، والصهيونية⁽⁵⁹⁾. والحقيقة أن الأربعة الأعداء لا يزالون الخطر الحقيقي القائم حتى اليوم.

ويلاحظ احتفاء بالجامعة العربية، وتتبع أخبارها، والتعليق على نشاطها، والأهم تحول رؤية الصحيفة، والإدراك العميق لأوضاعها مبكراً، وتكون قضية فلسطين واليمن تحديداً، وقضايا البلدان العربية الأخرى هي العناوين البارزة في أخبار وتعليقات ومواضيع «السلام»؛ ففي العدد (61) يوجه رسالة في الصفحة الأولى إلى أمين جامعة الدول العربية وزعماء الجامعة، داعياً إلى العمل على تسوية الخلافات العربية التي أسهمت في سقوط فلسطين لقمة سائغة في أيدي العصابات الصهيونية، كما يتطرق إلى وضع اليمن مشخصاً حالة اليمن الممزق والمدمر، ويحلل رئيس التحرير حالة اليمن، وانقسام الأمراء سيوف الإسلام الذين يتوزعون البلاد، ويدعي كل واحد منهم أحقيته بالإمامة، ويتبعها بخطاب مفتوح إلى أقطاب العالم العربي وزعمائه، مذكراً فيها بوضع فلسطين واليمنيين.

والواقع أن الحكيمي كان شديد الربط بين مأساة فلسطين ووضع اليمن، كما كان شديد التعويل، خصوصاً في المراحل الأولى، على تدخل الجامعة العربية لإنقاذ اليمن⁽⁶⁰⁾.

السلام والوضع العربي في مصر:

كان المجاهد الكبير رئيس تحرير "السلام" عبد الله علي الحكيمي مدركاً لمكانة ووزن وتأثير مصر، وحتى الاحتفاء بالجامعة العربية نابع من قيادة مصر لها، وكان الأحرار اليمنيون، كثير منهم من طلاب الأزهر الشريف،

(59) صحيفة السلام، المصدر السابق، العدد (45)، ص6.

(60) المصدر السابق، العدد (61)، ص1.

ومن أولئك الذين جمعوا بين التجديد الديني والأدبي، كما عند ابن الوزير، والأمير والشوكاني، والمقبلي، والتجديد في قصيدة الشعر الحميني عند الحكاك، والمزاح وابن فليته، والأنسي الأب والابن، وابن شرف الدين، والقمندان، وبين قراءة المرصفي، وطه حسين، والعقاد، وجمال الدين الأفغاني، ورشيد رضا، وعلي عبد الرازق.

لقد كان أنموذج الأحرار للإصلاح في اليمن مصر، والعراق، وبلاد الشام، وكان تأثير المركز المصري فاعلاً ومؤثراً مُنذُ تأسيس الحركة الوطنية في اليمن؛ فقد كانت مطالب "الأحرار"، الحزب الذي تأسس في العام 1944 في عدن، و"صوت اليمن" 1966، تتمركز حول المطالبة بإصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية لا تختلف كثيراً عن الأوضاع في مصر، أو بلاد الشام، أو العراق، ولعل العزلة المريضة، والأوضاع المتردية والقروسطية في اليمن قد جعلت من مطالب الإخوان المسلمين أنموذجاً وقوة حسنة لدى بعض الأحرار، وربما كان الحكيمي، وهو المفكر الإسلامي والليبرالي، أكثر ابتعاداً عن التيار "الإخواني"، والأقرب للوفد والحياة السياسية والفكرية في مصر بشكل عام، واللافت أن مطبعة "السلام"، و"صوت اليمن" قد اشترتتا من مصر.

كتاب السنة:

تحت هذا العنوان يتناول الدكتور الخميري، وهو من كتاب "السلام"، كتاب السنة، ويتناول فيما يتناوله كتاب "الهلال" - المجلة - يولييه 48، مشيراً إلى أن الكتاب مهم من حيث الموضوع والأسلوب، كما يقرأ في عدد يناير 49 من مجلة الكتاب أن الإنتاج الفكري في مصر الذي كان مطرد الصعود في سنوات 45 و46 و47 ابتدأ يهبط بعض الهبوط في عام 48؛ فقد بلغت قيمة الإنتاج

الفكري 480 كتاباً في عام 47، ولكنها عادت في 48 لتكون 390 كتاباً، وهو أكثر مما أنتجت بقية البلاد العربية مجتمعة سنة 48، فإذا لاحظنا:

1- أن ما كتب في المواضيع السياسية في جميع الأقطار العربية سنة 48 لم يبلغ الثلاثين كتاباً.

2- أن أكثرها في مواضيع ثانوية غير جدية مثل: كتاب "هتلر العاشق" و"هتلر حي".

3- وأن القِيم منها يكاد يكون منحصراً في دراسات خاصة لبعض نواحي القضية العربية، مثل كتاب "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي"، لعلال الفاسي.

وعندما يزور طه حسين لندن في أكتوبر عام 49 يحييه رئيس التحرير الحكيمي في الصفحة الأولى بمقال بعنوان "شخصية الفضل والعلم والأدب الدكتور طه حسين في لندن".

"الدكتور طه حسين أعرف من أن يُعرَف؛ فهو أشهر من شمس على علم؛ لأنه شخصية فذة فضلاً وعلماً وأدباً، وفوق ذلك فهو يعد من المجددين للأدب العربي في القرن العشرين، كما أنه أشهر كُتّاب العرب في هذا القرن الذي تقدمت فيه الحضارة والعلم والأدب"⁽⁶¹⁾.

ويتناول اقتراح مصر بعقد معاهدة للأمن الجماعي بين دول الجامعة العربية، وأنه قد أصبح موضع نقاش في مجلس الجامعة، وفي الصحافة المصرية، وفي لبنان، والبلاد العربية السعودية، أما اليمن فقد أيدت الاقتراح، ووافقت عليه مقدماً، ويقوّس على موافقة اليمن.

ويقول مراسل "التايمز": إن المؤيدين للاقتراح من المصريين يؤكدون أن

(61) صحيفة السلام، عدد (44)، ص1.

المعاهدة لن تضمن سلامة البلدان العربية من العدوان الإسرائيلي فحسب، ولكنها أيضاً ستحافظ على استقلال الدول الأعضاء، وهذه طريقة أخرى في التعبير عن معارضة مصر لمشروع سوريا الكبرى، والهلال الخصيب، وأي مشاريع أخرى مماثلة⁽⁶²⁾.

وتحتل الأخبار المصرية مساحة لا بأس بها في "السلام"، فينشر خبر استقالة الوزارة المصرية في 3 نوفمبر 49، وتكليف سري باشا بتشكيل الحكومة⁽⁶³⁾.

ويكرر متابعاً قصة بحار مصري اعتقل في تل أبيب، كما ينشر - بالبنط العريض- خبر حصول الطالب سمير طاهر المصري على درجة الدكتوراه من جامعة جلاسجو في اسكتلندا، مشيراً إلى أن مصر ترمع إنشاء مجمع للحديد والصلب⁽⁶⁴⁾.

وتحتفي "السلام" بأخبار قتال السويس، والصراع المصري البريطاني، فتذكر أن الصحف المصرية كلها تقريباً ثارت لزيارة السير شنويل - وزير الدفاع البريطاني- لمنطقة القتال، وانتقدت بمرارة إشارته إلى أنه لا يعرف مطلقاً عن قرب رحيل الجنود البريطانيين عن مصر.

وتنقل تعليق جريدة "المصري" الوفدية أن السير شنويل قد ألم الشعب المصري، وأحدث ضرراً بالغاً بسمعة وادي النيل، وقد تساءلت عما إذا كان السير شنويل يعتقد أن منطقة فايد أرض بريطانية. وترى (الزمان) المستقلة أن ترديد السير شنويل لهذا الغرض السافل لبقاء الجنود البريطانيين في منطقة القتال دليل على بقاء العلاقات المصرية البريطانية متوترة، وقد

(62) المصدر السابق، عدد (45)، ص1.

(63) المصدر السابق، عدد (46)، ص5.

(64) المصدر السابق، عدد (49)، ص4.

وصفت الكتلة هذه الزيارة بأنها ضربة برق خاطفة أصابت قلب كل مصري في الصميم، واستطردت بأن هذا هو أول وزير بريطاني يتجرأ على تحدي المصريين داخل أراضيهم، وأن الخطط التي رسمت لتحسين المساكن في منطقة القتال تثبت أن "المستعمرين" مزعمون على استدامة الاحتلال. وادعت "الأساس" السعودية أن سياسة الوفديين تؤيد الاحتلال البريطاني، وذكرت أن مصر مصممة على مقاومته، وأنه إذا أصر البريطانيون على الاحتفاظ بجنودهم في المنطقة؛ فإنهم لا شك سيفقدون كل أمل في الوصول إلى اتفاق مع مصر (65).

وتتابع "السلام" وقائع الانقلاب في سوريا الذي قاده أديب الشيشيكلي، والإشادة الصحفية المصرية بالانقلاب لمنع فكرة وحدة العراق وسوريا، (والأمر أعمق من ذلك بكثير)، وله علاقة بالصراع البريطاني الأمريكي. (الباحث).

وتنقل عن الأهرام خبراً بعنوان "نظام العرب الجماعي بكسر الجيم، هكذا!"، وأبحاث الذرة في إسرائيل، والخبر يحتوي على معلومات مهمة عن بداية النشاط الذري الإسرائيلي (66).

كما ينقل عن الصحيفة البريطانية "السوث ويلز آيكو" خبراً عن الانتخابات النيابية المصرية، ومقتل عشرة أشخاص، وعدم تدخل الجيش البريطاني المرابط في السويس، وأن أعنف الاشتباكات غالباً بين الوفديين والسعديين، وتذكر الصحيفة أنه منذُ الانتخابات السابقة جرى الفتك بشخصين هما: الدكتور أحمد ماهر، ومحمود فهمي النقراشي زعيم السعديين، وتنقل

(65) المصدر السابق، عدد (51)، ص3.

(66) المصدر السابق، عدد (54)، ص1.

عن النحاس باشا أن حزبه لن يتحد مع أي حزب آخر في حال عدم إحراز النصر⁽⁶⁷⁾.

ويتابع في العدد اللاحق أخبار فوز الوفد، مقدماً أحر التهاني بهذا الفوز، ويواصل في العدد حيث يبعث أحد أهم المحررين في "السلام"، القاضي عبد الكريم العنسي، برسالة مفتوحة للزعيم النحاس باشا، معتبراً فوزه نصراً لمصر والأمة العربية جمعاء، ويشكو للنحاس حالة اليمنيين، وبالأخص أحوال المعتقلين في باستيل حجة- حسب العنسي- طالباً شفاعة النحاس في هؤلاء المقدمين للموت بعد أن شفى الإمام غيظه بسفك دم الأبرياء⁽⁶⁸⁾. كما تنشر الصحيفة خبر وفاة إسماعيل صدقي باشا، وزيارة النحاس لمرسيليا بغرض العلاج، كما تتناول الصحيفة تحت عنوان "الجلاء ووحدة وادي النيل"، منتقدة الطريقة العربية في التفاوض؛ فهي تقول: وكما استمع الناس إلى مطالب مصر- وما أكثر الطلب، وما أقل العطاء!- وتضيف الصحيفة: وقد اقتضت عوائد العرب أنهم يتركون ساعات الفرص تذهب من أيديهم في أوقاتها المناسبة، حتى إذا ما ذهبت الفرص تقدموا بالاحتجاجات، وأوفدوا وفودهم، فيعودون بخفي حنين⁽⁶⁹⁾. (والحقيقة أنها رؤية جد عميقة)، وتنبئ عن خبرة مدهشة في قراءة كف المستقبل. (الباحث).

ويسجل الحكيمي زيارته للنادي المصري في لندن، ولقاءه مع صديقه العزيز الدكتور عبد العزيز عتيق، وينقل المحرر عن الحكومة البريطانية قولها: إنها لن ترسل أسلحة إلى مصر لحاجتها إليها، وتعلق "السلام": إن مولود إسرائيل يستطيع أن يصنع أسلحة في تل أبيب، ويمون نفسه دون أن

(67) المصدر السابق، عدد (54)، ص2.

(68) المصدر السابق، عدد (60)، ص8.

(69) المصدر السابق، عدد (68)، ص4.

يحتاج لأحد، وأما جامعتنا العربية التي شاب قرناها، فإنها لا تقدر على صنع أمواس للأظفار⁽⁷⁰⁾.

وكلام "السلام" في العام 50، أما اليوم، فإن إسرائيل تمول دولاً عظمى مثل: الهند، والصين، وتركيا.. ترى لو عاش الحكيمي إلى اليوم ماذا تراه يقول؟!

وتنتشر "السلام" خبراً عن "مصر والهند" يتناول فيه المحرر احتجاجاً قدمته الحكومة المصرية إلى الهند لنيتها الاعتراف بإسرائيل، وتشن الصحيفة حملة شعواء على الحكم العربي، والزعماء العرب المنقسمين على أنفسهم، والمسؤولين الوحيدين عما لحق من عار بالعرب⁽⁷¹⁾.

وفي العدد (75) تكرر "السلام" صفحة كاملة عن الجالية العربية في شرق إفريقيا والشعب المصري، وهي مكرسة للاحتفاء بالأساتذة المصريين العاملين في أفريقيا، وقد جرى الاحتفال في الخرطوم، والموضوع موسى بالصور.

وتدين "السلام" بشاعة التعذيب في معتقل "هاكستب"، مشيرةً إلى كتاب أصدره علي محمد الطاهر عن هذا المعتقل⁽⁷²⁾ الذي نجد له صدى كبيراً في الكتابات السياسية حينها، وفي أشعار فؤاد حداد.

وفي العدد (78) نقرأ مقالة نارية لكاتب من كتاب "السلام"، وهو علي حمود الجايفي بعنوان (الطبول الفارغة) حمل فيه الكاتب على بعض الجرائد المصرية البائرة التي تعلن العداء الصارخ للأحرار اليمنيين، وتستخدم البذاءة والألفاظ السوقية حسب الكاتب، مما تأباه وتستفز منه القومية العربية

(70) المصدر السابق، عدد (74)، ص5.

(71) المصدر السابق، عدد (74)، ص8.

(72) المصدر السابق، عدد (77)، ص9.

العريقة، ويسائل بحرقه: لا ندري ما هي الأسباب والدوافع التي حملت سماسرة الصحيفة التجارية المصرية على تصويب هجماتها العنيفة على كل مطالب بالإصلاح لوطنه، ويعمل بكل جهد لإنقاذ الأمة المنكوبة المعذبة من هاوية الدمار والموت؟!... إلخ⁽⁷³⁾.

وفي نفس العدد تنشر "السلام" خبراً صغيراً عن شحنة من الدبابات (سنتشوريون) من بريطانيا إلى مصر كاستثناء للحظر، وأن مصر قد دفعت 80% من قيمتها. وخبراً آخر عن إهداء يونس بحري نسخة من كتاب "معتقل هاكستب" بعد أن عرف أن اليمن كلها معتقل هاكستب، والسلام على هاكستب! (74).

ومُنذُ العدد (79) تكرر الصحيفة صفحة كاملة بعنوان "العالم العربي في أسبوع"، وهو عنوان جديد في "السلام"، ويبدو أنه مستقى من هيئة الإذاعة البريطانية، وهو صفحة كاملة مكرسة لأخبار العالم العربي، ويحتل فيه الخبر المصري الصدارة، فينقل خبر تجريب القطار السريع لأول مرة في مصر، وأخبار اللاجئين الفلسطينيين في مصر، وما ستنتفقه مصر والعراق على معاهدة (1930) العراقية، و1936 المصرية، وطبعاً يقصد المعاهدة مع بريطانيا، والمطالبة بموقف عربي من القضايا الدولية، ويختتم الخبر بالتالي: أما اليمن فموقفها واضح من الحالة الدولية الراهنة؛ فالقرء لا يعجز عن تقليد حركات الإنسان⁽⁷⁵⁾. ويدون مد خط السكة الحديد بين مصر والسودان الذي بدأ الإعداد له.

ويلاحظ أن الصحافة المصرية هي من أهم مصادر أخبار "السلام"،

(73) المصدر السابق، عدد (78)، ص2.

(74) المصدر السابق، عدد (78)، ص5.

(75) المصدر السابق، عدد (81)، ص2.

وتبرز الصحيفة تعاطفاً مع "جمعية الإخوان المسلمين"، وتشيد بالزعيم مصطفى النحاس، مؤكدةً على أهداف "الإخوان المسلمين" في محاربة الاستعمار والاستعماريين، وتشير الصحيفة إلى أن الإمام أحمد قد بذل جهوداً لا بأس بها لعرقلة ظهور "الإخوان المسلمين". والواقع أن صاحب "السلام" يؤيد "جمعية الإخوان المسلمين" شأن بعض الأحرار اليمنيين؛ لأنها تقف إلى يسار الدولة اليمنية (المتوكلية)، وتشترك معها في خصومة سياسية، كما أنها- أي الجمعية- تتعاطف مع الأحرار، وهناك أعضاء في الأحرار ينتمون "للإخوان المسلمين"، أو قرييون منهم، ثم إن ليبرالية الحكيمي، وتميزه بالحوار بين الأديان، وتسامحه الشديد دافع مهم أيضاً.

ولا تخفي الصحيفة ابتهاجها بإلغاء البرلمان المصري الحظر المفروض على "الجمعية"، ولكن الحكيمي لا ينسى أن يقول للإخوان: "وعليهم أن يكونوا عقلاء"، ثم يشكر الحكومة المصرية⁽⁷⁶⁾، فموقفه حينها من الإخوان موقف المتعاطف والناقد في آن.

وتهتم الصحيفة بحرية الرأي والتعبير، والحريات الصحفية في مختلف أقطار الوطن العربي، وفي موضوع رئيسي تتناول "السلام" تحت عنوان بارز "القضاء المصري ينصر رجال الفكر"؛ فتقرأ "السلام" كتاب المفكر عبد الله القصيمي "هذه هي الأغلال"، معتبرةً الكتاب مجهوداً فكرياً جباراً يشخص صاحبه الأسباب والعلل لانحطاط المسلمين وتأخرهم، ويعيب على خصوم القصيمي اللجوء إلى التهم والتشهير والإساءة الشخصية، ويذكر العقوبات القاسية التي لحقت بهذا المفكر من قطع الراتب من السعودية، وفرض القطيعة على موطنه؛ مما اضطره لرفع دعوى ضدهم، وقد ظلت

(76) المصدر السابق، عدد (88)، ص3.

القضية قيد البحث أربعة أعوام، وقد حكم القضاء المصري المجيد بتعويض القصيمي ألف جنيه، كما ألزمهم بدفع أتعاب المحاماة⁽⁷⁷⁾.

وفي عدد (90) تنشر "السلام" بالبنط العريض، وعلى صدر صفحتها الأولى، اهتمام مشيخة الأزهر ووزراء الدول العربية بإرسال المعلمين إلى كارديف. والحقيقة أن الصحيفة، ومُنذُ أولى أعدادها، ظلت تطالب بإرسال معلمين إلى كارديف؛ لتعليم الجالية المسلمة والعربية، واستجاب الأزهر متأخراً لمناشادات الحكيمي الذي كان له مسجد وزاوية ورباط تعليم حقيقي⁽⁷⁸⁾.

وتواصل "السلام"، أو تعير اهتماماً كبيراً لمفاوضات الجلاء بين مصر وبريطانيا، ولكنها تتوقع صعوبة فيما يتعلق بوحدة وادي النيل؛ فبريطانيا حريصة على فصل السودان عن مصر⁽⁷⁹⁾.

وفي العدد (93) ترصد زيادة التوتر بين مصر وبريطانيا بعد قيام مصر بتفتيش سفينة كانت تمر بالقنال، وتحمل أسلحة لشرق الأردن، ولا تستبعد أن يرفع الأمر لمجلس الأمن، ثم تندد وتدين احتجاجات إسرائيل على قيام مصر بتفتيش السفن، وتتوسع إدانة "السلام" لتشمل الحكم العربي المتهاون والمتخاذل⁽⁸⁰⁾. والواقع أن "السلام" قد أفسحت حيزاً كبيراً للجامعة العربية، وكانت في الأعداد الأولى متحمسة لها، ولكن دقة ملاحظة الحكيمي، وقراءاته العبقريّة قد كشفت حقيقة وواقع هذه الجامعة؛ فقد أدرك أن الملوك العرب يعيدون عن التوجهات المصرية، وهم لا صلة لهم بقضايا فلسطين،

(77) المصدر السابق، عدد (88)، ص5.

(78) المصدر السابق، عدد (90)، ص1.

(79) المصدر السابق، عدد (89)، ص4.

(80) المصدر السابق، عدد (93)، ص4.

أو قضايا أمتهم وشعوبهم؛ فقد كتبت "السلام" تحت عنوان "الجامعة العربية"، وبعد أن ميز الكاتب بين الجامعة العربية كأنشودة لكل عربي، وكأمنية يعلقون آمالهم وسعادتهم عليها، وبين واقع الحال، يقول: "أما جامعتنا الحالية، فهي جامعة كشفت سوء العرب، وأبستهم ثوب الخزي والعار؛ عار فلسطين الذي لا يمحي إلى الأبد"⁽⁸¹⁾.

سيضيف: "جاء معيار مصر وحقوقها القومية، وجاء الاقتراح الرباعي للدفاع عن الشرق الأوسط، تقدمت الدول الأربع المعروفة. والمحزر هنا يقصد المحاولات الأولى لـ "حلف بغداد"، الذي يعود للعام 1951، حين دعت بريطانيا أمريكا وإبشراك تركيا في إنشاء هيئة للدفاع عن الشرق الأوسط ضد الكتلة الشرقية على أن تساهم فيه مصر والدول العربية، وتكون القاهرة مقرًا للهيئة، وقد فشل المشروع لدعوة إسرائيل الانضمام إليه"⁽⁸²⁾.

وتردد "السلام" وصاحبها في تأييد إلغاء معاهدة 1936، واتفاقيتي 1899، ورفع شعار "وحدة وادي النيل" تحت تاج الفاروق، ويحدد الحكيمي مصدر شكه وتردده فيقول: قد أكون أحد من خامرهم الشك؛ لا لأن مصر ليست على حق، كلا؛ فأنا مؤمن بحقوقها العادلة تماماً، والذي رابني ما قد عرفناه من قضية فلسطين، وهو لعمر الحق درس لا ينساه التاريخ، ونحن العرب بوجه خاص نرتجل الأمور ارتجالاً، ونقول أكثر مما نعمل، ونحب أن نحمد بما لم نفعل، وننزل إلى الميدان من غير زاد ولا استعداد، وسرعان ما نخسر الصفقة؛ فنحمل الفضيحة والعار، ونتأخر عدة مراحل بعد أن كنا على الأبواب"⁽⁸³⁾.

(81) المصدر السابق، عدد (99)، ص3.

(82) المصدر السابق، عدد (99)، ص3.

(83) المصدر السابق، عدد (100)، ص3.

ويعرب الحكيمي عن تخوفه من حزبية الشرق؛ لأنها ليست كحزبية الغرب؛ لأنها- أي الأخيرة- تضحى بالحزبية في سبيل المصلحة العامة، وتقدم العقل على العاطفة(84).

ثم يشير إلى الحوادث الأخيرة "حريق القاهرة"، وها هي على إثر ذلك أقيمت وزارة النحاس، وقام غيرها تحت رئاسة علي ماهر. وبعيني زرقاء اليمامة يشير بأصابع ضوئية: "والمستقبل كفيل ببيان هذا الضمير المستتر، والمستقبل آتٍ، وكل آتٍ قريب، وإنما نعيذ أمتنا العربية أن تعمل عمل بني إسرائيل الذين حرموا على أنفسهم الصيد؛ فاصطادوا في يوم السبت"(85).

و غادر الحكيمي بريطانيا في سبتمبر 52 بعد أن قام بشحن المطبعة وأثاته إلى عدن، و عرج على مصر لبعض الوقت، قابل خلالها اللواء محمد نجيب- رئيس مجلس قيادة الثورة حينها، الذي أثنى على "حركة الأحرار"، وشجع الحكيمي على الاستمرار، ووعده بالتأييد من حكومة مصر، ودست له المخبرات الاستعمارية مسدساً في أدواته؛ ليحاكم ويسجن مع الأعمال الشاقة، وعندما خرج من السجن عانى من السم الذي دس له في الطعام، ويبدو أن اغتياله بالسم كان ثمرة تعاون الاستبداد الإمامي والاستعمار البريطاني في الجنوب، كما يشير الباحث علي محمد عبده في كتابه "لمحات من تاريخ الحركة الوطنية".

السلام وحقوق الإنسان:

"السلام" وصاحبها غنيان عن التعريف. ما يهمننا هو الدور الذي اضطلع به المجاهد الإسلامي الكبير عبد الله علي الحكيمي، وصحيفته «السلام» في الدفاع

(84) المصدر السابق، عدد (100)، ص3.

(85) المصدر السابق، عدد (100)، ص3.

عن حقوق الإنسان. ف «حقوق الإنسان» - كقضية وكمبدأ- لم تكن آنذاك مطروحة بقوة في الخطاب الإعلامي والصحفي العربي، كما أنها لم تكن متداولة في الحياة الفكرية والأدبية كما هو شائع الآن.

ومعروف أن حقوق الإنسان مطروحة بصور ومعانٍ شتى في التشريعات السماوية، وخاصة في الإسلام، ولكنها لم تُحدد ولم تضبط وتقتن إلا في مبادئ الأمم المتحدة كمنظمة وإعلان في وثيقة تاريخية مهمة في تاريخ الدساتير الفرنسية، ووافقت عليها الجمعية التأسيسية في 26 أغسطس 1789، وهي مستمدة من نظريات روسو، وإعلان الاستقلال الأمريكي، ونصت على حقوق الفرد التي لا يجوز التصرف فيها، وهي: الحرية، والملكية، والأمن، وأكدت المساواة، وسيادة الشعب - مصدر السلطات.

وصاحب «السلام»- كما يطلق على نفسه - قد أصدر الصحيفة عقب نكبة 48، وهزيمة الثورة الدستورية في اليمن، وقيام الكيان الإسرائيلي في فلسطين، ومُنذُ صدور أول عدد في 6 ديسمبر 48؛ أي بعد (8) أشهر تقريباً من هزيمة حركة 48 في اليمن، وبضعة أشهر من نكبة فلسطين، و فقط قبل أربعة أيام من صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

كرس الداعية الإسلامي الصحيفة مُنذُ عددها الأول، بل حرفها الأول ضد اعتقالات ومجازر 48، التي طالت خيرة علماء وفقهاء وقضاة وأدباء وشباب ومشائخ اليمن ورجالها الأحرار.

صدرت الصحيفة في ست صفحات (قطع 46 × 29 سم)، وتحتل المقالة الصحفية فيها موضع الصدارة، وهي مقالة رئيسة مكرسة للدفاع عن المعتقلين في سجون حجة الرهيبة، ومنددة بالإعدامات، وبالإرهاب الأسود الذي غطى المتوكلية اليمنية عقب هزيمة ثورة 48 م، كما أنها - أي المقالة - مكرسة للتنديد

ببطش سيوف الإسلام بالولايات الممزقة التي استولوا عليها بالقوة. فالمقالة تتعامل مع الأسرة المالكة كعصابة تحكم اليمن بالحديد والنار، وليس لها مقومات أو خصائص دولة، وليست موحدة في نفسها، ولا تمتلك إلا جهاز القوة الباطشة عبر جراد العساكر الحفاة الجياح العراة الذين يجتاحون القرى كالطاعون.

فالمقالة الصحافية، ورسائل الحكيمي هي الجسم الراس الذي يغطي معظم أعداد الصحيفة التي وصلت إلى (107) ابتداءً من 6 ديسمبر 48 م، وانتهاءً في 25 مايو 1952م. وإذا كانت المقالة غالباً، والرسائل أحياناً هي القسم الأعظم في «السلام»، فإنها في معظمها مكرسة للدفاع عن المعتقلين، والتنديد بالإعدامات الجرافية التي تنفذ بدون أحكام، بل إن برقية من الطاغية تطيح بعدة رؤوس في ساعة واحدة، والكلام عن أخطاء التنفيذ، كما حدث بالنسبة للشاب الشهيد ابن محمد الوزير، والمناداة على بعض المعتقلين لإعدامهم، ثم إعادتهم من ساحات الإعدام يصل حد الأساطير والكوميديا السوداء.

والصحيفة غير مبوبة غالباً، ويتوزع فيها الخبر على الصفحات كلها، والخبر كالمقالة، كرسائل القراء تكرر للدفاع عن الحقوق الأدمية المهدورة في اليمن (المملكة آنذاك)، ولا تخرج القوائد المنشورة في أعداد السلام عن هذه القاعدة.

وحقوق الإنسان في «السلام» تعبير واعٍ وعميق عن ليبرالية وديمقراطية صاحبها؛ فقد تشبع المجاهد العربي والإسلامي بالتجارب الأوروبية والأمريكية، وخاصة البريطانية التي قرأها وتمثلها وعاش تجربتها وشارك في معاركها؛ فقد دعا أكثر من مرة إلى المهرجانات الانتخابية، وكرئيس لتحرير

«السلام»، فقد حضر مع تشرشل وكلهن، وتصور معهما، وشاهد معاركهما الانتخابية عقب الحرب الكونية الثانية.

لقد أفاد الداعية الكبير والصحفي اللامع من إتقانه للغة الإنجليزية، وبعض اللغات الأخرى إلى جانب لغته العربية التي أتقن فنونها، ورفدت الثقافة الليبرالية وعيه الإسلامي المنفتح والتجديدي؛ فكان أنموذجاً للاستنارة وعمق المعرفة؛ فزكت فيه النزعة الإنسانية التي تمازجت بطريقته الصوفية.

حقوق الإنسان في المقالة:

لا يقتصر الدفاع عن حقوق الإنسان في "السلام" على ضحايا 48، وإنما يمتد ليشمل اليمن كلها؛ ف"السلام" قد دافعت عن الفلاحين، وأصحاب الدكاكين، كما دافعت عن العلماء والطلاب، ودافعت عن المغتربين في مختلف أصقاع المعمورة، كما تولت الدفاع عن الجندي البائس والمحروم، وحاولت أن تفتح وعيه على ممارسات جلاديه، ونبهته إلى حقوقه وإلى مأكله وملبسه وأميته وأدميته المهدورة؛ بل إن السلام من خلال الصورة قد حاولت إيقاظ العكفة (الحرس الخاص للإمام) على أوضاعهم المأساوية، ودأبت على المقارنة بين ظروفهم ومعيشتهم، وظروف ومعيشة الجندي في البلاد العربية، كما دافعت عن بعض الأمراء الذين تعرضوا لمكائد بعضهم بعضاً؛ فلم يقتصر دفاع صاحب السلام عن الشعب اليمني، وإنما قرأ بنور الله المحنة القاسية والأليمة التي يقود إليها الطغيان الإمامي الشعب اليمني؛ لتلتهم الطغيان نفسه، فنبه ونصح وحذر، ولكن الطغيان أعمى.

شهداء ثورة 48:

يحتمل الدفاع عن شهداء 48 مساحة كبيرة في «السلام»، وتتابع الصحيفة أولاً فأول كل ما يتعلق بهم. والمثير أن اليمن - على عزلتها، وتخلفها، وانقطاع

وسائل الاتصال معها- ومع ذلك؛ فإن «السلام» قد أقامت شبكة اتصال شعبية واسعة مكنتها من تتبع أدق التفاصيل، وأخطر الأسرار. وفي العدد (66) يكتب علي حمود الجايبي كشفاً بأسماء شهداء الانقلاب محدداً طريقة الإعدام:

- الرئيس جمال جميل بالسيف.
- عبد الله بن أحمد الوزير بالسيف.
- السيد زيد بن علي الموشكي بالسيف.
- أحمد حسن الحورش بالسيف.
- محيي الدين العنسي بالسيف.
- عبد الله بن محمد الوزير بالسيف.

ويأتي على أسماء: المسمري، والمطاع، والبراق، وعبد الله بن محمد بن أحمد الوزير، وهو الشاب الذي تولت الصحيفة الدفاع عنه في المحافل الدولية، إلى الحد الذي اعترف الإمام أحمد أنه قد قتل خطأً.

وتواصل الصحيفة كشف أسماء من أعدموا: علي الوزير، ومحمد محسن هارون، والشيخ الذيب، والشايف، وأبو راس، ومحمد بن حسن أبو راس، ومحسن هارون، ومحمد سري شايع، وسيف الحق بالسم، والقردعي بالرصاص، والحسيني بالسيف، والسعيدي بالسيف، والدعيس بالسم، والعنجة، ومحمد ريحان، وعلي العتمي بالسيف⁽⁸⁶⁾.

وتطلق الصحيفة على "أعياد النصر" الإمامية "أعياد الإباحة وإزهاق الأرواح وهدر الدماء".

(86) صحيفة السلام، عدد (66)، مقال بعنوان «شهداء الانقلاب»، بقلم علي حمود الجايبي، ص 5

وتعيب الصحيفة على الجامعة العربية تقاعسها في الدفاع عن القضية اليمنية، وتدأب "السلام" على التواصل مع الجامعة العربية منددةً بإعدام الأبرياء، ونهب ثرواتهم، وتدمير منازلهم؛ فتنشر في العدد (57) مذكرة، من حسين بن محمد عثمان الوزير إلى عبد الرحمن عزام، تشرح فيها جرائم أحمد، وما ارتكبه من مجازر بحق الأبرياء⁽⁸⁷⁾، وتندد "السلام" باعتقال الشيخ حسين بن ناصر الأحمر في سجن صالة⁽⁸⁸⁾.

وتدافع عن السيف عبد الله، ملمحةً إلى الدور الذي يمكن أن يقوم به مستقبلاً؛ فتحت عنوان "حبيب اليمنيين" سيف الإسلام عبد الله، تنشر الصحيفة التتكيل الذي طال حتى أنصار السيف عبد الله، واعتقالهم والتتكيل بهم من قبل أحمد، ثم تشير إلى أن الوعي القومي في اليمن قد أخذ محله، وصارت الأمة تنتظر الفرج القريب على يد سيف الإسلام عبد الله، وتعلق السلام كعادتها على الأخبار المهمة، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون بعد حين؛ بل قريباً إن شاء الله⁽⁸⁹⁾.

وتدافع الصحيفة عن "الشّعير وبعدان" اللتين تعرضتا لهجوم عسكر الإمام عقب نكبة 48؛ فعبث الجنود فيهما، وسلبوا الأموال، ونهبوا كل ما وجدوا، وروعوا النساء والأطفال، وغلّ الرجال بالقيود الثقيلة، وسيقوا إلى السجون⁽⁹⁰⁾. وترد الصحيفة على انتقاد أحد قرائها لنقد الإمام: "إن السلام لم تتحامل ولم تنتقد على إمام شرعي أقامه الشعب، وارتضته الأمة، ولم تتحامل على ملك يتمتع بشرف الملك وحرماته، وإنما انتقدت موظفاً لا أقل ولا أكثر"⁽⁹¹⁾.

(87) المصدر السابق، عدد (57)، ص2.

(88) المصدر السابق، عدد (57)، ص3.

(89) المصدر السابق، العدد نفسه، ص3.

(90) المصدر السابق، العدد نفسه، نفس الصفحة.

(91) المصدر السابق، العدد نفسه، ص6.

"والإمام أحمد لا يحتفظ لنفسه بمكانة إمام وملك كسائر الملوك، وإنما يقوم بإدارة شعب كامل بنفسه ووحده، وحتى البصلة وملح الخبز لا بد له أن يتولى صرفها بنفسه، وهذا لعمرك يقوم به خدم المنزل ليس غيرهم، أو قل هو موظف بسيط يا سيدي الغيور" (92).

وعندما تُنتقد "السلام" لأنها غرقت في قضية اليمن، ولم تأت حتى بالنزر اليسير من أخبار الشعوب العربية الإسلامية، وسائر شعوب العالم؛ فترد السلام: "إن الشعوب العربية والإسلامية وسائر شعوب العالم لها جرائد ومجلات وإذاعات ودعايات وبعثات تتصل بشعوب العالم تُعرّف بها، أما اليمن، فإن السلام جريدة اتخذتها الأمة اليمنية الحرة- ولا أعني المستبدة – منبراً لها، وهي الآن تداوي أمراض ذلك الشعب".

ويكتب الحكيمي إلى الشهداء في الذكرى الثانية لهزيمة الدستور صفحةً كاملة: "لقد أديتم واجبكم، وخدمتم أمتكم بنزاهة وصدق وإخلاص، وسلمتم أرواحكم فداءً لأجلها، وإن دِيناً علينا، وعهداً لا ننكته أبداً أننا نكمل ما حال دونكم ودونه القدر، وأن أرواحكم التي أزهقت عدواناً وظلماً بغير حق وبدون ذنب أو سبب، ومن غير محاكمة عادلة شرعية معقولة أو قانونية، أو على طريقة معقولة، قد امتزجت بدمائنا وأحشائنا، وتخللت كل شعرة منا".

ويدعو إلى جعل يوم 3 جمادى الأولى يوماً للدستور الذي يستوحي العواطف، ويستفز الضمائر. والموضوع قطعة فنية رائعة.

وتنشر "السلام" صوراً لضحايا الإعدامات، وتعلق عليها تعليقاً ضافياً يؤرق ضمير العالم، ويهز أركان الطغيان: "هذه مناظر ضحاياك يا صاحب الجلالة نقدمها أمام أنظار العالم؛ لنشهد الله ونشهدهم عليك وعلينا يا صاحب الجلالة. إن

(92) المصدر السابق، العدد نفسه، نفس الصفحة.

هذه المناظر المحزنة المؤلمة تعطي لسكان العالم صورة كافية عن الأمة التي تحتفلون بعيد انتصاركم عليها⁽⁹³⁾.

وتتحدث "السلام" بمرارة وألم شديد عن هجرة اليمنيين عن أوطانهم عشرات السنين، ويرد ذلك لبشاعة المظالم التي تدفعهم إلى ترك أرضهم وأهلهم وذويهم، ويذكر الشرائع الطويلة والعريضة، والنزاع والخصام الذي لا يفصل، والتنافيد، وأخذ الزكاة فوق ما أمر الله، وانسداد طرق المعيشة أمامهم، وزكاة الباطن (الباطل)⁽⁹⁴⁾.

ويدافع الحكيمي في موضوع رئيسي "الشيخ أحمد محمد نعمان" عن النعمان والزبيري، مشيداً بموهبتهما الكبيرتين اللتين حاول الإمام احتكارهما واحتكار عقليهما اللذين وهبهما الله لهما، وأنهما- النعمان والزبيري- لو كانا يحملان ضمائر سافلة دنيئة لعاشا معك سعداء كغيرهم، بل وأكثر منهم؛ فقد كان ضميرهما الحر يؤنبهما، وديانتها تأبى عليهما العيش معك عيشة المكر والخداع.

ويطالب بالإفراج عن المسجونين، والتسليم بإرادة الشعب، وتشكيل حكومة يختارها الشعب من جميع طبقات الشعب، وابتعاد الإمام عن تولي إدارة الحكم؛ لأن ذلك من اختصاص العمال الإداريين، مؤكداً أن قضية اليمن قد أصبحت أمام بصر العالم، ويدعوه بدل صرف الأموال على السفهاء والمنافقين أن يصرفها على الأمة العارية الجائعة، ويشيد بإطلاق سراح النعمان⁽⁹⁵⁾؛ مطالباً بالإصلاح في موضوع رئيسي بقلم عبد الكريم أحمد العنسي⁽⁹⁶⁾، ويعلق

(93) المصدر السابق، عدد (58)، ص7.

(94) المصدر السابق، العدد نفسه، ص8.

(95) المصدر السابق، العدد نفسه، ص8.

(96) المصدر السابق، عدد (77)، ص9.

الحكيمة على الموضوع تأكيداً. ويكتب الأستاذ يحيى بن محمد المطاع موضوعاً مطولاً موزعاً على عدد من سجن حجة - الباستيل، كما يسميه تحت عنوان "صورة من صور مآسي حجة"، يتحدث عن أبطال الدستور، والمطاع كان أحد ضحايا المجزرة؛ فقد رموا بهم زبانية "الناصر" لحفرة هي سجن نافع، ووضعوا في أرجلهم قيوداً لها أسماء: "الرعد"، و"المروء"، و"السك"، و"المنخر" وغيرها، وهي قيود كبيرة لها أشكال هندسية مختلفة.

ويصف حالة الرعب، والموت محقق بهم من كل ركن في سجن نافع، وكثيراً ما وقع الخطأ في إخراج غير مطلوبين للإعدام إلى ساحة الإعدام ثم يعيدونهم، وممن وقع عليهم الخطأ أحمد العنسي، والشاب العظيم الضابط العسكري عبد الله السلال، فما وجل أحد منهم⁽⁹⁷⁾.

ويشير إلى أن مناشدتهم لإجراء محاكمات قد ذهبت سدى. ويواصل المطاع نشر موضوعه مشيراً إلى رسالة للعلامة محمد صالح المسمرى موجهة للإمام يطالب فيها بإجراء محاكمة عادلة؛ مذكراً أنه عندما قُتل والده يحيى لم يكن في اليمن؛ فقد أمضى في القاهرة ثمانية عشر عاماً، ولا علاقة له بمقتل والده، ورد عليه أحمد:

ليس بيني وبين قيس عتابُ ... غير طعن القنا وضرب الرقاب.

ويتوقع الكاتب حتمية سقوط البغي الإمامي⁽⁹⁸⁾.

و"السلام" توسع دفاعها عن الحقوق الأدمية، فتدافع عن الحرس الملكي الخاص في اليمن؛ فقد نشرت الصحيفة صورة لعدد من الحرس بصورهم الشاحبة، وملابسهم الخلفة، ثم تعلق على الصور.. والصور نقلتها "السلام" عن

(97) المصدر السابق، عدد (62)، ص7.

(98) المصدر السابق، العدد نفسه، نفس الصفحة.

بعض الصحف الأوروبية، وحرصت "السلام" على نقلها؛ ليشاهدها الجندي اليمني كما أشار التعليق: "ألا ترى يا سيدي جندي (يمني) كيف بهذلت بك حكومتك، وشوهت سمعتك ومنظرك أمام العالم كله؛ فقد جعلتك مهزلة وأضحوكة للعالم. انظر إلى وجهك الذي يمثل المأساة مجسدة"⁽⁹⁹⁾.

والجريدة سجل حافل بالدفاع عن هذه الحقوق، وصاحبها الحكيمي على دراية واطلاع بهذه الحقوق، سواء عبر ثقافته الإسلامية المستنيرة، أو عبر صوفيته الإيجابية، أو اطلاعه الواسع على الثقافة الأوروبية وثقافة العصر، ومبادئ وقيم وحقوق الإنسان، ففي رسالة له موجهة لهيئة الأمم المتحدة يناقش صاحب السلام وثيقة الأمم المتحدة عن هذه الحقوق، مادةً مادة، وفقرةً فقرة، مدلاً بمدى انتهاك هذه الحقوق في البلاد المتوكلية.

وتُقدم الرسالة باسم خمسة ملايين من البشر المعذبين والمضطهدين، ويرى أن الحكومة التي لا تمثل الشعب عضواً في الأمم المتحدة؛ وقد التزمت بتنفيذ كل قرارات الهيئة، ومن ضمنها وثيقة حقوق الإنسان الدولية، ولكنها في الواقع لم تلتزم بأي مادة منها؛ فالمادة الرابعة تنص على حق الإنسان في الحرية، وفي العيش أمناً مطمئناً، بينما لا يوجد في اليمن حرية بالمعنى المطلق من أي نوع؛ فلا حرية فكر، ولا حرية رأي وتعبير، ولا حرية اجتماع، ولا حرية نشر، بل لا توجد وسائل النشر؛ إذ لا صحافة ولا إذاعة. ويشير إلى اكتظاظ السجون بالمعتقلين، ومداهمة الجنود للمنازل، والإعدامات بالجملة، ويناقش المادة السادسة المتعلقة بتحريم التعذيب أو العقوبات غير الإنسانية والمزرية بالكرامة، مؤكداً أن اليمنيين بالمئات يتعرضون للصلب، ويجلدون، وتُطلى جباههم بالقار، ويطاف بهم في الشوارع، ويصلبون لثلاثة أو أربعة أيام. ويشير إلى الحبس

(99) المصدر السابق، عدد (63)، ص8.

والنفي بدون حق، ويدين غياب القضاء العادل، ويندد بتدخل الحكومة في حياة الناس وخصوصياتهم، وينتقد غياب المحاكم المستقلة في اليمن؛ فالقضاة مجرد أشخاص موالين للحكومة تفرقهم في أنحاء البلاد؛ ليحكموا بمقتضى إرادتها. ويشير إلى المادة الخامسة عشرة من الوثيقة التي تعطي للمضطهدين حق اللجوء، وأن يستفاد من هذا الملجأ في بلاد أخرى، مؤكداً أن اليمنيين قد هجروا أوطانهم، والتجأوا إلى بلدان متفرقة جراء الاضطهاد والجور من قبل الدكتاتورية، وأنهم يرفعون شكاوهم للجنة حقوق الإنسان؛ لكي ترسل لجنة تحقيق؛ لتتبين صدق ما شكونا منه.. ويناقد حرية الفكر والاعتقاد والديانة، وأن اليمنيين محرمون منها، أما حرية الرأي والتعبير؛ فإنه يشدد التأكيد على أهميتها، ولكنها منعدمة في اليمن، كما أن وسائلها من صحافة وإذاعة منعدمة أيضاً، كما لا تسمح الحكومة اليمنية بحق الاجتماع أو تكوين الجمعيات؛ فلا توجد جمعية واحدة، ولا توجد وسائل اتصال، وتصادر صحف العالم التي تصل إليها إلا للخاصة، أما التعليم فلا وجود لمدارس على الإطلاق، اللهم إلا كتاتيب القراءة والكتابة، ولا مستشفيات ولا عيادات ولا أطباء، ولا علاجات، ولا طرق معبدة، ولا مياه صالحة للشرب..

والخلاصة، لا يتمتع اليمني بما يتمتع به الإنسان في القرن العشرين؛ فحكومته الدكتاتورية تحرمه منها.. ويأتي على ذكر الاعتقالات، والمداهمات، والإعدامات بالجملة، والتعزير، والتنكيل؛ مطالباً لجنة حقوق الإنسان بتشكيل لجنة تتحقق من صدق ما يشكوه اليمنيون. وتشير الصحيفة إلى أن اليمن، وهي عضو في الجمعية العامة للأمم المتحدة، لم تلتزم بالمادة (56)، المتعلقة بوسائل النشر، والويل لمن يتكلم عن شيء اسمه حقوق الإنسان، بل وتحرق أية مطبوعات أو صحف تتحدث عن ذلك وتأتي من خارج البلاد، وتنتهي الصحيفة

الموضوع الذي نشر على ثمانية أعمدة بالتأكيد أن حكومة اليمن قد أخلت بميثاق الأمم نفسه في عدم الالتزام بحقوق الإنسان والحريات الأساسية، مكرراً الاستغاثة بهذه الهيئة لنصرة المظلوم ضد الظالم⁽¹⁰⁰⁾.

خاتمة:

جسدت صحيفة السلام مأساة المغترب اليمني الهارب من جحيم الظلم والاضطهاد الإمامي، ومن تفشي الأمراض القاتلة، ومن التجهيل والتجويع الواصل حد انتزاع لقمة الخبز الكفاف من أفواه الجياع المصابين بالمalaria والجذري، والجذام، والبلهارسيا، وحكام طغام لا يعرفون معنى للرحمة ولا للكرامة، والأهم صدور "السلام" - الأنموذج الفذ للصحافة المهجرية، وصوت المعارضة السياسية- بعد نكبة 1948، وقد تصدرت السلام الصحافة العربية والعالمية في الاحتفاء بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 من ديسمبر من العام 1948م؛ أي قبل 4 أيام من صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في 10 من ديسمبر 1948 في فلسطين، وانكسار انقلاب 1948 في اليمن المتوكلية اليمنية.

وقد تصدت الصحيفة للدفاع القومي الصادق عن الشعب الفلسطيني، وإدانة الاستعمار والرجعيات العربية والجامعة العربية بعد إحسان الظن بها، كما كرس الحكيمي افتتاحيات الصحيفة لتجريم الحكم القروسي في اليمن، ودافع عن الأحرار اليمنيين، مطالباً بوقف الإعدامات، والإفراج عن المعتقلين الأحرار، كما دافع وحمى المغتربين اليمنيين المذرورين في بقاع شتى من العالم، ودعا إلى تضييد الجراح، وحرص الصفوف لمواجهة التحديات الخطرة

(100) يراجع العدنان: (62)، و(63)، ص1، رسالة مفتوحة إلى الرئيس الأمريكي ترومان باللغتين العربية والإنجليزية. والعدد (38)، ص1، والعدد (78)، ص1، و ص8.

التي تواجه اليمن والأمة العربية كلها، وكانت الإعلان الداوي لبروز الحركة الوطنية اليمنية، وإيصال صوتها إلى الأمة العربية والعالم. وقد حرصت على قراءة أعداد الصحيفة البالغة 107 أعداد، وتتبع مسار افتتاحياتها؛ لندرك مدى تطور خطاب الصحيفة، وتوسع اهتماماتها، ونضج تفكير رئيس التحرير الحكيمي، وارتقاء الخطاب.

المصادر:

- 1- صحيفة "السلام"، رئيس التحرير، عبد الله علي الحكيمي، العدد: (1)، (4)، (5)، (8)، (9)، (11)، (14)، (17)، (18)، (19)، (20)، (21)، (28)، (29)، (32)، (37)، (38)، (39)، (41)، (45)، (48)، (49)، (50)، (51)، (52)، (53)، (54)، (58)، (60)، (61)، (62)، (63)، (65)، (66)، (67)، (68)، (74)، (77)، (81)، (83)، (85)، (86)، (88)، (89)، (90)، (92)، (93)، (99)، (100).
- 2- النشاط الثقافي والصحفي لليمنيين في المهجر: إندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة، 1900-1950، د. عبد الله يحيى الزين، دار الفكر، 2003م.
- 3- الصحافة اليمنية: نشأتها وتطورها، د. محمد عبد الملك المتوكل، مطابع الطوبجي التجارية، 1983م.

مجلس أمناء مؤسسة الخير للتنمية الاجتماعية

- 1- أ/ علوان سعيد الشيباني - رئيس المؤسسة
- 2- أ/ عمر محمد عمر يعقوب - نائب رئيس المؤسسة
- 3- م/ جمال عمر محمد يعقوب - عضو
- 4- صادق منصور الجماعي - مدير عام المؤسسة
- 5- أحمد عبدالملك الشيباني - عضو
- 6- محمد سعيد الأسودى - عضو
- 7- مها شمسان العززي - عضو
- 8- فارس عثمان الهبوب - عضو
- 9- بلقيس علي الشيباني - عضو
- 10- علي أحمد الحضرمي - عضو

مُهَاجِرُونَ

مخرجات هذه الدراسة هي أيضاً متاحة أمام المهتمين في منصة إلكترونية انشئت لهذا الغرض، ليسهل الوصول إلى مفرداتها بدون عناء. لا نقول عن هذه الدراسة بأنها شاملة وتحيط بكل التفاصيل والمفردات، ومع ذلك فنحن نجزم بأنها محاولة جادة في معاينة ظاهرة الهجرة اليمنية، وتفتح أمام الدارسين والمهتمين مساحات جديدة للمعاينة والإضافة في قادم السنين.

علوان سعيد الشيباني

مؤسس ورئيس مجلس أمناء

مؤسسة الخير للتنمية الاجتماعية

مساهمات اليمنيين على مستوى العالم كثيرة، وتكاد تكون الأكثر تأثيراً على اقتصاديات وثقافات بعض البلدان التي هاجروا إليها وانخرطوا في بنائها وضمن نسيجها الاجتماعي، سواء كان ذلك في دول جنوب شرق آسيا أو شرق أفريقيا أو الخليج العربي، وغير ذلك من البلدان.

ومما يؤسف له أن بعض البلدان قد تنكّرت لدور اليمنيين الحضاري في نهضتها الاقتصادية والاجتماعية. ومن هذه الخلفية، ولدت تبني مؤسسة الخير للتنمية الاجتماعية فكرة إعداد دراسة موسعة عن دور المغتربين والمهاجرين اليمنيين في بلدان المهجر، وتبلورت هذه الفكرة في الأشهر الأخيرة من العام ٢٠١٩م.

دراسة "الآثار المتبادلة للهجرة اليمنية" بأجزائها التسعة، هي حصيلة جهود باحثين مرموقين في مجالات التاريخ والفلسفة والاجتماع والاقتصاد والأدب والفنون والصحافة والسياسة والاحصاء لعامين كاملين،



info@muhajirun-ye.org
www.muhajirun-ye.org

مؤسسة الخير للتنمية الاجتماعية

Al Khair Foundation For Social Development

